الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

نظام الحكم الاسرائيلي

في العهد القديم والقرآن الكريم – دراسة مقارنة –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص مقارنة الأديان

إعداد الطالب:
سباغ عبد الكريم

إشراف الدكتور:
كمال معزي

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د/ لمير طيبات	رئيسا	أستاذ دكتور	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
د/ كمال معزي	مشرفا ومقررا	أستاذ دكتور	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
د/ آسيا شكيرب	عضوا	دكتورة	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
أ.د/ إسماعيل زروخي	عضوا	أستاذ دكتور	جامعة قسنطينة02
أ.د العربي بن الشيخ	عضوا	أستاذ دكتور	جامعة الحاج لخضر – باتنة –
أ.د رحيم محياوي	عضوا	أستاذ دكتور	جامعة باجي مختار – عنابة –

السنة الجامعية

1437–1438 هـ الموافق 2016–2017م

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى :

أستاذي الدكتور كمال معزي الذي أشرف

على هذا البحث ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته

إلى كل من شجّعني ومد يد العون لي لانجاز هذا البحث

عبد الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى والدي الذي أدعو له دائما بالرحمة والمغفرة

إلى أمي حفظـــــها الله

إلى زوجتي الفاضـــلة

إلى كل عائلتي

أهدي هذا العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن دراسة نظام الحكم الإسرائيلي ترتكز على مصدرين أساسيين ،هما العهد القديم والقرآن الكريم ،فالعهد القديم كونه المصدر الأساسي الذي يستعرض ماضي هذا الشعب وتاريخه ونظام حكمه السياسي ،وأمّا القرآن الكريم فكونه الوثيقة الصحيحة التي تحوي أخبار الأولين والآخرين ،وأنّه الكاشف عن أبعاد النفس الاسرائلية المتعمق في داخلها ،المبيّن لأسرارها .وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدناه يركّز على تجربة بني إسرائيل بالذات باعتبارها أوضح أشكال الحضارات العالمية ،ومن هذا المنطلق يمكن بالضرورة الحصول على بعض الأفكار حول ما كان عليه المجتمع الاسرائلي بصورة عامّة على الصعيد السياسي ،وبصورة أدق نظام الحكم ،ولفهم ذلك يجب تتبع الفكرة السياسية عند بني إسرائيل وتطوراتها عبر الزمان والمكان بداية ب :

نظام العشيرة في أرض الكلدانيين مع ابراهيم عليه السلام الذي كان قائدا لعشيرته وزعيما روحيا ومصلحا ،قاوم اضطهاد الملوك وناضل من أجل تثبيت عقيدة التوحيد ،وجاهد من أجل تأمين الإقامة ،وتوفير الحماية والأمن داخل العشيرة وإقامة العلاقات الداخلية بين أفرادها من أجل الحفاظ على وحدتها،وتقوية الروابط الأسرية ،وتوفير حاجياتها والدفاع عنها ،وإقامة المعابد الدينية ،وتحسين علاقاته مع الجوار طوال الهجرات المتوالية بين سومر وبلاد الشام وفلسطين.

من بعد ابراهيم عليه السلام استمر الحكم في ذريته على أساس أبوي في ظل مجتمع عشائري تقليدي يعيش حياة نصف مرتحلة ما بين النهرين إلى أن استقر بهم المقام بمصر في عهد يوسف عليه السلام الذي كان الرجل الثاني في هرم السلطة ،فعاشوا داخل الدولة المصرية في ظل وجود نظام ملكي إداري ،كما وصف ذلك العهد القديم والقرآن الكريم.

النظام القبلي مع موسى عليه السلام الذي كان دوره أساسي في قيادة بني إسرائيل وتحريرهم من العبودية ،وبناء الدولة على أساس ديني ،ففي أرض سيناء تشكّل الكيان السياسي لبني إسرائيل بعد أن قام موسى بتحويل الأسباط إلى اتحاد قبلي مكوّنا دولة من هذا الاتحاد ،وأصبح نظام الحكم يقوم على مفهوم الدولة من خلال وجود تنظيم سياسي وتنظيم إداري ،وتنظيم قضائي ،ومعالم هذا النظام أصبحت واضحة منذ نزول الشريعة على موسى ،حيث أصبحت هذه التنظيمات تخضع إلى القوانين التي نصّت عليها هذه الشريعة والتي أصبحت دستور الدولة الجديدة كما جاء في العهد القديم ،وبيّنه القرآن الكريم .

ومن بعد موسى أكمل يشوع عملية التنظيم بعد أن تسلّم القيادة وترأّس المؤسسة الكهنوتية والعسكرية ،حيث استطاع أن يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدّسة ،ويقيم تجمّعات سكّانية بعد أن قام بتقسيم الأرض وتخصيص سُكنى كل سبط ،وأن يحقق بذلك استقرار سياسي ،ويؤسّس لتاريخ جديد في حياة بني إسرائيل .

نظام القضاة الذي ظهر من بعد يشوع ،فبعد مركزية السلطة السياسية في عهد موسى وخليفته يشوع آل مصير الدولة الى حالة من الفساد السياسي والديني ،ومن اللّامركزية في الحكم ،حيث تفكّك التنظيم الشعبي الذي كان أيّام يشوع وانحلّت وحدة القبائل ،فكان في كلّ مرّة يقوم قاض مؤقت يعيّنه نبي من أنبيائهم يتولّى الحكم وإدارة شؤون بني إسرائيل ،ولمّ الشمل من أجل أن يعود بنو إسرائيل أدبيا وسياسيا ،وكذلك دينيا واجتماعيا شعبا واحدا .

نظام الملك الذي قام احتجاجا على فساد نظام القضاة وعدم قدرتهم على مواجهة الأحداث السياسية والعسكرية المحيطة بهم ،حيث ظهرت فكرة المطالبة بقيام نظام ملكي في شكل نهضة سياسية إصلاحية فرضت نفسها بإلحاح في الوسط الشعبي من خلال مطالبة شيوخ ورؤساء القبائل صموئيل أن يجعل عليهم ملكا كباقي الشعوب يقودهم هذا الملك في زمن الحرب ،ويقيم العدل بينهم في زمن السلم ،ويرفعهم من مقام العبودية إلى مقام السيادة ،وقد تحقق ذلك وتم تنصيب شاؤل أوّل ملك في بني إسرائيل ،ومن بعده جاء داود وسليمان ،حيث استطاعوا أن يؤسسوا مجتمعا سياسيا قويّا ،ويقيموا نظاما إداريا متطورا ،ويسيطروا على أرض واسعة ،فأتاح بذلك عصر الملكية للشعب الإسرائيلي بلوغ ذروته السياسية لأول مرّة في تاريخه ،وهو ما أتى على وصفه العهد القديم والقرآن الكريم .

مرحلة انقسام المملكة التي ظهر فيها من جديد مفهوم الانتماء القبلي الذي يعكسه الشعور بالانتماء السبطي ،إذ لم يرض بنو إسرائيل أن يكونوا دولة واحدة ،ومالوا الى الاعتزاز بالقبيلة ،فانقسموا وصاروا دولتين مشتتتين داخليا وخارجيا، ففقدوا سلطانهم ،وزال بعدها كيانهم السياسي .

أهمية الموضوع :

تكمن أهميّة الموضوع في كونه يتناول جانبا مهمّا في حياة بني إسرائيل قديما ،وبصورة أدقّ نظام الحكم السياسي، والاطلاع على معالم هذا النظام يوقفنا على كثير من الحقائق التاريخية والسياسية والدينية المتعلقة بمنطقة الشرق الأدنى قديما خصوصا فيما يتعلق بقضية الصراع حول الأرض المقدسة .

– لا يمكن فهم مقوّمات الوجود الإسرائيلي دون فهم حقيقة نظامهم السياسي.

- نظام الحكم الإسرائيلي قام على فكرة وجوب التوطن في الأرض المقدّسة والصراع مع الشعوب والمماليك التي استوطنت هذه الأرض ،وموقفهم من بقية الشعوب والمماليك الأخرى .
- الدور الذي لعبه بنو إسرائيل في مجريات التاريخ سلبا وإيجابا .

أسباب اختيار الموضوع :

لعل الأسباب التي جعلتنا نهتم بدراسة هذا الموضوع ،هو الميل إلى مثل هذه الدراسات المقارنة بين الأديان بحكم تخصصنا في هذا الحقل من الدراسات العلمية ،خاصة فيما يتعلق بدراسة الأديان السماوية الكتابية ومنها اليهودية أقدم هذه الأديان التي ظلت حقلا مهمّا ومضمارا فسيحا للدارسين والباحثين من أتباعها وخصومها ،خاصة في ما يتعلق بالجانب الديني البحث من عقيدة وطقوس ،أو ما يتعلق بالجانب التاريخي من قضايا وأحداث وتواريخ .إذ أنّها كثيرة هي هذه الدراسات التي اهتم بها الباحثون وتناولوها تفصيلا وإجمالا خلافا لما هو متعلق بالجانب السياسي أو بالأحرى نظام الحكم السياسي في إطاره الفكري والقانوني ،فقلّة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالتحليل السياسي والاجتماعي استنادا إلى الموضوعية في التحليل والبعد عن الأيديولوجية والسرد التاريخي ،جعلتنا هذه الأسباب نهتم بدراسة هذا الجانب المعرفي المهم في تاريخ بني اسرائل معتمدين في ذلك بالتحديد على العهد القديم باعتباره المصدر الوحيد لدراسة اليهودية تاريخا ودينا وسياسة ،والقرآن الكريم باعتباره أصح مصدر يعتمده البحث العلمي ويستوثق به الباحث في دراسة الوقائع والأحداث التاريخية والسياسية ،خاصة من حيث تحريف وتغيير وتزييف الحقائق ،وفي الرد على الأباطيل ،مع الاستشهاد بمختلف المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الكشف عن نظام الحكم السياسي لبني إسرائيل في العهد القديم والقرآن الكريم ،وإعطاء صورة واضحة عن نشأة هذا النظام ،وطبيعته وتطوره ،وتحديد الهيئات والمؤسسات التي قام عليها ،والأصل الذي استمد منه شرعيته القانونية والدينية ،ومعرفة ما إذا كان هذا النظام مشابه لنظم المماليك القديمة ،أم يختلف عنهم .

الإشكالية :

يعد هذا البحث مساهمة علمية متواضعة في الدراسات المقارنة بين اليهودية والإسلام ،خاصة فيما يتعلق بالكتابين المقدّسين العهد القديم والقرآن الكريم ،فكلاهما اشتمل على مادة علمية غزيرة تخص بني إسرائيل من كافة

جوانب حياتهم الاجتماعية ،فقد تطرقا إلى الجوانب الدينية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية ،وسنخصص هذا البحث للحديث عن الجانب السياسي ،بمعنى أدق نظام الحكم الإسرائيلي .

مضمون الإشكالية : لما كان موضوع الدراسة نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم ،فإن ذلك يتوقف على المعرفة الكاملة لنصوص العهد القديم والقرآن الكريم للإلمام بجوانب الموضوع ،وبناء على ذلك فإن الإشكالية لا تتفق ولا تتحدد إلاّ على ضوء هذه المعرفة ،لذلك فالتساؤل الكلّي الذي يُطرح : هل هناك نظام حكم إسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل الكلّي نبدأ أولا بالعهد القديم ،فالدارس لأسفاره يجد أن الحديث عن نظام الحكم في العهد القديم يمر بثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى :الإرهاصات الأولى لنشأة هذا النظام ،وقد تجسّد ذلك في فترة التيه ،حيث تحرر بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من العبودية التي فُرضت عليهم في مصر من قبل فرعون وقومه ،وبدؤوا في تنظيم حياتهم ،حيث كان موسى عليه السلام حاكما عليهم ينظّم حياتهم ،ويقضي بينهم بما أنزل الله عليه من شريعة في فترة التيه.

المرحلة الثانية :هي عصر القضاة ،حيث كان القاضي المعيّن من قبل النبي هو الذي يتولّى شؤون بني إسرائيل ،وقد عرفت هذه المرحلة قضاة كبارا مثل صموئيل ودبورة وشمشون ،وقضاة صغارا .وتأتي بعدها المرحلة الثالثة المتمثلة في قيام مملكة موّحدة لبني إسرائيل عرفت فترتها الذهبية في عصر داود عليه السلام ،غير أنّ هذه المملكة انقسمت بعد سليمان عليه السلام إلى مملكة جنوبية عُرفت باسم يهوذا ،ومملكة شمالية عُرفت باسم إسرائيل .

أمّا فيما يخص القرآن الكريم فقد فصّل في شؤون بني إسرائيل في فترة التيه ،وفي عهد داود وسليمان كما وردت فيه آيات خصّت مرحلة الانقسام بعد داود وسليمان .

فلمّا كان جوابنا عن وجود نظام الحكم الاسرائلي في العهد القديم والقرآن الكريم بالإيجاب ،فالتساؤلات الجزئية التي تُطرح تتمثل في :

1- ما شكل نظام الحكم الاسرائلي، هل هو قبلي أم قضائي أم ملكي ؟ .

2 - وهل كان يمثل نظاما دينيا بمعنى أنّ الحاكم فيه كان يحكم بتفويض الهي ،أم كان نوعه مشابه للمماليك المحيطة ببني إسرائيل آنذاك خاصة المماليك الكنعانية ،أي أنّه عرف النظام المدني ؟ .

3- هل كانت هناك سلطات في نظام الحكم الإسرائيلي ؛أي وجود السلطة التشريعية ،والسلطة التنفيذية ،والسلطة القضائية ؟ .

4- هل تنفرد الشريعة الاسرائلية بالأحكام ،أم أنّ هناك شريعة شفوية إلى جانب ذلك تستمد منها الأحكام ؟ .

5- هل كان نظام الحكم الاسرائلي يتضمن مجالس للحكم على شكل المماليك القديمة من حاشية ،ومستشارين ،وقادة الجيش وغيرها ؟ .

منهج الدراسة :

لما كانت هذه الدراسة تهتم بالبحث في طبيعة نظام الحكم ،والتطورات التي مرّ بها ،ومعرفة خصوصيته من مصادر مختلفة تم الاعتماد على:

المنهج التحليلي المقارن :

اعتمدنا المنهج التحليلي المقارن الذي يتناسب وطبيعة الموضوع ،فهو يقوم على ترتيب النصوص وتحليلها بغية تتبع مراحل هذا النظام وتشكله وتكوينه ،ومعرفة تطوره وظروف هذا التطور ،ومدى قوته وضعفه وخصوصياته في المصادر اليهودية ولا سيما العهد القديم ومقارنتها بما جاء في القرآن الكريم بما فيه من أخبار صادقة على وجه الإطلاق .

المنهج التاريخي :

لما كان هذا المنهج يقوم على البحث والكشف عن الحقائق التاريخية من خلال تحليل وتركيب الوقائع الماضية وإعطاء تفسيرات لها ،تم الاعتماد عليه للكشف عن الأوضاع التي مرّ بها بنو إسرائيل ،والظروف التي تم فيها تشكيل نظام الحكم عبر المراحل المختلفة ،وكيف أثر ذلك على نظام الحكم سلبا وإيجابا .

الدراسات السابقة :

من الدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن الجوانب السياسية ،الدينية العسكرية ،الاجتماعية والاقتصادية لبني إسرائيل وتم الرجوع إليها لإثراء هذا الموضوع ،تاريخ الحضارات السامية القديمة لموسكاتي ،تاريخ بني إسرائيل لمتى المسكين ،العهد القديم يتكلم،لصموئيل شولتز ،المجتمع الإسرائيلي لزكي شنودة ،تاريخ بني إسرائيل فؤاد حسنين علي،شريعة الحرب لحسن ظاظا ،فلسفة الحرب لمحمد إدريس جلاء ،بنو إسرائيل لمحمد بيومي مهران ،وبنو إسرائيل لسيد محمد طنطاوي ،وهذا البحث الموسوم ب " نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم" نحسبه بأنّه

بحث أكاديمي انفرد وتميّز بهذا العنوان ،وبالخطة التي بني عليها البحث ،فهو غير موجود في أيّ بحث أكاديمي حسب علمنا.

خطة البحث :

إن هذه الدراسة الموسومة ب "نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم" اقتضت وضع خطة منهجية تتفق مع طبيعة الموضوع ،لذلك جاءت هذه الدراسة مقسّمة إلى : مدخل تمهيدي ،وخمسة أبواب ،وخاتمة اشتملت على نتائج البحث .

الفصل التمهيدي : ينقسم إلى ثلاث مباحث

المبحث الأول : تم فيه تحديد مصطلحات البحث.

المبحث الثاني : تناولنا فيه مفهوم نظام الحكم في العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث الثالث :جاء للحديث عن نظم الحكم لدى بعض المماليك المجاورة لبني إسرائيل ،وهم الكنعانيون والمصريون والبابليون.

الباب الأول : خصصناه للحديث عن نظام العشيرة ،وهو ينقسم إلى ثلاث فصول.

الفصل الأول : تحت عنوان التنظيم السياسي ،وهو ينقسم إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأول : جاء فيه عرض الأوضاع السياسية والظروف الاجتماعية التي أحاطت بعصر ابراهيم الخليل وذريّته من بعده في مصر مع يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني : خصّصناه للحديث عن طرق تولي نظام الحكم.

المبحث الثالث : خصصناه للحديث عن المهام السياسية ،وذلك بالحديث عن السياسة الداخلية والخارجية التي كانت تقوم عليها حياة الآباء ،حيث قمنا بعرض الشؤون السياسية ،الدينية ،العسكرية ،الاجتماعية والاقتصادية مبرزين في ذلك الطابع البدوي الذي كانت تقوم عليه حياة الآباء .

الفصل الثاني : التنظيم الإداري وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : التنظيم الإداري المدني ،وفيه تم الحديث عن الجهاز الإداري ،النظام المالي ونظام الشغل مبرزين شكل وطبيعة هذا النظام .

المبحث الثاني : التنظيم العسكري،تحدثنا فيه عن نوع وشكل النظام العسكري البدوي الذي يتناسب وحياة الآباء.

الفصل الثالث : التنظيم القضائي وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : نظام القضاء تم فيه الحديث عن شكل القضاء.

المبحث الثاني : النظام التشريعي تم فيه الحديث عن نوع التشريع ومصدره.

الباب الثاني :خصصناه للحديث عن النظام القبلي،وهو ينقسم إلى ثلاث فصول.

الفصل الأول : بعنوان التنظيم السياسي، وهو ينقسم إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأول: بعنوان الأوضاع السياسية تحدثنا فيه عن واقع بني إسرائيل في ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية من بعد يوسف،وعن أسباب الصراع الذي وقع بين بني إسرائيل وفرعون من جهة ،وبين فرعون وموسى من جهة أخرى ،كما نصّت عليه نصوص العهد القديم ،والقرآن الكريم.

المبحث الثاني :بعنوان نظام اعتلاء الحكم ،تناولنا فيه الحديث عن تعيين موسى عليه السلام وتولّيه لقيادة بني إسرائيل ،وتعيين يشوع وخلافته من بعده في قيادة بني إسرائيل .

المبحث الثالث :بعنوان المهام السياسية ،وفيه قمنا بعرض السياسة الداخلية والخارجية مبرزين المنجزات السياسية، الدينية ،العسكرية والاقتصادية التي قام بها موسى عليه السلام ومن بعده يشوع ،وهي تحرير بني إسرائيل وتأسيس أمّة من الأسباط ،تنظيم إدارة التنقل والسكن ،تدشين وافتتاح مكان العبادة ،تأسيس مدن الملجأ ،تأسيس نظام الكهنوت ،شن الحملات العسكرية ،إلقاء خطبة الوداع.

الفصل الثاني : التنظيم الإداري ،وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : التنظيم الإداري المدني تحدثنا فيه عن شكل الجهاز الإداري ،نظام التقسيم الإداري الذي قام به موسى من خلال تحديد مكان كل سبط ،النظام المالي وبيّنا فيه نوع الموارد المالية ومصدرها وطريقة توزيعها والنظام الضريبي بيّنا فيه بداية ظهوره والغاية منه ومقداره ،نظام الشغل وبيّنا فيه نوع الأشغال العامة وطريقة إدارتها ،والمنشآت العمرانية بيّنا فيها نوعها وكيفية إنشائها والهدف منها.

المبحث الثاني : بعنوان التنظيم العسكري تناولنا فيه أولا الحديث عن تشكيل الجيش وإعداده مبرزين في ذلك عملية التجنيد والنظام المتبع في ذلك ،عملية تقسيم الجيش وتنظيمه مبرزين الهدف من ذلك ،وثانيا تحدثنا عن

أساليب القتال وعمليّاته مبرزين أهم الأساليب المعتمدة ،وثالثا تحدثنا عن معدات القتال مبرزين في ذلك أهم الأسلحة المستخدمة في عملية القتال.

الفصل الثالث : وأمّا الفصل الثالث تحدثنا فيه عن التنظيم القضائي ،وهو ينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : بيّنا فيه نظام القضاء من حيث نوع القضاء ،ومكان القضاء ،وإجراءات القضاء ،ومصدر القضاء ، والتطورات التي طرأت على نظام القضاء.

المبحث الثاني : تناولنا النظام التشريعي من خلال الحديث عن التشريع الجنائي والمدني ،وقد بيّنا فيه بداية ظهور التشريع ومصدره ودوره في بناء المجتمع وتنظيمه ،وفي الحديث عن التشريع الجنائي بيّنا الأفعال اعتبرتها الشريعة جرائم تستوجب العقاب على ارتكابها .وفي الحديث عن التشريع المدني بيّنا أن شريعة موسى نصت على جملة من المعاملات المدنية ،ووضعت لها قواعد وأحكام وقوانين دقيقة وبيّنت حالات التعامل بها على المستوى الداخلي بين الأفراد ،ومع الغير على المستوى الخارجي.

الباب الثالث : خصصناه للحديث عن نظام القضاة في ثلاث فصول.

الفصل الأول : تكلّمنا فيه عن التنظيم السياسي في ثلاث مباحث

المبحث الأول : تحت عنوان الأوضاع السياسية،عرضنا فيه الأحوال السياسية السائدة في هذا العصر ،والتي تعكس أولا التطورات التي حدثت على اثر موت يشوع مباشرة ؛أي قبل تولي القضاة السلطة ،وثانيا الأحداث السياسية ،الدينية ،والتغيرات الاجتماعية التي لازمت تلك الفترة ،والتي تبدو مثل حلقات متكررة من الوقوع في العبادات الوثنية ،واستعباد الأغراب لهم ،والصراخ ليهوه من أجل الخلاص ،وافتدائهم بيد مخلّص يهبهم فترة هدوء واستقرار سياسي .

المبحث الثاني : بعنوان نظام اعتلاء الحكم ،قدّمنا فيه مفهوم كلمة قاض والطريقة التي يتّم بها تعيين القضاة.

المبحث الثالث :بعنوان المهام السياسية ،تحدثنا فيه عن السياسة الداخلية والخارجية للقضاة مبرزين فشل هذه السياسة من خلال الحديث عن انقسام الوحدة السياسية وفقدان تابوت العهد ،وكثرة الحروب الداخلية ،وفساد النظام الديني بسبب انحراف وفساد بني إسرائيل وعبادتهم لآلهة الأمم الأخرى ،وفشل النظام الكهنوتي في إدارة الشؤون الدينية داخل خيمة الاجتماع ، والصراع السياسي والعسكري مع المماليك المحاورة.

الفصل الثاني : تحدثنا فيه عن التنظيم الإداري ،وهو ينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : تحدثنا فيه عن خصوصية النظام الإداري والمالي ،ونظام الشغل.

المبحث الثاني : تحدثنا فيه عن تشكيل الجيش وتنظيمه والطريقة التي يتم ،وعن أساليب القتال وعمليّاته ،ومعدّات القتال في الحروب في هذا العصر الذي تفتقر فيه الإدارة المدنية والعسكرية إلى وجود تنظيم إداري وعسكري منظّم.

الفصل الثالث : تحدثنا فيه عن التنظيم القضائي ،وهو ينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : بيّنا فيه نظام القضاء من حيث نوع القضاء ،ومكان القضاء ،وإجراءات القضاء في ظل عدم وجود حكومة مركزية أو عاصمة رسمية للحكم .

المبحث الثاني :تناولنا النظام التشريعي من خلال الحديث عن التشريع الجنائي والمدني ،وقد بيّنا فيه فساد هذا النظام الذي كان سببا في سقوط نظام القضاة.

الباب الرابع نظام الملك :وهو ينقسم إلى ثلاث فصول.

الفصل الأول : التنظيم السياسي ،وينقسم إلى ثلاث مباحث.

المبحث الأول : تناولنا فيه الحديث عن الأوضاع السياسية التي أدت إلى ظهور نظام الملك.

المبحث الثاني : تناولنا فيه مراسيم تنصيب الملك ،ونظام اعتلاء الحكم القائم على أساس الوراثة ،والاعتراض على تنصيب شاؤل (طالوت) ملكا .

المبحث الثالث : تم فيه الحديث عن المهام السياسية من خلال الحديث عن السياسة الداخلية والخارجية ،حيث بيّنا في السياسة الداخلية المنجزات السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية ،ممثلة في توحيد بني إسرائيل ،وتأسيس عاصمة للملكة ،وتوسيع حدود الدولة عن طريق العمليّات العسكرية التي قام بها الملوك ،واستعادة تابوت العهد وإحضاره الى القدس ، وتنظيم الكهنوت ،وتدشين الهيكل ،وتحقيق سياسة اقتصادية كبيرة .وفي السياسة الخارجية بيّنا العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي أقامها الملوك مع المماليك المجاورة.

الفصل الثاني : التنظيم الإداري ،وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : التنظيم الإداري المدني تناولنا فيه الحديث عن الجهاز الإداري مبرزين التطورات الإدارية التي استحدثها الملوك لأول مرّة في تاريخ بني إسرائيل ،وكذلك التقسيمات الإدارية الذي استبدل فيها سليمان المقاطعات الإثنتي عشرة بالنظام القبلي القديم ،وعن النظام المالي مبرزين التطورات التي حدثت في هذا العهد ،ونظام الشغل

مبرزين السياسة العمرانية التي انتهجها الملوك في كل المجالات الحيوية وعلى رأسها بناء الهيكل والقصر الملكي والحصون والقلاع إنشاء القنوات المائية ،والصرح الممرد ،وبيت المقدس ،والمحاريب ،والأحواض المائية.

المبحث الثاني : تناولنا الحديث عن التنظيم العسكري من حيث تشكيل الجيش وتنظيم القوّات ،والتعبئة المعنوية ،وعن أساليب القتال وعمليّاته ،ومعدّات القتال مبرزين أهم التطورات التي حدثت في هذه الفترة.

الفصل الثالث : التنظيم القضائي ،وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول : نظام القضاء،تكلّمنا فيه عن سلطة القضاء ، مكان القضاء ،إجراءات القضاء ،مصدر القضاء ،حيث بيّنا تطوّر نظام القضاء ،وأن سلطة القضاء كانت بيد الملك ،وأن نظام القضاء كان قائما على تحقيق العدالة من خلال عنصري التحري والإثبات.

المبحث الثاني: النظام التشريعي تكلّمنا فيه عن التشريعي الجنائي وتطبيق قانون العقوبات على الجرائم المرتكبة، والتشريع المدني وحفظ العقود والمواثيق،ونظام الأحوال الشخصية والمواريث.

الباب الخامس : نظام المملكة المنقسمة ،وينقسم إلى ثلاث فصول.

الفصل الأول : التنظيم السياسي وينقسم إلى ثلاث مباحث ،المبحث الأول الأوضاع السياسية بيّنا فيه العوامل الأساسية التي أججت الصراعات داخل المملكة المتحدة من بعد سليمان ،والتي أدت الى انقسام وانحطاط المملكة، واستقلال الشمال عن الجنوب ،وهي في جوهرها ناتجة عن تطورات سياسية،عسكرية ،دينية،اجتماعية واقتصادية داخل المملكة ،وفي منطقة الشرق الأدنى عموما.

المبحث الثاني : نظام اعتلاء الحكم بيّنا فيه طريقة اعتلاء الحكم والخلاف بين المملكتين.

المبحث الثالث : المهام السياسية تناولنا فيه الحديث عن السياسة الداخلية والخارجية ،ففي مجال السياسة الداخلية بيّنا مراحل الضعف والانفصال السياسي والديني من خلال الحديث عن انحلال الوحدة الوطنية ،وانقسام العاصمة ،ونظام الكهنوت ،وتغيير المواسم والأعياد الدينية، والحروب الأهلية، ومراحل القوة التي مرّت بها المملكتان بعد عودة الوفاق ،وعمليّة الإصلاح ودور السلطة النبوية المعارضة في عملية الإصلاح الديني ،الاقتصادي والاجتماعي .وفي مجال السياسة الخارجية بيّنا فيه التحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية الداخلية والخارجية .

الفصل الثاني : التنظيم الإداري ،وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول: التنظيم الإداري المدني،بيّنا فيه شكل الجهاز الإداري ،نظام التقسيم الإداري ،النظام المالي ونظام الشغل في مملكة يهوذا والسامرة مع التركيز على التطورات والخلافات بينهما.

المبحث الثاني : التنظيم العسكري تحدثنا فيه عن تشكيل الجيش وإعداده،أساليب القتال وعملياته ،معدّات القتال في الحروب ،وبيّنا الخصوصية التي تميّز بها التنظيم العسكري في هذه الفترة.

الفصل الثالث : التنظيم القضائي ،وينقسم إلى مبحثين

المبحث الأول : القضاء ،بيّنا فيه سلطة القضاء ،إجراءات القضاء ،مكان القضاء ،مصدر القضاء في المملكتين مع التركيز على التغييرات التي طرأت على نظام القضاء والخلاف الذي وقع بين المملكتين.

المبحث الثاني : التشريع ،تناولنا فيه الحديث عن التشريع الجنائي والمدني مع التركيز على بيان فساد هذا النظام.

ومن الطبيعي أن تكون للبحث خاتمة ،وقد أحاطت بخلاصة الدراسة وثمارها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : تحديد المصطلحات

أولا : مفهوم نظام الحكم

1 – النظام لغة :

جاء في لسان العرب تعريف كلمة نظام أنّها مأخوذة من نظم: النّظمُ: بمعنى التأليف ،نَظَمَه ينظِمُه نَظما ونظاما ونظَّمه فانتظم وتنظّم .ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السِّلك ،والتنظيم مثله ،ومنه نظمتُ الشعر ونظّمتُه ،ونظم الأمر على المثل .والنّظام : ما نظمتَ فيه الشيء من خيط وغيره ،والنّظام : الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ ،وكل خيط يُنظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام ،وجمعه نظم[1] .

2 – نظام الحكم اصطلاحا :

ورد في تعريف نظام الحكم من الناحية الاصطلاحية عدة أقوال تعددت واختلفت بين علماء الاجتماع والسياسة والفلسفة والقانون نورد من بينها ما يلي :

ورد في تعريف النّظام بصورته العامة التجريدية حسب تعريف موريس دوفرجيه :هو نموذج معين لتنظيم ما ،وفي تعريف كل من هول وفاكن: النّظام هو مجموعة مواضيع وعلاقة هذه المواضيع مع معطياتها .ويعرّفه ماكس وابر: بأنّه هو الذي يضمن تنفيذ الأوامر في المنطقة المعيّنة الحدود وبصورة مستمرة بواسطة السلطة الفعلية عن طريق هيئة إدارية دائمة. والتعريف الأكثر شمولا للنّظام :هو ذلك الذي يقرّر احتواء النّظام على عناصر من ناحية واعتماد هذه العناصر بعضها على بعض من ناحية أخرى ،بحيث إذا تحول أحد هذه العناصر في النّظام فإن العناصر الأخرى وبالنتيجة سوف تتحول وتتبدل[2] .

ونظام الحكم أو النّظام السياسي عرّفه موريس بعد أن ألحقه بمفهوم الحكومة بأنّه حكم وتنسيق ،أمّا ألموند كولمن فعرّفه بأنّه النّظام الذي يتضمن التفاعلات المتواجدة في المجتمع المستقل والتي يقدم المجتمع من خلالها الوظائف المتعلقة بالتكامل والتكيف داخله وخارجه بواسطة استخدام القوة الشرعية أو التهديد باستخدامها ،وعرّفه دوفرجيه بأنّه هو مجموع الحلول اللاّزمة لمواجهة المشاكل التي يثيرها قيام الهيئات الحاكمة وتنظيمها في هيئة اجتماعية معينة[3] .

---

[1] – أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور ،لسان العرب (مادة نظم) ،دار صادر بيروت ،ج 12 ،ص 578

[2] – حسان محمد شفيق العانى ،الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة ،مطبعة جامعة بغداد ،بغداد ،1986 ،ص 9

[3] – المرجع نفسه ،ص 12 – 13

ثانيا :مفهوم كلمة إسرائيلي

1– لغة :

كلمة إسرائيل في العهد القديم :

يقول ظاظا :إسرائيل كلمة تتكوّن من إسرا :بمعنى القوة ،وإيل: بمعنى اللّه ،فيكون معنى إسرائيل قوة اللّه[1] .

ويقول المسيري :إسرائيل كلمة تتكون من إسرا :أي الذي يحارب ،أو يصارع . وإيل :هو الأصل السامي لكلمة إله ،والكلمة تعني حرفيا الذي يصارع الإله ،أو جندي الإله ايل ؛أي تأخذ معنى الحرب والصراع ،ومعنى القداسة التي ارتبطت بين سكان المنطقة ،وهي اسم لإحدى المدن ،أو اسم لبطن من بطون القبائل العبرانية ،وقد ورد هذا الاسم في النقوش والكتابات المصرية القديمة[2].

كلمة إسرائيل في القرآن الكريم:

اسرائيل اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف[3] .وقد ورد في معناها أنّها كلمة مرّكبة من:

إسرا : قيل بمعنى العبد ،أو الصفوة ،أو الإنسان ،أو المهاجر ،وقيل من الشد ؛فكأنّ إسرائيل الذي شدّه اللّه وأتقن خلقه ذكره المهدوي ،وقال السهيلي :سمّى إسرائيل لأنّه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى اللّه تعالى ؛ فسمي إسرائيل أي أسرى إلى اللّه ،فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافقا للعرب .وقال القفال :قيل إنّ إسرا بالعبرانية في معنى إنسان ،فكأنّه قيل رجل اللّه .وإيل: قيل بمعنى لفظ الجلالة (اللّه) .فيكون تركيبها :عبد اللّه ،كما قيل جبريل عبد الله ،وميكائيل عبد الله[4].

2 – اصطلاحا :

معنى كلمة إسرائيل في العهد القديم :

---

[1]– حسن ظاظا ،أبحاث في الفكر اليهودي ،دار القلم ،دمشق ،دار العلوم ،بيروت ،ط 1، 1407 هـ ،1987 م ،ص 103

[2]– عبد الوهاب المسيري ،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،دار الشروق ،القاهرة ،ط1 ،1999 ،ج2 ،ص 206 ،عبد الوهاب المسيري ،في المصطلح والخطاب الصهيوني ،دار الشروق ،2005 م ،ص 160

[3]– محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،دار الكتب المصرية ،القاهرة، د ت ، د ط ، ج1 ، ص331 .

[4] – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق ،أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ،ط1 ،1420 هـ – 2000 م ،ج1 ،ص 553 ، فخر الدين محمد الرازي ،التفسير الكبير ،دار الفكر ،ط1، 1401هـ ،. 1981 م ،ج 3 ،ص31

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن إسرائيل كلمة عبرية معناها يجاهد مع اللّه ،أو اللّه يصارع[1].

وقد جاء أول ذكر لهذا الاسم في الكتاب المقدّس :" [٢٢]ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ.[٢٣]أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ.[٢٤]فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ.[٢٥]وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.[٢٦]وَقَالَ: "أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ". فَقَالَ: "لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي".[٢٧]فَقَالَ لَهُ: "مَا اسْمُكَ؟" فَقَالَ: "يَعْقُوبُ".[٢٨]فَقَالَ: "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ.."[2].

ومن ثَمّ أصبح اسم يعقوب (إسرائيل) أي مجاهدا مع اللّه وقادرا ،فاجتمع في دلالة هذا الاسم ما يسبب السرور والرجاء عند اليهود ونسله كمرادف لبني إسرائيل ،وقد أطلق على الإثنتي عشرة سبطا[3] ،واستمر كذلك من وقت افتتاح أرض كنعان على يد يشوع إلى موت سليمان[4].

---

[1]– عبد الملك بطرس ،جون ألكسندر طومس ،ابراهيم مطر ،قاموس الكتاب المقدس ،دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط ،ط 10 ،1985 ،ص 51

[2]– سفر التكوين 32 : 22 – 31

[3]– السبط: اسم من كلمة عبرانية لفظها شبط ومعناها عصا أو جماعة يقودها رئيس بعصا،والمقصود الرّعية التي لها راع ،كأن تقول القبيلة وشيخ القبيلة،بطرس،قاموس الكتاب المقدس،ص 310والسبط هو ولد الولد كأنه امتداد الفروع،والأسباط أي قبيلة ،كل قبيلة من نسل رجل : الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق صفوان عدنان داوودي ،دار القلم ،الدار الشامية ،ط4 ،1430 هـ ،2009 م ،ص 394 ، ويقول الألوسي:إن كلمة أسباط مأخوذة من لفظ سبط الذي يعني الشجرة كثيفة الأغصان ،فكأنهم سموا بذلك نظرا لكثرتهم ،وقيل :من السبوطة وهي الاسترسال ،وقيل :أنه مقلوب البسط.الألوسي ،تفسير الألوسي ،ج1 ،ص 395. والأسباط الإثنا عشرهم أولاد يعقوب كما ذكرتهم التوراة :وكان بنو يعقوب اثني عشرة بنو ليئة رأوبين بكر يعقوب ،وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون .وابنا راحيل يوسف وبنيامين.وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي.وابنا زلفة جارية ليئة جاد وأشير.هؤلاء بنو يعقوب ولدوا في فدان أرام :سفر التكوين 35 : 23 – 26 .ورد ذكر الأسباط في أكثر من موضع القرآن الكريم قال تعالى :(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾) ،سورة البقرة : 140

[4]– بطرس عبد الملك ،قاموس الكتاب المقدس ،ص51 ،مراد كامل ،إسرائيل في التوراة والإنجيل ،معهد الدراسات العربية العالمية ،دار المعرفة ،القاهرة ،ط2 ،1967 م ،ص 17 – 18 ،داود عبد العفو سنقرط ،جذور الفكر اليهودي ،دار الفرقان ،الأردن ،ط1 ،1403 هـ ،1983 م ،ص16

الى جانب هذه الدلالة العامة التي تعود إلى ما ورد في سفر التكوين من تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل ،أصبح هذا المصطلح يأخذ دلالة خاصة ،وهي دلالة سياسية جغرافية تشير إلى الانتماء السياسي الجغرافي لمملكة إسرائيل الشمالية وذلك بداية من عام 932 ق.م أي بعد موت سليمان وانقسام مملكته إلى قسمين إسرائيل في الشمال ،ويهوذا في الجنوب[1] .أمّا فراس السواح فيقول :أن اسم إسرائيل ورد لأول مرة في السجلات التاريخية في نص للفرعون مرنفتاح عام 1200 ق.م يتحدث عن فئة في كنعان اسمها إسرائيل[2].

ولما كان اللّه هو الذي أعطى هذا الاسم ليعقوب وغيّر اسمه القديم ،فإنّ اليهود في كلّ عصورهم يفتخرون بهذا الاسم ويميلون إلى استعماله ،لأنّه فيه دلالة على الوعد والرجاء ،وإشارة إلى مجدهم،وهم تحت هذا الاسم ينتظرون ملكوت اللّه والخلاص من أعدائهم ،وقد كانت كلمة إسرائيل في عصر المسيح تؤدي معنى المدح والافتخار[3] ،فحين رأي المسيح من يستحق المدح قال: "هو ذا إسرائيلي حقا لا غش فيه"[4].

معنى كلمة إسرائيل في القرآن الكريم :

اتفق المفسّرون على أنّ إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام[5] ،وقد أشار اللّه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[6] .

جاء في الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي عن شهر بن حوشب ،قال :حدثني عبد اللّه بن عباس قال :قد حضرت عصابة من اليهود يوما إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ،فقال لهم :أنشدكم باللّه الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا ،وطال سقمه منه ،فنذر لله عزّ وجلّ نذرا لأن شفاه من سقمه ليحرمنّ أحبّ الشراب إليه ،وأحبّ الطعام إليه ،وكان أحبّ الشراب إليه ألبان الإبل ،وأحبّ الطعام إليه لحم الإبل ،قالوا : اللّهم نعم ،فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم (أشهد عليهم)[7].

---

[1]- محمد خليفة حسن أحمد ،تاريخ الديانة اليهودية ،دار قباء ،القاهرة ،ط1 ،1998 م ،ص 26 – 27

[2]- فراس السواح ،الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ،دار علاء الدين ،دمشق ،ط3 ،200 م ،ص 234

[3]- مراد كامل ،إسرائيل في التوراة والإنجيل ،ص 17 – 18

[4]- سفر يوحنا 11 :47

[5]- فخر الدين محمد الرازي ، التفسير الكبير ،ج3 ،ص 31

[6]- سورة آل عمران : 93

[7]- أبو داود الطيالسي ،مسند الطيالسي ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،د ط ،د ت ،ص 356

والقرآن الكريم خصّ بني إسرائيل بالحديث في ثلاثة وثلاثين موضعا من القرآن ،وجاءت بصيغة " **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**" حينما تكلّم عن تاريخهم ،وحينما خصّهم بالشريعة والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ،وفي ذكر الأنبياء الذين أرسلهم اللّه إليهم ،وعن النعم التي خصّهم بها وبأسلافهم ،وسوف نتحدث عن هذه الأوجه بإيجاز :

1 ـ تحدث القرآن الكريم عن تاريخ بني إسرائيل منذ تواجدهم في مصر حتى زمن سيّدنا محمد صلّى اللّه عليه وسلّم، فحين كانوا في مصر سمّاهم ببني إسرائيل ،يقول تعالى:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] ،والخطاب موّجه لموسى وأخيه هارون عليهما السلام ،وظلّ بنو إسرائيل يُعرفون بهذا الاسم حتّى بعد خروجهم من مصر ،يقول تعالى :﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2] .

استمر هذا الاسم حتّى من بعد زمن موسى عليه السلام ،قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾[3] ،وعرفوا أيضا بهذه التسمية حتى زمن عيسى عليه السلام ،قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[4] .

2 ـ يرد الخطاب القرآني بصيغة بني إسرائيل في حديثه عن التشريعات ،وأخذ العهود والمواثيق منهم ،جاء بيان ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[5] .

---

[1] – سورة طـه : 47

[2] – سورة الأعراف : 138

[3] – سورة البقرة : 246

[4] – سورة الصف : 14

[5] – سورة المائدة : 12

3 ـ أيضا يرد الخطاب القرآني بصيغة بني إسرائيل حينما أنزل اللّه التوراة على موسى عليه السلام ،وذكر الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إليهم ،قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾[1] .

4 ـ يرد الخطاب القرآني بصيغة بني إسرائيل حينما يذكرّهم بسالف نعم اللّه التي منّ بها على أسلافهم ليحثهم على الإيمان ،قال تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ ﴾[2] ، وأمثلة ذلك كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها.

ثالثا : مفهوم العهد القديم لغة واصطلاحا

1 – لغة :

كلمة عهد في العبرية هي بريت التي تعني اتفاقا أو ترتيبا ،وهي مشتقة من الكلمة العبرية "بارا"أي أكلوا خبزا معا،مما يوحي بأن الأطراف المتعاقدين كانوا يأكلون خبزا معا عند توقيع الاتفاق ،أو لعلها مشتقة من الكلمة الأكادية بيريتو التي تعني قيدا ،والتي تدل على تقيد الأطراف بالمعاهدة التي عقدت بينهم .وقطع عهد في العبرية هي بريت قرض .أما في اليونانية فكلمة عهد هي دياثيك ،وهي تؤدي نفس المعني اتفاقا أو وصية ،والفعل منها عاهد[3].

جاء في قاموس الكتاب المقدس :العهد هو اتفاق بشكل ميثاق يعقد بين طرفين بناء على رضاهما[4] .ويقول صاحب الأسفار في معنى كلمة عهد : أنها كلمة مرادفة لكلمة ميثاق ،فيصبح معنى العهد هو ميثاق أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه[5] .

ويقول ابن منظور :العهد كل ما عوهد الله عليه ،وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد[6] .

---

[1]– سورة الجاثية : 16

[2]– سورة البقرة : 122

[3]– وليم وهبة بباوي وآخرون ،دائرة المعارف الكتابية ،دار الثقافة ،القاهرة ،مصر ، ط1 ،1991 م ، مج 5 ، ص 351

[4]– عبد الملك بطرس ، قاموس الكتاب المقدس ،ص 441

[5]– علي عبد الواحد وافي ،الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،د ط ،د ت ،ص 13

[6]– ابن منظور ،لسان العرب (مادة عهد) ج3 ،ص 311

أشار العهد القديم إلى أنواع من العهود منها[1] :

العهود الكتابية:وهذه العهود جاءت صريحة ومنها:عهد الرب لنوح ،جاء في التوراة:" [18]وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ"[2].

العهود الضمنية :وتسمى هذه العهود بالعهود اللاهوتية.

2 – اصطلاحا :

العهد القديم يُطلق على مجموعة الأسفار التي كُتبت قبل عهد المسيح ،وتضم الأسفار التي جاء بها موسى وأنبياء بني إسرائيل ،وعرفت نصوص العهد القديم عند علماء اليهود باسم التناخ ،وهم يفضلون مصطلح التناخ على عبارة العهد القديم ويكتبونها (ت. ن. ك) وهي الحروف الأولى من توراة ،ونبئيم (الأنبياء) ،وكتبيم (الكتب) [3] .

أما النصارى فيطلقون على هذه المجموعة كتب العهد القديم ،لأنّهم اصطلحوا اصطلاحين[4] :

(OLD TESTAMENT) أحدهما : العهد القديم

(NEW TESTAMENT) والآخر : العهد الجديد

(BIBLE) ،وهي كلمة يونانية من (BIBLIA) ،ومعناها الجلد المصري ومجموعة العهدين تسمى بايبل (أي المقدس.SAERA الذي كان يكتب عليه في العصور القديمة ،ثم أضاف النصارى كلمة (

ويُطلق لفظ الناموس على أسفار العهد القديم ،وأول من أطلق هذا الاسم على أسفار الشريعة والأنبياء ،هو بولس في الرسالة الثانية التي بعث بها إلى أهل كورنتوس تميزا له عن العهد الجديد[5] .جاء فيها :" [21]مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ:"إِنِّي

---

[1]– وليم وهبة ،دائرة المعارف الكتابية،مج 5 ،ص 353

[2]– سفر التكوين 6 : 18

[3]– محمد علي البار ،المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية ،بيروت ،ط 1 ،1410 هـ ،1990م ،ص 111 ،أسعد السحمراني ،البيان في دراسة الأديان ،دار النفائس ،بيروت ،ط1 ،1422 هـ ،2001 م ،ص31

[4]– محمد ضياء الرحمن الأعظمي ،دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ،مكتبة الرشد ناشرون ،الرياض ،المملكة العربية السعودية السعودية ،ط 2 ، 1424 هـ ، 2003 م ،ص 126

[5]– فؤاد حسنين علي ،التوراة الهيروغليفية ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،د ط ،د ت ، ص 9 ،الأعظمي ،دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ،ص 127 ،محمد بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،د ط،1999 م ، ج 3 ،ص 11

بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، وَلاَ هكَذَا يَسْمَعُونَ لِي، يَقُولُ الرَّبُّ"[1].

ولفظ الناموس هو اسم يوناني الأصل ،ومعناه شريعة أو قانون ،والنّاموسيون هم المتضلّعون في ناموس موسى... وسموا فيما بعد الكتبة ،وهذا اللفظ مستعمل لمعان عديدة في الكتاب المقدس ،فيدل في العهد القديم على قوانين اللاويين التي كان جزء منها سياسيا ،وجزء أدبيا ،وجزء دينيا[2] .

أصبح مفهوم العهد الجديد يختلف عن العهد القديم منذ أن قطع الله العهد مع المسيح كما يقول إرميا :"[٣١]هَا أَيَّامٌ تَأْتِي،يَقُولُ الرَّبُّ،وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا.[٣٢]لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ"[3].

وسبب هذا الاختلاف أن العهد المقطوع مع ابراهيم كان بدم الحيوانات ،وأما العهد المقطوع مع المسيح فبدمه هو يقول متى :"[٢٨]لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا "[4].

والعهد في اللغة العربية له دلالات عديدة كما بيّنته القواميس ،منها :

قيل العهد بمعنى الموثق ،والعهد كل ما عوهد الله عليه ،وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد[5] .

في القرآن الكريم وردت كلمة العهد بمعنى الوصية والأمر[6] ،قال تعالى :﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[7] .

رابعا : مفهوم القرآن الكريم لغة واصطلاحا

1– لغة :

---

[1]– رسالة كورنثوس الأولى 14 : 21

[2]– ميخائيل مسعود ،سجيع الجبيلي ،الحضارات بين الصراع والحوار ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس ،لبنان ،2009 م ، ص 105، كالهون سيميون ،ونخبة من اللاهوتيين ،مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ،بيروت ،د ط ،1869 ،ص 38

[3]– سفر إرميا 31 : 31 – 32

[4]– سفر متى : 26 : 28

[5]– محمد مرتضى الزبيدي ،تاج العروس من جوهر القاموس ،تحقيق ابراهيم الترزي ،دار الهداية ،1393 هـ ،1972م ،ج 8 ،ص454

[6]– محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ،أبو جعفر الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق ،أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1420 هـ - 2000 م ،ج 20 ،ص 542

[7]– سورة يس : 60

القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ،والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ،قال تعالى :﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ،ثم نقل هذا المعني المصدري وجعل اسما للكلام المعجز الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم ،وذلك من باب إطلاق المصدر على مفعوله[2].

قال الرازي : قرأ الكتاب قراءة وقرءانا – بالضم- وقرأ الشيء قرءانا – بالضم أيضا- جمعه وضمه ،ومنه سُمّي القرآن

لأنّه يجمع السوّر ويضمها[3] .

وقال ابن منظور : سُمّي القرآن قرآنا لأنّه يجمع السوّر فيضمها[4] .

اختلف في اشتقاق لفظ القرآن على عدة أقوال ذكرها السيوطي منها :

قال الفراء :هو مشتق من القرائن ،لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ،ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن وعلى القولين هو بلا همز أيضا ونونه أصلية[5] .

ويقول الزركشي :ذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيءّ إذا ضممته إليه ،فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ،ومنه قيل للجميع بين الحج والعمرة قران[6] .

ويقول الزجاج : لفظ القرآن على وزن فعلان مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع ،ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته ،وسُمّي الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا ،لأنّه جمع السوّر أو ثمرات الكتب السابقة[7] .

---

[1]– سورة القيامة : 17 – 18

[2]– محمد ابراهيم الحفناوي ،دراسات في القرآن الكريم ،دار الحديث ،القاهرة ،د ط ، د ت ،ص 13 ،مناع القطان ،مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،ط11 ،2000 م ،ص 14

[3]– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح ،مكتبة لبنان ،د ط ،1986 م ،ص

[4]– ابن منظور ،لسان العرب ،ج 4 ،ص 3536

[5]– الحافظ جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والدعوة والإرشاد ،المملكة العربية السعودية ،ج1 ،ص 147

[6]– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،ج 1 دار المعرفة ،1404 هـ ،ص 278

[7]– أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج الزجاج ،معاني القرآن وإعرابه ،تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي ،ط1 ،1408 هـ ،1988 م

2- اصطلاحا:

هناك اختلاف في تعريف القرآن الكريم بين المتكلمين وعلماء الأصول والفقه واللغة ،وذلك بعد اتفاق الجميع على أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ،وأن البشر عاجزون على الإتيان بمثله ، قال تعالى :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1] .

عرف العلماء القرآن بأنه الكلام المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه ،المكتوب في المصاحف ،المنقول إلينا نقلا متواترا[2] .

المبحث الثاني : مفهوم نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم

أولا : مفهوم نظام الحكم في العهد القديم

لقد ارتبط مفهوم نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم بثلاث مفاهيم حدّدته وميّزت خصوصيته عن باقي أنظمة الحكم القديمة ،فقد ارتبط بمفهوم التركيبة الاجتماعية لبني إسرائيل ،وعهود الرب ،والأرض الموعودة .وسلطة الحاكم هي سلطة مقيّدة بأوامر إلهية ،فمجال حرّية التصرّف واتخاذ القرارات كان ضيّقا مقارنة مع الحكّام في الأنظمة الفينيقية والمصرية والبابلية مثلا .لذلك أيّ خلل كان يعرّض السلطة إلى العقاب الفوري والقاسي .

1 – عهد الآباء :

بيّن العهد القديم أن مفهوم نظام الحكم في هذا العهد ،هو نظام أبوي ،ارتبط بمفهوم نظام العشيرة ،فرب الأسرة هو الحاكم والقاضي الذي يفصل فيما بين أفرادها من منازعات ،وهو المسؤول عن مصلحة الجماعة ،وإدارة شؤونها وتنسيق العلاقات بين أفرادها وبين الجماعات المجاورة ،طبقا للقوانين والأعراف والتقاليد المتعارف عليها في النظام البدوي ،وأن هذا النظام يخضع لحفظ وصايا وعهود الرب منذ أوّل أمر إلهي لإبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين كما نصّ عليه سفر التكوين[3].

[1]- سورة الإسراء : 88

[2]- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز أحمد زمرلي دار الكتاب العربي،ج 1، ص 21

[3]- سفر التكوين 12 :1

2 – فترة التيه :

وهي مرحلة النظام القبلي ،حيث يبرز العهد القديم أنّ الكيان السياسي لبني إسرائيل قد تشكّل في أرض سيناء ،بعد أن قام موسى بتوحيد الأسباط في شكل دولة ،وأنّ نظام الحكم أصبح يرتبط بمفهوم هذه الدولة الجديدة ،ومعا لم هذا النظام أصبحت واضحة منذ نزول الشريعة على موسى ،وبداية وجود تنظيم سياسي وتنظيم إداري ،وتنظيم قضائي، وفقا للقوانين التي نصّت عليها هذه الشريعة التي أصبحت دستور الدولة الجديدة .

3 – فترة القضاة :

ارتبط مفهوم نظام الحكم في هذه الفترة بنظام القضاة الذي لا يقوم على أساس الدولة ،بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة ،فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة ،وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى ،وكان القضاة أحيانا حكّام وولاة يقصد إليهم أفراد الشعب ليحتكموا إليهم وليقضوا

بينهم سياسيا ويقودونهم في وقت الأزمات والحروب ،نظرا لعدم وجود حكومة مركزية ،وتنظيم سياسي وإداري وقضائي.

4 – فترة الملوك :

ارتبط مفهوم نظام الحكم في هذه الفترة بنظام الملك مع صموئيل الذي أحدث تغييرا جوهريا في تنظيم الشعب الإسرائيلي ، فبعد أن نصّب الملك شاؤل أخرج قيادة الأمّة من يد النبي إلى يد الملك ، وهكذا تحول بنو إسرائيل من أمّة دينية (تيوقراطية) إلى دولة علمانية .

ثانيا : مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم

ارتبط مفهوم نظام الحكم الإسرائيلي في القرآن الكريم بقضية النبوة والملك ،وهو نظام ديني قائم على الوحي الإلهي، فقد جعل الله في بني اسرائيل الأنبياء والملوك وأتاهم الحكم والنبوة ،وأنزل معهم الشرائع وجعلها دستورا ومنهاجا يحكم بها هؤلاء الأنبياء والملوك.

1 – فترة التيه :

ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى اصطفى موسى عليه السلام وأتاه الحكم والعلم والنبوة ،وكلّفه بتحرير بني إسرائيل من عبودية فرعون ،وقيادتهم نحو الأرض المقدّسة ،وفي أرض سيناء تبلورت معا لم نظام الحكم بنزول التوراة على موسى

عليه السلام التي أصبحت دستورا وشريعة ومنهاجا وميثاقا يأخذ بها بنو إسرائيل بقوة بكل ما فيها من عقيدة وتشريعات وأحكام وقوانين ومعاملات وأخلاق، من أجل صلاح أمورهم وانتظام شؤونهم الدينية والدنيوية ،حتى يكونوا على استعداد للخلافة في الأرض بدين الله ،وقد كان موسى عليه السلام دوره أساسي في قيادة بني إسرائيل ،فكان هو القائد الفعلي الأعلى ،والموجه الكبير للسياسة ،والمشرف الأعلى على تنفيذها ،وهو حافظ الدين وحاميه ،والمطبق لأحكام الشرع وأصوله كما جاءت في التوراة .

2 – فترة القضاة :

القرآن الكريم ذكر أنّه من بعد موسى عليه السلام حكم بنو اسرائيل الأنبياء والربّانيون والأحبار ،فقد بعث الله في بني اسرائيل ألوفا من الأنبياء ليس معهم كتاب ،إنّما بعثهم بإقامة التوراة كي يحدّوا حدودها ويقيموا فرائضها ويحلّوا حلالها ويحرّموا حرامها .

3 – فترة الملوك :

بيّن القرآن الكريم أن طبيعة النّظام السياسي في بني إسرائيل اقتضت أن يجعل الله فيهم ملكا من أحد فروعهم، يدير شؤونهم الحياتية وينظمها ،ويصحح مسارهم ويقودهم في المعركة التي سيخوضونها مع أعدائهم ،وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى ،وقد اتضحت معالم هذا النظام منذ بداية تعين طالوت ملكا على بني إسرائيل .ومن بعد طالوت قاد داود عليه السلام بني إسرائيل نحو بناء الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار ،والرفاه والصلاح، والعدل والرشاد .من بعد داود عليه السلام أصبح بنو إسرائيل تحت قيادة سليمان عليه السلام ،فقد ورثه في النبوة والملك واتصف بصفاته ،فكان نبيّا رسولا ،حاكما صالحا ،وملكا عادلا .

المبحث الثالث : نظم الحكم لدى بعض المماليك

لقد اتخذ إنسان منطقة الشرق الأدنى طابع مميّزا في تنظيمه السياسي ،حيث تمكن من تشكيل نظام حكم معيّن بناء على ظروف معيّنة ،وكان نظام الملكية بصفة عامة هو الحكم السائد أثناء العصر التاريخي ،وقد اعتمد هذا النظام على عدة عناصر حاسمة من بينها العوامل البيئية والاقتصادية والدينية والسياسية التي ساهمت في تطوير الوعي الفكري ،الذي أدّى إلى ظهور المدنية منذ فجر التاريخ مع الشعوب التي استوطنت هذه المنطقة ،والتي كان من بينها الكنعانيون ،المصريون والبابليون ،وفي هذا المبحث سنحاول بإيجاز أن نكشف عن نظم هذه المماليك التي كان بنو إسرائيل على اتصال مباشر معهم .

أولا : نظام الحكم عند الكنعانيين (الفينيقيين)

الكنعانيون من الشعوب السامية،وهم فرع من العموريون ،هاجروا من شبه الجزيرة العربية (2500 ق.م) إلى بلاد الشام (سوريا – لبنان – فلسطين) التي أصبحت تُعرف باسم بلاد كنعان ،والتوراة اعتبرتهم من الأقوام الهندو – أوروبية ،وقيل أيضا هم الجبابرة ،وقيل أيضا أنهم ليسوا من الأقوام السامية .وقد استقر الكنعانيون في فلسطين ،واتحدوا شكيم عاصمة لهم ،وامتدت سيادتهم في فلسطين (2500 – 100 ق.م) ،وفي أثناء هذه السيادة هاجر ابراهيم الخليل إليها واستقر في مدينة شكيم ،وقد عُرف عن الكنعانيين –الذين أطلق عليهم اليونانيون اسم الفينيقيون– بأنّهم كانوا أصحاب حضارة كان لها تأثير على الشعوب المجاورة في كل المجالات السياسية ،الإدارية ،الدينية والاقتصادية[1] .

1 – نظام الحكم :

لم يعرف الكنعانيون (الفينيقيون) نظام مركزي موحد ،فقد عاشوا في عدد من المدن ،لكل مدينة حكمها الذاتي ،وكان نظام الحكم الملكي هو النظام السائد ،وكان الملك من الطبقة الارستقراطية ،وبدءاً من القرن9 ق.م ظهرت مجالس الحكماء إلى جانب الملك ،ثم ظهر نظام الحكومات المدنية(الشوفيت) وأخيرا النظام الجمهوري في صور تحت حكم بابل[2] .

2 – المجال الديني :

عرف الكنعانيون (الفينيقيون) نظام تعدد الآلهة ،فكان لكل مدينة إله أو آلهة مفضلة ،ومن أشهرها الإله إيل ،وبعل ،وعشتروت ،وكانت تقام ذبائح لاسترضائها ،وكان المعبد هو المكان الأساسي للعبادة[3] .

3- المجال الاقتصادي والاجتماعي :

اهتم الكنعانيون كغيرهم من الشعوب القديمة بالفلاحة،فاشتهروا بالزراعة،وقد أشارت نصوص العهد القديم إلى

---

[1] – مجموعة من المؤلفين ،موسوعة الحضارات القديمة (الميّسرة) ،دار النفائس ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1432 هـ ،2011 م ،ص 362 – 364 ،فليب حتي ،تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ،ترجمة جورج حداد ،عبد الكريم رافق ،بيروت ،1982 ،ج1 ،ص85 – 86 ،رمضان عبده علي ،تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته (منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر) ،دار نهضة الشرق ،القاهرة ،ط1 ،2002 ،ج 2 ،ص 84 – 85

[2] – موسوعة الحضارات (الميسّرة) ،المرجع نفسه ،ص 316 ،رمضان عبده علي ،تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ،ص 177

[3] – موسوعة الحضارات (الميسّرة) ،المرجع نفسه ،ص367

أنّهم كانوا أصحاب عسل ولبن وحنطة وشعير وكروم وتين..[1] ،وتقدموا في مجال التجارة البرية والبحرية إلى شمال سوريا والبحر المتوسط والخليج العربي ،وأقاموا علاقات مع المصريين ،وأنشئوا مراكز بحرية في مناطق مختلفة كقبرص ومالطا ،واهتموا بصناعة الزجاج والمنتجات الصوفية ،وعرفوا التعدين ،فاكتشفوا النحاس ،واستخدموا الحديد ،وأنتجوا البرونز ،وابتكروا وسائل الدفاع وتحصين المدن .وأمّا النظام الاجتماعي فهو نظام طبقي ،يتكون من طبقة الأشراف والنبلاء ،وطبقة التجار وأصحاب المال ،وفئة من الملاحين الكبار[2] .

4 – **التنظيم الإداري** :

عرف الكنعانيون (الفينيقيون) فنون الإدارة والعمارة والبناء والنحت ،فكانت المماليك تعتمد عليهم في ذلك ،وشيّدوا التحصينات رغم ميلهم للسلم وليس إلى الحرب ،واهتموا بالكتابة ،فكانوا أول من وضع الحروف الأبجدية في التاريخ ،وانفتحوا على عالم الموسيقى واستخدموها في العبادة[3] .

ثانيا : نظام الحكم عند المصريين :

بدأ تاريخ المصريين في واد النيل مع أول مؤسس للملكة المصرية الفرعون مينيس ،ثم استمر هذا التاريخ مع ست وعشرين سلالة ملكية إلى عهد الفتح الفارسي سنة 520 ق.م ،وكانت مصر دولة مدة أربعين قرنا ،وعاصمتها منفيس في بلاد الصعيد إلى عهد السلالة العاشرة (دور الدولة القديمة) ،ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (دور الدولة الحديثة)[4].

1 – **نظام الحكم** :

كان النظام الملكي التيوقراطي، هو النظام السائد أثناء العصر التاريخي المصري ،وكان الملك يؤله ويلقب "بالإله العظيم" ،ويتولى منصبه على أساس حق وراثي ،وليس بتعيين يمكن إلغاءه ،وقد ظل نظام الحكم طوال تاريخ مصر

[1] – سفر العدد 12 :29، 13 :23

[2] – المرجع السابق ،ص 368 – 369 ،رمضان عبده علي ،المرجع السابق ،ص178

[3] – موسوعة الحضارات القديمة (الميّسرة) ،المرجع نفسه ،ص 361

[4] – أغسطوس ماريت بك ،تاريخ قدماء المصريين ،ترجمة أبو السعود أفندي ،المطبعة الخديوية ،مصر ،ص33 ،أرنولد توينبي ،تاريخ البشرية ، تاريخ البشرية ،ترجمة: نقولا زيادة ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط2 ، 1985م ،ص11

القديمة ملكيا استبداديا مطلقا ،فكان الملك يجمع بين السلطة القضائية ،السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية[1] .

2 – الجانب الديني :

خصوصية النظام الديني المصري ،أنّه كان قائم على تعدد الآلهة من قوى الطبيعة ،ومن القوى البشرية ،وأن أماكن العبادة تعددت هي الأخرى بتعدد هذه الآلهة ،وبعد أن تم توحيد مصر سياسيا تغيّر مفهوم هذا النظام ،حيث أصبح تعدد هذه الآلهة ضمن أسرة إلهية واحدة وفق ترتيب لاهوتي على رأسها الإله "رع إله الشمس" ،وتم أيضا تأليه الملوك على اعتبار أنّهم القوة الساحقة التي وحّدت مصر .وأيضا من خصوصيات النّظام الديني المصري ،هو أنّه ارتبط بالزراعة ،وبعقيدة الخلود ،لذلك اهتم المصريون بالقبور والمدافن والأهرامات ،وتحنيط الجثث[2] .كذلك من أهم ما ميّز النّظام الديني المصري هو إحياء أعياد الفرعون[3] .

3 – الجانب الاقتصادي والاجتماعي :

الأساس الذي قامت عليه الحضارة المصرية ،هو الزراعة حيث كانت عاملا قويّا في نشوء المدنية الفرعونية المصرية ،وذلك منذ اكتشاف نظام الري ،وتوحيد الدولة.وفي مجال الصناعة تفوق المصريون على غيرهم من الشعوب في صناعة الزجاج ،النسيج ،الدباغة ،الفخار ،صناعة توابيت الملوك ،إنشاء المناجم ،وفي مجال التجارة انشغل المصريون بالتجارة الداخلية ،وأمّا التجارة الخارجية فكانت من الاحتكارات الملكية[4] .وأما الحياة الاجتماعية فقد كانت قائمة على النظام الطبقي الذي يقسم المجتمع إلى: طبقة النبلاء ، الكهنة ،الكتاب ،الفلاحين ،العمال والخدم[5] .

4– التنظيم الإداري :

قدماء المصرين طبّقوا العديد من أصول الإدارة العامة ،حيث أنشأ الفراعنة في مختلف العصور الإدارات المتنوعة لإدارة شئون البلاد من جباية الضرائب وبناء المعابد وتشييد القصور والأهرام ،الى تنظيم وإدارة الكهنة الذين يقومون بالاحتفالات الدينية ،وتقديم القرابين وشؤون الحرب ،كما تميّزت مصر بنظام الأقاليم الإدارية ،حيث كانت تتشكل

---

[1] – محمد بيومي مهران ،الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،1419هـ ، 1999م ،ص157 – 158 ،برهان الدين دلّو ،حضارة مصر والعراق– التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي– ا لثقافي والسياسي– دار الفارابي ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1989 م ، ص 75

[2] – موسوعة الحضارات القديمة (الميّسرة) ، مرجع سابق ،ص 392 – 393

[3] – محمد بيومي مهران ،الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة ،ص 170 وما بعدها

[4] – أرنولد توينبي ،تاريخ البشرية ،تاريخ البشرية ،ص82 ، موسوعة الحضارات القديمة (الميّسرة) ، مرجع سابق ،ص 400وما بعدها ،

[5] – موسوعة الحضارات القديمة ،المرجع نفسه ،ص 395 – 396

من 32 إقليم إداري ،وكانت المقرات الإدارية تقع في عاصمة الدولة ،وكان لكل مقر إداري جهاز إداري خاص به مجموعة من الموظفين يسهرون على شؤون الدولة في كل المجالات الحيوية كل حسب اختصاصه ،ومن أهم خصوصيات التنظيم الإداري ،هو تطور النّظام العمراني الذي كان في الأساس انعكاسا للعقيدة الدينية ،فتأليه الملوك ،وعقيدة الخلود كان سببا في تطور فن البناء والنحت الذي خلّد الملوك في صورة مباني وتماثيل ،وكذلك كان انعكاسا لتطور المعرفة العلمية في كل المجالات[1] .

5 – التنظيم القضائي :

كان الملك هو رأس السلطة القانونية ،فكان هو من يقوم بتعيين الوزير الذي يقوم بالإشراف على القضاء والإدارة ،وفي مجال التشريع كان هو أيضا المشرع الوحيد ،وهو الذي باسمه تصدر القوانين والمراسيم والأوامر الملكية[2] .

ثالثا : نظام الحكم عند البابليين

البابليون من الشعوب السامية التي سكنت بلاد ما بين النهرين، قامت على أنقاض المملكة الكلدانية القديمة[3] .

1 – نظام الحكم :

نظام الحكم البابلي هو نظام ملكي ،وكان الملك يُنتخب من بين الأسر النبيلة ،ويتلقى السلطة مباشرة من الإله ،فحسب المعتقدات السومرية القديمة كان الملك ممثلا للإله ووكيلا عنه ،ومشيدا مكرسا لمعابده ،ومع ظهور الاستبداد أصبح الملك هو نفسه الإله كما كان يُطلق على الملك حمورابى "إله الحروب"[4] .

2 – الجانب الديني :

إن واقع بابل مع العامل الديني لا يختلف عن سائر الحضارات القديمة ،فقد كان النّظام الديني يقوم على تعدد الآلهة والعبادات والشعائر الدينية والأعياد والقرابين التي تمجد هذه الآلهة ،فكانت عبادة هذه الآلهة بالغة الأهمية ،ثم تطور مفهوم هذه العبادة من التعدد إلى عبادة الإله الواحد فأصبحت العبادة الرسمية ،هي عبادة الإله موردوخ الذي حلّ محل

---

[1] – المرجع نفسه ،ص 390 ،بيومي مهران ،الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة ،المرجع السابق ،ص191 وما بعدها ،نبيلة محمد عبد العليم ،معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،د ط ،د ت ، ص ص 233 – 239

[2] – موسوعة الحضارات ،المرجع نفسه ،391 ،بيومي مهران ،المرجع نفسه ،ص 217 وما بعدها

[3] – المسيو شارل سنيوبوس ،تاريخ الحضارة ،تعريب محمد كرد علي ،مطبعة الظاهر ،القاهرة ،د ط ،د ت ،ص 27 – 28

[4] – سبتينو موسكاتي ،الحضارات السامية القديمة ،ترجمة :السيد يعقوب بكر ،دار الكتاب العربي ،د ط ،1957ص 102 ،برهان الدين دلّو ،مرجع سابق ،ص 252 – 253

الآلهة الأخرى وأصبح يمثل السلطة العليا في دولة حمورابي[1] .كذلك ارتبط الجانب الديني بالكهانة والعرافة والسحر[2] .

3 – الجانب الاقتصادي والاجتماعي :

أساس المجتمع كان يقوم على الزراعة والتجارة والحرف وكان النّظام المتبّع في ذلك هو النّظام الإقطاعي ونظام الرقابة والمضاربة والاحتكار .أمّا النّظام الاجتماعي فمن خلال قانون حمورابي ،كان المجتمع البابلي ينقسم إلى ثلاث طبقات: الأشراف ،الأحرار والعبيد ،وهذه الطبقات تختلف عن بعضها في الوضع القانوني ،فالأساس الذي يقوم عليه المجتمع هو نظام العبودية[3] .

4 – التنظيم القضائي :

أهم ما يميّز المجتمع البابلي هو غياب العدالة الاجتماعية بسبب النّظام الطبقي الذي كان سائد في المجتمع ،لذلك قام الملك حمورابي بوضع شريعة عُرفت بشريعة حمورابى ،وذلك لأنّ الشرائع السومرية لم تعد تتجاوب مع الشروط الاقتصادية والاجتماعية في الإمبراطورية البابلية[4] .

5 – التنظيم الإداري :

كان النّظام المتبع في بابل هو تقسيم البلاد إداريا إلى أقاليم أو ولايات ومناطق ،وكان يتوجب على جميع الشعوب الخاضعة دفع الجزية والقيام بأعمال السخرة ،كما اهتم البابليون بالجيش والأسطول والعمران والمعارف والعلوم التي كانت عاملا في الحركة العمرانية[5] .

---

[1] – برهان الدين دلّو ،المرجع نفسه،ص 380

[2] – المرجع نفسه ،ص 392 – 393

[3] – ف.دياكوف،س.كوفاليف ،الحضارات القديمة ،ترجمة :نسيم واكيم اليازجي ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق ،ط1 ،2000 م ،ج 1، ص 99 – 100

[4] – المرجع نفسه ، ص 97

[5] – المرجع سابق ،ص 254 – 255

الباب الأول

نظام العشيرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

التنظيم السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :الأوضاع السياسية

عهد الآباء يبدأ بإبراهيم عليه السلام ،فهو الشخصية المحورية في هذا العهد ،إذ هو المؤسس لشعب جديد في أرض جديدة ،وهو النبي الوحيد الذي ادعت وتدعي الالتقاء به وبدعوته التوحيدية ،والانتساب إليها كل الديانات السماوية، والجماعات الدينية التي جاءت من بعده على اختلاف مشاربها ،وهو الرمز الذي حقق معطيات حضارية متميّزة منذ أيام شبابه الأولى في العراق ،وخلال جولاته التي شملت فلسطين ،مصر ،سوريا والحجاز[1].

هذه الأقطار هي أهم محركات الأدوات الفعالة في السياسة ،الاقتصاد، الدين والمصالح ،إقليميا ودوليا ،وهي بمثابة القلب النابض لجسد الشرق الكبير ضمن العالم الواسع[2] .ولقد أدرك ابراهيم الخليل بنافذ بصيرته النبوية ،أن العراق ثم مصر لاحقا ستصبحان منطقتي صراع ساخن سياسيا وحضاريا ،إذ لم يكن له مقام طويل في مصر ،كما لم يكن له مقام دائم في مسقط رأسه[3] .

كان العراق إبان القرن 19 ق.م يمر بفترة اضطراب وتكوّن كما اتفق الكثير من المؤرخين ،فسياسيا كان المجتمع السومري منقسم الى دويلات تتنازع من أجل بسط النفوذ[4] ،ودينيا ظهر في جنوب العراق ولأول مرة المعبد الخاص بعبادة إله المدينة ،حيث تتمركز فيه الحياة الدينية ،فكان هو المسيطر على كل ما فيها ،باعتبار أنّه المركز الحيوي لكل مظاهر النشاط الاجتماعي والحضاري آنذاك[5] .

في مصر تتلخص الأحوال السياسية العامة السائدة إبان العهد الإبراهيمي في:كون أن الأسرة التي حكمت مصر ما بين 2000 – 1785 ق .م هي الأسرة الثانية عشر التي أسسها الفرعون أمنمحات ،فقد شهدت مصر استقرارا داخليا ونفوذا خارجيا في عهد هذه الأسرة بقيادة أمنمحات[6].

أمّا الوضع الديني والاجتماعي ،فلم يكن يختلف عما هو عليه في العراق من تعدد للآلهة وانتشارها في كل مكان[7].

---

[1]- جمال عبد الرزاق البدري ،النبي ابراهيم والشرعية السياسية ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة ،مصر ،د ط ،1420هـ،1999م،ص8

[2]- المرجع نفسه ،ص 11

[3]- المرجع نفسه ،ص 25

[4]- المرجع نفسه ،ص 40

[5]- غزعل الماجدي ،أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ،دار الشروق للتوزيع والنشر ،عمان ،الأردن ،ط1 ،1997 م ،ص138

[6]- المرجع السابق ،ص 53

[7]- المرجع نفسه ،ص 60 – 61

كان ابراهيم في ظل هذه الأوضاع السياسية والدينية يتعرض الى الاضطهاد السياسي والكهنوتي ،الشيء الذي حدّ من مدى انتشار دعوته ،وبالتالي استجابة الناس وإتباعها له ،ممّا أدى به الى عبور فلسطين الى مصر هروبا من هذا الاضطهاد بحثا عن الاستقرار ،لأنّه أدرك بفطرته ووعيه أن النجاح لا يكون إلّا بالاستقرار الدائم[1].

في سنة 1678 ق. م نزل يعقوب وبقية الأسباط الى مصر بأمر من يوسف ليقطنوا في أرض جاسان في إقليم شرقي الدلتا التي تعتبر من أحسن أراضي الرعي[2] ،حيث بدأ تشكل الكيان السياسي لبني إسرائيل ،ونشأت الدولة في ظل حكم الهكسوس لمصر مند أوائل الأسرة الثالثة عشرة سنة 1756 قبل الميلاد ،الى تاريخ خروجهم الى فلسطين في السنة الخامسة من حكم الملك أحمس الأول سنة 1568 قبل الميلاد[3] ،بفضل تعاون حكام الهكسوس مع بني إسرائيل ،لأنّهم كانوا يميلون الى التعاون مع الأجانب ضد المواطنين[4].

هذه المكانة التي أصبح الأسباط يحتلونها في هذا العهد يلّخصها بعض المؤرخين بأن ثمة علاقة عرقية كانت تربط الهكسوس بيعقوب وأبنائه الذين هاجروا الى مصر والتحقوا بيوسف ،وبسبب هذه العلاقة نال يوسف وعشيرته الحظوة من حكام مصر ،وتقلدوا أرفع المناصب [5] .يقول يوسف لإخوته كما تقول التوراة:"... [٧]فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. [٨]فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [٩]أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ."[6] .

عاش الأسباط في ظل هذه الأوضاع السياسية حالة من الرخاء المادي ،والاستقرار السياسي والديني ،فتمتعوا بالتسامح الديني داخل إطار الحياة العامة ،وإن كانت هذه الحرية قد خضعت في أحيان قليلة الى بعض القيود لأسباب مختلفة ،إلاّ

---

[1]- المرجع نفسه ،ص 60

[2] - غطاس عبد الملك الخشبة ،رحلة بني إسرائيل الى مصر الفرعونية ،دار الهلال ،د ط ، د ت ، ص 131

[3]- يقول كل من شنودة وسوسة :أن نتائج التنقيبات الأثرية دلت على أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد(144ق.م) ،زكي شنودة ،موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،د ط ،1973م ،ج8 ،ص28 ،أحمد سوسة ،مفصل العرب واليهود في التاريخ ،دار الحرية للطباعة ،ط 5 ، 1981م ،ص555 وما بعدها

[4]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص55

[5]- عرفان عبد الحميد فتاح ،اليهودية (عرض تاريخي) ،دار عمار ،عمان ،دار البيارق ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1417 هـ ،1997 م ،ص28 ،عبد الغني عبود ،أنبياء الله والحياة المعاصرة ،دار الفكر العربي ،ط1 ،1978م ،ص 76

[6]- سفر التكوين 45 :7 – 9

أن هذا لم يمنعهم من أداء دورهم في الحياة العامة داخل إطار الحياة كجزء من المجتمع المصري ،ممّا أحدث تأثيرا من كلا الجانبين في الآخر[1] .

ثم صاروا على طول الزمن جالية كبيرة متميّزة تتوالد وتتكاثر في محيط الشعب المصري ،وظلّوا في حياتهم يمارسون المهن والأعمال المختلفة المربحة ودون اندماج مع المصريين في بوتقة فكرية وثقافية ودينية واحدة ،فقد تكاثر أبناء يعقوب في أرض جاسان ،وبدأوا يتفرقون في مساكنهم فيها ،ويتكوّن نسل الأسباط الإثنتي عشر الى بيوت وكل بيت منها يحمل اسم واحد من هؤلاء الأبناء في نفس الوقت الذي عادت فيه هذه البيوت بلقبها العائلي الى يعقوب أو إسرائيل ،حيث من هنا بدأت هذه البيوت تعرف ببيوت إسرائيل ،وأبناءها بأبناء بني اسرائيل[2] .

بيّن القرآن الكريم كذلك الأوضاع السياسية التي سادت في تلك الحقبة ،حيث أشار الى أن ابراهيم الخليل عاش في وسط بيئة فاسدة يحكمها ملك طاغية اسمه النمرود بن كنعان ،قبض على زمام الملك في بابل ،فلمّا رأى نفسه حاكما مطلقا تحيط به قوة الملك والسلطان ،أقام نفسه إلها ودعا النّاس الى عبادته[3] .

كما كشف أيضا عن الصراع الديني بينه وبين قومه ،أين كان الدين الرسمي يقوم على عبادة الأصنام ،حيث أراد ابراهيم الخليل تغيير النظام الديني ،والقضاء على الكهان ورجال الدين المسيطرين على الطقوس والمراسيم والقرابين ،فقام بتكسير الأصنام رمز العبادة الدينية وتشتيت شعائرهم الدينية ،مما جعل القوم يجمعون على محاربته وقرروا سجنه ،ثم حرقه بالنار تعذيبا له[4] .

وسط هذا التحدي السياسي والكهنوتي وقف ابراهيم عليه السلام ضد أسرته وقومه والعروش القائمة ،وأبدى موقفه من فكرة عبادة الآلهة المتعددة التي فاق عددها أكثر من خمسة وستين ألف إله في كل من أكد ،سومر ،بابل وأشور[5].

---

[1]- النبوي جبر سراج ،المعابد اليهودية ودورها في حياة اليهود بمصر ،شركة الإسلام مصر للطباعة ،مصر ،د ط ،د ت ،ص 15.

[2]- أبكار السقاف ،إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط2 ،1997 م ،ص 105 عبد الغني عبود ،اليهود واليهودية والإسلام ،دار الفكر العربي ،ط1 ،1982 م ،ص44 .

[3]- محمد علي الصابوني ،النبوة والأنبياء ،مكتبة الغزالي ،دمشق ،مؤسسة مناهل العرفان ،بيروت ،ط 3 ، 1405 هـ ،1985م ،ص 16 – 160

[4] - عباس محمود العقاد ،الموسوعة الإسلامية ،دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان ،ط1 ،1970 م ، مج 1 ،ص 358 .بديع السيوفي ،قراءة حول مصير النبي موسى – عليه السلام – هل مات أم قتل ،الأوائل ،دمشق ،ط1 ،2005 م ،ص18

[5]- البدري ،مرجع سابق ،ص 38

وعنصر التحدي الأساسي الذي دار في حياة ابراهيم عليه السلام انحصر في أمرين[1] :

1 – إقناع الملأ من قومه للإيمان بالله :كان نجاح ابراهيم الخليل محدودا ومقتصرا على أهل بيته وعبيده الذين كانوا في خدمته وإدارة أمواله ،باعتباره سيّدا في قومه له مقام مرموق.

2 – إقناع السلطة للإيمان بالله : لم يستطع ابراهيم الخليل تجنب الصدام مع السلطة الحاكمة لسببين هما :

– المِلك في تلك الفترة من التاريخ كان يُعد الإله والحاكم ،يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية .

– إن الملك نمرود أدرك أن دعوة التوحيد هذه ،هي سلب لسلطاته التشريعية المرتبطة بالحاكمية على الناس .

كانت مواجهة السلطان الحاكم من قبل ابراهيم عليه السلام بداية لحركة التحرر من تبعات النظام المنحرف ،وإعلانا لميلاد المطالبة بحقوق الإنسان لأول مرة في تاريخ البشرية ،والتي تلتها واستلهمت جوهرها وعبرت عنه بشكل غير مباشر بعد عقود من السنين مواد شريعة حمورابى ،استجابة لأجواء المطالبة بالعدالة وفق مفهوم ذلك العصر[2] .

ذكر القرآن الكريم أن الله ابتلى ابراهيم عليه السلام بإعلان التوحيد الخالص ،وتحطيم معبودات الناس ،فقام بتحطيم الأصنام وصمد لامتحان الحرق بالنار ،وحطّم عبادة الكواكب ،وحطّم عبادة الملوك ،وأخيرا حطّم عادة ذبح الأبناء التي كان الكهنة قد تسلّطوا بها على الناس ليفرضوا سلطانهم عليهم[3] .

بدأ ابراهيم عليه السلام أولا بمواجهة أسرته ،فقد واجه أباه تارح الذي كان رأسا من رؤوس هذا النظام ،وأميرا من أمراء الملك ،لأنّه كان يقوم بصناعة الأصنام والتماثيل التي يعكف الناس على عبادتها ،وأبناءه هم الذين يقومون بتسويقها والتجارة فيها ،متّبعا في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة في أدب ووقار[4] ،قال تعالى على لسان ابراهيم : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ

[1] – المرجع نفسه ،ص 41

[2] – المرجع نفسه ،ص 44

[3] – سورة الأنبياء : 51 – 70 ، سورة الأنعام : 74 – 83 ، سورة البقرة :258 ، سورة الصافات : 100 – 111

[4] – عباس محمود العقاد ،الموسوعة الإسلامية ،مج 1 ،ص 365– 364 ،سعد الدين السيد صالح ،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ،دار الصفا للطباعة للنشر ،القاهرة ،ط2 ،1410 هـ ،1990م ،ص 44 ،الصابوني ،النبوة والأنبياء ،ص159

أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [1].وقد كان ابراهيم عليه السلام في مقابل ذلك يواجه تهديدا صارخا للكف عن هذا المشروع ،وهو التعذيب الشديد ضربا بالحجارة[2] ،قال تعالى :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[3] .

من جهة أخرى كان يواجه كبار الشخصيات السياسية والدينية من قومه ،فقد استخدم الى جانب الدعوة والإرشاد سياسة الهجوم والتهديد ،فوجد أن عليه أن يقوم بعمل يهز هذا المجتمع المشرك من الأعماق ،ويجعله أمام واقع جديد ،لا بد أن يشعرهم أن هذه الأصنام التي يقدّمون لها القرابين لا تستطيع حتى الدفاع عن نفسها ،فقام داخل المعبد بتحطيم الأصنام التي يمتلئ بها ،وأمام هذه التوجهات الجديدة واجه ابراهيم عليه السلام في ذلك ثورة شعبية غاضبة تطالب القصاص منه بتسليط العقوبة عليه ،بأن يحاكموه ،ويحرقوه عقابا له[4] ،وقد صوّر القرآن الكريم ذلك في لوحة بيانية بالغة التعبير في سورة الأنبياء[5] .

استطاع ابراهيم عليه السلام أن يحدث اضطرابا في المنظومة الدينية للقوم ،رافضا كل دروب العبادة التي كانت سائدة في عصره ،وأن يتحدّى أمة في عقيدتها ،وقد جابه في ذلك كل الصعوبات والمحن التي اعترضت طريقه ،هذا الموقف الشجاع يقتضي أن يكون ابراهيم عليه السلام قد مُنح من ربّه كل الصلاحيات ،وزُوّد بالاستعدادات التي يواجه بها ،وأنّه أخذ المواهب والكمالات الموجودة في أمّة كاملة[6] ،جاء في قوله تعالى :﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[7].

---

[1]- سورة مريم : 42 -43

[2]- محمد متولي الشعراوي ،أنبياء الله ،دار مايو الوطنية للنشر ،القاهرة ،د ط ،د ت ،ص 83

[3]- سورة مريم : 46

[4]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص ص 162 – 164 ،نبيل خالد الأغا ،أنبياء الله في فلسطين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط1 ،2001 م ،ص 46 ، أبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري الثعلبي ،قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ،القاهرة ، د ط ،د ت ، ص106 – 107

[5]- سورة الأنبياء : 50 – 68

[6]- صابر طعيمة ،بنو إسرائيل (بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم) ،عالم الكتب ،بيروت ،ط 1 ،1404هـ ،1984م ،ص 302 ،الشعراوي ،المرجع السابق ،ص 82 ،الصابوني ،المرجع السابق ،ص 159

[7]- سورة النحل : 120

أمّا عن الأوضاع السياسية ،الاجتماعية والاقتصادية في زمن يعقوب عليه السلام فإن القرآن الكريم أعطى صورة واضحة عنها في سورة يوسف ،فعلى الصعيد الاقتصادي فقر وعوز وجوع ،وعلى الصعيد الأمني خوف وهلع وقلة عددية. أمّا على الصعيد الاجتماعي صراع عائلي وانعدام الثقة بين أفراد الأسرة الواحدة ،فكل واحد منهم يحمل بغضا وحسدا لأخيه ،وصل إلى حد الصراع كما ما جرى بين يوسف وإخوته من حسدهم له على منزلته عند أبيه[1] .قال تعالى :﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[2] .

في زمن يوسف عليه السلام تحسّنت الأوضاع السياسية لبني إسرائيل ،فبعد أن احتل مكانة سامية في الحكومة المصرية أمّنهم وأدخلهم مصر للإقامة الدائمة فيها كما جاء على لسانه في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3] .

خلاصة الكلام في هذا الموضوع ،أن كل من التوراة والقرآن الكريم أشارا الى الأوضاع السياسية التي سادت عصر ابراهيم عليه السلام وذريته من بعده ،إلّا أن نصوص التوراة لم تشر الى الصراع الديني الذي وقع بين ابراهيم عليه السلام وقومه ،ومن بعده يعقوب عليه السلام وأبنائه .

المبحث الثاني : نظام اعتلاء الحكم

في هذا العهد عرفت السلطة الأبوية ثلاثة أشكال لتولّي الحكم تنوعت بين التعيين ،الوراثة والاغتصاب ،ونظام تولّي الحكم في هذا العهد كان قائما على مفهوم البركة التي تعبّر عن البيعة أو العهد الذي يُمنح لمن يُختار وليا للحكم[4] ،إذ أنّها أنّها أساس العلاقة التي تربط الإنسان بالله ،والعلاقة التي تربط الأب بأبنائه ،والكاهن برعيّته كما يشير الى ذلك هذا النص: "[٢٨]وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى

[1]- أنظر : محمد عصمت بكر ،جذور الفتنة ،أجيال بني إسرائيل القديمة ،دار النمير ،دمشق ،د ط ،د ت ،ص43 وما بعدها

[2]- سورة يوسف : 8 – 10

[3]- سورة يوسف : 99

[4]- أبكار السقاف ،إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ،ص 95

كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ"."[1] .

1 – تعيين ابراهيم : كان ابراهيم أب المؤمنين ،وأوّل رئيس للعبرانيين،وقد تولّى هذه السلطة في حاران بعد وفاة أبيه تارح الذي هاجر بالقبيلة من أور الكلدانيين الى حران بتعيين من اللّه،كما نصّ عليه سفر التكوين :"[٦]اِسْمَعْنَا يَا سَيِّدِي. أَنْتَ رَئِيسٌ مِنَ اللهِ بَيْنَنَا."[2] ،وقد كان ذلك بموجب عهد أبرمه الله معه ،ومن خلاله ألزم نفسه ونسله من بعده بالإقرار بوصايا الله وإطاعتها ،جاء في سفر التكوين:" [٧]وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا ،لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.[٨]وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا.."[3] .

بهذا التعيين أصبح إبراهيم يتمتع بسلطة مشروعة بصفته أبا وسيّدا ،وحاكما مطلقا مدنيا استنادا الى ما جاء في سفر التكوين :" [١٨]وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟[١٩]لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ..."[4] .

جاء في القرآن الكريم أن ابراهيم عليه السلام ،هو أبو الأنبياء اختاره الله من بين الرسل والأنبياء بالخلّة والاصطفاء ، وجعله إماما للأتقياء ،وقدوة للمرسلين ،ورمزا للتوحيد والإيمان[5] ،قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾[6] .

.

آتاه الله الحكمة والكتاب ،وجعل الملك والنبوة في ذريته ،قال تعالى : ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ ﴾[7] .

من ابراهيم عليه السلام تناسل الأنبياء وتتابعوا عقب الأجيال ،فلم يبعث الله نبيّا بعده إلّا جاء من نسله ،قال تعالى:

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾[8] .

---

[1] – سفر التكوين 1 : 28

[2] – سفر التكوين 23 : 6 ،،أنظر : متى المسكين ،مرجع سابق ،ص 18

[3] – سفر التكوين 17 : 7 – 8

[4] – سفر التكوين 18 : 18 – 19

[5] – محمود عباس العقاد ،ابراهيم أبو الأنبياء ،القاهرة ،1926 ،ص 102 ،الصابوني ،مرجع سابق ،ص 155

[6] – سورة النساء :125

[7] – سورة النساء : 54

[8] – سورة العنكبوت : 27

كما خصّه الله تعالى بمجموعة من الفضائل والصفات الكسبية وهي :الحنفية ،الإسلام ،التأوه ،الإنابة ،الحلم ،الشكر ،الدعاء ،القنوت ،الوفاء ،سلامة القلب وإكرام الضيف .فبهذه الخصائص والمزايا الفريدة ،أخذ ابراهيم عليه السلام المواهب والكمالات الموجودة في أمة كاملة ،فجعله الله أمّة بمفرده ،وقائدا لحركة إسلامية عالمية[1] ،جاء في قول تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴿١٢٠﴾ ﴾[2] .

2 – اعتلاء إسحاق الحكم : لما مات ابراهيم ،خلفه ابنه إسحاق فأصبح رئيسا لقبيلته والوريث الشرعي لكل ما كان ابراهيم يمتلكه ،وابن الموعد وصاحب السلطة ،أمّا الأبناء الآخرون إسماعيل ،مديان، وأبناء قطورة فقد مُنحوا عطايا وهدايا ،وغادروا كنعان تاركين جميع الأرض لإسحاق[3] .

القرآن الكريم بيّن كذلك أن الله تعالى بشّر ابراهيم بإسحاق عليهما السلام نبيّا شكرا له على إحسانه وطاعته[4] ،قال تعالى :﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾[5] .

3 – اعتلاء يعقوب الحكم :كان المفروض بحكم التقاليد والأعراف القبلية أن ينال الابن الأكبر ،وهو عيسو بركة أبيه ويتولّى منصب رئيس القبيلة ويخلف أباه لهذا المنصب ،لكن يعقوب كسّر هذه القاعدة واغتصب الحكم من أخيه عيسو بعد أن تفاوض معه ،وأبدى قدرة على المساومة للحصول على امتيازات البكورية ،وحقوق الميراث الشرعية مقابل ثمن زهيد هو طبق من العدس ،وقد حاز يعقوب على بركة أبيه وهو على فراش الموت بتحريض وبخداع أمّه رفقة التي لعبت الدور الأساسي في هذه المؤامرة ،وبسب ذلك حدثت القطيعة بينهما ،وردت القصة كاملة في سفر التكوين[6] .

فسبب إقدام يعقوب على اغتصاب البكورية ،هو أنّه كان يعلم أن الأعراف والتقاليد القبلية كانت تقضي من البكر أن يتولّى الخلافة من بعد أبيه ،فالبكر كان يُعتبر رئيسا للأسرة وسيّدها ،وهو الكاهن لها ،وهو من يقوم بتقديم القرابين في

---

[1] – الأغا ،أنبياء الله في فلسطين ،ص 35 ، الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 82 ، عبد الغني عبود ، أنبياء الله ،ص 48

[2] – سورة النحل : 120

[3] – زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،د ط ،د ت ، ص516

[4] – الطبري ،تفسير الطبري ،ج 21 ،ص 91

[5] – سورة الصافات : 112

[6] – سفر التكوين 30 : 32

غياب أبيه أو مرضه ،وكان للبكر نصيبا أكبر من ميراث أبيه أكثر من إخوته ،يأخذ نصيبين من الميراث[1] .

وأمّا سبب حرص أمّه رفقة على أن ينال بركة أبيه ،هو أن التقاليد كانت تقتضي أن يقوم الأب قبل موته بإجراء طقس يسمى البركة ،حيث يسلّم رسميّا حق البكورية للوارث الحقيقي ،ومع أن الابن البكر كان له حق البكورية بحكم مولده ،إلّا أنّه لم يكن يملك هذا الحق إلّا بعد أن ينطق أبوه بالبركة ،فقبل إعطاء البركة يستطيع الأب أن يأخذها من الابن الأكبر ويعطيها لمن هو أكثر استحقاقا ،لذلك كان يعقوب يحتاج إلى بركة أبيه حتى يكون هذا الحق ثابتا له[2] .

كذلك رغبة يعقوب في ولاية العهد من بعد أبيه حينما أدرك أهمية الزعامة ،بعد أن كان يخلف أباه في تسيير شؤون القبيلة ،ويقوم باستقبال السفراء ،وعقد المعاهدات ،إضافة الى انشغال عيسو بالصيد في البرية ،وأنّه لا يصلح لمثل هذه المهام ،إضافة الى ذلك خروجه عن العهد بزواجه من المرأة الحيثية فاستحق اللعنة ،لأنّ العهد يقوم على البركة لا على اللّعنة[3] ،غير أن يعقوب بقي فاقد للشرعية التي تخوّله بأن يكون حاكما في نظر أخيه ،لذلك أضطر الى الهرب من وجه أخيه خوفا من أن يقتله ،فلجأ الى فدان آرام عند خاله لابان بتوجيه من أمّه رفقة ،إلّا أن يعقوب أخذ شرعيته بعد الاستيلاء على السلطة على إثر حادثة بيت ايل ،وتغيير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل كما نص على ذلك سفر التكوين[4] .

التكوين[4] .

في القرآن الكريم البشارة بإسحاق بشرت بيعقوب ،ولم تشر الى أخيه عيسو ،قال تعالى :﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾[5] .وفي هذا دلالة على أن يعقوب هو الذي سيكون له شأن يُذكر ،أمّا عيسو فسيكون أقل شأنا منه[6] .

ممّا تقدم ذكره ،يُفهم من نصوص التوراة والقرآن الكريم أن هناك تباين في الطباع بين الأخوين ،فعيسو كان إنسان صيد يعيش في البرية ،كثير التنقل يحب الوحدة ولا يملك نفسه أمام شهوة الطعام لذلك تنازل عن البكورية ،في حين كان

---

[1]- مجموعة من المؤلفين ،التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ،شركة ماستر ميديا ،القاهرة ،مصر ،د ط ، د ت ،ص 67 ،ملاك محارب ،دليل العهد القديم ،أبناء الأنبا رويس ،د ط ، د ت ،ص 174

[2]- التفسير التطبيقي ، المرجع نفسه ،ص 74

[3]- رشدي البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،د م ن ،1997م ،ج3 ،ص404

[4]- سفر التكوين 32 : 22 – 32

[5]- سورة هود :71

[6]- المرجع السابق ،ص403

يعقوب إنسانا اجتماعيا يسكن وسط النّاس ،ورجل قوي الإرادة ،فقد حرّم على نفسه أنواعا من الطعام محبّبة إليه ،وهذه صفات تؤهّله لأن يكون قائدا مرشدا ،ومن هنا كانت بشارة الرب بأنّه هو الذي يسود على أخيه[1] ،قال تعالى :﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2] .

4 – تعيين يوسف : أمّا يوسف فقد تولى السلطة كمسؤول كبير بتعيين من فرعون الذي قلّده منصب الرجل الثاني في هرم السلطة لما أبداه من حكمة في تفسيره للأحلام ،فكانت البداية بتفسيره لحلم السجينين ،ثم تفسيره حلم فرعون بأن مصر قادمة على سنين من الجوع والقحط ،وعليه أن يدبّر أمره ،لذلك سلّمه فرعون أعلى منصب في مصر ،بحيث لم يبق أعلى منه إلّا الفرعون نفسه ،كما أشار الى ذلك العهد القديم[3] ،وهذا دليل على أن الحكمة لها الدور الأول والأساس في صفات الشخصية القيادية ،وعلى إدراك المصريين القدماء لمفهوم الحكمة وقدسيتها ،خاصة إذا ارتبطت بالأمر الإلهي ،لذلك كان للحكماء عندهم دور مهم في تدبير شؤون الحكم والسياسة[4] ،كما جاء على لسان فرعون :" [٣٩]بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ اللهُ كُلَّ هذَا، لَيْسَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ مِثْلَكَ. [٤٠]أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي إِلاَّ إِنَّ الْكُرْسِيَّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ"[5] .

تَم تعيين يوسف بموجب مراسيم كانت مألوفة في النّظام المصري عندما كان يتولىّ الفرد الأمور التنفيذية تحت حكم فرعون ،وقد تمثّل ذلك في الثياب الفاخرة المصنوعة من التيل والطوق الذهبي والخاتم المنقوش التي تزين بها يوسف ،وهي الملابس الرسمية التي كان يلبسها عظماء البلاد ،يقول العهد القديم :"[٤٢]وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتِمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ،[٤٣]وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ "ارْكَعُوا".وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ

[1]– المرجع نفسه ،ص 405

[2]– سورة آل عمران : 93

[3]– سفر التكوين 40 : 1 – 23 ،41 : 1 – 33

[4]– نزار يوسف ،الحكمة بين الإله والسلطان ،دار الفرقد ،دمشق ،سورية ،ط 1 ، 2006 م ،ص262 ،إكرام لمعى ،الاختراق الصهيوني الصهيوني للمسيحية ،دار الشروق ،القاهرة ،ط2 ،1412هـ ،1991م ،ص31

[5]– سفر التكوين 41 :39 – 40

مِصْرَ."[1].

تجدر الإشارة الى أن يوسف تولّى الحكم وهو ابن ثلاثين سنة بعد أن غيّر فرعون اسمه وزوجّه :"[45] وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ"، وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ زَوْجَةً. [46]وَكَانَ يُوسُفُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً لَمَّا وَقَفَ قُدَّامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ."[2] ،وقبل أن يتولّى هذا المنصب ،كان يعمل في بيت فوطيفار أحد موظفي فرعون كمدبّر لشؤونه ،فارتقى الى منصب المراقب أو ملاحظ العمّال ،وفي السجن أسندت إليه مسؤوليات الإشراف على المسجونين[3].

اتفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم في أن تعيين يوسف عليه السلام في هذا المنصب كان بعد تفسير حلم السجينين وحلم الملك ،فقد أصدر الملك مرسوما ملكيا بتعيينه المستشار الأول ،أو نائب الملك الذي يتصرف في كل شؤون مصر ،قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[4]

وبعد تعيينه قدّم يوسف عليه السلام مفهومه عن الُملك ،وشرح للملِك أصول السياسة الراشدة العادلة والأمينة ،ودعاه الى الله وإلى اتخاذ شرعه دستورا في البلاد ،ويقال أنّه أسلم على يديه[5] .

بعدها تعهد يوسف عليه السلام للملِك بإصلاح البلاد شريطة أن يطلق له يده في البلاد ،كما جاء في قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[6] .

هكذا مكّن الله ليوسف عليه السلام في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ؛إذ صار حاكما لمصر أمينا على خزائنها ،نبيّا هاديا لشعبها مصلحا لحال أهلها ،قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[7] .هذا المُلك العظيم والسلطان الذي كان له في مصر ،ورد على

---

[1]- سفر التكوين 41 : 42 – 43 ،أنظر : صموئيل شولتز ،العهد القديم يتكلم ،ترجمة أديبة شكري يعقوب ،مطبعة السلام ،الخلفاوي – شبرا ،د ط ، د ت ، ص52 ،البدراوي ،مرجع سابق ،ص 490

[2]- سفر التكوين 41 : 45 – 46

[3]- صموئيل شولتز ،العهد القديم يتكلم ،ص53

[4]- سورة يوسف :54

[5]- البدراوي،مرجع سابق،ص490،محمد بسام رشدي الزين،مدرسة الأنبياء،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط2، 1429هـ،2008م،ص144 1429هـ،2008م،ص144

[6]- سورة يوسف :55

[7]- سورة يوسف :56

لسانه في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [1] .

كان من نتائج هذا التمكين ليوسف عليه السّلام أن رفع أبويه على العرش ،وأجلسهم معه على سرير الحكم[2] ،قال تعالى :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾ [3] .

المبحث الثالث : المهام السياسية

أولا : السياسة الداخلية

كان النّظام المتّبع في الفترة الأولى من عهد الآباء يقوم على سياسة تأمين الإقامة ،وتوفير الحماية والأمن داخل العشيرة ،أو القبيلة ،وإقامة العلاقات الداخلية بين أفرادها من أجل الحفاظ على وحدة القبيلة ،وتقوية الروابط الأسرية ،وحسن استقبال الضيوف أو السفراء كما يقال بلغة العصر ،وتوفير حاجيات العشيرة والدفاع عنها ،وإقامة المعابد الدينية .

هذا النّظام هو صورة عن المجتمعات التقليدية التي تتّسم بأن العلاقات بين أعضائها قوية ومباشرة ،فكل فرد يعرف بقية أعضاء المجتمع معرفة وثيقة ،إذ تربطهم علاقات تراحمية تستند إلى القرابة والجوار والانتماء المشترك والمصالح المعنوية والمادية المشتركة ،وأن معظم الوحدات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية هي وحدات صغيرة للغاية ،تتّسم بقدر عال من التماسك ،ويسيطر على أعضائها إحساس عميق بقداسة المجتمع الذي ينتمون إليه[4] .

1 – الشؤون السياسية :

أ – تأمين الإقامة :

لقد بيّنت نصوص التوراة أن نزوح ابراهيم من أور أرض الكلدانيين موطنه الأول الى حاران للإقامة بها ،ثم الانتقال بين فلسطين ومصر وسوريا والحجاز ،ومن بعده إسحاق ويعقوب كان من أجل تأمين الإقامة بسبب الظروف الأمنية والاقتصادية التي كانت تدفعهم الى ذلك .

1- **الظروف الأمنية** :نصّت أسفار التوراة أن انتقال ابراهيم من أور الكلدانيين إلى فلسطين للإقامة بها ،كان

[1] – سورة يوسف :101

[2] – ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج4 ،ص 412

[3] – سورة يوسف :99

[4] – عبد الوهاب المسيري ،الجماعات الوظيفية اليهودية ،دار الشروق ،القاهرة ،ط 2 ، 2002 م ،ص 19

استجابة لطلب الرب الذي وعده بالإقامة الآمنة والسيادة المطلقة ،وتأسيس أمّة عظيمة تتبارك بها الأمم الأخرى ،جاء في سفر التكوين :" [1]وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ [2]فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. [3]وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ..."[1].

كذلك كان الأمر نفسه مع إسحاق حينما قام بتغيير مكان إقامته من جرار نحو بئر سبع خوفا من حسد الفلسطينيين له بسبب النجاح الساحق الذي حققه في فن الفلاحة والزرع ،وتربية المواشي[2] .

2- **الظروف الاقتصادية** :التحركات التي قام بها الآباء في جانبها الاقتصادي ،هي مواجهة أزمة المجاعة التي حلّت بأرض كنعان كما حدث مع ابراهيم الذي اضطر الى تغيير مقر إقامته فلسطين الى أرض مصر بسبب المجاعة الشديدة التي حلّت بالبلاد ،تقول التوراة :" [10]وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا "[3] .

كذلك في عهد يوسف هاجر يعقوب وأبناءه مؤسسو القبائل الإثنتي عشر من فلسطين الى مصر سنة 1678 ق.م بسبب القحط والجفاف بأمر من يوسف ليقطنوا في أرض جاسان في إقليم شرقي الدلتا وهي أحسن أراضي الرعي ،حيث تغيّرت أحوالهم وازدهرت معيشتهم[4] .تقول التوراة :" [7]فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً.[8]فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ.[9]أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. انْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ.[10]فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ.[11]وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ"[5] .هذا المكان الى جانب جودته روعي فيه قربه من حدود مصر الشرقية ،وسيناء المطلّة على أرض كنعان ،كي يقيموا ما أحبّوا الإقامة ،ويرحلوا متى شاؤوا الرحيل[6] .

---

[1]- سفر التكوين 12 : 1 – 4 ،22 : 18 ، 26 : 4 ،27 : 29

[2] - سفر التكوين 26 : 12 – 16

[3]- سفر التكوين 12 : 10

[4] - غطاس عبد الملك الخشبة ،رحلة بني إسرائيل الى مصر الفرعونية ،دار الهلال ،د ط ، د ت ، ص 131 ، كارين أرمسترونج ،تاريخ الكتاب المقدس ، ترجمة محمد صفار ،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،ط1 ،1431 هـ ،2010 م ،ص 17

[5] - سفر التكوين 45 :7 – 11

[6]- كمال عون ،اليهود من كتابهم المقدس ،القاهرة ،1970 ،ص 85 ،نقلا عن :بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج1 ،ص 213

كذلك بيّنت نصوص التوراة أن يوسف كان مسؤولا على إدارة السكن وتأمين الإقامة داخل مصر ،حيث كان حريصا على إسكان أبيه وإخوته في أفضل أراضي مصر ،وتأمين إقامتهم ،وإعالتهم بالطعام حسب عدد الأولاد [1] ،وهي السياسة نفسها التي انتهجها مع بقية المواطنين المصريين[2] .

القرآن الكريم بيّن أن المقام لم يطب لإبراهيم عليه السلام بين أهله وقومه وسط بيئة مليئة بالشرك والتيه الروحاني ،فبدأ يبحث عن إقامة آمنة ،فارتحل من أور الكلدانيين الى حاران ،ثم حط الرحال في أرض فلسطين ،حيث أقام في مستقره الذي لا تعصف به الصراعات المهلكة مع زوجه سارة وابن أخيه لوط ،ومع لوط زوجه تحيط بهم نعمة من الله الكريم وأمان[3] .قال تعالى :﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾[4] .

كذلك لما أوحى الله لإبراهيم عليه السلام أن يهاجر بابنه وزوجه هاجر ،ظل يسير على هدى الله ويقطع الفلوات حتى حط الرحال بواد مقفر ليس به أحد وليس به ماء ،ثم أقام لهما خيمة في ظل الصخور على جانب تلة من تلك التلال ،وبعد أن أمّن لهما المقام استودعهما الله ثم رجع[5] .جاء في قوله تعالى :﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[6] .

في عهد يوسف عليه السلام أشار القرآن الكريم بوضوح الى هجرة يعقوب عليه السلام وذريته من فلسطين الى أرض مصر بأمر من يوسف عليه السلام الذي أصبح يحتل مكانة سامية في الحكومة المصرية ،في الوقت الذي كانت فيه أرض فلسطين عرضة للقحط والجفاف ،قال تعالى :﴿ وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾[7] .

ب – توفير الحماية والأمن :

---

[1]– سفر التكوين 47 : 11

[2]– سفر التكوين 47 :21

[3]– عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ،دار العلم للجميع ،د ط، د ت ،ص 83 ،البدري ،مرجع سابق ،ص 26

[4]– سورة العنكبوت : 26

[5]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج 17 ،ص 19

[6]– سورة ابراهيم : 37

[7]– سورة يوسف : 93

إن نعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان ،عظيمة الوقع في حسه ،متعلقة بحرصه على نفسه ،لذلك كانت سياسة الآباء حسب نصوص التوراة هي العمل على توفير الأمن داخل العشيرة أو القبيلة وحماية أفرادها ،يتضح ذلك من خلال ما قام به ابراهيم حينما قام بتحرير ابن أخيه لوط من الأسر الذي وقع فيه ومن معه من أهله وشعبه ،واسترداد كل ما أُخذ بالقوة من ممتلكاتهم أين كان يعيش في سدوم[1] .

القرآن الكريم بيّن في آيات عديدة أن سياسة ابراهيم عليه السلام في هذا المجال هي دعوة الله أن يحفظ أهله وبلده ،حيث دعا ربّه أن يجعل البلد الحرام آمنا أهله وسكانه[2] .قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] .

أيضا دفاعه عن لوط ابن أخيه وحرصه على توفير الحماية والأمن له ولأهله ،حيث خاف من العذاب النازل بقوم لوط عليه السلام أن يمسه وأهله حين اخبره الملائكة بذلك ،فقال لهم :إن فيها لوطا؟ فقالوا له :نحن أعلم بمن فيها وأنّه وأهله من الناجين[4] ،قال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5] .

كذلك بيّن القرآن الكريم سياسة يعقوب عليه السلام في حرصه على توفير الحماية والأمن لأبنائه ،يتّضح ذلك من خلال خوفه على يوسف من الذئب ،قال تعالى :﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[6] .

أيضا خوفه عليه السلام على أبنائه ،فقد أمرهم لما جهّزهم مع أخيهم بنيامين الى مصر ،ألّا يدخلوا من باب واحد

---

[1]- سفر التكوين 14 : 15 - 16

[2]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 17 ،ص 18

[3]- سورة ابراهيم : 35

[4]- النجار ،قصص الأنبياء ،ص 95

[5]- سورة العنكبوت : 31 – 32

[6]- سورة يوسف : 13

،وأن يدخلوا من أبواب متفرقة ،لأنّه خشي عليهم بعاطفته الأبوية أعين الناس وأنّهم لرجل واحد[1] ،قال تعالى :﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾[2] .

كذلك بيّن القرآن الكريم سياسة يوسف عليه السلام في توفير الحماية والأمن لأفراد عائلته ،حيث أمّنهم وأدخلهم مصر للإقامة الدائمة فيها كما جاء على لسانه في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ ﴾[3] .

ج – تأسيس وإقامة العلاقات الداخلية :

إنّ نصوص العهد القديم تبيّن أنّ سياسة الآباء هي الحفاظ على وحدة القبيلة ،وتقوية الرابطة الأسرية بإقامة العلاقات الداخلية بين أفرادها ،حيث تذكر أن إقامة ابراهيم في أرض كنعان كانت نتيجة لرغبة لوط ابن أخيه في الإقامة بالأردن ،فبعد أن حدثت مخاصمة بين رعاة كل منهما ،اضطر معها ابراهيم بسبب الأخوة الى التدخل لفكّ هذه الخصومة وحسم النزاع ،وتغيير الإقامة حتى يُبقي على حسن العلاقة وحفظ السلام مع لوط ابن أخيه ،من أجل ذلك اقترح ابراهيم على ابن أخيه أن يختار من الأرض ما يشاء ،وآنذاك سيرحل هو عنها الى أرض أخرى ،فاختار لوط المراعي الخصبة في دائرة الأردن ،واختار ابراهيم أرض كنعان كما جاء في سفر التكوين[4] ،واتّفق بذلك رأيهما على أن يفترقا في الإقامة حفظا لعلاقة المودة والرحم ،وتأمينا للعشيرة من الخطر الأجنبي ،لأنّ ابراهيم أدرك خطر الكنعانيين والفرزيين في حال حدوث هذه الخصومة بينه وبين لوط[5] .

كذلك فعل يعقوب مع أخيه عيسو بعد عودته من فدان آرام أرض غربته ،حيث قام بتجديد العلاقة مع أخيه بعد سنوات من القطيعة ،إذ يستعطفه في بداية الأمر بالهدايا الكثيرة والمختلفة من الغنم والماعز والبقر والحمير.. ،ويقيم معه

---

[1] – الطبري ،تفسير الطبري ،ج16 ،ص 166 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج4 ،ص 400 ،سيد قطب ،تفسير الظلال ،ج12 ،ص 25

[2] – سورة يوسف : 67

[3] – سورة يوسف : 99

[4] – سفر التكوين 13 : 8 – 12

[5] – أنظر: لواء أحمد عبد الوهاب ،رسالة من التوراة الى مؤتمر السلام – إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والسياسية في فلسطين ،مكتبة التراث التراث الإسلامي ،القاهرة ،د ط ، د ت ،ص 25 ،ملاك محارب ،ورجع سابق ،ص 172 ،منيس عبد النور ،ابراهيم خليل الله ،شتوتقارت ، ألمانيا ،ط1 ،1988 م ،ص16 ، النجار ،مرجع سابق ،ص 90

صلحا بعد أن صفح عنه عند نهر يبوق على خلفية اغتصابه له حق البكورية ،ليعود بعدها الوئام بين الأخوين ،وتتجدد العلاقة بينهما ،كما يشير الى ذلك سفر التكوين[1] .

الأمر نفسه لا يختلف مع يوسف الذي عمل على تجديد العلاقة مع إخوته وإحيائها بعد انقطاعها سنين من الزمن جرّاء ما وقع بينهم من أحداث ،ويبقي على الرابطة الأسرية من خلال لمّ شمل الأسرة ،حيث دعا أباه وإخوته للالتحاق به كما جاء ذلك في سفر التكوين[2] .

سياسة الحفاظ على وحدة القبيلة ،وإقامة العلاقات الأسرية استمرت حتى من بعد يوسف ،فقد كان بعض ذرية عيسو وإسرائيل تتبادل الزيارات تعزيزا للعلاقات الأسرية ،وذلك من خلال عقود الزواج المتبادل بين الطرفين ،فقد زار أيوب ووالده ذرية يوسف المقيمين في مصر ،وطلب والد أيوب من أفرايم ابن يوسف زواج ابنه من ابنته رحمة[3] .

بيّن القرآن الكريم سياسة ابراهيم عليه السلام في الحفاظ على وحدة الأسرة ،وتعزيز العلاقات الأسرية ،فقصته في القرآن الكريم تدل على أنّه كان حليما رقيق القلب عطوفا رؤوفا بارا بوالده مع قسوته عليه ،وأنّه كلّما ابتعد والده عنه تلطّف هو في المقاربة وترفّق في دعوته وهدايته وتحذيره[4] ،قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[5] .

كذلك بيّن القرآن الكريم حفاظ يعقوب عليه السلام على وحدة الأسرة وسلامتها من الحسد والعداوة والكيد كما يفعل الأعداء في المكائد الحربية ،وذلك حينما نهى يوسف أن يقص رؤياه على إخوته[6] ،قال تعالى :﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لِلۡإِنسَـٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ ﴾[7] .

أيضا بيّن عفو يوسف عليه السلام عن إخوته ،وحرصه على لمّ شمل العائلة رغم أنّه عاش صنوفا من الابتلاءات والمحن

---

[1]- سفر التكوين 32 : 3 – 21

[2]- سفر التكوين 45 : 9 – 12 ،46 : 31

[3]- البدراوي ،مرجع سابق ،ص 594 ،محمد راشد،ذرية ابراهيم وحكام مصر،دار الكتاب العربي،دمشق،القاهرة،ط1 ،2013 م ص35

[4]- النجار ،قصص الأنبياء،ص 82

[5]- سورة مريم : 45

[6]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 15 ،ص 558 ،رشيد رضا ،تفسير المنار ،ح12 ،ص 254

[7]- سورة يوسف : 5

بسببهم[1] ،قال تعالى على لسان يوسف :﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2] .

د – استقبال الضيوف وتوديعهم :

بيّن العهد القديم سياسة الآباء في استقبال الضيوف وتوديعهم ،بإبراز آداب وطريقة الاستقبال وحسن الضيافة ،وتقديم الهدايا لهم عند المغادرة ،حيث بيّن كيف كان إبراهيم يسارع إلى استقبال ضيوفه ،أو سفرائه كما يقال بلغة العصر ،وكيف كان يحسن الترحيب بهم وإلقاء التحية عليهم ،وتوفير الراحة اللاّزمة لهم ،وإعداد الطعام وتقديمه لهم ،كما أشار إلى ذلك سفر التكوين :" [1]وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ،[2]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ،[3]وَقَالَ: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ.[4]لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ،[5]فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ". فَقَالُوا: "هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ".[6]فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: "أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ".[7]ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ.[8]ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا"[3] .

هذه السياسة كانت سائدة في عصر ابراهيم ،حيث كانت شهرة الإنسان ترتبط بكرم الضيافة ،والدعوة للطعام والمبيت ،فحتى الغرباء كان يجب معاملتهم كضيوف مكرمين جدا[4] .

كذلك بيّن سفر التكوين كيف كان يفعل إسحاق مع ضيوفه :"[30]فَصَنَعَ لَهُمْ ضِيَافَةً، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا.[31]ثُمَّ بَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَحَلَفُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَصَرَفَهُمْ إِسْحَاقُ. فَمَضَوْا مِنْ عِنْدِهِ بِسَلاَمٍ "[5] .

كما أشار العهد القديم أيضا إلى سياسة يوسف في استقبال الضيوف ،بدء بتوفير الأمن والراحة اللاّزمة ،وتقديم

---

[1]– سيد قطب ،تفسير الظلال ،ج 12 ،ص 3 ،الطبري ،تفسير الطبري ،ج16 ،ص247 ،الصابوني ،مرجع سابق ،ص269 – 270

[2]– سورة يوسف : 93

[3]– سفر التكوين 18 : 1 – 8

[4]– التفسير التطبيقي ، مرجع سابق ،ص 48

[5]– سفر التكوين 26 : 30 – 32

الضيافة بإعداد الطعام وتقديمه لضيوفه :" [24]وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَأَعْطَاهُمْ مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَأَعْطَى عَلِيقًا لِحَمِيرِهِمْ .."[1] .

القرآن الكريم أبان عن سياسة ابراهيم عليه السلام في حبه الضيوف وحسن استقبالهم ،وعن آداب الضيافة ،فقد كان كريما مضيافا لا ينزل به أحد إلاّ أحسن ضيافته وأكرم نزله ،فمن كثرة ضيوفه أصبح يُكنى أبا الضيفان[2] .

يذكر القرآن الكريم قصة الملائكة الذين تضيّفوا ابراهيم الخليل وهم جبريل وميكائيل واسرافيل ،فلمّا رآهم أجلّهم وبادرهم بردٍّ أفضل التّحية وأكرمهم ،ثم ذهب سريعا من حيث لا يشعرون وأتاهم بالضيافة ،وهو عجل من خيار ماله مشوي على الحجارة المحماة قدّمه إليهم ،وقعد معهم، وأمرهم بلطف أن يأكلوا منه[3] .يقول تعالى :﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[5] .هذه الآيات الكريمة صورة ناطقة عن كرم ابراهيم الخليل حين كان كان يذبح لضيوفه البقر والإبل مع أنّه لا يعرفهم ،ولكنها أخلاق العظماء وصفات الكرماء[6] .

كذلك بيّن القرآن الكريم سياسة يوسف عليه السلام حينما كان يستقبل الوفود التي تدخل مصر للحصول على الطعام،حيث كان يجلس بنفسه لمقابلتهم ،ويبدأ بختم بطاقاتهم دون اهانة[7] ،قال تعالى :﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1] .

---

[1]- سفر التكوين 43 : 24

[2]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 157

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 15 ،ص 381 – 382 ، ج22 ،ص 424 – 425 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 4 ،ص 332 – 333 ، ج 7 ،ص 420 - 421

[4]- سورة الداريات : 24 – 27

[5]- سورة هود : 69

[6]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 157

[7]- فيان صالح علي،أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم ،مجلة كلية العلوم الإسلامية ،جامعة صلاح الدين ،أربيل ،العراق ،عدد 13 ،1434هـ ،2013 م ،ص13

2 – الشؤون الدينية :

يبدأ التاريخ الديني لبني إسرائيل مع إبراهيم ،إذ يُعتبر الشخصية الدينية الأساسية في عهد الآباء ،فإليه يُنسب عصر ديني مستقل يبدأ به التاريخ والدين الإسرائيلي ،وقد تميّز النّظام الديني في هذه المرحلة بالبساطة وعدم التعقيد نظرا لطبيعة الحياة العبرية التي يغلب عليها الطابع البدوي الصحراوي كديانة العرب قبل الإسلام ،الأمر الذي لم يسمح بقيام نظام معقد للطقوس ؛فالعبادة كانت بسيطة وخالية من الطقوس ،كما لم تسمح بنشأة بيوت أو هياكل مستقرة للعبادة[2] .

بناء المعابد الدينية وتنظيم العبادة :

ترتبط كافة عبادات الشعوب بمعابد وأماكن تمارس فيها الطقوس الخاصة بهذه العبادات ،فقدماء المصريين صنعوا المعابد الضخمة والمقابر[3] ،وعند الكنعانيين كثرت المعابد فقد أوجدوا في كل قرية ومدينة معبدا ،حتى أنّهم اعتبروا القصر الملكي معبدا تقام فيه الشعائر ،فكان يعجّ بالتماثيل التي ترمز للإله إيل والإلهة عناة ،وكذلك بقية الآلهة داخل القصر[4] ،كما عرفت المعابد لدى بلاد الرافدين بشكل واسع ،حيث وُجد في كل مدينة أو قرية معبدا ،ففي مدينة نينوى وُجد معبد للإلهة عشتار ،وفي بابل وحدها وجد مائة وثمانون معبدا[5] .

هذه المعابد اختلفت باختلاف الأمم التي كانت تقيمها ،فمنها ما كان مستديرا ،ومنها ما كان مربعا.وقد كان القصد من بناء المعابد الاستغاثة بالله وتقديم الشكر له أو طلب رحمته ،وكانوا يؤثرون لذلك المناطق المرتفعة في بعض الأحيان ،ولعلّ السر كما يقول حسن الباش في تفضيل المكان المرتفع لإقامة المعابد راجع الى فكرة الاقتراب إلى الله الى جانب لياقة المظهر وجلاله ،والمذبح يعني المكان المرتفع الذي تقوم عليه الذبيحة ،أو التقدمة،أو البخور أثناء العبادة[6] .

وإذا تتبعنا نصوص التوراة في حديثها عن المعابد التي أقامها الآباء وجدنا أنّها أشارت إلى أن ابراهيم وإسحاق ويعقوب

---

[1] – سورة يوسف :59

[2] – محمد حسن خليفة ،تاريخ الديانة اليهودية ،مرجع سابق ،ص194 – 195

[3] – حسن الباش ،التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان؟ ،دار قتيبة ،بيروت ،ط1 ،1420 هـ ،2000 م ،ج2 ،ص 306

[4] – المرجع نفسه ، ص311

[5] – المرجع نفسه ، ص 317

[6] – المرجع نفسه ،ص 328

تركوا بصماتهم المقدسة على أماكن كثيرة في فلسطين ،فقد قاموا ببناء مذابح للرب الذي ظهر لهم في كل من حبرون وبلوطة مورة بالقرب من شكيم ،ومرتفعات جبل الموريا في أورشليم،وفي بيت إيل[1] .

ومن خلال الحديث الوارد دائما في نصوص العهد القديم عن خصوصية النظام الديني في هذا العصر ،أوردت هذه النصوص أن الطقس الديني كان في شكله بسيطا خاليا من التعقيدات ،ومن كثرة الشعائر وطرق وأماكن تأديتها ،ولم تكن ترتبط بشيء اسمه المعبد ولا ترتبط بزمان محدد ؛أي بمعنى أنّه لم يكن خاضعا لوحدة الزمان والمكان ،وهذا راجع لخصوصية هذه المرحلة (مرحلة الرعي) المبكرة في حياة بني إسرائيل التي ترمز إلى حياة البداوة والترحال الدائم وعدم الاستقرار ،لذلك لم يكن للمعبد من المكان بأهمية تُذكر ،ولم يكن هناك تقديس بيت مخصص لله كمعبد يرمز لعقيدتهم ،إلّا ما كان من إقامة مذابح للعبادة في أماكن مختلفة أخذت شكل القداسة ،لتصبح فيما بعد معلما ودليلا على ملكية الأرض بناءً على رؤيا ووعود الآباء[2] .

بينما نصوص القرآن الكريم تبيّن أن نظام العبادة كان متقدما ،فهناك مكان ثابت للعبادة ،ومعالم واضحة للعبادة كالصلاة والحج والزكاة والتطهير ،فإبراهيم عليه السلام قام ببناء البيت الحرام بعد أن تعرّف على مكانه ،وفي هذا المكان ترسّخت دعائم الإسلام الأولى ،في حين أن الشعوب والقبائل كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل[3] ،قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] .وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[5] ،فإبراهيم عليه السلام ببنائه للبيت الحرام يعني بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد ،هذا

[1]- سفر التكوين 12 : 8 ، 13 : 8

[2]- المرجع السابق ،ص328 – 329

[3]- الباش ،المرجع نفسه ،ص332 ،عبد الستار قاسم ،إبراهيم–عليه السلام– والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن ،باسيا الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية ،القدس،ط2 ، 1994 م ،ص 34 – 35 ،الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 98 ،النجار ،مرجع سابق ،ص 106 ،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 121 – 122

[4]- سورة الحج : 25

[5]- سورة البقرة : 127

الصرح ارتبط بركن من أركان الإسلام وهو الحج[1] ،فقد أمر الله سبحانه وتعالى ابراهيم الخليل بأن يؤذن في الناس من هذا المكان ،قال تعالى :﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

هذه السياسة الدينية استمرت من بعد ابراهيم عليه السلام في ذريّته ،حيث بيّن القرآن الكريم استمرار الحفاظ على نظام العبادة من خلال سياسة الدعوة إلى الله ،وحفظ العقيدة الدينية وانتقالها من ابراهيم الخليل لأولاده وأحفاده ،فيعقوب عليه السلام يوصي أولاده بالإسلام والإيمان وعبادة الله ،ويجمعهم عندما حضره الموت ليذكّرهم بهذه الحقيقة ،ويوصيهم أن يلتزموها ،ويأخذ عليهم العهد أن لا يخالفوها[3] ،يتضح ذلك في قوله تعالى :﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[4] .

كذلك بيّن القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام قام بتحويل السجن الى مدرسة تربوية يُصلح من خلالها عقيدة السجناء ،بعد أن أصبح مرجعا لهم يسألونه عن حاجاتهم ويستفتونه في أمورهم[5] ،قال تعالى :﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا

---

[1] – محمد فريد وجدي ،دائرة معارف القرن العشرين ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط3 ،1971 م ،مج1 ،ص10

[2] – سورة الحج : 27

[3] – صلاح عبد الفتاح الخالدي ،الشخصية اليهودية من خلال القرآن ،دار القلم ،دمشق ،ط1 ،1419 هـ ،1998 م ، ص62 – 63

[4] – سورة البقرة :132 – 133

[5] – أنظر :محمد بسام رشدي ،مرجع سابق ،ص 136 –137 ،زاهية راغب الدجاني ،يوسف في القرآن والتوراة ،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1415 هـ ،1994 م ،ص 70

مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] .

وعندما سيطر على مقاليد الأمور وصار عزيزا لمصر وكبيرا للوزراء فيها حوّل ديانة مصر إلى دين التوحيد والإسلام ،وكذا البقاع المجاورة ،حيث أكّد القرآن الكريم قيام يوسف عليه السلام بدعوة قوم الملك الذي يعيش في عصره إلى عبادة الله منذ أن كان في السجن ،حتى آمن الملك نفسه بدعوته[2] ،جاء في قوله تعالى :﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] .

كما بيّن القرآن الكريم أن نظام الفتوى أو الإفتاء كان معروفا عند قبائل الهكسوس ،وكان يشترط في المفتي أن يكون صادقا في أقواله ولا يتبع الهوى ،وأن يلتزم الحق،وأن يكون ذا حكمة وعلم غزير ،ومشهود له بحسن أخلاقه ونزاهته ،وقد أكّد القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام قد أخذ بهذا النظام[4] ،جاء في قوله تعالى :﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5] .

3 – الشؤون العسكرية :

لم يذكر العهد القديم إلّا القليل عن النشاط العسكري الذي قام به الآباء في هذه المرحلة ،وما قام به هؤلاء القادة الآباء من عمل عسكري لم يكن من قبيل المشروعات البنائية كاحتلال الأراضي وتوسيع الحدود الجغرافية ،والدفاع عنها ،واستثمار الغنائم المتحصل عليها كموارد مالية لتسيير شؤون العشيرة ،إنّما كان من أجل الدفاع عن الحرية السياسية للعشيرة ،وإنقاذ شرف العائلة ،فأول معركة يقصها العهد القديم هي المعركة التي قام بها إبراهيم من أجل تحرير ابن أخيه

[1]– سورة يوسف : 36 – 37

[2]– سيد قطب ،تفسير الظلال ،ج 12 ،ص 18، نديم السيار ،قدماء المصريين أول الموحدين ،القاهرة ،ط2 ،1995 م ،ج 1 ،ص 82 ،أحمد بهجت ،أنبياء الله ،دار الشروق ،القاهرة ،ط 29 ،1424 هـ ،2003 م،ص 190

[3]– سورة يوسف : 39

[4]– محمد راشد ،ملوك مصر القديمة (منذ عهد ابراهيم حتى عهد موسى) ،دار الكتاب ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2013 م ،ص281

[5]– سورة يوسف :46

لوط من الأسر الذي وقع فيه ومن معه من أهله وشعبه ،واسترداد كل ما أُخذ بالقوة من ممتلكاتهم ،أين كان يعيش في سدوم على أيدي التحالف الذي ضم ملوك عيلام ،جوييم ،شنعار والأسار ،بعد أن هزم هذا الأخير التحالف الذي ضم كل من ملوك سدوم ،عمورة ،أدمة ،صبوييم ويالع[1] ،يقول سفر التكوين :" ١٤فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ.١٥وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَّرَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةَ الَّتِي عَنْ شَمَالِ دِمَشْقَ.١٦وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطاً أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلاَكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ "[2] .

طبيعة هذا التدخل العسكري الناجح الذي قام به إبراهيم يعكس في مضمونه الجانب التنظيمي في تسيير شؤون الحرب والقتال ،ويبرز مقدرته وكفاءته القتالية العالية كقائد حرب ،أمّا في جانبه المعنوي فلم يحض هذا العمل بدعم وتأييد إله العبريين يهوه كما كان مع بني إسرائيل من بعده ،ولم يكن عملا عدوانيا ،حيث لم تذكر تفاصيل المعركة أي تجاوز قام به إبراهيم من إبادة وذبح وقتل وحرق وتدمير ،وفي جانبه المادي لم يعتمد سياسة الاستثمار العسكري باستغلال الغنائم كموارد مالية من أجل تعزيز ثروته المالية لتسيير شؤون العشيرة ،يتضح ذلك من خلال رفضه العرض الذي قدمه له ملك سدوم مقابل قتاله وانتصاره ،والمتمثل في كل الأملاك التي استرجعها من الأعداء.

كذلك نجد العمل العسكري الذي قام به أبناء يعقوب بعد الحادثة التي وقعت مع ملك شكيم كان أيضا من قبيل الدفاع عن شرف العائلة ،حيث قاموا بقتل شكيم بن حمور الحوي الذي اعتدي على شرف أختهم دينة واغتصبها ،وكل سكان المدينة ،بعد أن نهبوا كل ما فيها ،كما أشار الى ذلك سفر التكوين[3] .

في عهد يوسف لم يشر العهد القديم إلى أيّ عمل عسكري قام به،لكن بعد سقوط نظام الهكسوس قام بنو إسرائيل بثورة ضد نظام العبودية الذي فُرض عليهم ،إذ جاء من الفراعنة من طلب من بني إسرائيل أن يحرثوا الأرض كغيرهم من المصريين المنتجين ،وأن يشتركوا في تشييد المباني وإقامة العمران ،لا أن يختصوا بصياغة الذهب ،فثار بنو إسرائيل لفقدان المكانة الاجتماعية ،والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها زمن الهكسوس ،وقاوموا الحكم الجديد[4] .

---

[1]- أنظر: إدريس محمد جلاء ،فلسفة الحرب في الفكر الديني الاسرائلي ،مركز الدراسات الشرقية ،جامعة القاهرة ،عدد 18 ، 142هـ ،2001 م ،ص163.

[2]- سفر التكوين 14 :14 - 16 .

[3]- سفر التكوين 34: 1 – 29

[4]- أحمد شلبي ،مقارنة الأديان (اليهودية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط 2 ، 1988 م ،ص 59 – 60

ذكر ابن كثير أن طائفة من الجبّارين تسلّطوا على لوط عليه السلام ،فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه ،فلمّا بلغ الخبر ابراهيم الخليل عليه السلام سار إليهم في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ،فاستنقذ لوطا عليه السلام واسترجع أمواله ،وقتل من أعداء الله ورسوله خلقا كثيرا ،وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة ،ثم رجع مؤيدا منصورا الى بلاده ،وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين ،واستقر ببلاده صلوات الله عليه وسلام[1] .

4 – الشؤون الاقتصادية والاجتماعية :

تؤكد نصوص العهد القديم أن طابع حياة الآباء كان طابع الرعاة النموذجيين الذين يتعيشون على رعي الغنم والبقر ولديهم خبرة في مجال الزراعة الموسمية ،وأن النظام الاقتصادي قائم على استغلال هذه الثروات ،وذلك حسب ما هو وارد في قصة إسحاق في جرار ،هذا الطابع الاجتماعي والاقتصادي يتفق مع حياة ونظام حكم الآباء[2] .

كما تكشف أيضا نصوص العهد القديم في المجال الاجتماعي على جانب كبير من الصراع الأسري بسبب سياسية الإقصاء من العهد والميراث ،وهنا تبرز سلطة الأم التي لعبت دورا كبيرا في تسيير وتوجيه شؤون الأسرة ،فالصراع في بيت ابراهيم بدأ بإقصاء إسماعيل من الميراث أمام إسحاق بتحريض من سارة ،وفي بيت إسحاق تم إقصاء عيسو من الميراث أمام يعقوب بتآمر من رفقة[3] .

استمر التنافس والصراع الأهلي والمؤامرات في عهد الآباء ،فظهر مرة أخرى في بيت يعقوب ،بسبب أن يوسف كان يحظى بمكانة كبيرة عند أبيه،كما يقول البدراوي : لعل إخوة يوسف توجّسوا خيفة من ذلك الحب الشديد ،وخشوا أن يكون ذلك مقدمة لإعطائه البكورية والبركة ،لذلك كان بغضهم له أشدّ ،فأرادوا التخلص منه[4] ،جاء في التوراة :"[20]فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ "[5] .

---

[1]– عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ابن كثير ، قصص الأنبياء ،تحقيق عبد الحي الفرماوي ،دار الطباعة والنشر الإسلامية ،القاهرة ،مصر ،ط5 ، 1417هـ ،1997 م ،ص 193

[2]– سفر التكوين 26 : 22 ،أنظر: ابراهام مالمات ،حييم تدمور ،العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية ،ترجمة رشاد عبد الله الشامي ،مكتبة الإسكندرية ،ط1 ،2001 ،ص111

[3]– سفر التكوين 21 : 9 – 13 ،27 : 1 – 44

[4]– البدراوي ،مرجع سابق ،ص 436

[5]– سفر التكوين 37 : 20

وفي عهد يوسف بعد أن أصبح أمينا على مخازن المحاصيل ،أو ما يشبه وزير الزراعة والتموين والتخطيط في آن واحد ،بعد أن كانت هذه الخزائن تحت يد الحكام من الهكسوس ،بدأ يواجه أزمة اقتصادية سيكون عمرها سبع سنين جراء الجفاف الذي ضرب المنطقة كلها ،فغدت مصر مقصدا لكل قبائل الصحراء البدوية التي دفعتها ظروف المجاعة والجفاف للجوء الى مصر ،وكان من بين هذه القبائل قبيلة يعقوب ،وقد أظهر يوسف قدرة فائقة على إدارة هذه الأزمة بما لم يؤد الى هلاك الناس والزرع والضرع[1] .

وقد اعتمد سياسة اقتصادية قائمة على المضاربة بالأرض والعقارات كما يحكي العهد القديم ،وهذا ما يؤكد نفاذ اليد الإسرائيلية في شؤون الملك المصري الإدارية والتشريعية والاقتصادية على نحو جذري وعملي[2] .

يتّفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم في أن نمط الحياة في هذه الفترة كان قائما على استغلال الثروة الحيوانية ،من خلال الإشارة إلى قصة ابراهيم عليه السلام مع ضيوفه وتقديم العجل الحنيذ ،وقصة ذهاب يوسف عليه السلام مع إخوته لرعي الإبل[3] من خلال الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى :﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾[4] .

كذلك اتّفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم على وجود الصراع والمؤامرة في بيت يعقوب عليه السلام وما جرى بين يوسف وإخوته من أحداث بالتفصيل في سورة سمّاها باسمه ،فبيّن حسدهم له على منزلته عند أبيه ،والاتفاق بينهم للتحايل على أبيهم في التخلّص منه ،حتى لا يزاحمهم في محبّة أبيهم لهم[5] ،جاء في قوله تعالى :﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ ﴾[6] .

وفي عهد يوسف عليه السلام ،بيّن القرآن الكريم أنّه استطاع بما علّمه الله من تأويل رؤيا الملك أن يعطي صورة واضحة ودقيقة لعملية التخطيط مارستها الإدارة في أعلى مستوياتها ،استندت إلى رؤية واعية تنم عن قدرة فاعلة على

---

[1]- زاهية الدجاني ،يوسف في القرآن والتوراة ،مرجع سابق ،ص 98

[2]- عشراتي سليمان ،الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية – قراءة في ابستيمولوجية الأرض والميثاق – ،د م ن ،ص156

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 15 ،ص 569

[4]- سورة يوسف : 12

[5]- أنظر: ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج4 ،ص 372

[6]- سورة يوسف:7 – 9

تحديد لخطة رقمية مبرمجة ،وذلك بالاحتفاظ باحتياطي استراتيجي من الغذاء لمواجهة الأزمات محتملة الحدوث ،وينقذ العالم من الهلاك طوال خمسة عشرة سنة،وأن يجنّب الأمة مخاطر الجفاف وأزمة القحط بإتباع سياسة اقتصادية زراعية ناجعة ،وتحقيق الاكتفاء الذاتي دونما اعتماد على البضائع المستوردة ،ليجعل منها أمة منتجة مصدرة ،لا مستوردة مستهلكة[1] .

فقد خطط أولا للزراعة بالتركيز على آلية الإنتاج ومضاعفته ،والاستفادة من الأراضي الصالحة للزراعة في السنين السبع الأولى ،مع ضرورة إشراك الجميع في عملية الإنتاج والاستثمار بمضاعفة الأيدي العاملة ،ومضاعفة الثروة الحيوانية لأنّها بمثابة الأجهزة العاملة في المجال الزراعي ،وأن تستثمر الدولة كل إمكانياتها في ذلك ،مع إتباع أيضا سياسة ترشيد الاستهلاك ،وقد ضمن في ذلك عدالة التوزيع والتدبير[2] .

وثانيا اعتمد سياسة الادخار وتقنين الاستثمار في مواجهة سنوات الجوع والجفاف والقحط ،والتهيئة للتخزين ؛حيث قام بتخزين كميات هائلة من الحبوب والأطعمة في المستودعات ،وطبق أعمق قواعد العلم وأبسطها وأيسرها لحفظ الحبوب من التسويس والتفريغ والتدمير ،مع الاحتفاظ بفائض كاف من الحبوب طوال ثمانية أعوام يصلح بعدها للإنبات والإكثار والتثمير[3] .

وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى :﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾** ﴾[4] .

بعد أن وضع يوسف عليه السلام تفاصيل الخطة الاقتصادية التي تتحكم في الإنتاج الزراعي تخزينا وإنتاجا واستهلاكا حتى تمر فترة الجفاف والقحط ،ولا يهلك جميع الناس ،فكر بتوسيع خطته الاقتصادية ،وأصبح الفائض في مصر هو ملك لكل الناس ،ويحق لأيّ كان أن يأتي لأخذ الطعام ،ولكن يوسف عليه السلام انتهج سياسة تحقيق العدالة الاجتماعية

[1]- بسام رشدي ،مرجع سابق ،ص142– 143 ،فيان صالح علي ،مرجع سابق ،ص 10

[2]- نايف شعبان عبد الله قرموط ،الإدارة في سورة يوسف عليه السلام ،رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن ،كلية أصول الدين ،قسم التفسير وعلوم القرآن ،الجامعة الإسلامية ،غزة ،1430 هـ ،2009 م ،ص 214 – 215

[3]- صابر طعيمة ،مرجع سابق ،143- 144 ،محمد بسام رشدي ،مرجع سابق ،ص142 – 143 ،عبد الله قرموط ،المرجع نفسه ،ص117 – 118

[4]- سورة يوسف :47 – 48

بتحديد الكمية الموزعة بقدر بعير واحد فقط حتى يتمكن الجميع من الحصول على الطعام[1] ،قال تعالى :﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[2] .

ثانيا :السياسة الخارجية

كان الهلال الخصيب منطقة صراع عنيف بين سكّانها وسكّان الصحراء والجبال على الماء والمرعى ،وفي كثير من الأحيان كان صراعا بين مذاهب وعقائد وأديان وثقافات وحضارات طبعت الحياة الإنسانية في هذا الإقليم بطابع فريد كان له أعظم الأثر في سير الحضارة العالمية وتطوّرها[3] ،ففي هذا الإقليم التقى الآباء مع هذه الأديان والثقافات والحضارات ،فكيف كان هذا الالتقاء ،وفي أي إطار تكونت هذه العلاقات ؟

1 – **الشؤون السياسية** :

تحركات الآباء والانتقال بين الأماكن والإقامة بها ،هي تحركات سياسية قومية جاءت في إطار الوعود المبرمة مع الرب ؛هذه الوعود كان الهدف منها هو إرساء قواعد مشروع سياسي اجتماعي لجماعة بشرية أراد الرب أن يكون لها مكان في أرض كنعان ،ففي إطار هذه التحركات بين هذه الأماكن المختلفة ،كان الآباء يتمتعون بعهد الحماية من سادة بلاد الكنعانيين ،فنالوا احترام جيرانهم المشوب بالحسد ،بل بالخوف لأنّهم أغنياء وأقوياء ،ممّا سمح بتأسيس العلاقات الديبلوماسية ،وعقد معاهدات سياسية ،اجتماعية واقتصادية ،واتفاقيات للصلح والسلام مع هذه المماليك والقبائل التي كان الآباء على اتصال مباشر معها [4] .

أ– العلاقة مع ملكي صادق : في إطار علاقات الود والصداقة التي ربطت بين الآباء والملوك ،قام ملك أورشليم ملكي صادق باستضافة ابراهيم ،ثم باركه وأعطاه هدايا ،يذكر سفر التكوين هذه المقابلة فيقول :" [١٨]وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا للهِ الْعَلِيِّ.[١٩]وَبَارَكَهُ وَقَالَ: "مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،[٢٠]وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ". فَأَعْطَاهُ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ "[5] .

---

[1]– فيان صالح علي ،أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم ،ص13

[2]– سورة يوسف :71

[3]– حسين فوزي النجار ،أرض الميعاد ، دار المعارف ،القاهرة ،د ط ،د ت ،ص 37 – 38

[4]– ابراهام مالمات ،حييم تدمور ،العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة ،ج1 ،ص 110 ،التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ،ص 73

[5]– سفر التكوين 14 : 18 – 20

ب – العلاقة مع أبيمالك :أقام الملك الكنعاني أبيمالك ملك جرار تعاقدا مع إبراهيم على حسن الجوار والمسالمة على إثر الخصومة التي حدثت بينهما بسبب اغتصاب رعاة الملك البئر التي حفرها عبيد ابراهيم ،كذلك بعد أن لاحظ أبيمالك أن ابراهيم يزداد قوة ونجاحا ،خاف أن يحاربه ويأخذ منه المملكة ،لذلك قطع كلاهما ميثاقا وصنع ابراهيم سلاما معه ،ومع رئيس جيشه ،كان ذلك بجوار البئر الذي اقترن اسمه بالمعاهدة (بئر سبع) نسبة الى النعاج السبع الهدايا التي اقترنت بهذه المعاهدة ،وتثبيتا لهذه المعاهدة قام ابراهيم بغرس شجرة تذكارا دائما لها[1] ،تقول التوراة :" ٢٢وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ أَبِيمَالِكَ وَفِيكُولَ رَئِيسَ جَيْشِهِ كَلَّمَا إِبْرَاهِيمَ قَائِلَيْنِ: "اللهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ. ٢٣فَالآنَ احْلِفْ لِي بِاللهِ ههُنَا أَنَّكَ لاَ تَغْدُرُ بِي وَلاَ بِنَسْلِي وَذُرِّيَّتِي، كَالْمَعْرُوفِ الَّذِي صَنَعْتُ إِلَيْكَ تَصْنَعُ إِلَيَّ وَإِلَى الأَرْضِ الَّتِي تَغَرَّبْتَ فِيهَا". ٢٤فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "أَنَا أَحْلِفُ". "[2] .

هذا الخطاب يتضمن مشاعر خوف وتوجّس واستشعار ضعف حيال إبراهيم ،الأمر الذي بات معه التعاقد حاجة سياسية وأخلاقية ،تحول دون احتمالات المواجهة ،وتحفظ التوازن بين الطرفين ،فإقدام الملك وعميد جيشه على إبرام هذه المعاهدة ينمّ عن رغبة الملك في توطيد المساكنة والتعايش مع إبراهيم خوفا من قوة إبراهيم بعد أن بات يرى قوّته المادية والمعنوية في تصاعد ،فالأملاك الشاسعة التي امتلكها تدل أنّه كان رجلا مقتدرا وغنيّا جدا ومحترما بين قومه ،فلن يحتسب على الإطلاق شخصا هائما على وجهه ،أو مجرد واحد من أهل البدو ،لذا اعتبره رؤساء القبائل الفلسطينية من بين الأمراء الذين يجب عقد الاتفاقيات معه .وإسحاق قام بعقد صلح مع أبيمالك في بئر شبعة أو بئر الحلف ،بعد الخصومة التي وقعت بينهما ،بعد أن قام شعب جرار بهدم آبار الماء التي أقامها عبيد إبراهيم[3] .

ج– **العلاقة مع ملوك حبرون** : في حبرون كان ثلاثة ملوك عظماء،هم عانر واشكول وممرا ،ومع هؤلاء الثلاثة عقد ابراهيم عهد صداقة،كان من ثمار هذه الصداقة أن ساعد هؤلاء الملوك الثلاثة ابراهيم في العمل العسكري الذي قام به لتحرير لوط من الأسر الذي تعرّض له على يد كدر لعومر[4] .

د – العلاقة مع عفرون الحثي : لما كان عهد ابراهيم عهد سلام ونجاح وغنى ،فإن سياسته كانت تقوم على حسن الجوار ،كما فعل مع بني حث ،فرغم أنّه كان يعلم أن الرب منحه الأرض ،إلّا أنّه يدفع أربعمائة شاقل فضة ثمن الحقل

[1]– سيد محمود القمني ،النبي ابراهيم والتاريخ المجهول ،مدبولي الصغير ،د ت ،د ط ،ص 69

[2]– سفر التكوين 21 : 22 – 24

[3]– عشراتي سليمان ،مرجع سابق ،ص 48، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص43 ، البدراوي ،مرجع سابق ،ص406

[4]– منيس عبد النور ،ابراهيم خليل الله ،مرجع سابق ،ص19

الذي اشتراه لدفن سارة ،ورفض أن يأخذ هذه الأرض مجانا من صاحبها ،أو أن يغتصبها ويأخذها بحجة أن الله وعده[1].

هـ- العلاقة مع لابان : قام يعقوب بعقد اتفاقية صلح مع خاله لابان في تل جلعاد بعد الخلاف بينهما حول ثروة الأغنام ،في المكان الذي سُمّي رجمة الشهادة ،أو صخرة الشهادة ،هذه الاتفاقية فتحت أمامه باب الربح عن طريق قطعان الغنم التي كان يمتلكها لابان[2] ،كما أشار الى ذلك هذا النص :".. تَغَرَّبْتُ عِنْدَ لاَبَانَ وَلَبِثْتُ إِلَى الآنَ. وَقَدْ صَارَ لِي بَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَغَنَمٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ"[3] .

و- العلاقة مع الآراميين : كانت العلاقة السياسية بين الآباء والآراميين قائمة على مبدأ سياسة التعايش السلمي ،والتبادل الثقافي والديني، هذه العلاقة تعززت عن طريق المصاهرة ،فبعد أن هاجروا نحو بلاد كنعان ،كانوا إذا أرادوا الزواج اتجهوا نحو فدان آرام معقل الآراميين في عبر الفرات من جهة سوريا ،كما حدث مع إسحاق ويعقوب[4] .

ي- العلاقة مع ملوك مصر : تذكر نصوص التوراة أنّه قد نشبت مشكلات بين ابراهيم وامرأته من جهة ،وبين حاكم مصر وقومه من جهة أخرى ،واحتدمت الأزمة بين الطرفين ،إلّا أنّه ما لبث أن تحسّنت هذه العلاقات بعد أن علم هذا الحاكم وقومه قوّة رب ابراهيم وامرأته ،فأسرعوا بتقديم الهدايا على اختلاف أنواعها ،وكان من بينها جارية تُدعى هاجر[5] .

أمّا في عهد يوسف فقد حضي بنو إسرائيل باحترام النظام المصري الذي منحهم الأرض والأمان والحرية ،فقد خيّر حاكم مصر يوسف وأهله في اختيار المكان الذي يرغبون السكن فيه قائلا :" أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ جَاءُوا إِلَيْكَ. أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ "[6] .فاختاروا أرض جاسان وعاشوا فيها بهناء ،فتكاثروا وأثمروا وأمضوا أكثر من أربعمائة عام في ظل الاحترام المصري ،ولكن من بعد يوسف لم تعد مثل هذه الاتفاقيات تعقد نظرا للسياسة التي انتهجها بنو إسرائيل ،وهي الانعزالية التامة وعدم التعاون مع من يحيطون بهم ،وعدم الاختلاط بأصحاب الأرض الأصليين ،بسبب أسلوب حياتهم الذي يختلف كل الاختلاف عن أسلوب حياة المصريين ،فمثلا هم كانوا رعاة والمصريين

---

[1]- المرجع نفسه ،ص57

[2]- البدراوي ،مرجع سابق ،ص 416

[3]- سفر التكوين 32 : 4 – 5

[4]- حسن ظاظا ،الساميون ولغاتهم ،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية ،بيروت ،ط 2 ،1410 هـ ،1990 م ،ص 63

[5]- البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج2 ،ص 93 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص32

[6]- سفر التكوين 47 : 5 – 6

كانوا بناة ،وهم كانوا قوما رحل والمصريين كانوا أصحاب حضارة راسخة ،كذلك بسبب أنّهم أصبحوا غرباء في الأرض وليس لهم حقوق المواطنين[1] .

القرآن الكريم لم يشر إلى هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم بخصوص هذه العلاقات السياسية مع هؤلاء الملوك والشعوب التي أتى على ذكرها ،إنّما أشار فقط إلى العلاقة مع مصر زمن يعقوب عليه السلام من خلال تواجد ابنه يوسف عليه السلام بها ،بعد أن مكّن الله له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ؛إذ صار حاكما لمصر أمينا على خزائنها ،نبيّا هاديا لشعبها مصلحا لحال أهلها ،يتصرف فيها كيف شاء ،وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] .

2 – الشؤون الاقتصادية :

بيّنت نصوص العهد القديم أن الأزمات الاقتصادية في عهد الآباء الناتجة عن القحط والجفاف ألجأتهم إلى الاستنجاد بملوك الدول والشعوب المجاورة لهم من أجل توفير الغذاء وتأمين حياة الأفراد ،فتذكر التوراة أنّه في عهد ابراهيم حدث جوع في الأرض وكان شديدا ،فنزل إلى مصر ،وفي عهد يعقوب حدث أيضا جوع في الأرض وكان شديدا ،ولما رأى أنّه يوجد قمح في مصر أرسل بنيه ليشتروا من هناك إبقاء على حياتهم من الموت[3] .

أشار القرآن الكريم الى التبادل التجاري بين مصر وبني إسرائيل ،وأن بني إسرائيل طلبوا المعونة الغذائية والاستجداء من الحكومة المصرية بسبب القحط والجفاف الذي أصاب الناس في مصر والمناطق التابعة لها حتى الشام وبلاد الرافدين ،فكان أبناء يعقوب في هذه الفترة يترددون على مصر لقصد التجارة وطلب القوت ،وطلب المعونة الغذائية من مصر يدل على أنّهم كانوا يعيشون في البراري والقفار الواقعة تحت سلطة ملوك مصر[4] ،قال تعالى :﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[5] .

---

[1]– علي خليل ،اليهودية بين النظرية والتطبيق ،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،د ط ،1997م ،ص50 ،أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص59

[2]– سورة يوسف : 99

[3]– سفر التكوين 12 : 10 ، 42 : 1 – 2

[4]– محمد سيد طنطاوي ،بنو إسرائيل في القرآن والسنة ،دار الشروق الأولى ،القاهرة ،ط 2 ،1420 هـ ،2000 م ،ص14

[5]– سورة يوسف : 88

كذلك أشار القرآن الكريم الى توافد قوافل البدو التجارية سواء من بلاد الشام ،وخاصة سوريا وفلسطين والأردن حاليا أو من شبه الجزيرة العربية ،وأن يوسف عليه السلام اتبع سياسة نظام الرقابة على هذه القوافل الوافدة الى مصر باستخدام طريقة التفتيش الدقيق ،حتى يتم التحري والتأكّد أن هذه القوافل ليس هدفها الإفساد في أرض مصر[1] ،جاء في ذلك قوله تعالى :﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] .

[1]– محمد راشد ،ملوك مصر القديمة ،مرجع سابق ،ص 275

[2]– سورة يوسف : 76

الفصل الثاني :

التنظيم الإداري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرفت الجماعات البدائية الأولى نوعا من الإدارة تمثّلت في فكرة الخضوع لسلطة رئيس الجماعة الذي كان له الأمر والنهي على جميع أفرادها ،فكان رب الأسرة أو الجماعة هو الممثل لها في صلاتها بالجماعات الأخرى ،وهو القاضي الذي يفصل فيما بين أفرادها من منازعات ،وهو المسئول عن مصلحة الجماعة ،وإدارة شؤونها وتنسيق العلاقات بين أفرادها وبين الجماعات المجاورة ،وهو كذلك رئيس الديانة التي إليها الجماعة[1] .

وعند بني إسرائيل شكّلت النظم الإدارية جانبا مهمّا من جوانب الحياة السياسية والمدنية لهذا الشعب ،وان اختلفت في البساطة والتعقيد باختلاف العهود والأزمنة التي عاشوها ،والحديث عن الجهاز الإداري ممثّلا في الإدارة المدنية يتطلب تحديد الأجهزة الإدارية في كل مرحلة ،وطريقة تكوينها ،والنظام الداخلي لها ،وتحديد الوظائف الإدارية ،وصلة الإدارة بالموظفين ،والقواعد التي تنظّم اختيارهم وتحدّد حقوقهم ووجباتهم ،وإدارة العلاقات العامة الديبلوماسية ممثّلة في سفراء الدولة وطريقة اختيارهم وما راعته الديبلوماسية من قواعد متّبعة في عقد المعاهدات والمواثيق ،وربط الدولة بالدول الخارجية ،إضافة إلى الإدارة المالية بالحديث عن المؤسسات المالية والنّظام القانوني لها ،وأسس الموارد المالية وكيفية إدارتها والانتفاع بها لحماية الأفراد والدولة .

المبحث الأول :التنظيم الإداري المدني

عاش العبرانيون وفق نمطين من المعاش فرضتهما طبيعة الحياة التي عاشوا فيها ،وهما البداوة والحضر ،فعهد الآباء الأول (ابراهيم وإسحاق ويعقوب) يمثل مرحلة البداوة ،وأمّا مرحلة الحضر فهو العهد الذي تواجد فيه بنو إسرائيل مع يوسف إبان الحضارة المصرية حيث عرفت مصر الإدارة وفنونها .

أولا :الجهاز الإداري

1 – الوظائف الإدارية :

الوظائف الإدارية في عهد الآباء اقتصرت على خدمة القبيلة وتحقيق حاجاتها الداخلية والمحافظة على وحدتها ،من خلال مجموعة من الأشخاص كان لهم دور بارز في حياة العشيرة ،منهم :

أ – رئيس الخدم :هو شخصية إدارية من وجهاء القوم وسادة القبيلة ،لكنّه أقل أهمية من شخصية الرئيس ،مهامه الإدارية البحث عن الماء والكلأ للنزول عليه ،وهي مهمّة خطيرة ،لأنّ عليها تتوقف حياة الماشية عماد حياة العشيرة ، كذلك البحث عن الزوجات لأبناء رئيس القبيلة .

[1] – عمر ممدوح مصطفى ،أصول تاريخ القانون ،دار المعارف ،د ط ،1963 ،ص33 وما بعدها

في عهد ابراهيم أُسند هذا المنصب إلى اليعازر الدمشقي ،يبدو ذلك من خلال تكليف ابراهيم له بالبحث عن زوجة لإسحاق حينما أرسله الى عشيرته في مدينة ناحور[1] ،ونظرا للقيمة الاجتماعية التي كان يحضى بها اليعازر قرر ابراهيم أن يجعله وارثا لممتلكاته لعدم وجود ابن له بعد انفصاله عن لوط ،وفقا للعادة المتبعة في ذلك الوقت ،كما نص عليه ناموس نوزو بأن الزوجين الذين لم يرزقا أبناء يمكنهما أن يتبنا غلاما أمينا يتمتع بجميع الامتيازات الشرعية ،وفي النهاية يؤول إليه الميراث نظير منحه لهما العناية المتواصلة ودفنهما بعد موتهما[2] .

ب – الراعي :مهنة الرعي من أقدم الوظائف في حياة الناس ،فالراعي كان يجمع ماشيته ويهدي الضالة ويعالج المريضة ويحمل المتعبة ،ويستخرج لها الماء من النبع لسقايتها ،ويحميها من الحيوانات المفترسة ،وقد كان الغلمان أو العبيد الذين يُقتنون عن طريق الشراء أو الهدايا أو الميلاد هم القائمون بالإشراف على الأملاك الشاسعة التي كان الآباء يمتلكونها من القطعان والمواشي .أمّا النّظام المتبع في تسديد حقوق وأجر الراعي فكان يُدفع إمّا نقدا ،أو بعض الخراف كما نفهم ذلك من قصة يعقوب الذي كان يرعى غنم لابان[3] .

ج – العبيد :عرفت مرحلة الآباء نظام إنشاء آبار المياه ،حيث كانت المورد الأساسي الذي يُعتمد عليه في تربية الأنعام التي تُعتبر بدورها المورد الاقتصادي الذي يقوم عليه نظام الحياة ،فكان العبيد هم الذين يمثلون اليد العاملة في هذا المجال ؛إذ كانوا يقومون بحفر الآبار واستخراج المياه كما أشار الى ذلك سفر التكوين[4] .

2 – التقسيم الإداري :

كان النّظام المتّبع في تقسيم ملكية الأرض الجماعية الى أقاليم إدارية بين العشائر يخضع الى قانون الطبيعة وما تمليه ظروف الحياة الاقتصادية ،حيث كان الجفاف والقحط المفاجئ وازدياد عدد الثروة الحيوانية عن كمّية العشب يدفع كل عشيرة الى الاستقلال بإقليم خاص بها ،وكان الأساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم هو تحقيق السلام بين العشائر والقبائل ،هذا ما فعله ابراهيم حينما قسّم الأرض الى إقليمين إداريين بينه وبين لوط ابن أخيه حينما ازداد عدد الغنم عن

---

[1]- سفر التكوين 24 : 1 – 11

[2]- فراس السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،ص 31 ،التفسير التطبيقي ،ص 39 ، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص44

[3]- سفر التكوين 24 : 29 ،16 :1 ،20 :14 ،26 : 20 – 21 ،30 :28 ،أنظر: فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،دار النهضة العربية ،مصر ،د ط ، د ت ،ص 124، بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4، مرجع سابق ،ص664

[4]- سفر التكوين 26 : 12 – 20

كمية العشب[1] ،حيث نقرأ في سفر التكوين :" لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. [٩] أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالاً" "[2] .

كما جعل أرض كنعان من نصيب إسحاق ونسله ،أمّا باقي أبنائه الذين من هاجر وقطورة ،فقد منحهم عطايا كافية من المال والماشية وصرفهم عن إسحاق الى بلاد العرب حتى لا يضايقوه[3] :" [٥]وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ.[٦]وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإِبْرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ"[4] .

كذلك الأمر نفسه حدث مع ذرية عيسو ويعقوب في أرض كنعان ،فلمّا ضاقت هذه الأرض عليهما لكثرة مواشيهما ،انتقلت ذرية عيسو الى أرض سعير الحوي التي تقع جنوب البحر الميّت ،وتمتد الى خليج العقبة[5] ،كما أشار الى ذلك سفر التكوين[6] .

وفي عهد يوسف بيّنت نصوص التوراة أنّه كان يتّبع سياسة شراء الأراضي وتقسيمها وتوزيع السكان عليها ،فقد قام بشراء كل أرض مصر لفرعون ونقل الشعب إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه "[٢٠]فَاشْتَرَى يُوسُفُ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ لِفِرْعَوْنَ، إِذْ بَاعَ الْمِصْرِيُّونَ كُلُّ وَاحِدٍ حَقْلَهُ، لأَنَّ الْجُوعَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ. فَصَارَتِ الأَرْضُ لِفِرْعَوْنَ.[٢١]وَأَمَّا الشَّعْبُ فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُدُنِ مِنْ أَقْصَى حَدِّ مِصْرَ إِلَى أَقْصَاهُ."[7] ،وأيضا بيّنت أنّه قام بتخصيص مقاطعة إدارية وأسكن فيها أباه وإخوته "[١١]فَأَسْكَنَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَعْطَاهُمْ مُلْكًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ، فِي أَرْضِ رَعَمْسِيسَ كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ"[8].

القرآن الكريم لم يشر إلى هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم فيما يتعلق بهذه القضايا .

ثانيا :النظام المالي

[1]– منيس عبد النور ،ابراهيم خليل الله ،مرجع سابق ،ص 16

[2]– سفر التكوين 13 : 8 – 9

[3]– ملاك محارب ،دليل العهد القديم ،مرجع سابق ،ص 173

[4]– سفر التكوين 25 : 5 – 6

[5]– محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص19

[6]– سفر التكوين 36 : 6 – 8

[7]- سفر التكوين 47 : 20 - 21

[8]– سفر التكوين 47 : 11

1 – الموارد المالية :

تشير المعلومات الواردة في نصوص العهد القديم الى الثروة المالية الكبيرة التي كان الآباء يمتلكونها ،فقد تنوعت الموارد المادية والمالية بين العينية والنقدية ،فالعينية كانت تمثل القطعان والمواشي ،ومحاصيل الزراعة ،والنقدية الفضة والذهب ، يتّضح ذلك من الإشارات المتكررة في نصوص العهد القديم الى هذه الموارد المالية التي كانت هي الأساس الذي يُعتمد عليه في تسير شئون العشيرة[1] .

وفي عهد يوسف لم يتغيّر الحال عما كان عليه في أرض فلسطين ،حيث كانت أهم مظاهر الثروة المالية تتمثل في الأنعام ،وأن بنو اسرائيل لم يُحرموا من هذه الثروة المالية بدليل ما يحدثنا عنه العهد القديم من أنّهم قد حملوا معهم وساقوا أمامهم عند خروجهم من مصر ما كانوا يملكونه من متاع وأنعام ،وأن أنعامهم هذه كانت قطعان ضخمة غزيرة العدد من الأنعام والأبقار ،هذا بالإضافة الى أواني الذهب والفضة ،والأقمشة والملابس .أمّا هذه الثروات جميعها هي ثروات عائلية لا فردية ،فالأسرة لا أفرادها هي التي كانت تملك ما يوجد من متاع وأنعام[2] .

القرآن الكريم أشار إلى أنه من مظاهر الثروة المالية في هذا العهد الأنعام،كما سبق بيان ذلك في الحديث عن استقبال ابراهيم الخليل ضيوفه،وقصة يوسف عليه السلام لرعي الإبل،وفي حديث بشر عن قتادة أنه كان عامة مال نبي الله ابراهيم عليه السلام البقر[3].

2 – النظام الضريبي :

نصوص العهد القديم بيّنت أن السياسة المالية في عهد الآباء لم تكن خاضعة للنظام الضريبي كما هو الحال في المجتمعات والنظم البدائية ،إذ كانت الثروات ملكا مشتركا بين أفراد العشيرة أو القبيلة ،فلم تكن ثمة ضرورة لفرض الضرائب على أفراد العشيرة أو القبيلة ،وإنّما كانت الهدايا تعتبر مصدرا وموردا ماليا ،وكانت تُقّدم اختياريا من الضعفاء طلبا للحماية ،أو لبعض الامتيازات[4] .

وفي عهد يوسف بيّنت نصوص العهد القديم أنّه اعتمد سياسة اقتصادية قائمة على المضاربة بالأرض والعقارات

---

[1]- سفر التكوين14 : 14 ، 24 :10، 16 :1، 17 :23

[2]- سفر الخروج 12 : 32 – 38 ،أنظر : علي عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،نهضة مصر ،ط 6 ،2008 م ،ص 120 – 121

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 22 – 425

[4] - سفر التكوين 32 : 13 -21، 33 : 10

والأموال ،وجمع الضرائب ،وأنّه أوّل من فرض ضريبة الخمس على الشعب المصري ما عدا الكهنة[1] ،كما كان يفعل حكام الهكسوس الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الفلاحين ،ويكلّفون حكام الأقاليم بجمعها وإرسالها الى المقر الملكي[2] .

القرآن الكريم لم يتعرض للحديث عن السياسة المالية في هذا العهد،ولا عن وجود نظام ضريبي.

ثالثا :نظام الشغل

1 – الأشغال العامة :

الحرفة الرئيسية التي كانت عماد الحياة في هذا العهد ،هي حرفتي الرعي والزراعة كما هو واضح من خلال قصص الآباء الأولين ،فقد انشغل كل من إبراهيم ويعقوب بشؤون تربية المواشي ،أمّا إسحاق فإلى جانب الرعي اعتنى بشؤون الزراعة على مقربة من جرار ،أين حقق نجاحا ساحقا في فن الفلاحة والزرع ،الأمر الذي أثار حسد الفلسطينيين ،ممّا أضطره أن يغادر جرار ويتجه نحو بئر سبع[3] .ونجاح هذه المهنة كان يتوقف على توفير المراعي وآبار المياه ،لأنّ الحياة كانت تتوقف على هذين العنصرين الحيويين ،لذلك نجد العهد القديم يزخر بالحوادث المتصلة بهما .

أمّا النّظام المتبع في إدارة هذه الحرفة وفي استغلال هذه الثروة الحيوية ،فهو نظام مشاعي (اشتراكي واسع النطاق) بين الأسر الإسرائيلية ،حيث يشترك جميع أفراد الأسرة في إدارتها وفي ملكيتها[4] .

وفي عهد يوسف ظل بنو إسرائيل على مهنة الرعي وتربية الماشية ،يبدو ذلك حينما طلب يوسف من أبيه وإخوته أن يقولوا لملك مصر :" عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا "[5] ،وبناءا على هذا الطلب مُنح بنو إسرائيل الحصون بالرعي وتربية الماشية في المناطق الخصبة في دلتا النهر ،وقد أوصى الملك بأن يعيّن يوسف إخوته رؤساء على قطعان ماشيته بأرض جاسان[6] .

تبعا لنظام التخطيط الاقتصادي الذي وضعه يوسف ،استطاع أن يقضي على البطالة والتسوّل والاحتكار بوضع خطة لنظام الشغل ،هذه الخطة ترمي بأن يحضر كل من أراد الحصول على الطعام معه بضاعة من صنع بلده كمبدأ

---

[1]– سفر التكوين 47 : 14 – 26

[2]– عشراتي ،مرجع سابق ،ص156

[3] – سفر التكوين 26 : 12 ،صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص47

[4] – على عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 125

[5] – سفر التكوين 46 : 34

[6]– صموئيل شولتز ،المرجع السابق،ص63 ،محمد راشد ،ملوك مصر ،مرجع سابق ،ص272

للمقايضة ؛الطعام مقابل البضاعة التي يحضرونها[1] ،كذلك من خلال الاستمرار في إتباع سياسة المصريين القدماء في زيادة مساحة الأراضي الزراعية التي تم زراعتها بالقمح والشعير والذرة[2] .

القرآن الكريم وإن لم يذكر بالتفصيل ما ذكره العهد القديم ،إلّا أنّه أشار كما سبق ذكر ذلك إلى مهنة الرعي .

2 – المنشآت العمرانية :

تبعا للنّظام البدوي كانت المشاريع العمرانية بسيطة تمثّلت في بناء البيوت السكنية التي كانت عبارة عن خيام يقيمونها من الجلود على أعمدة من الخشب ويضمون شقائقها بالحبال ثم يثبتونها على الأرض بالأوتاد ،والخيمة عادة تنقسم الى قسمين قسم خاص بالرجال وقسم بالحريم ،وخيام القبيلة تنتشر عادة في شكل مجموعات غير منسقة ،لكن في حالة تهديد القبيلة بغزو تتجمع الخيام وغالبا ما تقام على شكل هلال ،وتمتاز خيمة شيخ القبيلة بكبر حجمها فقط[3] .

وعندما تولّى يوسف خزائن الملك قام بوحي من إيمانه بانجاز مشروعه العظيم بشق قناة النيل الى منخفض الفيوم عبر فم الهوارة ،وذلك لتخزين مياه النيل في ذلك المنخفض العظيم ،كما أعاد شق بحر يوسف عليه السلام ليروي المنطقة الوسطى في زمن الجفاف،كذلك قام بشق ترع وقنوات وإقامة السدود[4] .

أمّا القرآن الكريم فقد بيّن أن إبراهيم عليه السلام قام ببناء البيت الحرام بعد أن تعرف على مكانه ،ممّا يعني بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد ،وهذا الصرح ارتبط بركن من أركان الإسلام وهو الحج ،كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

المبحث الثاني : التنظيم العسكري

الحرب شكل من أشكال الصراع الدموي بين إرادتين تبغي كل منهما التفوق على الأخرى ،والتغلّب عليها وتحطيم مقاومتها وحملها على التسليم لها بما تريد وما تمليه عليها لتحقيق مصلحتها ،وهي ظاهرة تاريخية ارتبطت بالوجود الإنساني منذ البداية فشكّلت دورا رئيسيا في حياة البشر ،فتكاد تكون القاسم المشترك بين المجتمعات البدائية ،والمجتمعات المدنية أو المتحضرة على السواء .وقد ارتبطت الحرب ببني إسرائيل ارتباطا وجوديا ،لذا نظر إليها بنو إسرائيل على أنّها ضرورة إنسانية ،وأداة شرعية لحماية القبيلة والدولة[5] .

---

[1]– فيان صالح علي ،مرجع سابق ،ص 13

[2]– محمد بيومي مهران ،المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،د ط ،1999 ،ج2 ،ص 504

[3]– محمد راشد ،ملوك مصر ،مرجع سابق ،ص272 ، فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 87

[4]– فيان صالح علي ،مرجع سابق ،ص 21 بيومي مهران ،مصر والشرق الأدنى القديم ،ج2 ،مرجع سابق ،ص 504

[5]– ظاظا حسن ،السيد محمد عاشور ،شريعة الحرب عند اليهود ،دار الاتحاد العربي للطباعة ،ط 1 ،1976 ،ص 13 ،الجميل سيار ،الحرب ظاهرة تاريخية ،مجلة علم الفكر ،الكويت ،عدد 36 ،أكتوبر ،2007 ،ص8

فمنذ عهد بعيد تنوّعت الحروب بين حروب دفاعية وأخرى هجومية ،ففي مصر القديمة مثلا كانت إمّا لصد عدوان وحماية حدود البلاد من الغارات الأجنبية ،وإمّا غزو لبلد أجنبي والقيام بالفتوحات والتوسع من أجل الحصول على العبيد والماشية والمعادن المفيدة ،وسلب ثروات الشعوب ،وفرض الجزية على البلدان المقهورة[1] .

كذلك الحال بالنسبة لبني إسرائيل ،فحروبهم كانت إمّا أنّها دفاعية أو هجومية ،فأسفار العهد القديم لا تخلوا من ذكر هذه الحروب ،وأولها العمل العسكري الذي قام به إبراهيم في إقليم غور الأردن على كدر لاعومر ملك عيلام ،كان من اجل إنقاذ لوط ابن أخيه من الأسر الذي تعرض له من قبل هذا الملك[2] .

أيضا كانت العلاقة بين الحرب والدين علاقة وثيقة الصلة ،فكثيرا ما اعتبرت المجتمعات القديمة الحرب أمرا مقدسا يعبر عن إرادة إلهية عادة ما تبدأ بأمر إلهي وبموافقته ،فهو الذي يأذن بهذا الحرب أو يمنها ،وهو من يحدد لها أعداءها[3] .

وإذا ألقينا نظرة على حضارات الشرق الأدنى القديم ،والحضارة اليونانية والرومانية ،لوجدنا أن الحرب كانت حرب آلهة ضد آلهة أخرى ،أو حرب أتباع آلهة ضد أتباع آلهة أخرى .

فتاريخ قدماء المصريين يزخر بالأحداث التي تصف الآلهة كقادة للمعارك والحروب ،فكان الإله "آمون–رع" هو الذي يقود المعركة ،وهو من يزوّد الملك بالقوة الخارقة كي يحقق النصر على الأعداء ،ومن بين الصفات التي أمتاز بها الملك الفرعوني أنّه المحارب الأعظم ،والقائد الأعلى للجيش ،والمقدام في عربته ،فإذا اشتبك في المعركة فإنّه لا يتقهقر[4] .

وعند قدماء اليونان كانت صورة الإله المحارب حاضرة في كل العروض القتالية ،حيث تصف لنا إلياذة هوميروس حضور الآلهة في ساحات القتال وما تفعله بأعدائها ؛فهي تثير في نفوسهم الهلع ،وتوقع في قلوبهم الرعب وتنتصر عليهم[5].

الأمر لا يختلف عند بني إسرائيل ،فحروبهم هي حروب الرب يهوه ،فهو القائد العسكري الذي يحارب من أجلهم ، وهو رب الجنود ،وهو الذي يحدد أعداء شعبه ،ويأذن بالحرب ويمنعها ،وهو من يقود الى النصر ،أو يؤدي بشعبه الى الهزيمة ،وقد تعددت هذه الحروب وإن اختلف نوعها وشكلها ودوافعها عبر تاريخ بني إسرائيل ، كالحرب الذي خاضها يهوه مع

[1] – برهان الدين دلّو ،حضارة مصر والعراق– التاريخ الاقتصادي–الاجتماعي–الثقافي والسياسي– دار الفارابي،بيروت،لبنان ،ط1 ،ص81

[2] – سفر التكوين 14 :15 – 16

[3] – إدريس محمد جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص3.

[4] – برونز ،وآخرون ،معجم الحضارة المصرية القديمة ،ترجمة أمين سلامة ،مكتبة الأسرة ،ط 2 ،1996 ،ص134

[5] – هوميروس ،الإلياذة ،ترجمة دريني خشبة ،دار الهلال ،د ط ،د ت ،ص 34

بني إسرائيل ضد العماليق ،وعند دخول أرض كنعان ،وفي عهد القضاة عندما امتنعوا عن الحرب ضد الملك سيسرا ، اعتبرت دبورة ذلك امتناع عن الحرب مع الرب ،وكذلك حروب الملوك وخاصة حروب داود[1] .

غير أن ما يميّز حروب يهوه عن بقية حروب الآلهة الأخرى ،هو الارتباط الوثيق بين الحرب والأرض ،إذ كان للرب يهوه دوره في استثناء بعض الأمم والشعوب من المواجهة مع شعبه لأسباب تتعلق بالأرض ،فطالما أن الرب أستثنى أرض قوم من الوعد المقطوع مع شعبه ،فلا ضرورة للحرب حتى وإن كان هؤلاء لا يؤمنون به ،ولا يعترفون بألوهيته ولا قدسية شعبه[2] .

ونصوص العهد القديم تبيّن بوضوح كيف ارتبط مفهوم الحرب بالإله يهوه وشعبه وبالأرض ،وكيف أصبحت هذه العلاقة واضحة مند أن تشكل النظام القبلي ،لذلك أخذت الحرب عندهم صفة العمل المقدس تقول التوراة :"[4]لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِكَيْ يُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ "[3] .

أولا : تشكيل الجيش وإعداده

في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الآباء لم تذكر نصوص التوراة كيفية تشكيل الجيش وتنظيمه ،وذلك راجع لخصوصية وطبيعة الحياة السياسية التي كان يتمتع بها هؤلاء الآباء ،فامتلاك الأرض وحرية التنقل ،وقلة الصراعات لم تستدع وجود قوّة عسكرية كبيرة منظمة ،وكان تشكيل الجيش يخضع الى أن كل قادر على حمل السلاح فهو محارب[4] ،حيث نقرأ في سفر التكوين أن ابراهام جر غلمانه المدربين وعددهم 318 لإنقاذ لوط من الأسر ،وقافلة تشتمل على عشرة جمال[5] .

ثانيا : أساليب القتال وعملياته

لفنّ القتال والتخطيط لإدارة العمليات العسكرية سمات وخصائص ميّزت التاريخ العسكري لبني إسرائيل بدء من عهد الآباء الى سقوط المملكتين المنقسمتين وزوالهما ،وقد كان من الطبيعي أن تكون هذه السمات والخصائص نظرا لكثرة الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ضد المماليك والدول المجاورة كما وصفها وأحصاها العهد القديم .

[1] – سفر الخروج : 17 :16 ،سفر يشوع : 10 : 14 ،سفر الملوك الثاني : 13 : 17 ،سفر صموئيل الأول : 18 :17

[2] – إدريس محمد جلاء ،فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي ،ص11

[3] – سفر التثنية : 20 : 4

[4] – فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،ص 206 ،صموئيل شولتز ،العهد القديم يتكلم ،ص43

[5] – سفر التكوين : 14 :14، 24 : 10

وقد اتخذ بنو إسرائيل من الخطط الحربية وأساليب الهجوم والدفاع ما كان معروفا في عصورهم المختلفة ،واكتسبوا الكثير من فنون الحرب من الشعوب التي عاشوا معها لا سيّما المصريين ،أو التي جاوروها ،أو حاربوها ،أو خضعوا لها[1] .

وسوف نحاول في هذا المجال عرض أبرز وأهم هذه الأساليب ،للوقوف على الملامح العامة للنظام العسكري ،وإدارة الشؤون العسكرية عند بني إسرائيل .

الحيل والخداع[2] :

ظهرت الحيلة والخدعة في عهد الآباء مع أبناء يعقوب الذين قاموا بحرب غير متكافئة مع أبناء حمور الحوي حينما اضطجع ابنه شكيم مع دينة ابنة يعقوب وطلب الزواج منها ،لكن أبناء يعقوب رفضوا مصاهرتهم إلّا بعد أن يقوموا بعملية الختان ،فلما استجاب حمور وابنه وكل رجال المدينة وذكورها لذلك ،قام أبناء يعقوب فضربوا حمور ابنه بحد السيف ،وقتلوا كل ذكر بالمدينة ،وأخذوا أختهم دينة وسلبوا كل ما في المدينة من ثروات وأملاك حتى الأطفال والنساء[3].

2- التجسس والاستطلاع[4] :

لم يخلو عهد الآباء من العمل الإستخباراتي كما أشار الى ذلك العهد القديم ،إلّا أن الخاصية التي ميّزت عملية الاستطلاع والتجسس في هذه المرحلة المبكرة أنّها لم تكن مهمّة ربّانية ؛فلم يكن الرب هو الذي وضع أسسها وقواعدها ،وإنّما كان ذلك من عمل القادة الآباء ،كذلك لم يشر العهد القديم الى أن عملية التجسس في هذه المرحلة استُعملت كوسيلة من وسائل الحرب لغزو الأراضي وإبادة سكانها على نحو ما سيأتي في المراحل اللّاحقة من تاريخ بني إسرائيل. جاء في سفر التكوين أن يعقوب بعد عودته من لابان أرسل رسله أمامه ليستطلعوا أخبار عيسو خوفا منه ،على خلفية

---

[1]- شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص455

[2]- الحيلة والخدعة شكل من أشكال الحرب انتهجها بنو إسرائيل كوسيلة حربية يقاتلون بها أعداءهم ،وقد برعوا في هذه الوسيلة التي اقتبسوها من غيرهم من الشعوب المحاربة ،حتى كثرت أنواعها في حروبهم مع الدول الأخرى .شنودة ،المجتمع اليهودي ،المرجع نفسه ،ص460 ،ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 155

[3]- سفر التكوين 24 :25 -29

[4]- برع الإسرائيليون قديما في أمور الجاسوسية بين الشعوب والأمم بهدف خداعها، فاستغلوا ثقة هذه الأمم فيهم للإطلاع على أسرارها وخباياها ،ثم استخدام هذه الأسرار والخبايا في السطو على هذه الشعوب والقضاء عليها .فالتجسس سواء كان مهمة ربانية أمر بها يهوه مؤسس العقيدة العسكرية الإسرائيلية وواضع دعائمها ،أو من تخطيط ووضع القادة العسكريين ، أصبح وسيلة يُعتمد عليها قبل إدارة الحروب ،و البدء في العمليات العسكرية. محمد جلاء إدريس ،فلسفة الحرب،المرجع السابق ،ص132 ،ظاظا ،المرجع السابق ،ص 152

اغتصابه حق البكورية منه ،فرجع الرسل وأخبروه أن عيسو قد خرج إليه على رأس أربعمائة من رجاله ،فخاف يعقوب وأعدّ له هدية[1] .

أشار سفر التكوين كذلك الى ما قاله يوسف لإخوته حينما ذهبوا الى مصر أثناء المجاعة ليشتروا قمحا ،وكان أخوهم يوسف عندئذ هو صاحب النفوذ الأكبر في مصر فعرفهم ،ولكنّه أراد أن يشتد معهم أوّل الأمر توبيخا لهم على تآمرهم على قتله حين كان صغيرا فتظاهر بأنّه لا يعرفهم فقال :" ٩ جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! لِتَرَوْا عَوْرَةَ الأَرْضِ جِئْتُمْ "[2] .

وفي القرآن الكريم هناك إشارة الى أن يعقوب عليه السلام قد اعتمد التجسس كوسيلة سلمية من أجل معرفة الأخبار ،فأمر أبناءه أن يذهبوا الى مصر ويتسمعوا أو يتلمسوا من أخبار يوسف وأخيه بنيامين بلطف ،وفي خفاء ،وحثهم على البحث بجد ،وأن لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله ،وأن لا ييأسوا من رحمة الله وفضله[3] ،وفي ذلك يقول تعالى على لسان يعقوب :﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴿٨٧﴾ ﴾[4] .

ثالثا :معدات القتال في الحروب

لم يكن لبني إسرائيل أسلحة متقدمة بمقاييس عصرهم ،ولم يكونوا مبدعين في مجال التسليح ، وإنّما استخدموا ما كان شائعا من أسلحة في عصرهم ،وهي في طبيعتها بسيطة بدائية ،منها ما يصلح للدفاع ،ومنها ما يصلح للهجوم ،ومنها ما يصلح للغرضين معا[5] .

والمتتبع لآليات القتال وُمعدّاته التي استخدمها بنو إسرائيل في حروب العهد القديم ،يجد أنّه لم تكن هناك آلة قتال من ابتكار وصنع الإسرائيليين أنفسهم حتى المنجل أبسط الأسلحة ،إلّا ما كان يقع في أيديهم من أسلحة العدو ،وسبب ذلك يعود الى الحصار الذي فرضه الفلسطينيون في مجال التسليح ،واحتكارهم صناعة الأسلحة كما يقال بلغة العصر[6]

[1]- سفر التكوين 1 : 32

[2]- سفر التكوين : 42 : 9

[3]- انظر :طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 18 ،البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج3 ،مرجع سابق ،ص 506

[4]- سورة يوسف : 87

[5]- شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص444

[6]- محمد جلاء إدريس ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص226 ،ظاظا ،شريعة الحرب ، مرجع سابق ،ص118

،جاء في سفر صموئيل الأول :" [١٩]وَلَمْ يُوجَدْ صَانِعٌ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَالُوا: "لِئَلاَّ يَعْمَلَ الْعِبْرَانِيُّونَ سَيْفًا أَوْ رُمْحًا..."[1] .

وقد بيّنت نصوص العهد القديم أن أهم معدات القتال التي استخدمت في العمليات القتالية في فترات الحكم المختلفة تمثلت في الأسلحة الخفيفة ،وهي السيف ،الخنجر ،الرمح ،المقلاع ،الدروع ،الترس أو المجن ،الخوذة والأسلحة الثقيلة كالمركبات الحديدية والفرسان .أمّا السّلاح الذي استعمله الآباء في هذه الفترة ،هو السيف والحربة [2] ،وهما سلاح البدوي القديم .

القرآن الكريم لم يشر إلى هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم في حديثه عن القتال ومُعداته.

[1]- سفر صموئيل الأول : 13 : 19 – 22

[2]- سفر التكوين 34 : 1 – 2

الفصل الثالث :

التنظيم القضائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:القضـــاء

في هذه المرحلة التاريخية من عهد الآباء لما كانت الحياة القبلية لا تتطلب وجود قضاء منظّم تبعا لعدم وجود حكومة منظّمة ،كان نظام القضاء مركزي ؛إذ ظل القضاء منحصرا في يد رب الأسرة ،فكان هو القاضي لعائلته ،وهو الذي يحكم فيما يرتكبه أفرادها من جرائم وما ينشب بينهم من خلافات ،حتى إذا اتسع نطاق العائلات الى عشائر ،أصبح شيخ القبيلة هو القاضي الذي يحكم فيما يعجز أرباب العائلات عن الحكم فيه من شئون عائلة كل منهم ،كما يفصل في المنازعات بين أفراد العائلات المختلفة في قبيلته[1] .

وسلطة شيخ القبيلة سلطة أدبية أكثر منها سلطة فعلية تنفيذية ،فهو يحاول الفصل بطريق ودّي في الخلاف الذي قد يقوم بين فردين من أفراد قبيلته ،وللمتخاصمين أن يقبلا حكمه أو يرفضانه ،ولا سلطان له لفرضه على الطرفين المتخاصمين ،وأقوى شيخ في القبيلة لا يستطيع تنفيذ حكمه على أضعف فرد فيها ،ولو حاول ذلك تعرض لانتقام المدعي عليه[2] .

أمّا المنازعات بين أحد أبناء القبيلة وغيرها من القبائل فلم تكن هناك سلطة عليا فوق القبائل ،ومن تم كان الأمر متروكا للانتقام الفردي والقوة مع تطبيق قواعد التضامن بين أفراد القبيلة الواحدة[3] .

مثال ذلك كما حدث مع لوط حينما وقع في الأسر ،فعدم وجود سلطة عليا فوق القبائل يحتكم إليها الأسرى ،صار الأمر متروكا للقوة والانتقام الفردي ،وهو ما قام به ابراهيم لتخليص لوط من الأسر الذي وقع فيه على يد كدر لعومر ،الأمر نفسه مع أبناء يعقوب حينما تعرضت أختهم دينة للاغتصاب على يد حمور ابن شكيم ،فعدم وجود سلطة عليا فوق القبائل يحتكم إليها أبناء يعقوب في رد الاعتبار الى شرف العائلة ،ألجأهم هذا الأمر الى استعمال القوة والانتقام الشخصي كوسيلة لذلك، كما بيّناه سابقا.

بيّن القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى وضع الضوابط الأساسية للحياة الإنسانية وهو ما يسمى بحكم المجتمع أو الحاكمية كما يسميها البعض ،فإذا خرج الناس على مقتضى هذا النّظام أرسل الله رسله من أجل إصلاح العباد وإقامة العدل وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين النّاس طبقا لقانون الحق والعدل لاستقرار المجتمع وثبات الحكم ،لأنّ العدل

[1]- فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص189 ،صوفي ،تاريخ النظم ،مرجع سابق ،ص362

[2]- شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،189

[3]- صوفي ،المرجع السابق ،ص362

أساس الحكم وركن أساسي لقيام الدولة وبقائها ،وهو ما أبان عنه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وقد أخبر القرآن الكريم أن ابراهيم الخليل أرسله الله نبيّا وجعله إماما يُقتدي به ،فكان يدعو الناس إلى عبادة الله ،وينصر الفقراء والضعفاء ويعدل بين الناس،ويسعى إلى أن يجعل ذلك في ذريته ،وهو العهد الذي أراده الله ،بأن لا يجعل إماما ظالما يُقتدي به سواء كان من ذرية ابراهيم أو غيرها[2] ،قال تعالى :﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[3] .

تحقيق العدالة الاجتماعية وانتشار الأمن داخل المجتمع ،أشار إليه القرآن الكريم من خلال قصة الملائكة الذين أخبروا ابراهيم الخليل بوقوع العذاب على قوم لوط الذين أفسدوا في الأرض دون قوم ابراهيم الذين لم يُنذروا بالعذاب ،لأنّهم لم يرتكبوا مخالفات .

المبحث الثاني: التشريع

إذا كانت نصوص التوراة قد بيّنت أن ديانة الآباء خلت من العقائد المنظمة ،فإنّها أيضا بيّنت أن حياتهم خلت من الشرائع المنظمة لها في ذلك الوقت الذي اعتمدوا فيه على بعض العادات والتقاليد القبلية ،وبعض التشريعات البدوية ،أو شبه البدوية ،وأنّه لم يكن هناك بناء تشريعي متكامل لهذه الفترة المبكرة من تاريخ بني إسرائيل .

أولا : التشريع الجنائي

إذا كانت الشعوب التي سكنت مابين النهرين قد اعتمدت في تنظيم حياتها الاجتماعية على التشريعات ،والقوانين المنظمة كالشعب السومري والبابلي...،وأنّ الخروج على هذه التشريعات ،والقوانين يعرض الفرد للعقوبة كما يتضح من قانون حمورابى ،فإن العهد القديم يبرز أن المجتمع الأبوي لم يكن يعتمد في تنظيم حياته على قانون منّظم أو تشريع رسمي يصنّف الجرائم ويسلّط العقوبة على ارتكابها ،وإنّما كان يعتمد على مجموعة من القوانين والأعراف والتقاليد الموروثة

[1] – سورة الحديد : 25

[2] – الطبري ،تفسير الطبري ،ج2 ،ص21 ،عبد الستار قاسم ،مرجع سابق ،ص25

[3] – سورة البقرة : 124

حفظتها العشيرة من الآباء واستمرت مع الأبناء حتى أصبحت لها قوة القانون ،وأنّهم أيضا كانوا يتصرفون حسب قوانين عصرهم كما كشفت عنه الحفائر الأثرية في نوزو[1] .

ثانيا:التشريع المدني

1 – **العقود والمواثيق**:

بيّنت نصوص العهد القديم أن العهود والمواثيق في هذه الفترة كانت تُبرم مشافهة ،ولم يعرف نظام الآباء عقود موثقة لانعقاد الزواج أو البيع وغيرها ،إلا تلك العقود الشفهية التي أشارت إليها نصوص العهد القديم كتعهد يعقوب بخدمة خاله لابان سبع سنوات كشرط لانعقاد زواجه من ابنته[2] ،وتعهّد شكيم بأن يعطي أبناء يعقوب ما يطلبون لأختهم دينة[3].

2– **الأحوال الشخصية والمواريث**:

الأسرة هي الخليّة الاجتماعية الأولى في مراحل التطوّر التاريخي نحو الدولة ،حيث نمت الأسرة فكوّنت عشيرة ومع التطوّر اتسعت العشيرة إلى عدة عشائر ،وأدّى اجتماع عدة عشائر إلى تكوين قبيلة ،وباستقرار القبائل في بقعة معينة تكوّنت المدن السياسية التي تطوّرت بعد ذلك إلى الدولة بمفهومها الحديث[4] .

والأسرة في المجتمع العبري هي النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية وذلك إلى حد أبعد مما كان عليه الحال في المجتمع البدوي القديم[5] ،هذه الأسرة العبرية أسرة كبيرة لا تقتصر على الزوج والزوجة والأولاد ،بل تتكون من عناصر طبيعية تجمع بين أفراد منحدرين من جد واحد وتربطها رابطة الدم ،وهم الزوج وعدد من الزوجات والسراري والأولاد من الزوجات وزوجات الأولاد والأحفاد ،وعناصر خارجية أو اصطناعية يربطها الولاء للقبيلة وطلب الحماية وهم العبيد والجيران ،وقد

[1]– بيباوي ،دائرة المعارف الكتابية ،مج 1 ، مرجع سابق ،ص 23

[2] – سفر التكوين 29 : 18

[3] – سفر التكوين 34 : 11 – 12

[4]– محمد عاطف البنا ،الوسيط في النظم السياسية ،دار الفكر العربي ،ط2 ،1414 هـ ،1994 م ،ص 62

[5]– موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 168

كانوا قوة عاملة وحربية وبهم ازدادت قوة العشيرة وأصبح صوتها مسموعا بين العشائر الأخرى .وفي بعض الأحيان يتّسع مدلولها ليضم الشعب ككل ،بل قد تعني الجنس كلّه[1] .

ومفهوم الأسرة والنّظام الذي قامت عليه ارتبط بالتقاليد والأعراف والقوانين التي شكّلت الحياة السياسية ،الدينية ، الاجتماعية والاقتصادية .فالمفهوم السياسي كان يقوم على مبدأ القومية والدخول في العهد ،والصراع العرقي وسياسة الإقصاء بالخروج من العهد ،وأمّا المفهوم الديني فقد ارتبط بنظام النسل الذي يشكل هذه الأسرة ،والعهود والوعود والمواثيق التي تحفظ استمرارية هذا النسل ،والمفهوم الاجتماعي ينعكس في التركيبة العضوية التي تؤلف هذه الأسرة ،ونظام أو مبدأ التكافل والتعاون داخل هذه التركيبة ،وتأمين حياة الأفراد داخل هذا النّظام ،وقد ارتبط هذا بالعقود المبرمة مع الرب ،أمّا المفهوم الاقتصادي فيحدّده قانون الثروة داخل الأسرة القائم على مفهوم الانتماء والبركة .

وإذا كان الزواج في كل المجتمعات هو الإنجاب لأنّه الوسيلة المثلى للبقاء ،فإنّه عند العبرانيين أرتبط بمفهوم الأرض ،وهو ما يعني إقامة مُلك لبني إسرائيل ،لكن لا الزواج ولا النسل ولا امتلاك الأرض ،ولا إقامة الملك يتحقق إلاّ إذا توفّر شرط الختان كعهد ،أو ميثاق آخر أبرمه الرب مع ابراهيم الذي اختار له أرض كنعان ،ومنحه إياها ولنسله من بعده ،ومن ثم أمسى الختان علامة حلف الدم بين يهوه وبني إسرائيل ،ولكي يُحفظ هذا العهد الذي هو شريعة الختان كان لابد من توثيقه وإشهاره أمام جميع الشعوب[2] .

ونظام الزواج في عهد الآباء كما هو واضح من نصوص التوراة يقوم على الولاء للأسرة أو العشيرة ؛الحرص على الزواج الداخلي والابتعاد عن الزواج الخارجي ،وهي عادة مفضّلة خاصة من جهة الأب ،فقد تزوج ابراهيم من أخته سارة ،وإسحاق من ابنة عمه بناءا على نصيحة أبيه إبراهيم الذي أمر خادمه "اليعازر الدمشقي" ألّا يسعى إلى بنات كنعان ،وإنّما يذهب إلى عشيرته ،والى أرض آبائه في "فدان آرام" ليأتي بزوجة لإسحاق من هناك[3] .كما أوصى إسحاق بدوره ولده يعقوب ألّا يتزوّج بنات كنعنان ،بل يرحل إلى خاله لابان ويتزوج من بناته[4] ،وعيسو عندما ارتبط بنساء من الحثيين

[1] – سوزان السعيد يوسف ،المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها ووجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم) ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،ط1 ،2005 ،ص57

[2] – التكوين 17 : 9 -11، 15 : 18 – 21 ، 13 : 14 – 16

[3] – سفر التكوين 24 : 1 – 6

[4] – سفر التكوين 28 : 1- 8

فاضت نفس أبيه بالمرارة ،ومن ثم رحل إلى ديار عمّه إسماعيل وتزوّج ابنته[1] .كذلك كان الزواج من أقارب الأم عادة شائعة عند العبرانيين[2] .

كما حرّم على البنات الزواج من خارج العشيرة ،والتوراة تروي على مدى إصحاح كامل من سفر التكوين عن ابنة يعقوب "دينه" مع شكيم بن حمور الحوي حينما منع منه الزواج منها ،لأنّ بني إسرائيل ماكانت بناتهم تتزوّج من الأجانب[3] .ولعلّه من الأسباب الرئيسية للزواج الداخلي هو الرغبة في الاحتفاظ بثروة العشيرة داخل العشيرة نفسها حتى يأمن أبناؤها مورد الرزق ويطمئنوا على لقمة العيش[4] ،كذلك يدل على أهمية الروابط العائلية بالنسبة للآباء ،والإصرار على المحافظة على هوية هذه العائلة وتقاليدها التي تعيش الى حدّ ما في نظام التقاء ذاتي[5] .

وعلى هذا الأساس كان الزواج يخضع لهذا القانون ،فكان مجرد تصرف مدني بحث يتم بلا مقدمات أو إجراءات ،وينتهي بلا إجراءات ،ولا إرادة للمرأة ولا اختيار ،بل عليها الإذعان لقبول الرجل الذي اختاره وليّها فتتزوّج راضية أم كارهة[6] .

ظل نظام الزواج في هذه الفترة التاريخية تصرفا مدنيا خاليا من الطقوس الكهنوتية والمراسم الشكلية أو القانونية قائما على إرادة الرجل ،فإذا لم تعد المرأة تحظى في عينه أو جاوزت طور الشباب طلّقها دون قيود أو إجراءات دينية أو شكلية معقدة[7] .

كما يبرز العهد القديم أن نظام الميراث كان يخضع للقوانين والأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في العصر الذي عاش فيه ابراهيم ،فالقوانين الكثيرة المتعلقة بالوراثة التي كشفت عنها الحفائر الأثرية في نوزو تفسر اهتمام ابراهيم بأن يكون له وارث ،فبناء على تلك الشرائع كان يمكن للإنسان أن يتبنى عبدا أو خادما ويجعله وارثا شرعيا له إذ لم يكن له ابن ،وفي هذه الحالة كان يجب على الابن بالتبني أن يعتني بسيّده ،وأن يقوم بدفنه عند موته ،ويرث كل ممتلكاته ،وأن

---

[1] – سفر التكوين 28 : 9 – 10

[2] – سفر التكوين 29 : 31

[3] – سفر التكوين 34 : 1 – 31

[4] – بيومي مهران ،بنو إسرائيل،ج 4 ، مرجع سابق ،ص 606 -607

[5] – مجموعة من المؤلفين ، أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية ،د . م .ن ،ص 18 ،لومير ،مرجع سابق ،ص 10

[6] – ملكة يوسف زرار ،موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية في الإسلام والشرائع الأخرى المقارنة ،تقديم الدكتور صوفي أبو طالب ،الفتح للإعلام العربي ،القاهرة ،ج1 ،ط1 ،1420هـ ،2000 م ،ص 48

[7] – المرجع نفسه ،ص 51

يحافظ على اسم العائلة ،فإبراهيم كان يتصرف حسب قوانين عصره ،لذلك قرّر أن يجعل اليعازر وارثا لممتلكاته لعدم وجود ابنا له[1] ،وهو ما ينص عليه سفر التكوين[2] .

ما يعكسه قانون نوزو الذي ينص على أن الزوجين الذين لم يُرزقا أبناء يمكنهما أن يتبنا غلاما أمينا يتمتع بجميع الامتيازات الشرعية ،وفي النهاية يؤول إليه الميراث نظير منحه لهما العناية المتواصلة ودفنهما بعد موتهما ،نجده واضحا عندما جعل لابان من يعقوب الوريث الشرعي له ،لأنّه لم يكن له ابنا ذكر[3] .أمّا إذا ولُد ابن فإنّه يلغي هذه الإجراءات ويصبح هو الوارث الشرعي ،كما كان يمكن وجود وارث عن طريق جارية ،فعندما ولدت هاجر إسماعيل كان من الطبيعي أن يجعله ابراهيم الوارث الشرعي له ،وأن يهتم بهاجر وبمصالحها على أن الجارية التي تحبل وتلد لا يمكن بيعها بيع الرقيق ،وعلاقة ابراهيم بسارة وهاجر مثال للعادات التي كانت سائدة في ما بين النهرين[4] .

القرآن الكريم بيّن أنّ الدين عند الله هو الإسلام ،قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[5] ،وأنّ الإسلام هو دين الأنبياء جميعا ،وهو شريعة الله الخالدة التي تُعدّ دستور الأمّة ،هذه الشريعة هي القاعدة التي أقيم عليها بناء الأمّة والمنطلق الذي ارتكزت عليه في حضارتها ،لأنّها تناولت شؤون الحياة كلّها عقيدة وعبادة واجتماعا واقتصادا وسياسة وحكما ،وحدّدت أصول الأحكام في الأحوال الشخصية والمعاملات والعقوبات ،وقد ذكر القرآن الكريم أنّ ابراهيم الخليل ابتلاه الله بشرائع الإسلام ،ففي حديث ابن عباس لم يُبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلاّ ابراهيم[6] ،قال تعالى :﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾[7] ،وأنّه عليه السلام هو المؤسس الأول لملّة الإسلام التي أصبحت ملّة الآباء ابراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ،قال تعالى :﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾[8] ،فكان عليه السلام السلام من الأنبياء الذين خصّهم الله بشريعة الإسلام بل كان من أولي العزم من الرسل ،قال تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ

---

[1]- بيباوي ، دائرة المعارف الكتابية ،مج 1 ، مرجع سابق ،ص 23

[2]- سفر التكوين 15 : 2 – 4

[3]- صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص48

[4]- المرجع السابق ،ص 23 ،صموئيل شولتز ،المرجع نفسه ص44

[5]- سورة آل عمران : 19

[6]-الطبري ،تفسير الطبري ،ج 2 ،ص 7

[7]- سورة البقرة : 124

[8]- سورة الحج : 78

ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴿١٣﴾ ﴾[1] .وقوله تعالى :﴿ لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[2] .

هذه الشريعة أصبحت بنصّ الوصيّة هي الدين الرسمي ودستور الأمّة على مر الزمان والأيام ،قال تعالى :﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[3] .

القرآن الكريم لم يذكر تفاصيل التشريعات التي أوردتها نصوص التوراة ،لكنّه أشار إلى أن الله أوحى إلى إبراهيم الخليل ،وأنزل عليه كتب تسمى الصحف ،قال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[4] .

﴾[4] . كذلك أشار إلى بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات كالصلاة والحج،قال تعالى:﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] .

أمّا فيما يخص الأحكام المتعلّقة بالأحوال الشخصية والمواريث ،فيذكر تعالى عن خليله ابراهيم أنّه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربّه أن يهبه ولدا صالحا يريد منه أن يكون نموذجا إيمانيا يرثه في حمل الفضائل وتطبيق منهج الله[6] ، وهو ما

---

[1]- سورة الشورى : 13

[2]- سورة المائدة : 48

[3]- سورة البقرة : 132 – 133

[4]- سورة الأعلى : 18 – 19

[5]- سورة الحج : 27

[6]- الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 103

أشار إليه قوله تعالى :﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[1] .

كذلك فيما يخص العهود والمواثيق فقد أشار إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة ،وبيّن قيمتها من خلال بيان أن هذه العهود والمواثيق هي علاقة ثقة متبادلة بين طرفين ،وقد سُمّيت تعاليم الإسلام بالميثاق ،لأنّه يجمع بين الإسلام والإيمان ،ففي الإسلام عبادة الله وفي الإيمان إقامة الشعائر والمناسك ،والميثاق أهم من العهد والمعاهدة ،ولتأكيد أن الثقة المتبادلة بين الطرفين أهم من العهود[2] ،قوله تعالى :﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[3] .

خلاصة الكلام أنّ كل من العهد القديم والقرآن أشار إلى نظام الحكم في عهد الآباء كان قائما على أساس التشريع ،إلاّ أن العهد القديم يذكر أن مصدر التشريع هي التقاليد والأعراف ،بينما القرآن يؤكد أن مصدر التشريع هو الوحي .

[1]- سورة الصافات : 99 – 101

[2]- محمد شحرور ،الإسلام والإيمان ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،ط 8، 1996 م ،ص ص 163 – 165

[3]- سورة يوسف : 66

الباب الثاني

النظام القبلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

التنظيم السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الأوضاع السياسية

في هذا المبحث نتحدث عن واقع بني إسرائيل في ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية من بعد يوسف ،وعن أسباب الصراع الذي وقع بين بني إسرائيل وفرعون من جهة ،وبين فرعون وموسى من جهة أخرى ،كما نصّت عليه نصوص العهد القديم والقرآن الكريم .

من بعد زمن يوسف تغيّر الوضع السياسي لبني إسرائيل ،وتأزّمت العلاقات بين المصريين ،وبين بني اسرائيل في ظل النظام الجديد ،حيث نتج عن ذلك صراعا سياسيا بين الطرفين ،وذلك للأسباب التالية :

كان بنو إسرائيل من بعد يوسف أسرة صغيرة أخذت تنمو وتزداد حتى صارت قبيلة كبيرة لا كيان لها ،ولا حكومة فيها ولا شارع ولا وازع ينظر في أمورها ويرد قويها عن ضعيفها ،متفرقة في أرض مصر عرضة للعبودية والسخرة والإهانة ،فاتجهوا بولائهم الى جماعتهم فأصبحت هذه الجماعة هي دينهم وهي موضع تقديسهم ،وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط[1] .

الشعور العدائي الذي أبداه رمسيس الثاني في عهد الأسرة التاسعة عشرة بسبب ما ناله بنو إسرائيل من امتيازات في عهد الهكسوس على حساب المواطنين المصريين الضعفاء ،جعل الحكم الجديد يخشى تواطؤ بني إسرائيل مع الهكسوس ضد الدولة لقلب نظام الحكم القائم بسبب ما ظهر من تعاون وثيق بينهم وبين الهكسوس الذين استعمروا مصر حقبة من الزمن[2] .

يقول أحمد بدوي :حينما تنزل بالمصريين الأزمات والشدائد يتنكر لهم بنو اسرائل فيعملون على إفقارهم ،وإضعاف الروح المعنوية بين طبقات الشعب ابتغاء السيطرة على وسائل العيش ليفرضوا عليهم سلطانهم تارة عن طريق الضغط الاقتصادي ،وأخرى عن طريق الدين والعقيدة[3] .

بعد أن فقد بنو إسرائيل حليفهم الدائم الهكسوس الذين تم طردهم في عهد الأسرة الثامنة عشرة على يد الملك أحمس ،أصبحوا يواجهون سياسة مصرية جديدة تمثلت في وضع مخطط انتقام منظّم ودقيق للقضاء عليهم بسبب أنّهم تكاثروا تكاثرا سريعا ،وعاشوا في عزلة عن الشعب يتعالون بنسبهم ويفسدون ،فقد أبوا أن يندمجوا في الشعب المصري ،وعزلوا أنفسهم عنه ،وتواصوا فيما بينهم أن يكون لكل سبط نسله المعروف والمميز عن بقية الأسباط حتى أصبحوا وكأنّهم

[1] – فوزي محمد أبو زيد ،بنو إسرائيل ووعد الآخرة ،دار الإيمان والحياة ،المعادي ،القاهرة ،ط1 ،1432 هـ ،2011 م ، ص29 ،أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص50

[2] – الخالدي ،مرجع سابق ،ص209

[3] – فوزي محمد أبو زيد ، المرجع السابق ،ص15

يكوّنون دولة داخل الدولة ،فصاروا عبئا على المصريين بنزعتهم العنصرية الضيقة (العزلة – الاختيار- التجمع) ،وخطرا على سيادة الدولة وعلى أمنها وكيانها السياسي ،فأصبحوا بذلك موضع كراهية حتى صار التخلّص منهم ضرورة من ضرورات الأمن لمصر وشعبها ،في وقت كانت مصر فيه تستعد لخوض حرب من سلسلة حروبها الطويلة التي فرضها عليها موقعها[1] .

لم يكن دافع فرعون مصر لاضطهاد بني إسرائيل مساعدتهم الهكسوس على استعباد المصريين فحسب ،بل قيامهم بأعمال تعد خيانة عظمى للوطن ،فقد كانوا يهرّبون أولادهم من التجنيد أو أعمال الحرب ،وانتهزوا فرصة انشغال فرعون وجيشه في محاربة الليبيين على الحدود الغربية ،فقاموا بتهريب الغلال والماشية والذهب الى سوريا والبلاد الأسيوية ،وكانوا يشرفون على مخازن التموين وصوامع الغلال في مدينتي بر رعمسيس ومنف ،ممّا سبّب مجاعة في البلاد ،وتوقّف إمداد الجيوش المحاربة بالتموين ،فأوقف فرعون معاركه وعاد الى العاصمة ،حيث أعدّ خطة للقضاء عليهم[2] .

اتبع فرعون سياسة التسخير والقتل للتخلص من بني إسرائيل بعد أن حوّلهم الى عبيد للدولة يعملون في مشاريع للملكة ،حيث جعلهم أذلّة رازحين في أعمال عنيفة بالسخرة كحراثة الأرض كغيرهم من سكان البلاد ،والاشتراك في تجهيز مواد البناء ،وتشييد المباني وإقامة العمران ،والقيام بالأعمال المنزلية لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة والتجارة وتنمية المواشي بواسطة الرعي بدون أي جهد ،ثم أصدر قرار في عام1350 ق.م يقضي بقتل الذكور واستبقاء الإناث[3] .

جاء في التوراة :" [8]ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. [9]فَقَالَ لِشَعْبِهِ: "هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. [10]هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ

[1]- فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 55 ،عبد الغني عبود ،اليهود واليهودية والإسلام ،دار الفكر العربي ،ط1 ،1982 م ،ص111 ،عبد الغني عبود ،أنبياء الله والحياة المعاصرة ،مرجع سابق ،ص77 – 78 ،محمد أحمد الخطيب ،مقارنة الأديان ، دار المسيرة ،عمان ، ط1 ،1428 هـ ،2008 م ،ص 46

[2]- سيد كريم ،لغز الحضارة المصرية ،ص 451 ،نقلا عن :محمد يونس هاشم ،الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2010 م ،ص 224 – 225

[3]- طارق محمد العماوى ،أسرار المعبد اليهودي ،دار الفكر الحديث ،القاهرة ،د ط ، د ت ، ص25 ،بديع السيوفي ،مرجع سابق ،ص26 –27 ، محمد راشد ،ملوك مصر القديمة ،مرجع سابق ،ص 263 ،متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص 28

مِنَ الأَرْضِ". ١١فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ،.. ١٣فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ"[1]. " فَقَالَ الرَّبُّ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ "[2] .

في القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تصور الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان عليها بنو إسرائيل بعد يوسف عليه السلام ،منها قوله تعالى :﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3] .

كان فرعون ملكا على منطقة واسعة من الأرض له الغلبة والسلطان على أهلها ،فامتدت سلطته من مصر الى بلاد النوبة حتى بلاد الأحباش جنوبا ،والى بلاد الشام والرافدين شرقا ،ومن تم فقد كانت سلطته السياسية متسعة ومتسمة بمظاهر العلوّ والعظمة[4] ،كما دلّت الآثار على القدرات الهائلة التي كانت تمتلكها مصر في زمن فرعون موسى[5] .

إن وضع المجتمع المصري عموما بيّنته هذه الآية الكريمة "وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا " ،فعلى خلاف الوضع السياسي كان الوضع الاجتماعي في غاية الفوضى والتمزق العرقي والطائفي ،ففرعون كان يهدف للقضاء على أيّة معارضة ضده تنازعه الملك ،وتهدّد سلطته بحجّة الإخلال بالنّظام ،والإهدار لمصالح الدولة ومخالفة القانون ،لذلك اتّخذ إجراءات تهدف الى تشتيت المجتمع المصري ،حيث فرّق بين أهل مصر وجعلهم شيعا ممّا أضعفهم وقلّل من قوّتهم ،ولم تبق غير قوّته وقوّة قومه ،فقد كان يغدق الأموال والمناصب على كل من يؤيّده ويناصره ،وينفّذ أوامره ويسانده على تثبيت حكمه من أهل مصر ،ومنهم على سبيل المثال قارون الذي كان من بني إسرائيل[6] .

---

[1] - سفر الخروج 1 : 8 – 13

[2] - سفر الخروج 3 : 3 – 5

[3] - سورة القصص : 3 – 5

[4] - محمد عصمت بكر ،مرجع سابق ،ص58 - 59

[5] - المرجع نفسه ،ص129

[6] - ابن كثير ،قصص الأنبياء ، مرجع سابق ،ص378 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 6 ،ص 220 ،السعدي ،تفسير السعدي ،ج1 ،ص611 ،القرطبي ، تفسير القرطبي ،ج 13 ،ص 248 ،الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 202 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم ،مرجع سابق ،ص 96

أمّا وضع المجتمع الإسرائيلي على وجه الخصوص ،فقد بيّنته هذه الآية الكريمة "يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ"،إذ أصبح بنو إسرائيل تحت سلطة فرعون ،وفي مجتمع يسوده التمزق الاجتماعي والتمييز العنصري ،يتعرضون الى التعذيب والقتل ،والتسخير واستحياء النساء من قبل فرعون وقومه ،وذلك أن فرعون جعل من رجال بني إسرائيل خدما وخولا وصنّفهم في الأعمال ،فصنف يبنون ،وصنف يحرثون ويزرعون ،وصنف يخدمونه ،ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية ،وبذلك أهينوا غاية الإهانة ،وأوذوا غاية الأذية ،وقد كانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض[1] .من أجل ذلك قالوا لموسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى :﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾[2] .

هذا الصراع كان سببه كما ذكر أهل العلم والتفسير يعود الى : أن الكهنة أخبروا فرعون بعد تفسير حلمه بأن زوال ملكه يكون على يد مولود من بني إسرائيل[3] .

بنو إسرائيل كانوا يتدارسون بينهم فيما يأثرونه عن ابراهيم عليه السلام أنّه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه[4] .

بشارة يوسف عليه السلام الذي أكد فيها خروج قومه من مصر الى الأرض المقدسة على يد نبي يبعثه الله من بعده ،حيث أوصى الخارجين بحمل جثمانه معهم[5] .

زيادة أعداد ونفوذ بني إسرائيل على حساب المصريين ،وإثارة أعمال الشغب والثورة ورفضهم كافة أنواع السخرة ،أو بسبب أنّهم احتلوا المناصب الرئيسية وتمركزوا على اقتصاد البلاد وغصبوا خيراتها ،أو أيضا بسبب استهتار بني إسرائيل بالآلهة المصرية وتكسير صورها وذبح بعضها[6] .

---

[1]- البغوي ،تفسير البغوي ،ج1 ،ص 90 – 91 ، ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج6 ،ص 220 ،عصمت بكر ،مرجع سابق ،ص58 وما بعدها

[2]- سورة الأعراف : 129

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج1 ،ص91 ،البغوي ،تفسير البغوي ،ج 1 ،ص 90 – 91

[4]- ابن كثير ،قصص الأنبياء ،مرجع سابق ،ص 378 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج6 ،ص 220 – 221

[5]- محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 120

[6]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها ،الأعظمي ،مرجع سابق ،ص72

ديانة التوحيد التي انتشرت على عهد يوسف عليه السلام ،ومن بعده على نطاق واسع في عهد أسر الرعاة ،فلمّا استرد الفراعنة زمام الأمور في الأسرة الثامنة عشر أخذوا يقاومون ديانة التوحيد ممثلة في ذرية يعقوب التي تكاثرت لإعادة الوثنية ،ذلك أن انتشار عقيدة التوحيد الصحيحة يحطّم القاعدة التي يقوم عليها مُلك الفراعين[1] .

القرآن الكريم أشار الى أن موسى عليه السلام كان طرفا في هذا الصراع العنصري الطائفي الذي لا يتعلق بدين أو عقيدة على إثر الجريمة السياسية التي ارتكبها في حق مواطن مصري حين قتله دفاعا عن مواطنه الاسرائيلي الذي كان يريد أن يرفع عن نفسه ذل العبودية والتسخير الذي طالما شاهده موسى وهو في القصر الملكي ،إلّا أنّه كان لا يستطيع أن يفعل شيئا لإنقاذ بني إسرائيل منه .هذه الحادثة تحوّلت في عيون الشعب المصري الى قضية سياسية حساسة جدا ،لأنّها قضية عنصرية ،حيث وضعت فرعون في أحرج موقف سياسي أمام شعبه الذي ثار يطالب بقتل موسى عليه السلام ،لأن هذا الأخير ليس من عامة النّاس ،ولكنّه من وجهاء القصر الملكي ،إلّا أنّه أمام مطالب الشعب وثورته استجاب فرعون لذلك ،فعقد اجتماع لمجلس البلاط ومجلس الوزراء ،واصدر قرارا بقتله[2] .

هكذا تحوّل موسى عليه السلام الى عدو الشعب الأول ،وأصبح ملاحقا قضائيا ،ومطاردا من قبل الدولة وأجهزتها الأمنية يتوقع أن يقع في أيديها[3] .

هذه الحادثة يقصها القرآن الكريم فيقول :﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4] ،وقوله تعالى :﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[5] .

---

[1]- سيد قطب ،تفسير الظلال ،ج12 ،ص 19

[2]- محمود شلبي ،حياة موسى ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،1407 هـ ، 1987 ،ص 75 وما بعدها ،عصمت بكر ،مرجع سابق ،ص82 ،بهجت ،مرجع سابق ،ص 197 – 198

[3]- عصمت بكر ،المرجع نفسه ،ص87

[4]- سورة القصص : 15

[5]- سورة القصص : 20 – 21

خلاصة القول في هذا الحديث ،هو اتفاق التوراة والقرآن الكريم على وجود صراع سياسي بين فرعون وبني إسرائيل من جهة ،وبين فرعون وموسى من جهة أخرى ،وأن كلا منهما أبان عن قوة فرعون في قتل الذكور واستحياء النساء ،وإذلال بني إسرائيل واستغلالهم الى حد يفوق الطاقة البشرية ،إلّا أن القرآن الكريم أبان عن الدافع لذلك ،وهو تأليه فرعون لنفسه تدعيما لسلطته ،جاء توضيح ذلك في عدة سور من القرآن الكريم[1] ،منها قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] .وبما أن تأليه فرعون لنفسه كان نابعا من قصد الإبقاء على سلطته ،فذاك يعني أن القصة القرآنية تشدّد على ربط مسألة التأليه بنظام الحكم وقتئذ[3] .

المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم

1 – تعيين موسى :كان نظام توليّ السلطة في هذه المرحلة التاريخية من حياة بني إسرائيل يتم وفق نظام التعيين ،فموسى ثم تعيينه لهذه القيادة من قبل الرب الذي أراده أن يكون أوّل من يتولىّ مسؤولية قيادة بني إسرائيل من العبودية الى الحرية وتأسيس الدولة .فقد ناداه الرب من وسط العليقة وهي تتوقد بالنار ،وأوحى إليه وهو يرعى الغنم في جبل الله حوريب ،وأعلن له أنه سينقذ بني إسرائيل ،وأمره أن يذهب الى فرعون ليطلقهم ،جاء في سفر الخروج :" [1]وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ. [2]وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ.. [10] فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ."[4] .

القرآن الكريم ذكر أن موسى عليه السلام لما بلغ أشدّه واستوى ،وهو احتكام الخَلق والخُلق ،وهو سن الأربعين ،آتاه الله حكما وعلما، هي النبوة والرسالة[5] .يقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [6] .

---

[1]– سورة غافر : 36 – 37 ،سورة النازعات : 23 – 24

[2]– سورة الشعراء : 29

[3]– زاهية الدجاني ،المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى ع وفرعون ،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1418 هـ ،1998 م ،ص ص161 – 163

[4]– سفر الخروج 3 : 1 – 10

[5]– ابن كثير ،قصص الأنبياء ، مرجع سابق ،ص384

[6]– سورة القصص :14

وقد أوتي موسى عليه السلام هذا الحكم والعلم بعد أن اصطفاه الله واختاره على النّاس ،قال تعالى :﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾[1] .هذا الاختيار والاصطفاء كان قمة التشريف لموسى عليه السلام ،ذلك أن الله اصطنعه لنفسه ،وأوحى إليه واختاره رسولا الى فرعون[2] ،وقوّاه وعلّمه تبليغ أوامره ونواهيه[3] ،قال تعالى :﴿ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ﴾[4] .

كذلك أبان القرآن الكريم عن الحالة والزمن والمكان الذي تلّقى فيه موسى عليه السلام الوحي من ربه وإبلاغه النبوة والرسالة ،كان ذلك وهو عائد من مدين الى مصر بعد أن قضى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم[5] ،جاء ،جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ ﴾[6] .وقال تعالى :﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ ﴾[7] .

بيّن القرآن الكريم أيضا أن مهمّة موسى عليه السلام عند فرعون محدّدة ،وهي أن ينقذ بني إسرائيل من الاضطهاد الفرعوني ،وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر ،ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى على لسان موسى :﴿ فَأَرۡسِلۡ

---

[1]- سورة الأعراف : 144

[2]- بهجت ،مرجع سابق ،ص 208

[3]- القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج 11 ،ص 198

[4]- سورة طه : 40 – 41

[5]- ابن كثير: تفسير ابن كثير ،ج 5 ، ص275 – 276 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج11 ،ص 171 – 172 ،الطبري ،تفسير الطبري الطبري ،ج 18 ،ص 275 وما بعدها ،الصابوني ،مرجع سابق ،ص 186

[6]- سورة القصص : 29 – 30

[7]- سورة طه : 9– 13

مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] ،وقوله تعالى :﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] ،وقوله تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3] .

خلاصة القول :أن القرآن الكريم اتفق مع العهد القديم في تعيين موسى عليه السلام وبداية التكليف ،ولكن اختلفا في أحداث وطريقة تلقي وحي النبوة ،فالقرآن أشار أن ذلك تم أثناء العودة بعد انقضاء الأجل ،وكان بعد أن ذهب الى النار لطلب الهدي أو الاستدفاء .أمّا العهد القديم فيذكر أنّه تم أثناء رعي الغنم قبل انقضاء الأجل .

2 – تعيين يشوع :تبعا لنظام الحكم الذي أقرّه موسى ،تمّ اختيار يشوع أحد أصفياء موسى لخلافته من قبل الرب ، وبتعيين من موسى نفسه ،حيث أخذه وأوقفه أمام الكاهن إلعازار ابن هارون أمام بني إسرائيل ،ثم قام موسى ويشوع ووقفا معا في خيمة الاجتماع ،حيث تراءى لهما مجد الرب ،كما جاء وصف ذلك في نصوص التوراة[4] .

بهذا التعيين أصبح يشوع قائدا على رأس المؤسسة السياسية ،الكهنوتية والعسكرية في بني إسرائيل[5] ،يقول سفر التثنية التثنية في ذلك :" [9]وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ كَانَ قَدِ امْتَلأَ رُوحَ حِكْمَةٍ، إِذْ وَضَعَ مُوسَى عَلَيْهِ يَدَيْهِ، فَسَمِعَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى"[6] .

بعد هذا التعيين ،كان دوره الأهم هو قيادة بني إسرائيل للاستيلاء على أرض فلسطين ،يقول سفر يشوع :" [1]وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً: [2]"مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ."[7] .

---

[1]– سورة طه : 47

[2]– سورة الشعراء : 16 – 17

[3] – سورة الأعراف : 104 – 105

[4]– سفر التثنية 30 : 14 – 16

[5]– إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص 145

[6]– سفر التثنية 34 : 9

[7]– سفر يشوع 1 : 1 – 3

تذكر المصادر الإسلامية أن يوشع بن نون تولىّ رئاسة بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون عليهما السّلام ،وهو أحد أصفياء موسى عليه السلام ،اختاره قبل موته لقيادة بني إسرائيل ،والدخول بهم الى الأرض المقدسة بعد سنين التيه[1].

ويذكر الثعلبي أنّه لما انقضت أربعون سنة ومات موسى،بعث الله يوشع بن نون نبيّا فأخبرهم أنّه نبي الله،وأنّ الله أمره بقتال الجبّارين فصدّقوه وبايعوه[2].

ويذكر الطبري حديث الربيع :أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة استخلف فتاه يوشع بن نون على بني إسرائيل ،وأن يوشع بن نون سار فيهم بكتاب الله التوراة وسنّة نبيّه موسى[3] ،ذكره الله تعالى في القرآن الكريم غير مصرّح باسمه ،قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾[4] ،وقوله ،وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[5] .

خلاصة القول أن كل من العهد القديم والقرآن الكريم اتفق على أن يوشع بن نون تولى قيادة بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام بتعيين منه ،إلاّ أن القرآن الكريم لم يذكر اسمه ،أو التفاصيل التي أوردها العهد القديم .

المبحث الثالث :المهام السياسية

أراد موسى بعقلية رجل الدولة الذي تربى في أروقة السلطة في مصر ،بل وتربى في بلاط فرعون ،وبروح رجل الدين الذي تعلم العبادة من حميه يثرون في مدين ،وفي سيناء كيفية إدارة وتنظيم الشعب أن يصنع من ذلك الشعب المستعبد والمنبوذ كيانا سياسيا ويقيم به دولة ،الى ديانة يصهر تلك الأشتات المتنافرة المتناحرة في أتونها ،ويطرق معدنهم ليحوّله الى سيف ذي حدين يصنع به نقمات في الأمم ،وتأديبات في الشعوب ،ويسلب به الأرض اللّازمة لإقامة ذلك الكيان السياسي من أصحابها ويطهرها من وجودهم بإبادتهم[6] .

فمن خلال نصوص التوراة ،كان موسى دوما يسعى الى أن يجمع أتباعه في إطار الوحدة السياسية الدينية ؛أي وحدة

---

[1]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 69

[2]- الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 329 – 330

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 5 ، ص 296

[4]- سورة الكهف : 60

[5]- سورة الكهف : 62

[6]- فراس السواح ،آرام دمشق ،مرجع سابق ،ص 61 ،شفيق مقار ،السحر في التوراة والعهد القديم ،رياض الرئيس للكتب والنشر ،لندن، ،لندن، ط1 ،1990 م، ص216

سياسية يجمع شملها الدين ،ووحدة دينية هدفها تحقيق الأغراض السياسية ،لهذا كانت وصاياه دوما متشدّدة في الرأفة والشفقة ،فالإنسانية لا وجود لها في برنامجه ،وأي شفقة أو رحمة تكون بمثابة مخالفة صريحة لتشريعاته المستمدة من الإله يهوه ،لذلك كان يشدّد على الالتزام بتعليماته وقراراته وحفظ الوصايا[1] .

ظهور موسى القاضي الأول والقائد السياسي والعسكري الذي أمتلك زمام السلطتين الدينية والسياسية بتعين وتكليف من قبل الله مباشرة ،ومؤيّد بمعجزات خارقة هزت مصر كلها ودمرت جيش فرعون ،استطاع أن ينظّم بني إسرائيل تنظيما خاصا على أنّهم الشعب المقدس المختار صاحب الإله الخاص الذي لا يريد لهذا الشعب أن يختلط بالأمم الأخرى ،فكان يغذي فيهم عقيدة التفوق والعنصرية والانعزالية تجاه كل الشعوب والأمم الأخرى ،وكونه كان ناطقا باسم يهوه ، كانت وصاياه مبرمجة ومنظّمة لا مجال للنقاش فيها[2] .

اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في أن موسى عليه السلام كان دوره أساسي في قيادة بني إسرائيل ،فهو القائد الفعلي الأعلى ،والموجه الكبير للسياسة ،والمشرف الأعلى على تنفيذها ،وهو حافظ الدين وحاميه ،والمطبق لأحكام الشرع وأصوله كما جاءت في التوراة ،هذا ما بيّنه القرآن الكريم في حديثه عن موسى عليه السلام عندما ذكر أن أوّل مهمّة محددة قام بها ،هي إنقاذ وتحرير بني إسرائيل من الاضطهاد الفرعوني ،وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر ،ثم تأسيس الدولة وبنائها ،ورد ذلك في آيات كثيرة منها ما جاء في قوله تعالى على لسان موسى :﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[3] ،وقوله تعالى :﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[4] ،وقوله تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[5] .

---

[1] – علي خليل ،مرجع سابق ،ص54

[2] – المرجع نفسه ،ص 51

[3] – سورة طه : 47

[4] – سورة الشعراء : 16 – 17

[5] – سورة الأعراف : 104 – 105

هذه المهمّة السياسية كي تتم بنجاح كان لابد أن يكون موسى عليه السلام بطلا قويّا ،ورجل صراع ونضال من الطراز الأول ،لأنّه يريد أن يضرب نظاما فاسدا ويدمّره تدميرا ،وأن يكون أيضا رجلا حازما شديدا وقويّا ،لأنّه يريد أن يقود شعبا كان مستذلا مستعبدا ومسخّرا الى آفاق الحرية والعزة والاستقرار ،والتخلّص من طبيعة البداوة والحل والترحال[1] ، قال تعالى : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2] ،وقال تعالى :﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] .هذه الصفات جعلت من موسى عليه السلام مثالا لأتباعه يتجمعون من حوله ويُعجبون به ،قال تعالى :﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴿٣٩﴾ ﴾[4] .

من بعد موسى أكمل يشوع مشروع الدخول إلى الأرض المقدّسة من أجل الاستيطان الدائم ،وتحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي ،فبعد أن تسلّم القيادة ،وترأس المؤسسة الكهنوتية والعسكرية على أساس أن الله هو الذي يحكم الشعب حكما مباشر ،أقام اجتماعا موسّعا في شكيم (نابلس) دعا إليه شيوخ الأسباط ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم وأوقفهم على ما قاله له يهوه ،ثم حذرهم قائلا :" [14]فَالآنَ اخْشَوْا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَال وَأَمَانَةٍ "[5] .

في هذا الاجتماع أراد يشوع أن يرسّخ سلطة المؤسسة ويحكم قبضتها عن طريق إفراد يهوه وإعلاء ديانته ،وبالتالي السلطة المركزية القويّة التي تُغلّب تحقيق الطموحات الإقليمية والأهداف السياسية العليا على المصالح القبلية وما يحدث بين الأسباط من مشاحنات وحزازات ،أمّا الوسيلة التي اتبعها في ذلك ،هي تخويف الشعب تلويحا بسحب دعم يهوه له ،وقد نجح يشوع في تحقيق هدفه ،لأنّ الشعب لم يكن راغبا في المقامرة بضياع مكاسبه التي لم يكن يحلم بمثلها من الأرض والثروة والمدن والمزارع والكروم والزيتون...،لذلك وافق رؤساء القبائل على كلمات يشوع ،وصرخوا بأن الرب هو الله وأنّه ملِكهم[6] .

ولقد حرص يشوع في قيادة بني إسرائيل نحو الأرض المقدّسة على إشراك القبائل الإثنتي عشرة ،فكان نظام الحكم أقرب الى النّظام الفدرالي ،فكل قبيلة يحكمها شيخها ولها قوانينها الخاصة بها ،لكنّهم يتجمعون معا في حالة القتال ،أو

[1]- محمود شلبي ،حياة موسى ،المرجع السابق ،ص ص 479 – 483 ،فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ، مرجع سابق ،ص 56

[2]- سورة الأعراف : 137

[3]- سورة القصص : 26

[4]- سورة طه : 39

[5]- سفر يشوع 24 :1 ، 24 : 14

[6]- شفيق مقار ،قراءة سياسية للتوراة ،مرجع سابق ،ص264

المهام القومية الضخمة ،وهكذا استطاع يشوع أن يحافظ على تنظيم ووحدة القبائل ،ويؤسس لتاريخ جديد في حياة بني إسرائيل بعد دخول أرض فلسطين[1] .

أولا : السياسة الداخلية

1- الشؤون السياسية

أ- تحرير بني إسرائيل :

إنّ أوّل عمل سياسي قام به موسى بدأ من مصر ،وهو تحرير بني إسرائيل من الاحتلال والعبودية ،ورفع يد فرعون عنهم ،فرغم سنوات الاستقرار في مدين والاهتمام بشئون الأسرة ،إلّا أنّه في الطرف الآخر كانت سياسة الاضطهاد والإبادة المتنامية لشعبه تشغله وتؤثّر في نفسه ،فكان يفكر فيما آل إليه مصير أبناء إسرائيل من الانحطاط الديني ،السياسي والاجتماعي ،لذلك استولى عليه واجبه الديني ،الأخلاقي والسياسي اتجاه شعبه الاعتراض على نفوذ فرعون وسطوته والمطالبة بوقفها ،والسعي لتحرير هذا الشعب ،ولم يتمكن موسى من ذلك إلاّ بعد محاولات عديدة ومتكررة من حوار وجدال وصراع بينه ،وبين فرعون السلطة الحاكمة في مصر بسبب التحصينات والرقابة الدقيقة على حدود مصر وشبه جزيرة سيناء ،فكان العبور في كلا الاتجاهين مرهونا بالحصول على تسريح من السلطة المصرية .وأيضا بسبب أنّه كان لوحده يواجه نظاما بأكمله رغم أنّه كان لبني إسرائيل في مصر شيوخ ،لكنّهم لم يلتفوا حوله ،ولم يكونوا قادرين على القيام بمسئولية قيادة الشعب ،كما أنّه لم يكن له بعد تصوّر لبنية وتنظيم الشعب[2] .

ما حدث بين فرعون وبين موسى،هو صراع بين القوة المادية والقوة الروحية ،ففرعون على رأس دولة تمتلك الأجهزة ووسائل البطش المنظّم اعتمادا على السلاح بموازين ذلك الزمن ،وعلى التمويل المالي ،والدعاية الإعلامية لكسب تأييد عامّة الشعب بما فيهم بنو إسرائيل ؛أي بمعنى قوة آلية في طابعها موجهة نحو الظلم والطغيان ،وموسى كمعارض لفرعون ومناهض للسلطة السياسية لم يكن يملك من القوة المادية ما يواجه به هذه الدولة ،إلّا أنّه كان مزودا بآليات مكّنته من أداء مهمّته في مجابهة فرعون وإخراج بني إسرائيل من مصر ،وهدم قواعد الظلم التي نشأت ضدهم كأول مسؤولية روحية أُلقيت على عاتقه[3] .هذه الآليات التي استخدمه موسى هي :

---

[1] - إكرام لمعي ،مرجع سابق ،ص 33 ، أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص71

[2]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 162 – 163 ،إسرائيل فنكلشتاين ،التوراة اليهودية ،ص ص93 – 96 ، رينهارد لاوت،ابراهيم وأبناء عهده مع الله ،ترجمة غانم هنا ،خطوات للنشر والتوزيع ،دمشق ،ط1 ،2006 م ،ص262

[3]- زاهية الدجاني ، المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ،ص73 وما بعدها

1 – **لغة الحوار** : ذكرت التوراة أن أول الآليات التي استخدمها موسى في مواجهة فرعون ،هي لغة الحوار كوسيلة سلمية لإطلاق شعب إسرائيل ،كان ذلك أمرا وتكليفا من الرب ،جاء في التوراة :" [1]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي "[1] .والحوار الذي دار بين فرعون وموسى بعد أن دخل عليه يشير إليه هذا النص :" [1]وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ".[2]فَقَالَ فِرْعَوْنُ: "مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ...."[2] .

إلاّ أن الحوار انقلب بين الطرفين إلى صراع بسبب رفض فرعون طلب موسى وعدم التنازل بسهولة عن موقفه ،لأنّه شعر بالخطر بعد أن أبلغه هارون وموسى أنّهما موفدان من قبل الرب إله إسرائيل ،وأدرك أيضا أن خضوعه لطلب موسى ولو لمجرد السماح لبني إسرائيل بالاحتفال بطقوسهم هو تهديد لمكانته ونوع من الإذعان لموسى ،رغم أن موسى كانت رغبته فقط السماح لبني إسرائيل بالخروج ،وأن كلامه لم يأت بصيغة التهديد لمكانته أو إجباره على الخضوع عقائديا للإله يهوه[3] .

أمّا السبب الذي دعا فرعون الى منع بني إسرائيل من الخروج رغم أنّهم كانوا غرباء أعداء للشعب المصري واقتصاده ، هو أن النّظام المصري يقوم في بنيانه الأساسي على استعباد بني إسرائيل واستغلال عملهم وجهدهم وطاقاتهم في الدولة ،لذا كانت حاجة فرعون لهم لقيامهم بأعمال السخرة كحراثة الأرض ،وإقامة العمران وغير ذلك من المهن الوضيعة ،وكذا بغضه لهم ؛لأنّهم ثاروا على حكمه وتجرؤوا على مخالفته ،ورفضوا أن يدينوا له ،وأن يعتبروه ربهم الأعلى ،فهم بهذا طعنوه في كبريائه وأهانوه في غطرسته ،لذلك نقم منهم وحرص على أن يبقوا عنده ليقوم بإذلالهم متى أراد ،ويجبرهم على السخرة ،ويمنعهم من أن يفضحوا نظامه ويكشفوا مساوئه أمام الشعوب الأخرى[4] .

اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم على أن الآليات التي استخدمها موسى عليه السلام في مواجهة فرعون كانت أولا في إطار المقاومة السلمية القائمة على البيّنة عقليا باتخاذ الحوار كمنهج للإقناع بالتغيير مع الالتجاء الكلي لله عز وجل ،إلّا أن الحوار كان يعبّر عن الصراع بينهما ؛لأنّ فرعون عجز عن مواصلة الحوار،وموسى عليه السّلام استطاع أن يقيم

[1] – سفر الخروج 9 : 1 ،8 : 1

[2] – سفر الخروج 5 : 1 – 5

[3] – نزار يوسف ،مرجع سابق ،ص 271 – 272

[4] – أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 68 ،الخالدي ،مرجع سابق ،ص 72 – 73 ،بهجت ،مرجع سابق ،ص 209

عليه الحجة العقلية،ومع ازدياد حدة الصراع بحكم العداوة المتبادلة بين الطرفين لجأ فرعون الى التهديد والوعيد[1] ،جاء بيان ذلك في هذه الآيات الكريمة، قال تعالى:﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[2] ،وقوله تعالى :﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[3] ،وقوله تعالى :﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4] .

هذه المواجهة المصيرية كانت بين موسى عليه السلام كفرد داخل هذه الدولة ،حيث كان يفتقر الى مقومات القوة والدعم المادي ،وبين هذا الثالوث ممثلا في فرعون رأس السلطة الحاكمة،وهامان كسلطة تنفيذية ،وقارون الرجل الأول في الدولة وممثل السلطة الرأسمالية ،هذا الثالوث..هو الثالوث الذي يضاد دائما كل صاحب دعوة جديدة ،أو فكرة للإصلاح كما يقول محمود شلبي[5] .وقد صور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[6] .

كان فرعون أو صاحب العرش يفعل كل شيء للمحافظة على عرشه ولو اقتضى ذلك قتل موسى عليه السلام ،يقول تعالى :﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾[7] ،وهامان صاحب السلطة التنفيذية ووزير العمارات على استعداد دائم لخدمة صاحب العرش[8] ،جاء ،جاء في قوله تعالى :﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[9] ،أمّا قارون الرأسمالي وصاحب المصالح فعلى استعداد لمحاربة

---

[1]- بهجت ،المرجع نفسه ،ص 213 ،الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 217

[2]- سورة النازعات : 17 – 19

[3]- سورة طه : 43 – 44

[4]- سورة الشعراء : 29

[5]- محمود شلبي ،مرجع سابق ،ص 401 وما بعدها ،الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 211

[6]- سورة غافر : 23 – 24

[7]- سورة غافر : 26

[8]- النجار ،مرجع سابق ،ص 187

[9]- سورة غافر : 36

موسى عليه السلام حفاظا على مصالحه وثروته التي يريد بها المجد والزعامة السياسة ،قال تعالى :﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ ﴾[1] .

هؤلاء الرؤوس الذين ذكرهم القرآن الكريم ،اتفقوا على موقف واحد بشأن موسى عليه السلام فقالوا ساحر كذّاب ،وأبدوا مقاومة سياسية وعناد من أجل إفشال المشروع الموسوي ،يقول تعالى : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ ﴾[2] .

لكن موسى عليه السلام أمام هذا العناد وهذه المقاومة ،كان يريد أن يتسلّح بكل المقومات اللّازمة ليحصّن نفسه ،وقد تمثل ذلك في:

– التقوية الوجدانية الفكرية ،والتقوية المعنوية العملية [3] ،كما جاء ذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ ﴾[4] .

– تنظيم وترتيب المقاومة السرية الصامتة ضد سياسة فرعون وتنظيماته ،فموسى عليه السلام بدأ تنظيم المقاومة السرية الصامتة في صفوف بني إسرائيل ،بعد أن أقام معابد في الأماكن التي يسكن فيها بنو إسرائيل ،وذلك كي لا يلتف إليهم نظر فرعون ،وحتى يتمكن أيضا من عملية التنظيم الديني والسياسي ؛أي إقامة الصلاة والالتفاف حول قيادة واحدة تدبر وتخطط ،وهو ما يسمح بتوحيد الصفوف وجمع الشتات استعدادا للخروج [5] ،قال تعالى :﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧ ﴾[6] .

---

[1] – سورة القصص : 76

[2] – سورة العنكبوت : 39

[3] – زاهية الدجاني ،مرجع سابق ،ص75 – 76

[4] – سورة طه : 25 – 34

[5] – مارغريت كينغ ،الخروج في القرآن ،ترجمة :هدى كيلاني ،دار طلاس ،دمشق ، ط1 ، 2010 م ،ص 252

[6] – سورة يونس : 87

2 – **الآيات والمعجزات** :بيّن العهد القديم الآيات التي أعطاها الله لموسى وهارون في مواجهة فرعون فجاءت مرتّبة ومفصّلة نوجزها فيما يلي :تحول العصا الى حية ،تحول اليد الى برصاء مثل الثلج ،تحول ماء النهر الى دم على اليابسة ،ثم موت السمك فيه ،وتحوّل مياه المصريين الى دم ،انتشار الضفادع والبعوض والذباب في كل أرض مصر ،موت مواشي المصريين بالوباء والدمامل ،نزول برد عظيم على مصر لم تر له مثل من قبل موسى ،خروج الجراد الذي أكل كل شيء ،حلول الظلام ثلاثة أيام ،موت الأبكار[1] .

كذلك أشار القرآن الكريم الى الوسائل والآليات التي استخدمت في هذه المواجهة المصيرية بين موسى عليه السلام الذي يريد إسقاط النّظام كما تصوره فرعون وتحرير بني إسرائيل ،وبين فرعون الذي يريد إفشال المشروع الموسوي الذي أصبح يشكّل خطرا على عرشه الملكي .ففرعون يستخدم لذلك حرب الدعاية وسياسة التخويف والقتل والتنكيل والتعذيب ،قال تعالى :﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] ،وقال تعالى :﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[3] .

أمّا موسى عليه السلام فقد أيّده الله بتسع آيات مفصلات كانت بمثابة الآليات والوسائل التي اعتمدها في مواجهة فرعون وإسقاط عرشه الملكي كما أشار إليه قوله تعالى :﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[4] .

﴾[4] .

هذه الآيات هي العصا ،اليد ،السنين ،نقص الثمرات ،الطوفان ،الجراد ،القمّل ،الضفادع ،الدم ،قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة[5] .وأوّل هذه الآيات وردت بالتفصيل في مواضع من القرآن الكريم نذكر منها ما جاء في قوله تعالى :﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا

---

[1]– سفر الخروج 4 : 2 – 9، 7 : 17 – 20، 8 : 5، 16 : 8، 24 : 8، 9 : 3، 9 – 7 : 8، 9 : 22 – 24، 10 : 12، 15 – 21، 23 – 4، 6

[2]– سورة النازعات : 23 – 24

[3]– سورة الزخرف : 51

[4]– سورة النمل : 12

[5]– ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 3 ،ص 461 ،النجار ،مرجع سابق ،ص 197 – 198

مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] .أمّا باقي الآيات فقد وردت مجملة ،قال تعالى :﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [2] ،وقوله تعالى :﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [3] .والمقصود أن الله أرسل على آل فرعون أنواعا من العذاب الدنيوي العاجل ،فكانوا في كل مرة يخضعون الى موسى عليه السلام يطلبون منه أن يكشف عنهم ما حل بهم من العذاب مقابل إطلاق سراح بني اسرائيل[4].

خلاصة القول في هذا الحديث ،أن كل من التوراة والقرآن الكريم اتفقا على أن موسى عليه السلام قد واجه فرعون بالآيات التي أيّده بها ربه عزّ وجل ،لكن التوراة أضافت آيات (الظلام والدمامل والبرد) لم ترد الإشارة إليها في القرآن الكريم ،وأن هذه الآيات وردت في التوراة مفصلة ومرتبة ،أما القرآن الكريم فأوردها مجملة ولم يفصل إلّا في آية العصا واليد.

كذلك اتفق كل من القرآن الكريم والتوراة على ما خلفته هذه المواجهة من انعكاسات سياسية ،اقتصادية ،اجتماعية وصحية هددت أمن واستقرار دولة فرعون ،فكانت على النحو التالي :

– **الانهيار الأمني** :كان بسبب فشل السحرة مقاومة معجزات موسى ،وهي القوة التي استخدمها فرعون للتأثير على موسى من أجل كسب الرأي العام المصري ،والإسرائيلي: " [18]وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا..."[5] ،فلمّا أدرك السحرة قوة موسى وصدقه ،طلبوا من فرعون السماح له بالمغادرة هو وشعبه وتنفيذ طلباتهم درءا للخطر والهلاك[6] .

[1]– سورة طه : 17 – 22

[2]– سورة الأعراف : 130

[3]– سورة الأعراف : 133

[4]– محمد علي الصابوني ،النبوة والأنبياء ،مكتبة الغزالي ،دمشق ،مؤسسة مناهل العرفان ،بيروت ،ط 3 ،1405 هـ ،1985م ،ص191– 192

[5]– سفر الخروج 8 : 18 – 19

[6]– نزار يوسف ،مرجع سابق ،ص 269

كذلك بيّن القرآن الكريم تركيز فرعون على الدعاية من خلال وسائل الإعلام ،حيث اعتمد على الطبقة المثقفة ممثلة في السحرة كمدافع عن مبادئ الدولة ،وتمويلها وتقريبها من جهاز السلطة بغرض تدعيم شرعيته كحاكم ،وتثبيت سلطته والحفاظ على أمن الدولة ،ومحاولة تشويه معجزات موسى عليه السلام على أنها نوع من السحر[1] ،قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا** جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

غير أن مخطط فرعون باء بالفشل وانتصر موسى عليه السلام بعد إيمان السحرة بربه، لأنّ هذه الطبقة من السحرة باعتمادها على الخيال والسحر،لم تقو على مواجهة معجزات موسى،كونها تفتقد للإيمان الصحيح ومقوّمات النصر ،فكان توظيف هذه الأخيرة عاملا قويا في اهتزاز سلطة فرعون[3] ،وقد بين القرآن الكريم هذه المواجهة ونتائجها بالتفصيل[4].

– **الانهيار الاقتصادي والاجتماعي** :أول مشكلة سياسية واجهت فرعون وسلطته وهددت استقرار وأمن الدولة ،كانت الأزمة الاقتصادية بفعل موجات متكررة من الكوارث الطبيعية والبيئية والآفات الاجتماعية أثرت على مستوى الإنتاج الزراعي الذي يعد الدعامة الرئيسية للدولة ،علما أن أحد مظاهر كيان أي دولة هو اتسامها باقتصاد قوي[5] .

نصوص العهد القديم أشارت الى أن الآيات السالفة الذكر كانت سببا في حدوث هذه الأزمات ،فآيات الطوفان والجراد والقمل وموت المواشي والظلام أدّت الى حدوث أزمة اقتصادية بسبب إتلاف المحاصيل الزراعية ،واستهلاك كميّات كبيرة من زيوت الإضاءة بما يعني نفاذ الكميات التي يدخّرونها للعام كلّه .وأن آيات الدم والضفادع والبعوض والدمامل وموت الأبكار أدت الى حدوث أزمات اجتماعية وصحية تمثلت في انتشار الأوبئة والأمراض المعدية جرّاء تلوث المياه والطعام ،فضلا عن إعاقة السير والحركة في الشوارع ،وانتشار السرقة والاغتصاب وكافة أنواع الجرائم ،بما يعني تعطل مصالح الدولة[6] .

كذلك أشار القرآن الكريم الى أن أوّل أزمة واجهت فرعون وحكومته ،هي أزمة الجفاف والقحط والجدب ،وبعدها الطوفان والجراد ،إضافة الى الأوبئة والأمراض الناتجة عن القمل والضفادع والدم الذي تسبب في تلوث المياه ،ممّا يعني

[1]– محمد عصمت بكر ،مرجع سابق ،ص132

[2]– سورة الشعراء : 41 – 42

[3]– المرجع السابق ،ص 133

[4]– سورة طه : 65 – 73 ،سورة الشعراء :43 – 51

[5]– زاهية الدجاني ،مرجع سابق ،ص97 –98

[6]– محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،ص 144 وما بعدها

انهيارا في موارد الدولة الزراعية والاقتصادية ،وتدهورا معيشيا وصحيا واجتماعيا[1] ،كما جاء وصف ذلك في سورة الأعراف[2] .

بلغة السياسة ما قام به موسى يعتبر في عيون فرعون انقلابا سياسيا وعصيانا مدنيا على سلطته ونظامه ،وثورة تهدف الى قلب الموازين الاجتماعية ،الدينية والسياسية من داخل السلطة بحكم أن موسى تربى داخل القصر وبين أحضانه ،يبدو ذلك واضحا من خلال الحديث الذي دار بينهما ،ففرعون يريد تذكير موسى على جهة المن عليه والإحسان إليه وتربيته ،وموسى يلفت نظر فرعون بأن الإحسان الى رجل واحد وتربيته لا يكفي في مقابل الإساءة الى بني إسرائيل ،وجعلهم عبيدا وخدما في الأعمال الشاقة[3] .جاء في قوله تعال :﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[4] ،وقوله تعالى :﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾[5] .

ب– الخروج من مصر وتحرير بني اسرائيل[6] :

كان خروج بني إسرائيل من مصر أرض العبودية الهجرة الثالثة في تاريخ هذا الشعب ،هذا الخروج يُعد من أهم المراحل التاريخية في حياة بني إسرائيل ؛لأنّه يرمز الى انتقالهم من حياة العبودية الى الحرية السياسية ،ومن حالة أفراد أو عائلات دون هوية إثنية (عرقية) الى ما يمكن أن يطلق عليه الشعب اليهودي[7] .وقد تمت عملية الخروج حسب نصوص التوراة وفق وفق الخطوات التالية :

1 – **الاستعداد للخروج** :عملية الخروج لشعب يفوق عدد كل سبط عشرات الألوف ؛ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد ،ومعهم أيضا لفيف كثير من بقر وغنم مواش وافرة جدا كما جاء في سفر الخروج[8] ،كان يقتضي وجود تنظيم

---

[1]– المرجع السابق ،ص 99 – 100

[2]– سورة الأعراف : 130 – 133

[3]– ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 6 ،ص138 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج13 ،94.

[4]– سورة الشعراء : 18

[5]– سورة الشعراء : 22

[6]– اختلف العلماء في تحديد تاريخ الخروج لكن الرأي الأرجح أنّه تم حوالي 1474 ق.م في عهد الأسرة المصرية الثامنة عشر أيام تحتمس الثالث ، أو في زمن أمنفوس الثاني .ملاك محارب ،دليل العهد القديم ،ص 177

[7]– المسيري ،الموسوعة ،ج1 ،ص 402 ،نجيب ميخائيل ابراهيم ،الشرق الأدنى القديم ،دار المعارف ،ط 3 ،1966 م ،ص 288

[8]– سفر الخروج 12 : 37

تنظيم محكم ودقيق ،وتعاليم مشددة يلتزم بها الجميع تأمينا لهذه العملية ،لذلك أصدر موسى بأمر من الرب مجموعة من التعاليم ،ثم استدعى جميع شيوخ بني إسرائيل وأبلغهم هذه التعليمات ليقوم كل منهم بإبلاغها وتنفيذها في عشيرته[1] .وقد تمثلت هذه التعليمات حسب نصوص التوراة في :

– إعداد الطعام وتحديد نوعيته :وهو أول الاستعدادات التي أمر بها موسى قومه ،كان ذلك قبل بداية الوقت المحدد للخروج بأربعة أيام ،حيث تم فيها الأمر بذبح شاة من الخرفان أو الماعز بحسب بيوت الآباء وحفظها الى اليوم الرابع عشر لاستهلاكها في هذا اليوم مع الالتزام بقواعد الذبح وطريقة إعداد هذه الذبيحة للأكل مع التشديد على كيفية أكلها كذلك تم التشديد على أكل الفطير ،ومنع الخميرة وعزلها من البيوت نهائيا ،وكل نفس تخالف ذلك تعزل من جماعة بني إسرائيل[2] ،أمّا الهدف من إعداد هذا الطعام وتناوله قبل بداية المسير ،هو عدم إضاعة وقت في التوقف لإعداد طعام لهذا الحشد الهائل من البشر[3] .

– وضع علامة على أبواب البيوت :ويكون بوضع دم الذبيحة على قائمتي باب البيت ،لتمييز بيوت بني إسرائيل أثناء عملية ضرب بيوت المصريين[4] .

– تحديد إشارة بداية الخروج : ويكون ذلك بعد سماع صراخ المصريين عند موت الأبكار[5] .

2– **بداية الخروج** :بعد أن قرّر موسى بدء عملية الخروج وتحديد الطريق الذي سيسلكه ،جمع رؤساء بني إسرائيل وأخبرهم بعزمه على ذلك ،ولتسهيل عملية السير قام بتقسيم جموع بني إسرائيل التي كانت منتشرة في منطقة واسعة هي كل أرض جاسان الى اثنتي عشرة قبيلة (أصبحت هذه القبائل تمثل اتحادا فدراليا) ،ثم قسم كل قبيلة الى وحدات وجعل

[1]– البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 ، مرجع سابق ،ص 923

[2]– سفر الخروج 12 : 1 – 15

[3]– المرجع السابق ، ص931

[4]– سفر الخروج 12 : 13

[5]– سفر الخروج 12 : 29 – 31

عليهم رؤساء ،محددا بذلك مكان كل سبط ومهمته ومسؤوليته في المجموعة[1] ،كما يشير سفر الخروج :"[١٨].وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ "[2] .

3- **غرق فرعون وجنوده** : تذكر نصوص التوراة أن المواجهة انتهت بين موسى وفرعون وتم تحرير بني إسرائيل بعد غرق فرعون وجنوده ،حيث تصف مطاردة فرعون وجنوده لبني إسرائيل وانفلاق البحر ،وغرق فرعون وجنوده[3] .

كذلك أوضح القرآن الكريم بصورة جلّية واضحة في آيات كثيرة أن الله عز وجل أمر موسى عليه السلام بالخروج من مصر دون انتظار موافقة فرعون ،فكان الخروج خفية عن عيونه ومن وراء علمه[4] ،جاء في قوله تعالى :﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾[5] .وقوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾** ﴾[6] ،وقوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾** ﴾[7] ،وقوله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾** ﴾[8] .

وقد اتخذ موسى عليه السلام كل الاحتياطات الأمنية اللّازمة لعملية الخروج من مصر الى الأرض المقدسة وذلك بتوجيه من الله،فقد حدد له موعد الخروج وهو الليل ،والطريق الذي سيسلكه كل سبط على حدى في وسط البحر ،والوسيلة التي يستخدمها لتأمين هذا الخروج وهي العصا لشق البحر ،وقد أكد الله لموسى عليه السلام أن فرعون وجنوده

[1]- البدراوي ،المرجع السابق ،ص 935 ،ظاظا ،الساميون ولغاتهم ،مرجع سابق ،ص 66 – 67

[2]- سفر الخروج 13 : 18

[3]- سفر الخروج 14 : 1 – 30

[4]- سيد قطب ،تفسير الضلال ،ص 13

[5]- سورة الدخان : 23 – 24

[6]- سورة الشعراء : 52

[7]- سورة طه : 77

[8]- سورة الشعراء : 63

سيتبعونهم ويقتفون أثرهم ممّا يعني أن يسرع بقومه ،وأن لا يستغرق بهم وقتا طويلا للراحة ،وذلك كما نصت عليه الآيات السابقة الذكر ،وبيّنه أهل العلم والتفسير[1] .

يرى بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام قد خرج بقومه في فصل الصيف ،وتم الأمر في سرية كاملة وقد اتخذ كافة الاحتياطات بحيث لا يصل الخبر الى أصحاب النفوس الضعيفة من بني إسرائيل فيخبروا فرعون أو أحدا من قومه ،لأن فرعون لجأ الى التهديد والتخويف لموسى وقومه ،وأنذرهم بعذاب وبطش شديد إن حاولوا الخروج بدون إذنه وعلمه ،كما جهّز الطعام والشراب الذي يكفيهم مدة الرحلة سواء لقومه أو لدوابه التي تحمل الأمتعة[2] .

كذلك اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم أنّه بغرق فرعون انتهت هذه المواجهة وتم تحرير بني إسرائيل ،حيث يذكر تعالى الطريقة التي تم بها هلاك فرعون وحاشيته وأمرائه وجنوده ،وأنّه سلبهم عزهم ومالهم وأنفسهم ،ولم يبق ببلد مصر سوى الرعايا والعامة ،وأورث بني إسرائيل مثل جميع أموالهم وأملاكهم[3] .قال تعالى :﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ﴾[4] ،وقوله تعالى:﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾[5] .وقوله تعالى :﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ ﴾[6] .وبانتهاء هذه المواجهة بدأت مهمّة أخرى في حياة موسى عليه السلام وهي بناء الدولة .

---

[1]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 19 ،ص ص 356 – 359 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج 13 ،ص 100 وما بعدها ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير،ج 7 ،ص 251 – 252 ،السعدي ،تفسير السعدي ،ج 1،ص 371 ،البغوي ،تفسير البغوي ،ج 5 ،ص 115 – 116

[2]- محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 264 – 265

[3]- ابن كثير ،قصص الأنبياء ،ص 446 ،محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،1415 هـ ،1995 م ،ج 4 ،ص 71 - 72

[4]- سورة يونس : 90

[5]- سورة الأعراف : 136 – 137

[6]- سورة الشعراء : 57 – 59

مما تقدم ذكره يتضح أن القرآن الكريم اتفق مع نصوص العهد القديم في :

– الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون من أجل تحرير بني إسرائيل .

– الانعكاسات التي خلفتها هذه المواجهة .

– مطاردة فرعون وجنوده لبني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام وانفلاق البحر،وغرق فرعون وجنوده .

– عبور بني إسرائيل البحر،وتخلصهم من العبودية .

ج– القضاء على المعارضة :

رغم نجاح سياسة موسى في تحرير بني إسرائيل ،وتخليصهم من العبودية ،إلّا أن النّظام الموسوي لم يسلم من المحاولات المتكررة لضربه من قبل التنظيمات المعارضة التي ندّدت بسياسته واعتبرتها سياسة فاشلة ،فكان عليه وهو يضع البناء السياسي والدستوري لدولته الجديدة أن لا يترك العناصر التي يمكن أن تعاديه ،وأن يواجه هذه التنظيمات التي كانت تعمل جاهدة من اجل أن تسلبه حقه في الزعامة والقيادة ،وتزرع الشغب والفوضى لضرب الأمن القومي والكيان السياسي للدولة ،بأن يستخدم في ذلك الوسائل اللّازمة لإسقاط هذه التنظيمات ويمضي في إقامة الدولة وتثبيت دعائم الحكم تحقيقا لوعود الآباء .

كان أوّل تنظيم معارض بدأ يخطط لعملية انقلاب سياسي ضد القيادة الموسوية احتجاجا على الوضع الذي آل إليه الأسباط ،والمطالبة بالملكية العقارية ،والحق في القيادة ،والمشاركة في العمل الكهنوتي ،علاوة على ذلك اتهام موسى بالاستبداد والفشل في إدخالهم أرض الموعد ،قام به فريقين من المتمردين ساند كل فريق منهما الآخر ،وهما تنظيم قورح بن يصهار ،واللّاويون المساندون له (مائتان وخمسون من رؤساء الجماعات) ،وتنظيم داثان وأبيرام[1] .جاء في سفر الخروج:" [1]وَأَخَذَ قُورَحُ بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِي، وَدَاثَانُ وَأَبِيرَامُ ابْنَا أَلِيآبَ، وَأُونُ بْنُ فَالَتَ، بَنُو رَأُوبَيْنَ، [2]يُقَاوِمُونَ مُوسَى مَعَ أُنَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ مَدْعُوِّينَ لِلاجْتِمَاعِ ذَوِي اسْمٍ."[2] .

وقد استخدم قورح أمواله في تنظيم الشغب والمعارضة ضد موسى وزعامته ،يريد بذلك تحقيق المجد السياسي بعد أن حقق الثروة المالية في ظل نظام فرعون[3] ،تقول التوراة :" [3]فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: "كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ

[1]– فراس السواح ،آرام دمشق ،مرجع سابق ،ص 63 ، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص105 ،ملاك محارب ،مرجع سابق ،ص 182

[2]– سفر العدد 16: 1 – 2

[3] – محمود شلبي ،حياة موسى ،مرجع سابق ،ص403 – 404

الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟".[٤] فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. [٥] ثُمَّ كَلَّمَ قُورَحَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلاً: "غَدًا يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنِ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرِّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ."[1] .

بدأ موسى بتفكيك هذا التنظيم الذي زرع الشقاق في صفوف الأمّة باستخدام الحل السلمي عن طريق الحوار لإقناع الذين اشتركوا مع قورح بالتراجع عن دعمه وتأييده ،لكنّهم رفضوا الحوار معه[2] ،يقول سفر العدد :" [١٢] فَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَدْعُوَ دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ ابْنَيْ أَلِيآبَ. فَقَالاَ: "لاَ نَصْعَدُ! [١٣] أَقَلِيلٌ أَنَّكَ أَصْعَدْتَنَا مِنْ أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً لِتُمِيتَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ حَتَّى تَتَرَأَّسَ عَلَيْنَا تَرَؤُّسًا؟ [١٤] كَذلِكَ لَمْ تَأْتِ بِنَا إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، وَلاَ أَعْطَيْتَنَا نَصِيبَ حُقُول وَكُرُومٍ. هَلْ تَقْلَعُ أَعْيُنَ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ؟ لاَ نَصْعَدُ!".[3] .

إلاّ أنّ موسى نجح في القضاء على هذا التمرد والعصيان المسلح ،وإفشال المحاولة الانقلابية بقيادة قورح التي سعى من خلالها الى إقصاء موسى وهارون عن القيادة ،فكانت نهايته كما وصفتها نصوص التوراة :"[٣١] فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ،انْشَقَّتِ الأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهُمْ،[٣٢] وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ،[٣٢] وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ،[٣٤] وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ هَرَبُوا مِنْ صَوْتِهِمْ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: "لَعَلَّ الأَرْضَ تَبْتَلِعُنَا".[٣٥] وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمِئَتَيْنِ وَالْخَمْسِينَ رَجُلاً الَّذِينَ قَرَّبُوا الْبَخُورَ"[4] .

أشار القرآن الكريم الى هذه التفاصيل التي وردت في العهد القديم بشأن قورح الذي ورد ذكره باسم قارون[5] ،والى المصير الذي آل إليه ،فقد ذكر الكلبي أنّه حسد هارون على الحبورة ؛فبعد أن قطع موسى البحر وأغرق الله تعالى فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة ،وكان صاحب القربان والمذبح ورأسا فيهم ،وكان لموسى الرسالة ،فوجد قارون من ذلك في نفسه ،فقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ،ولست في شيء فلا أصبر أنا على هذا ،فاعتزل

[1]- سفر العدد 16 : 3 – 5

[2]- المرجع السابق ،ص 404 - 405

[3]- سفر العدد 16 : 14 – 15

[4]- سفر العدد 16 : 31 – 35

[5]- قال الكلبي إنه ابن عم موسى ،وقال ابن عباس هو ابن خالته ،ثم إنه قيل كان يسمى المنّور لحسن صورته ،وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ،إلاّ أنّه نافق كما نافق السامري ،وأنّه كان من السبعين الذين سمعوا كلام الله ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج15 ،ص 14 – 15

قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني إسرائيل ،فما كان يأتي موسى ولا يجالسه[1] ،قال تعالى :﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] .وقوله تعالى :﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[3] .

أستمر التآمر على القيادة الموسوية ،فمرة أخرى ظهر في جسم الدولة الناشئة نظام معارض ،وإنشاء قيادة وزعامة سياسية أرادت من نفسها أن تكون بديلة تتكفل بحماية بني إسرائيل وبتدبير شئونهم والعودة مجددا الى حياة العبودية ،فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء[4] ،يقول سفر الخروج :" ٤فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:"نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ"."[5].وقد كان الدافع الى هذا التآمر، والانقلاب السياسي هو :

1 – **الخوف من فقدان الأمن الغذائي** :تشير نصوص العهد القديم إلى حالة التذمر والغليان الشعبي والعصيان المدني في صحراء سيناء ضد سياسة موسى ،لأنّه لم يستطع أن يوفّر لهم الحاجيات المعيشية الضرورية من مأكل ومشرب ،فالقوا العبء عليه وحده وكادوا يرجمونه[6] ،جاء في سفر الخروج :".٢فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي فِي الْبَرِّيَّةِ.٣وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: "لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ "[7] ، "١١وَقَالُوا لِمُوسَى: هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟١٢أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ

[1] – الرازي ،تفسير الرازي ،ج25 ،ص 15 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج 13 ،ص 310

[2] – سورة القصص : 76 – 77

[3] – سورة القصص : 81

[4] – أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص67

[5] – سفر العدد 14 : 4

[6] – عبد الغني عبود ،اليهود واليهودية والإسلام ،مرجع سابق ،ص 113

[7] سفر الخروج 16 : 2 – 3

فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ"."[1] ،"؟[4]فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: "مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيل يَرْجُمُونَنِي "[2] .

واجه موسى هذا التنظيم الذي كان يحنّ الى الأطعمة الشعبية التي ألفوها في مصر ،فاتبع في ذلك سياسة التأمين الغذائي ،وتوفير الحاجيات الضرورية من مأكل ومشرب لإسكات صوت المعارضة كما جاء في سفر الخروج : "[6]هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ". فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ "[3] .

لكن قادت طريقة تعامل موسى وهارون مع هذا التمرد ،والكيفية التي نفذوا بها أمر الرب الى غضب الرب عليهما، وحرمانهما من دخول أرض كنعان ،لأنّ الرب أمرهما بالوقوف أمام صخرة معينة ،يكلّمها هو وهارون أن تعطي ماء لا أن يضربها[4] .

في القرآن الكريم جاء ما يشير الى هذا التمرد على موسى (عليه السلام) رغم توفر الأمن الغذائي ،ورغم النعم الكثيرة، وفي ذلك يقول تعالى :﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[5] .وقوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[6] .

---

[1] – سفر الخروج 14 . 11 – 12

[2] – سفر الخروج 17 : 4

[3] – سفر الخروج 17 : 6

[4] – فراس السواح ،آرام دمشق ،مرجع سابق ص 63

[5] – سورة البقرة : 57

[6] – سورة البقرة : 61

كذلك أشار القرآن الكريم إلى أن موسى عليه السلام استسقى لقومه ،فجعل لكل سبط من الأسباط الإثنتي عشرة عينا تخصه وحده يستعملها أفراده ،فلا يقربها أفراد السبط الآخر[1] ،قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] .

2 – **الخوف من دخول الأرض المقدسة** : أمّا الاعتراض على دخول الأرض المقدّسة ،ورفض أوامر القيادة الموسوية والتمرد عليه ،وعدم الامتثال لحفظ عهد الآباء بالدخول الى هذه الأرض ،فكان بعد عودة فريق الاستطلاع (النقباء الإثنا عشر) ،والتقرير السلبي الذي قدّمه النقباء العشرة الذين تكلّموا ضد اقتحام الأرض ،حيث كان ذلك سببا في الانهزام الداخلي والخوف من العماليق سكان الأرض ،ولم تفلح محاولات يشوع وكالب وتشجيعهما على اقتحام الأرض في الحد من عدول بني إسرائيل عن قرار التمرد ومعارضة موسى ،بل هددوهما بالرجم بالحجارة على هذا الموقف[3] .

هذه المواقف صوّرتها نصوص التوراة بقولها :" [1]فَرَفَعَتْ كُلُّ الْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى الشَّعْبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. [2]وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: "لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! [3]وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟" [4]فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ". [5]فَسَقَطَ مُوسَى وَهَارُونُ عَلَى وَجْهَيْهِمَا أَمَامَ كُلِّ مَعْشَرِ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [6]وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ وَكَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ، مِنَ الَّذِينَ تَجَسَّسُوا الأَرْضَ، مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا [7]وَكَلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: "الأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا. [8]إِنْ سُرَّ بِنَا الرَّبُّ يُدْخِلُنَا إِلَى هذِهِ الأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً. [9]إِنَّمَا لاَ تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ، وَلاَ تَخَافُوا مِنْ شَعْبِ الأَرْضِ لأَنَّهُمْ خُبْزُنَا. قَدْ زَالَ عَنْهُمْ ظِلُّهُمْ، وَالرَّبُّ مَعَنَا. لاَ تَخَافُوهُمْ". [10]وَلكِنْ قَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِالْحِجَارَةِ."[4] .

هذا التمرد على أوامر القيادة الموسوية والتخاذل والعصيان ،كان سببا في أن حلّت العقوبة ببني إسرائيل ،فكانت حرمان هذا الجيل من دخول الأرض المقدسة عدا يوشع بن نون وكالب بن يفنا ،والتيه في الصحراء أربعين سنة كما نصت

---

[1] – الخالدي ،مرجع سابق ،ص60

[2] – سورة البقرة : 60

[3] – البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 ،مرجع سابق ،ص1047 وما بعدها.

[4] – سفر العدد 14 : 1 – 10

عليه نصوص التوراة :" ٣٠لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنَ يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. ٣١وَأَمَّا أَطْفَالُكُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأُدْخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا. ٣٢فَجُثَثُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هذَا الْقَفْرِ، ٣٣وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ...."[1] .

اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في تمرد بني إسرائيل على القيادة الموسوية ،وعدم الامتثال لأوامرها بتركهم دخول الأرض المقدسة ،وتضييع فرض الجهاد الذي فرضه الله عليهم، وقد كان سبب هذا التمرد ،هو خوف بني إسرائيل قتال مَن فيها مِن الجبّارين الذين قهروا سائر الأمم[2] ،يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام :﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ ﴾[3] .

رغم التطمينات والوعود التي كان يقدمها لهم موسى عليه السلام في كل مرّة كما حدث من قبل مع فرعون بامتلاك الأرض ،والنصر على أعدائهم ،بعد أن أكّد لهم أن الله تعالى يورث الأرض لمن يشاء من عباده الصالحين لعمارتها ،كما جاء في قوله تعالى :﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾[4] .إلّا أنّهم أصرّوا ولم يسمعوا قوله ،بل أجمع غالبيتهم على موقف واحد وهو رفض الدخول الى هذه الأرض المقدسة التي وعدهم الله بها طالما أن القوم الجبارين يقيمون بها ،وأنّهم لن يدخلوها إلّا إذا خرجوا منها جبنا منهم وجزعا من قتالهم ،بل أيضا تمادوا وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا هؤلاء القوم ،وفكّروا جدّيا في العودة الى مصر ،وتعيين قائد بدلا من موسى عليه السلام خيرا لهم من الموت في البرية[5] ،جاء تأكيد ذلك في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾[6] .

---

[1]- سفر العدد 14 : 30 – 35

[2]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج10 ،ص 170 – 171

[3]- سورة المائدة : 21 – 22

[4]- سورة الأعراف : 128

[5]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 10 ،ص 175

[6]- سورة المائدة : 24

كذلك لم يفلح يوشع بن نون وكالب بن يافنا في إقناع بني إسرائيل من العدول عن قرار التمرد ومعارضة موسى عليه السلام دخول الأرض المقدسة ،رغم ما قاما به من أمر وتشجيع وترغيب ،وإخبار قومهما أنهم غالبون إذا اتبعوا أمر الله وصدّقوا نبّيهم حينما أخبرهم بالنصرة على الأعداء[1] ،قال تعالى :﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾[2] .

انتهى الأمر بفشل موسى عليه السلام ،ولم يستطع دخول الأرض المقدسة ببني إسرائيل بسبب إعراضهم عن ذلك وإصرارهم على عدم الامتثال لأوامره ،حيث وصف القرآن الكريم حالة اليأس والإحباط التي انتابته من مواقف قومه ،وهو ما يوحي أن العلاقة بينه وبين أخيه هارون عليهما السلام ،وبين بني اسرائيل أخذت شكل المقاطعة السياسية كما جاء على لسانه عليه السلام في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾[3] .

وبسبب انتهاء هذه العلاقة السياسية بين بني إسرائيل وموسى عليه السلام حلّت بهم العقوبة ،فتاهوا تيها سياسيا ودينيا وجغرافيا مدة زمنية قدّرها القرآن الكريم بأربعين سنة ،قال تعالى :﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾[4] .

خلاصة القول في هذا الموضوع أنّ القرآن الكريم والعهد القديم اتفقا على أن موسى عليه السلام لم يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة لإعراضهم عن ذلك ،وأنّه بسبب ذلك عاقبهم الله بالتيه أربعين سنة .

3- **عبادة العجل** : لم يتوقف الأمر على المعارضة السياسية ،بل تعداه الى الاعتراض على النّظام الديني القائم ،والخروج على العبادة الرسمية ،وتكسير المنظومة العقائدية أو تكسير العهد ،فبعد خروج بني إسرائيل من مصر ارتدوا عن عبادة يهوه إلى عبادة آلهة القبائل المستوطنة للأراضي الواقعة بين مصر وكنعان الذين أنظمّوا إليهم ،ومنهم قبائل من شمال الجزيرة العربية ،حيث استغل بنو إسرائيل غياب موسى القائد الأعلى للدولة الذي صعد الى الجبل في مهمة دينية لتلقي الوحي ،ليطالبوا هارون خليفته أن يصنع لهم عجلا من ذهب يتخذوه إلها لهم ،وشددت المعارضة عليه من أجل أن يقوم

[1]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج10 ،ص ص 181 – 183

[2]- سورة المائدة : 23

[3]- سورة المائدة : 25

[4]- سورة المائدة : 26

بهذا التغيير ،ولما لم يستطع أن يمنعهم من ذلك استجاب لأمرهم خوفا من هذه المعارضة التي ثارت أيضا ضد حور ،وهو واحد من كبار شيوخ بني إسرائيل وأتباع موسى كان قد عارض بني إسرائيل في صناعة العجل[1] .

تقول التوراة :" [١]وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: "قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ".[٢]فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: "انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا".[٣]فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ.[٤]فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: "هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ".[٥]فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: "غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ".[٦]فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.[٧]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.[٨]زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ".[٩]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ"[2] .

كان رد فعل موسى لما وجد بني إسرائيل يعبدون العجل ،هو القضاء على هذا العجل بحرقه في النار ،يقول سفر الخروج :" [١٥]فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ.[١٦]وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ.[١٧]وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: "صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ".[١٨]فَقَالَ: "لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ".[١٩]وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ.[٢٠]ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.."[3] .

أمّا العقاب الذي أمر به الرب موسى لمعاقبة القوم على خطيئة عبادة العجل ،فهو تنفيذ عملية القتل الجماعي ،يقول سفر الخروج :" [٢٦]وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: "مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ". فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي.[٢٧]فَقَالَ لَهُمْ:

[1] – محمود السيّد ،تاريخ اليهود القديم والحديث ،ص13 ، إسماعيل حامد ،مرجع سابق ، ص 117 – 118

[2] – سفر الخروج 32 : 1 – 9

[3] – سفر الخروج 32 : 15 – 20

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ".[٢٨]فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل.."[1] .

القرآن الكريم بيّن أنّ أول مشكلة واجهت موسى عليه السلام بعد عبور البحر ،هي أن بني إسرائيل ظلوا على عنادهم له ،وأصروا على عبادة العجل ،حيث أن فكرة عمل تمثال أو صنم يعبدونه ظلت راسخة في عقولهم ،فقد سألوه أن يصنع لهم إلها يشاهدونه ويقدّموا له القرابين كباقي الأقوام الأخرى،خاصة قبائل الهكسوس[2] ،قال تعالى : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ ﴾[3] ،فكانت الرغبة واضحة في العودة الى الوثنية ،وموسى عليه السلام يشرح لهم لعلّهم يفهمون ،وهو ما يؤكّد أن فقدهم للحرية أفقدهم التفكير السليم .

كذلك اتفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم في أن بني إسرائيل استغلوا خلافة هارون لموسى عليهما السلام حينما خرج لميقات ربه ،وعبدوا العجل الذي صنعه السامري[4] الذي استغل بدوره فرصة تذمر بني إسرائيل بعد أن أبطا موسى عليه السلام في العودة ،وقد جاء وصف عبادة بني إسرائيل للعجل في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم[5] .

كان من أمر بني إسرائيل أن تفرّقوا الى فرق بسبب هذا العجل ،فرقة آمنت به وعبدته ،وفرقة صدّقت به حتى عودة موسى عليه السلام ،وفرقة كفرت وكذّبت به[6] .

---

[1]- سفر الخروج 32 : 26 – 28

[2]- البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج 4 ،مرجع سابق ،ص 987

[3] - سورة الأعراف : 138 – 139

[4]- اختلف في أصله ،فيقال أنّه من قوم يعبدون البقر ،جيران لبني إسرائيل ،ولم يكن من بني إسرائيل ، ويقال أنّه كان رجلا من عظماء بني إسرائيل من قبيلة السامرة ،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 235 ،الطبري ،تفسير الطبري ،ج 18 ،ص 363 ،الشنقيطي ،تفسير أضواء البيان ،ج 4 ، ص 78

[5]- سورة الأعراف : 148 – 152 ،سورة طه : 80 – 98

[6]- ابن كثير ، قصص الأنبياء ،مرجع سابق ،ص 505

وعن رد فعل موسى عليه السلام لما وجد القوم عاكفين على عبادة العجل بعد عودته ،يقول تعالى :﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ١٥٠ ﴾[1] .

القرآن الكريم بيّن أن موسى عليه السلام قام بعملية التحقيق لمعرفة من كان يقف وراء القضية ،وقد لجأ في ذلك الى المساءلة والمحاسبة وتسليط العقوبة ،فبدأ بأخيه هارون القائد الذي استخلفه لقيادة القوم يسأله عن عدم اتخاذ موقف حازم مع الذين عبدوا العجل ،فكان التقرير الذي قدمه هارون بعد اعتذاره هو عدم قدرته على ذلك بسبب عصيان وتمرد القوم وإعلان الحرب عليه ومحاولة قتله ،وخوفه من وقوع الفتنة بسبب التفريق بين القوم ،بأن يأتي بالبعض منهم ويترك البعض الآخر[2] ،وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ ﴾[3] ،وقوله تعالى :﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ ﴾[4] .

بعد أن عرف موسى عليه السلام أنّ السامري هو من أقام العجل ،سأله عن سبب إقدامه على فعل ذلك ،فأجابه بقوله: أقمته من تلقاء نفسي ،لأنّي أعلم كيفية فعل ذلك دون غيري من الناس ،وقد بيّن أهل التفسير ذلك[5] ،يقول تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ ﴾[6] .

كشف القرآن الكريم أن موسى عليه السلام بعد أن حدد هوية الفاعل (السامري) ومعرفة السبب الذي حمله على صناعة العجل ،وعبادة بني إسرائيل له ،قام بإجراءات عقابية ،فبدأ بتسليط العقوبة أولا ضد السامري الذي اصدر في

---

[1]- سورة الأعراف : 150

[2]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 18 ،ص 360 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 5 ،ص 312

[3]- سورة الأعراف : 150

[4]- سورة طـه : 94

[5]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج18 ،ص 360 – 361 ،الشنقيطي، تفسير أضواء البيان،ج 4 ،ص 78 – 79

[6]- سورة طه : 96

حقه عقوبة العزل ؛بأن أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يكلّموه ولا يبايعوه ،حتى صار يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحد ولا يمسه أحد عقابا له من الله ،وأصدر في حق العجل الذي صنع حكما بالقضاء عليه وإزالته ؛فقام بحرقه وطحنه حتى حوّله الى رماد ،ثم نسفه وذراه في البحر حتى لا يبقى منه أثر ،وقيل أن هذا النسف كان في مكان غرق فرعون [1] .

يقول تعالى :﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾[2] .

ثم أصدر في حق بني إسرائيل عقوبة القتل ؛بأن قتلوا أنفسهم كما يقول ابن كثير : "أصبحوا يوما وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف ،وألقى الله عليهم ضبابا حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه ،ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم ،فيقال إنّهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفا"[3] .

ممّا تقدم ذكره يتضح أن القرآن الكريم اتفق مع نصوص العهد القديم في:

- تمرد بني إسرائيل على هارون وموسى عليهما السلام وعبادة العجل ،ولكن اختلافا في تحديد الفاعل ،فالعهد القديم نسب صناعة العجل لهارون،بينما القرآن الكريم أكد أن السامري هو من قام بذلك.

- مصير العجل هو الحرق بالنار

- تسليط العقوبة على من عبدوا العجل من بني إسرائيل ،وكيفية تنفيذها.

د- تنظيم إدارة السكن والتنقل:

1 - تنظيم التنقل:

من بين التحديات الأخرى التي واجهت موسى في إدارة شؤون بني إسرائيل ،هي عملية تنظيم التنقل في الصحاري والمواقع التي مروا بها أثناء خروجهم باتجاه الأرض المقدسة انطلاقا من عبور البحر الى رمسيس الى سكوت الى صحراء

[1]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 18 ،ص ص 363 – 366 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج 11 ،ص 240 ،البغوي ،تفسير البغوي ، ج5 ،ص 292 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 351

[2]- سورة طه : 97

[3]- ابن كثير ،قصص الأنبياء ،مرجع سابق ،ص 472

سين مرورا بمنطقة رفيديم الى برية سيناء ،الى قاداش،الى تخوم أدوم الواقعة الى الجنوب من البحر الميت..[1] .وقد اتخذ موسى كل الاحتياطات الأمنية اللّازمة من أجل إنجاح عملية التنقل منذ بداية الخروج من مصر،وقد تمثلت في[2] :

– أحاط عملية الخروج بسرية تامة حتى يضمن أن لا يكون من قومه من يفسد هذه الخطة برفضه الخروج ،أو الخوف من الوقوع في أيدي جنود فرعون .

– إفشال كل الخطط التي وضعها فرعون لمنع عملية الخروج ،لأنّه كان يعلم أن موسى وقومه لن يتركوا فرصة مواتية للخروج إلّا واستغلوها .

– تحديد مسار الطريق الذي سيسلكه بالانتقال عبر هذه الأماكن التي اختارها بتوجيه من الرب تفاديا للأخطار التي كان سيجابهها بنو إسرائيل بسبب التحصينات ،والرقابة الدقيقة على حدود مصر ،وشبه جزيرة سيناء .

– تحرير بيان يتضمن ضبط التجوال في البرية تفاديا للمشاكل التي سيجابهها بسبب كثرة التنقلات .

– ومن أجل أن تكون هذه العملية أكثر دقة وتنظيما ،أعدّ موسى بوقين من الفضة كوسيلة لعقد الاجتماع مع القادة والشعب ،وكإشعار لبدء الانتقال .فكان النفخ في البوق الواحد بمثابة دعوة لقادة القبائل للدخول في الخيمة ،وسماع البوقين كان دليلا على استدعاء الشعب لاجتماع عام ،والدوى المتواصل للبوقين كان إشارة للاستعداد بالانتقال والتقدم.

ولضمان أيضا عملية الانتقال في المسار السليم ،والاستفادة من عامل الزمان ،والقضاء على كل عوامل الفوضى والتمرد والعصيان الذي من شأنه أن يعيق عملية التقدم والدخول الى أرض الموعد ،استفاد موسى من حوباب بن رعوئيل الذي كانت لديه معلومات وفيرة عن شؤون البرية[3] .

كذلك قام موسى بتوفير الوقاية والأمن لضمان عملية التنقل السليم من خلال عمود السحاب الذي كان يسير معهم أينما توجهوا ليحميهم من أشعة الشمس الشديدة في الصيف ،وليحول بينهم وبين العطش حتى لا تنفذ كميات الماء التي أخذوها معهم ،وعدم الإحساس بالضيق والتعب أثناء تحركاتهم وتنقلاتهم في الصحراء .وعمود النار الذي يحدد موقعهم ومكان تواجدهم أمام عدّوهم ،ويبعد الحيوانات المتوحشة والضواري التي تعيش في الصحاري عن طريق مسيرهم ،كما أنّه

[1]– سفر الخروج 12 : 37 ،13 : 20 ، 17 :1 ،19 :2 ،14 : 2

[2]– البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 ،ص 943 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 265 ، مالمات ،مرجع سابق ،ص 162 – 163 ،إسرائيل فنكلشتاين ،مرجع سابق ، ص ص93 – 96 ، صموئيل شولتز، مرجع سابق ،ص102

[3]– سفر القضاة 1 : 16 ،أنظر: صموئيل شولتز ، المرجع نفسه ،ص104

يبعد شبح الخوف والتردد عنهم أثناء سيرهم في الطريق[1] ،يقول سفر الخروج : " [21]وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً.[22] لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْب"[2] .

القرآن الكريم وإن لم يفصّل في ذكر أماكن انتقال موسى عليه السلام بقومه كما جاء تفصيل ذلك في التوراة ،إلّا أنّه أشار الى بعض الأماكن الهامّة التي ارتبطت بتنقلات موسى عليه السلام ،فكان أوّل مكان يسلكه بقومه ،هو عبور البحر كما نصّت عليه الآيات السابقة الذكر ،ثم جانب الطور الأيمن ،وفيه اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلا من العلماء معهم هارون ،يوشع ،ناداب وأبيهو للاعتذار عن عبادة بني إسرائيل للعجل ،وفيه أيضا تم نزول التوراة على موسى عليه السلام ،ونزول المن والسلوى عليهم[3] .قال تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ ﴾[4] . واختيار موسى عليه السلام لهذا المكان كونه لا يرتاده أحد من النّاس ،وأنّه يُعد مكانا للاختباء والحماية من ملاحقة قوم فرعون لهم للانتقام لمقتل ملكهم وأولادهم غرقا في البحر[5] .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى انتقال بني إسرائيل إلى بيت المقدس بعد أربعين سنة من التيه بقيادة يشوع بن نون عليه السلام[6] ،جاء في قوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ ﴾[7] .

أيضا بيّن القرآن الكريم أنّ موسى عليه السلام اتخذ كل الاحتياطات الأمنية اللّازمة لتأمين عملية التنقل بدء من مصر الى الأرض المقدسة وذلك بتوجيه من الله ،فقد حدد له الطريق الذي سيسلكه كل سبط على حدى ،والسير خفية عن أعين فرعون ،والسرعة في السير ،واختيار أماكن للاختباء والحماية كما سبق ذكره. كما أشار القرآن الكريم أيضا إلى توفير

---

[1]- البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 944 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 300 – 301

[2]- سفر الخروج 13 : 21 – 22

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ، ج 9 ،ص 50 ،البغوي ،تفسير البغوي ،ج5 ،ص 288

[4]- سورة طه : 80

[5]- محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،المرجع السابق ،ص 344

[6]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج2 ،ص 102 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج1 ،ص273 – 274 ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج3 ،ص 64

[7]- سورة البقرة : 58

الوقاية والأمن لضمان عملية التنقل السليم ،ذلك أنّ الله تعالى سخّر لهم السحاب يسير بسيرهم يضلّهم من الشمس[1]، قال تعالى :﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2] .

2 – تنظيم إدارة السكن :

الإقامة المؤقتة لمعسكر يستوعب عدد هائل من السكان من شأنه أن يعيق عملية ضبط وتحديد الأماكن حسب عدد الأسباط ومنازلهم ،من أجل ذلك أقام موسى تنظيما دقيقا لإدارة السكن هذا التنظيم بدأ منذ أن تم بناء خيمة الاجتماع ،حيث جعل الخيمة تتوسط كل بيوت بني إسرائيل ،وحول المحلّة أماكن اللّاويين ،في حين كان المقر الرئاسي أقصى الشرق أمام المدخل ،ومن جهة الشرق كان المجمع السكاني الذي يضم كل من سبط يهوذا يساكر وزبولون ،ومن جهة الغرب المجمع السكاني الذي يضم كل من سبط أفرايم ومنسي وبنيامين ،ومن جهة الشمال المجمع السكاني الذي يضم كل من سبط دان ونفتالي وأشير ،ومن الجنوب المجمع السكاني الذي يضم كل من سبط راؤبين وشمعون وجاد[3] .

وحتى يتسنّى لموسى تنظيم إدارة السكن بدقة ،قام بتعيين أربع رؤساء للإشراف على شؤون هذه التجمعات السكانية ،فقام بتعيين يهوذا على رأس المجمع الشرقي ،يتبعهم بنو جرشون وبنو مراري وهم المسئولون على نقل الخيمة ،وتعيين أفرايم على رأس المجمع الغربي ،ودان على رأس المجمع الشمالي ،وراؤبين على رأس المجمع الجنوبي يتبعهم بنو قهات وهم مسئولون على حمل التابوت وأمتعة الخيمة[4] .

القرآن الكريم بيّن كذلك اهتمام موسى عليه السلام بإدارة السكن وتنظيمه ،فقد كان يجعل بيوت بني إسرائيل متقابلة ومتميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة الرحيل إذا أُمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض[5] ،جاء في قوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[6] .

هـ– تأسيس مدن الملجأ :

---

[1]– الرازي ،تفسير الرازي ،ج 3 ،ص 63 ، ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 1 ،ص 266 ، القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج1 ،ص 406

[2]– سورة البقرة : 57

[3]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص99

[4]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[5]– ابن كثير ،قصص الأنبياء ،مرجع سابق ،ص 436

[6]– سورة يونس : 87

كان موسى يعمل بنظام اللجوء السياسي ،فبعد عملية تقسيم الأرض على الأسباط أسس لهذا الغرض مدن تقع في أماكن مختلفة من الأرض وقاية للهاربين من ولي الدم (طالب الثأر) ،هذه المدن هي قادش جنوب الأردن في منطقة نفتالي وشكيم في أفرايم ،وحبرون في يهوذا ،وفي شرق الأردن باصر في منطقة راؤبين ،وراموت في منطقة جلعاد ،وجولان في باشان في منطقة منسي[1] .

القرآن الكريم لم يشر إلى أنّ موسى عليه السلام كان يعمل بنظام اللّجوء السياسي ،أو تأسيس مدن لهذا الغرض .

و– تدشين وافتتاح مكان العبادة :

بعد الانتهاء من بناء خيمة الاجتماع في الشهر الأول من السنة الثانية في أوّل الشهر بعد أن مضى عام كامل على بني إسرائيل في أرض سيناء ،قام موسى بتدشين وافتتاح خيمة الاجتماع التي أصبحت المقرّ الرئيسي الديني والسياسي للدولة ،حيث وضع فيها تابوت العهد وستره بالحجاب ،ثم وضع المائدة والمنارة والمذبح وأوقد سرج المنارة ،ثم جاءت بعدها عملية التقديس أي المسح بالدهن ،فأخذ دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه ومذبح المحرقة والآنية والمائدة ،وباقي المحتويات[2] .

ثم كلّف كل سبط بتقديم القرابين بواسطة الرؤساء وفق هذا الترتيب ،حيث كان أوّل سبط تقدم بهذا القربان هو سبط يهوذا ثم جاء بعده سبط يساكر ،وسبط زبولون ،ورأوبين ،وشمعون ،جاد ،وإفرايم ،ومنسي، وبنيامين ،ودان وأشير ،وأخيرا سبط نفتالي ،وبهذا اكتملت مراسيم تدشين بيت العبادة وخيمة والاجتماع[3] .

القرآن الكريم لم يشر إلى هذه التفاصيل الخاصة بتدشين خيمة الاجتماع كما جاءت في العهد القديم.

ز– إلقاء خطبة الوداع :

نظرا لروح المسؤولية الملقاة على عاتقه كقائد أمين ،وجّه موسى جملة أحاديث وخطب للجيل الجديد الذي هو على وشك الاستيلاء على الأرض التي وعد بها الله آباءهم من قبل ،يحثهم فيها على البقاء أمناء نحو الله من أجل الإبقاء على الوحدة القومية ،ففي خطابه الأول يسرد موسى التاريخ فيبدأ من إقامة معسكراتهم وتركهم لجبل حوريب ،ويذكرهم بأن تمرد آباءهم وعدم خضوعهم لله سبب تعطيل دخولهم الى أرض الموعد وموتهم في البرية ،كذلك استرجع معهم انتصاراتهم الراهنة على الأموريين وتوزيع حصص الأرض على الأسباط الذين تعهدوا بحماية بقية الشعب ،وفتح الأرض الكائنة عبر

[1]– سفر التثنية 4 : 41 – 43

[2]– سفر اللاويين 8 : 10 – 11

[3]– سفر العدد 7 : 10 – 79

الأردن ،ومع أنّه هو ذاته حُرم من فرصة مواصلة مهمته القيادية ،إلّا أنّه أكّد لهم بأنّ الله سيمنحهم النصرة تحت قيادة يشوع[1] .

وعلى ضوء ما حدث للجيل الأول يحذر موسى الشعب من الوقوع في نفس الخطأ ،فالشروط اللّازمة للحصول على رضا الله هي إطاعة الناموس والتعبد الكامل لله ،فإذا لم يخضعوا وساروا في الطرق الوثنية التي يسير فيها أهل كنعان ،فإن الأسر والعبودية والذل ستكون في انتظارهم[2] .

وفي خطابه الثاني ،يبدأ موسى حديثه باسترجاع نصوص النّاموس ،فيذكرهم بأنّ الله أقام معهم عهدا وأنّهم ملتزمون بحفظ النّاموس إذا رغبوا في هذه العلاقة الطيبة ،ثم يردد الوصايا العشر التي هي أساس الحياة المقبولة لدى الله ،وكما دعاهم ليكونوا شعب الله المقدس فإنّه حذّرهم من السقوط والوقوع في المخاطر[3] .

وفيما هم يتوقعون الإقامة في كنعان ،أخذ موسى ينصحهم ويرشدهم نحو السلوك السليم والتصرف الصالح بأن يعزلوا الأوثان وأن يمتنعوا عن عبادتها ويعبدوا الله في الأماكن المقدسة المعدة لعبادته ،وحذّرهم من الاقتداء بسكّان الأرض أو عبدة الأوثان ،وبعض القيود المتعلقة بذبح الحيوانات في مكان معين ،ووضع لهم قوانين وطقوس تناسب حياتهم الاجتماعية والمدنية والعائلية ،كما ردد عليهم باختصار العديد من القوانين المألوفة[4] .

وأخيرا يحدّد موسى بعض البركات واللعنات ،فالطاعة تؤدي الى النجاح في حين أن عدمها يجلب لعنة النفي والعبودية التي أنقذهم الرب منها[5] .

ولتثبيت هذه الأقوال في أذهان الشعب نصحهم موسى بقراءة هذه اللعنات والبركات على مسمع من الجمهور عند دخولهم أرض كنعان[6] .

أكّد القرآن الكريم أن موسى عليه السلام كان في أرض التيه يذّكر قومه بعطايا الله لهم ونعمه عليهم في كل المجالات السياسية ،العسكرية ،الأمنية ،الدينية،الاقتصادية والاجتماعية.فقد ذكّرهم عليه السلام بنعمة الحرية وبالقيادة الذاتية بعد العبودية بأن جعلهم الله ملوكا وقادة يحكمون أنفسهم ،ووفّر لهم الحماية والوقاية والأمن الغذائي ،وأنّه اصطفاهم على

[1]- صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص113

[2]- المرجع نفسه ،ص114

[3]- البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 ، مرجع سابق ،ص 1109

[4]- المرجع السابق ،ص113

[5]- المرجع السابق ،ص 1110

[6]- المرجع نفسه ،ص1114

زمانهم فخصّهم بالنبوة والوحي ،وأوصاهم بالجهاد فكان يقول لهم :أذكروا نعمة الله عليكم أن فضّلكم ،بأن جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحيه ،ويخبرونكم بأنباء الغيب ،ولم يُعط ذلك غيركم في زمانكم هذا ،وجعلكم أحرارا بعدما كنتم عبيدا فأصبحتم ملوكا تحكمون أنفسكم ،وفلق لكم البحر وأغرق عدوكم وأورثكم أمواله ،وأنزل عليكم من المن والسلوى ،وأظل فوقكم الغمام ،وأخرج لكم الماء العذب من الحجارة ،وأنّه لم يجتمع لقوم الملك والنبوّة كما جمعها لكم ،وأنّكم العلماء بالله ،وأحباب الله وأنصار دينه، بعدها أوصاهم بالجهاد[1] .قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] .

2 – الشؤون الدينية :

أ– تأسيس النظام الكهنوتي :

قام موسى انطلاقا من مبدأ فصل السلطات بتأسيس النظام الكهنوتي الذي أصبح يمثل السلطة الدينية رغبة في تنظيم أمور العبادة ،والتشديد على زيادة ضبط التنظيم خلال مرحلة التجوال في البرية ،فقام بناء على توجيه ووصيّة الرب بإعداد وتعيين الكهنة من سبط لاوي للخدمة داخل خيمة الاجتماع ،وتحديد واجبات الكهنة وملابسهم ،ومن تم أصبح الكاهن يمثل الصدارة الاجتماعية ،ومحور النفوذ السياسي .ولما كان وجود الكهنة أمرا ضروريا لحفظ علاقة العهد مع الله ،وتمثيل الشعب أمام الله والوساطة لحفظ العهد ،وإرشاد الشعب الى إتباع التعاليم الدينية والأحكام الشرعية ،تطلّب ذلك إنشاء مؤسسة دينية ذات أجهزة إدارية تحكمها وتوجهها قوانين تسهر على خدمة الشعب وتحافظ على وحدة الدولة واستمراريتها ،كما هو الحال في مصر وكنعان[3] .

1– **نظام تولي الكهانة** :النظام الذي سنّه موسى لتولي منصب الكاهن ،هو نظام وراثي عن طريق الاختيار الإلهي ،فقد اختار من بني إسرائيل جميعا هارون ونسله للإشراف على العمل الكهنوتي ،بعد أن جمع اثني عشرة عصا من رؤساء بني إسرائيل ،كل عصا ترمز الى سبط من أسباطهم ،وكان من بينها عصا هارون عن سبط لاوي مكتوبا عليها اسمه ،ثم

[1]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج10 ،ص 160 ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج 11 ،ص 201 – 202

[2]– سورة المائدة : 20

[3]– جودت السعد ،أوهام التاريخ اليهودي ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط 1 ،1998 م ،ص 183

وضع موسى العصي في خيمة الاجتماع كما أمره الرب ،وفي الغد دخل فوجد عصا هارون قد أفرخت وأزهرت وأنضجت لوزا ،فرأى في هذا دليل اختيار الرب لهارون ونسله[1] .

منذ ذلك الوقت أصبح في قانون الكهانة أن يُختار الكاهن من سبط لاوي وبالذات من عائلة هارون الذي كان أوّل من تقلّد هذه الوظيفة ،ثم خلفه من بعد موته ابنه اليعازر ،حيث خلع موسى عن هارون ثيابه وألبسها اليعازر وعيّنه رئيسا للكهنة في أدوم ،ثم خلف اليعازر ابنه البكر فينحاس ،وهكذا استمر توارث رئاسة الكهنوت في نسل هارون ،فلا يكون كاهن إلّا منهم ومن نسلهم وإن حدث ومارسها رجل من غير عشيرة اللاويين فلا يسمى إلّا عرّافا ،أو شيخا أو رائيا [2].

تأكيدا على اختيار الرب موسى للقيادة ،وتخصيص هارون وبنيه من بين الأسباط للعمل الكهنوتي حادثة تمرد قورح وداثان وأبيرام الذين أهلكهم الرب عندما تذمروا على موسى وهارون ،وأرادوا أن يشاركوا هارون وبنيه في الكهنوت[3] . ونظرا لأهمية وقداسة العمل الكهنوتي ،وضع موسى شروطا جنسية وخُلقية وخِلقية للترشح الى منصب الكاهن ،فكان أوّل قانون وضعه هو أن يكون الكهنوت من الرجال في نسل هارون ،وكان يُشترط أن لا يكون في الشخص المختار أي عيب أو تشويه جسدي ،وكان البكر فقط يمكنه أن يكون كاهنا عظيما ،وأن يتقيد الكاهن في حياته ومعيشته بقواعد لم تكن تُفرض على غيره من اللّاويين أو من عامة الشعب ،كما حرّم على الكهنة أيضا تحريما تاما العادات الوثنية وتدنيس المقدسات والنجاسة[4] .

إضافة الى هذه الشروط التي وضعها موسى لتولي منصب الكهانة ،وتأكيدا على أهمية وضرورة النّظام الكهنوتي في إحياء الروح الدينية ومركزية العبادة داخل خيمة الاجتماع من خلال تنظيم شؤون العبادة وحفظ المقدسات الدينية ،قام موسى بتوزيع وتحديد المهام والواجبات داخل هذه المؤسسة الدينية ،وبموجب هذه المهام تم تقسيم الكهنة من حيث رتبة الكاهن الى ثلاث طبقات هم[5] :

[1]- سفر العدد 17 : 1 - 11

[2]- سفر اللّاويين 1 : 5

[3]- سفر العدد 16 :1 - 33

[4]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 202

[5]- كاهون سيميون ،مرجع سابق ،ص38

أ– **رئيس الكهنة أو الكاهن الأعظم** :هو أعظم الأشراف بين الإسرائيليين ،فبواسطته يعلن الله إرادته لبني إسرائيل ،مهمته الإشراف على الشؤون الكهنوتية ،تميز عن بقية الكهنة بخصائص منها طريقة تكريسه للكهانة ،وخدمته للكهنوت ،وفي المخصصات الكهنوتية ،وفي الملابس وغير ذلك.

ب– **الكهنة** :هم المساعدين لرئيس الكهنة ،وهؤلاء من عائلة هارون ،وظيفتهم تقديم الذبائح اليومية وغيرها تحت مباشرة الكاهن العظيم ،والقيام بخدمة الخيمة .

ج– **اللّاويون** : هم من نسل لاوي لا من أبناء هارون ،وكانوا ذوي درجة في الكهنوت أدنى من الكهنة ومساعديهم.

2 – **تنصيب الكهنة** :كان تعيين الكاهن وتنصيبه وتقديسه يُحتفل به احتفالا عظيما يدوم سبعة أيّام ،ويجري خلال مراسيم هذا التنصيب تقديم الذبائح والاغتسال ولبس الثياب الرسمية المقدسة ،ونضح الدم والدهن والزيت[1] .

أ– **تنصيب الكاهن الأكبر** :تم تنصيب هارون كاهنا أكبر لبني إسرائيل في احتفال علني أقامه موسى أمام خيمة الاجتماع ،وكانت إجراءات التقديس بالغة الأهمية وعميقة المعنى توضح خصائص الخدمة الكهنوتية التي سيقوم بها هارون ،حيث قام موسى بغسل وتطهير هارون ،وسكب دهن المسحة على رأسه ،وألبسه ثيابه الكهنوتية المقدسة ،وهي أكثر خصوصية وتعقيدا من ثياب الكهنة ،لأنّ الله قد حددها ووصفها لموسى وصفا دقيقا مفصّلا ،فكانت هذه الثياب رداء تتصل به صدرة القضاء ،بها اثنا عشر حجرا كريما ،وقد نقش على كل حجر اسم أحد الأسباط الإثنتي عشر ،وحجرا على الكتفين منقوش عليهما أسماء أسباط بني إسرائيل ،على كل حجر منهما ستة أسماء ،وعمامة عليها صفيحة من ذهب نقي تربط الى العمامة بخيط اسمانجوني مكتوب عليها "قدس الأقداس" ،وكانت هذه الأحجار والأسماء المنقوشة عليها تبرز صفة رئيس الكهنة كممثل للشعب أمام الرب[2] .

تقول التوراة :أن الرب كلّم موسى بأن يأخذ هارون وبنيه ومعه الثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير ،ويجمع كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع .ثم يقول موسى للجماعة هذا ما أمر الرب أن يُفعل ،فقدّم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء وجعل عليه القميص ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبة وجعل عليه الرداء وشد زنار الرداء ،ووضع عليه الصدرة ووضع العمامة على رأسه ووضع على العمامة صفيحة الذهب الإكليل المقدس كما أمر الرب ثم أخذ موسى من دهن المسحة وصب على رأس هارون ومسحه لتقديسه[3] .

---

[1]– سفر الخروج 29 :1 –37

[2]– زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ، مرجع سابق ،ص128 وما بعدها

[3]– سفر الخروج 28 :2 – 42 ،29 : 1– 7

إضافة الى الزيّ الرسمي الذي اكسب هارون خاصية كهنوتية ،فرضت شريعة موسى عليه قوانين صارمة قيّدت سلوكياته وعلاقاته الاجتماعية ،هذه القوانين تتلاءم مع ما ينبغي أن يكون عليه من قداسة وطهارة ووقار ،فكان لا يكشف رأسه ولا يشق ثيابه غضبا أو حزنا ،ولا يأتي الى نفس ميتة ،ولا يتنجس لأبيه وأمه ،ولا يخرج من مقدسه ،ولا يأخذ الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية ،ولا يدنس زرعه بين شعبه ،وأن لا يكون به عيب خلقي كأن يكون أعمى أو أعرج أو أفطس ،أو بأحد أطرافه زيادة أو نقص ،وأن لا يكون أحدب أو أكتم ولا في عينه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصي ،وأن يكون شرعي المولد [1] .

إذا بمقتضى هذه المراسيم التي قام بها موسى في تنصيب هارون رئيسا للكهنة ،وبمقتضى إلزامية هذه القوانين التي يجب أن يكون عليها ،أصبح هذا الأخير شخصا مقدسا اختاره الله ليعمل كوسيط بين الله والإنسان- يمثل الشعب أمام الله ،كما يمثل الله أمام الشعب- منفصلا انفصالا تاما عن كل نجاسة وكل خطيئة ،يؤدي كل واجباته الكهنوتية حسب وصايا الله .

ب- **تنصيب الكهنة** :بعد أن انتهى موسى من تنصيب هارون الكاهن الأكبر على رأس المؤسسة الكهنوتية ،قام بتنصيب مساعدين له ،وهم أبناءه الأربعة ناداب وابيهو واليعازر وايثامار ،وذلك بأمر من الله كما جاء في سفر الخروج :" وَقَرِّبْ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكْهَنَ لِي"[2] .وطبقا للقانون الخاص بتنصيب الكهنة ألبسهم موسى أقمصة ونطّقهم بمناطق وشد لهم قلانس كما أمر الرب ،وهي ثياب تختلف عن ثياب رئيس الكهنة كما جاء وصفها في سفر الخروج[3] .

بعد عملية التنصيب أكمل موسى إجراءات طقوس تطهير هارون وبنيه وتقديسهم بموجب المراسيم المألوفة ،وقد تكرّرت هذه المراسم الخاصة بتقديس الكهنة في كل يوم من الأيام السبعة المتواصلة لتكريس الكهنة وإعدادهم للخدمة داخل خيمة الاجتماع ،حيث جيء بثور الخطية ووضع هارون وبنيه أيديهم على رأسه ،وذبحه موسى وأخذ من دمه ومسح المذبح ،ثم جيء بكبش المحرقة ووضع هارون وبنيه أيديهم على رأس الكبش وذبحه موسى ورش الدم على المذبح ،ثم جيء بكبش ثان هو كبش الملء وأيضا وضع هارون وبنيه أيديهم على رأسه وذبحه موسى وأخذ من دمه وجعل على شحمة أذن هارون اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى ،كذلك فعل مع بنيه ،ثم رش الدم على المذبح

[1] - سفر اللاويين 21 :1 - 15 ،أنظر : محمود أحمد المراغي ،إشعيا ،دار المعرفة الجامعية ،د ط ،2006 ،ص78

[2] - سفر الخروج 28 :1

[3] - سفر الخروج 28 :40 – 43

،ومن الدم الذي على المذبح نضح موسى على ثيابه وعلى ثياب هارون وثياب بنيه وأمرهم بطبخ اللحم أمام باب خيمة الاجتماع وأكله مع الخبز ،والباقي يحرقونه بالنار ،وأمرهم أن لا يخرجوا سبعة أيام من باب خيمة الاجتماع ،وهكذا اكتملت طقوس التطهير والتقديس[1] .

وفي اليوم الثامن باشر هارون وظائفه رسميا على رأس المؤسسة الكهنوتية تحت إشراف موسى ،وبحضور شيوخ بني إسرائيل ،حيث دعا موسى هارون وبنيه وشيوخ إسرائيل ،وقام هارون بذبح ذبيحة خطية تكفيرا عن الشعب ،وذبح ذبيحة المحرقة ،وذبيحة السلامة وفقا للقانون الذي وضعه موسى[2] .

ج– **تنصيب اللّاويين** :تم أيضا تنصيب الكهنة اللّاويين وتكريسهم لمساعدة الكهنة في حفل علني خاص أقامه موسى ،وساعده هارون في شعائر التنصيب والمراسيم المتعلقة بهم ،وكان يشترط فيمن لم يبلغ بعد خمسة وعشرين سنة كحد أدنى أن يقضي خمس سنوات من التدريب[3] .

3– **تحديد الوظائف الكهنوتية** :بعد عملية إنشاء وتأسيس المؤسسة الكهنوتية وتنصيب الجهاز الإداري الديني لها ،قام موسى بتعيين وتحديد وظائف ومهام هذه المؤسسة ،وهي في الأساس ارتبطت بمدى التحول الذي طرأ على المجتمع سياسيا ودينيا واجتماعيا ،منذ أن أصبح يخضع لبعض قواعد ونظم تتراوح بين التحريمات والقواعد المنظمة للطهارة والسلوك...،وقد وضحت واجبات الكاهن منذ تلقي موسى من الرب تعاليم الديانة والوصايا التي خص بها هارون ونسله بالذات كما جاء في التوراة :" [1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً :[2]"كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: هذَا هُوَ الأَمْرُ الَّذِي يُوصِي بِهِ الرَّبُّ قَائِلاً..."[4] .

فكان للكهنة وظائف وواجبات وفق مخطط عمل دقيق ومحدد داخل خيمة الاجتماع ،هذه الوظائف متعددة تجمع بين الوظيفة الدينية ،الوظيفة السياسية ،الوظيفة الاجتماعية والاقتصادية .

الوظيفة الدينية تمثلت في القيام بمتطلبات العبادة من نظام الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية ،إضافة الى الخدمة في الاحتفالات ،والاعتناء بالآنية المقدسة والنار المقدسة والأثاث المقدس والمنارة الذهبية ،وحمل تابوت العهد ،وإطلاق صوت الأبواق ،وتفسير الناموس للشعب.والوظيفة السياسية تمثلت في الحفاظ على الأمن من خلال القضاء في

[1]– سفر الخروج 29 : 1 – 34

[2]– سفر اللاويين 9 : 1 – 22

[3]– سفر العدد 8 : 23 – 26

[4]– سفر اللّاويين 17 : 1 – 2

الدعاوى والخصومات والمنازعات بين الناس،وحالات القتل المجهول فاعلها ،وبعض القضايا المدنية الأخرى .وأمّا الوظيفة الاجتماعية فتمثلت في الحفاظ على الصحة العمومية من خلال الاعتناء بطقوس التطهير من النجاسات والقضاء على الأمراض كحالات البرص وإزالة التلوث والقضاء على الوباء ،وتزويد مكان الإقامة بالوقاية الصحية كشريعة دائمة .وأخيرا الوظيفة الاقتصادية تمثلت في الإشراف على الموارد المالية التي تصل الى خيمة الاجتماع[1] .

هذه المهام والواجبات جعلها موسى وقفا عليهم لا يشاركهم فيها أحد ،وشدّد على ضرورة أداءها بدقّة تامّة والالتزام الشديد بترتيبها في المكان والزمان المحددين لها ،فالذي يخالف ذلك كانت عقوبته الموت ،جاء في سفر العدد أن الرب قال لهارون :" [٧]وَأَمَّا أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ فَتَحْفَظُونَ كَهَنُوتَكُمْ مَعَ مَا لِلْمَذْبَحِ وَمَا هُوَ دَاخِلَ الْحِجَابِ، وَتَخْدِمُونَ خِدْمَةً. عَطِيَّةً أَعْطَيْتُ كَهَنُوتَكُمْ. وَالأَجْنَبِيُّ الَّذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ"."[2] .

وجاء في التوراة ما يؤكّد عقوبة مخالفة هذا القانون في حادثة أبناء هارون :".[١]وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا.[٢]فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ."[3] .

أ– **وظائف الكاهن الأكبر** :منذ أن أصبح هارون الحاكم الفعلي والرئيس الأعلى لكل الكهنة ،أصبح هو المشرف الأول على الشؤون الكهنوتية داخل خيمة الاجتماع ،فلم يكن مسموحا لغيره الدخول الى قدس الأقداس ،ولم يكن ذلك يحدث إلّا يوما واحدا في كل عام وهو يوم الكفارة ،إذ كان يمثل في هذا اليوم الوسيط بين الله والناس ليكفر عن ذنوب الناس وخطاياهم التي ارتكبوها خلال السنة المنقضية ،وكان يستشير الله بواسطة الأوريم والتميم وهما حجران كان يحفظهما في صدرته يستخدمهما في معرفة إرادة الله في الأمور الكهنوتية والسياسية والحربية على السواء ،وكان يقوم بدور المعلم والقاضي بتفسير الشريعة والقضاء بين الناس في الخصومات وما ينجم بينهم من مشكلات في تعاملهم فيما بينهم[4] .

ب– **وظائف الكهنة** : نصّت شريعة موسى على أن أول قانون يلتزم به الكهنة قبل الدخول الى خيمة الاجتماع ومباشرة المهام والواجبات ،هو الطهارة والاغتسال الدائم حسب ما جاء في سفر الخروج[5] .

---

[1]– سفر الخروج 28 : 30، سفر اللاويين : 13 – 15 ،سفر التثنية 21 :5

[2]– سفر العدد 18 : 7

[3]– سفر اللاويين 10 :1 – 2

[4]– زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ، مرجع سابق ،ص32 – 33

[5]– سفر الخروج 30 :17 – 21

ج– **وظائف اللّاويين** : أسندت الى اللّاويين مسؤوليات مختلفة كمساعدين لكهنة هارون ،فبالنسبة للبالغين بين سن ثلاثين وخمسين سنة كانوا مسؤولين على تبعات خاصة في خيمة الاجتماع من أمتعة المقدس وألواح المسكن وعوارضه،وأمّا حراسة التابوت فقد أُسندت الى بني قهات وبني راؤبين من سبط اللاويين ،ونقل الخيمة أُسندت الى بني جرشون وبني مراري[1] .

ومن اجل إنجاح العمل الكهنوتي أعطى نظام موسى للكهنة امتيازات لم تكن لغيرهم من عامة الشعب ،فجعل لهم مخصصات من داخل المعبد من الذبائح والتقدمات والنذور مما فرضه على الشعب يحصل الكاهن منها على أطايبها[2].

ب– تنظيم العبادة :

ارتبطت عبادة يهوه من أول لحظة بالمطامع الإقليمية والأهداف السياسية على النحو الذي ينطق به سفر الخروج:" [٧] فَقَالَ الرَّبُّ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ،[٨]فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ والحويين واليبوسيين"[3] ،وعبادة يهوه انتهجت مسارا سياسيا محضا في التعامل مع المشاكل الجيوبوليطيقية المتعلقة بالأرض والسكان ،والمشاكل المتعلقة بآلهة تلك الأراضي وسكّانها[4] .

ونظام العبادة في هذه المرحلة تطوّر من النّظام الخاص الى النّظام العام ،فبعد أن كانت العبادة تمارَس على مستوى القبيلة ،أصبحت تمارَس على مستوى أعم يشمل كل بني إسرائيل أيا كانت العشيرة التي ينتسبون إليها ،فاختفت بذلك العبادة الخاصة بالعشائر تاركة مكانها لعبادة عامة[5] .يقول موسكاتي : يمكن القول أن النّظام الديني في هذه المرحلة كان كاملا ولا سيّما من ناحية الطقوس[6] .

---

[1]– سفر العدد 4 : 1– 16 ،4 : 33 – 39 ،3 : 36 – 37

[2]– أنظر : محمود أحمد المراغي ،إشعيا ،ص83 – 84

[3] – سفر الخروج 3 :7 – 8

[4] – شفيق مقار ،قراءة سياسية للتوراة ،مرجع سابق ،ص 281

[5]– صوفي ،مرجع سابق ،256

[6]– موسكاتي ، مرجع سابق ،ص148

1- **نظام الذبائح وتقديم القرابين** :إذا كانت الفترة السابقة في حياة بني إسرائيل لا تتضمن القوانين والإرشادات المتعلقة بالقرابين والذبائح ،وكان يكفي أن يتم تقديمها بواسطة رب الأسرة الذي يمثل أسرته في العبادة ،فإنّه بعد أن تحرر بنو إسرائيل وأصبحوا أمّة مقدّسة في سيناء بقيادة موسى ،وبعد أن أسّسوا خيمة الاجتماع التي أصبحت مركز الحياة الدينية وقلبها ،وتعاهدوا مع الله للاقتراب منه ،أصبح القربان جزءا مهما من الشريعة ؛إذ أن التكفير عن الخطايا لا يكون بالاستغفار والندم فقط ،بل لابد من الاعتراف أمام الكاهن والتطهير بتقديم ذبيحة ،لذلك وضع موسى لهذه القرابين نظاما دقيقا ومفصلا ،وحدّد لها مكانا خاصا تُقدم فيه ،وحصر تقديم الذبائح في الكهنة ،وكانت القرابين تُقدّم في مناسبات كثيرة للتوبة والاعتراف والكفارة والتكريس والشكر على السّلامة أو النجاح وغير ذلك ،وإتباع هذه القوانين وتنفيذ الشروط المطلوبة كان كفيلا بنجاح خدمتهم التي يؤدنها بأسلوب مرض ومقبول[1] .

وإذا نظرنا الى نظام الذبائح وتقديم القرابين والغرض الذي من أجله شُرعت ،وجدنا أن هذه القرابين أخذت أبعادا سياسية ،دينية ،وقائية أمنية ،اجتماعية واقتصادية تحت عنوان التكفير وذلك على النحو التالي :

البعد السياسي :إلزامية تقديم القربان من الأمور التنظيمية التي سنها موسى بدافع الحفاظ على الأمن ،والدفاع عن الحقوق الشخصية والمدنية ،وحفظ الممتلكات بتطبيق القصاص .

البعد الديني :تقديم القرابين يعكس النشاط الديني داخل بيت العبادة ،ودور الكاهن في تنظيم أمور العبادة ،وتوجيه السلوكيات والأخلاق وتقوية الوازع الديني للفرد والمجتمع للحفاظ على الوعد الذي يربط بني إسرائيل بالإله يهوه من خلال التكفير عن الذنوب والخطايا والاعتراف بها.

البعد الوقائي الأمني :يكمن في الالتزام بقواعد وشروط الطهارة والابتعاد عن النجاسات من أجل تحقيق الصحة العامة .

البعد الاجتماعي : يكمن في تقوية الروابط والصلات الاجتماعية من خلال الحضور الجماعي في تقديم القربان.

البعد الاقتصادي : يعكس الموارد المالية من خلال التقدمات المتنوعة التي تصل الى بيت العبادة .

فمنذ أن أشرف موسى على العبادة في الخيمة ،حمل الى الكهنة والشعب المزيد من الإرشادات الإلهية بالنسبة للخدمة الدينية ،وكيفية تقديم القرابين والشروط التي يجب أن تراعى عند تقديمها ،فكان يجب أن تُقَدم الذبيحة على المذبح ،ثم يضع صاحب التقدمة يده على الذبيحة مع ضرورة ذبح الحيوان ،ورش الدم على المذبح ،وحرق الذبيحة ،ولا يأكل

[1]- البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج 4 ،مرجع سابق ،ص1033 ،صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص84 ،سيميون ،مرجع سابق ،ص 178

صاحب الذبيحة من ذبيحته إلاّ إذا كانت التقدمة تقدمة سلامة ،وكان الكاهن يشرف على الذبيحة المقدمة عن الشعب ،فيرش الدم ويحرق التقدمة،وقد فصل سفر الخروج ذلك[1] .

وكان هناك أربعة أنواع من الذبائح تتضمن سفك الدم ،وهي ذبيحة المحرقة ،ذبيحة السلامة ،ذبيحة الخطيئة ،ذبيحة الإثم والمعصية ،ونوع آخر وحيد يتضمن تقدمة خاصة بإنتاج الأرض ،هذه القرابين كانت تخضع لشروط معينة ودقيقة ومحددة بالكيفية وبالمكان والزمان وبالغرض الذي من أجله يتم تقديمها ،ففي حال كونها من الحيوانات الصالحة للتقدمة ،يجب أن تكون نظيفة وأليفة وصالحة للأكل مثل الخراف والماعز والثيران (ذكور وإناث، صغيرة وكبيرة) ،وفي ظروف الفقر المفرط كان يصرح بتقديم الحمام كبديل عن ذلك .هذه القرابين في أساسها كان الغرض منها هو ،تحقيق أهداف سياسية ،دينية ،اجتماعية واقتصادية على نحو ما ذكرنا .

أ– **ذبيحة المحرقة** :هذه الذبيحة إلزامية ،وهي تعكس في أساسها بعدا روحيا ودينيا ،إذ كان تقديمها فوق المذبح يُعتبر تذكيرا دائما بضرورة عبادة الله ،فإسرائيل كان ملتزما بالإبقاء على ذبيحة محرقة دائمة ليلا ونهارا عن طريق وجود النار على المذبح النحاسي ،أمّا النظام المتبع في ذلك فهو تقديم خروف كذبيحة في كل صباح ومساء ،وحرقها بأكملها فوق المذبح ،والهدف من ذلك يدل على التكريس الكامل من جانب صاحب المحرقة ومقدمها[2].

ب– **ذبيحة السلامة** :هذه الذبيحة طواعية وليست إجبارية، وهي تعكس في أساسها بعدا دينيا واجتماعيا ،إذ أنها تشير الى التكفير عن الخطيئة ،والى ميثاق الصداقة بين الله والإنسان،وذلك من خلال إشراك أفراد الأسرة والأصدقاء صاحب الذبيحة ،فتناول طعام هذه الذبيحة جماعة دليلا على الشركة بين الناس وبين الله ،وتعبيرا عن البهجة والسرور التي تجمع الله بشعبه،أمّا النظام المتبع في ذلك هو، تقديم أي نوع من الحيوان باستثناء الطيور بصرف النظر عن الجنس والعمر ،وشحم الحيوان يُحرق على المذبح ،وجزء من الذبيحة يكرسه الكاهن لله،والجزء المتبقي يُستخدم في إطعام الضيوف[3].

ذبيحة السلامة ثلاثة أنواع تختلف بحسب الهدف منها ،فإن كانت من أجل البركات كان يُطلق عليها ذبيحة حمد ،مدتها يوم واحد ،وإن كانت وفاء لنذر يُطلق عليها ذبيحة نذر ،وإن كانت تقدم تعبيرا عن محبة الله يُطلق عليها ذبيحة طواعية ،وهاتان الذبيحتان تستمران يومين على شرط التخلص من الطعام في اليوم الثالث[4].

---

[1]– سفر الخروج 9 : 1 – 34

[2]– سفر الخروج 29 : 38 – 42 ،سفر العدد 28 : 3 – 8 ،سفر اللاّويين 6 : 8 – 13

[3]– سفر التثنية 12 : 6 – 7 ،سفر اللاّويين 19 : 5 – 8

[4]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص86

ج– **ذبيحة الخطيئة** :هذه الذبيحة إجبارية لا يُستثنى منها أحد ،وهي تُسمى ذبيحة خطيئة الجماعة إن كانت الخطيئة جماعية ،وذبيحة إثم إن كانت الخطيئة فردية ،الغرض منها هو تسليط العقوبة والقصاص ،وتحقيق العدالة الاجتماعية[1] .

أمّا النّظام المتّبع في هذه الذبيحة ،فهو يختلف بحسب الجنس والسن ،والمكان والزمان ،ومراسيم تقديمها ،وأيضا بحسب المكانة الاقتصادية لصاحب الذبيحة .فكان رئيس الكهنة يُقدم عجلا صغيرا عن نفسه أو عن الجمهور مع ضرورة رش الدم سبع مرات قبل دخول قدس الأقداس ،ويُقدم ماعز ذكر من أجل الحاكم ،وماعز أنثى عن المواطن والفرد مع وجوب وضع الدم على قرون المذبح ،أمّا الذي لا يستطيع أن يُقدم خروفا أو ماعزا ،فإنّه يستطيع أن يستبدله بطائر من الحمام أو اليمام ،وفي حالة الفقر المفرط فإنّه يكفي قليل من الدقيق ،وكان يُشترط في هذه التقدمة أن لا يأكل منها صاحبها لاعترافه بارتكاب الخطأ ،وبعدم استحقاقه للشركة مع الرب ،إلّا للكاهن الذي يحصل على نصيب من المحرقة ،وفي النهاية كان القربان يُحرق فوق المذبح أو خارج المحلّة[2] .

د– **ذبيحة المعصية** : هذه الذبيحة هي الأخرى إجبارية ،الغرض منها هو حماية الحقوق الشرعية الدينية الخاصة بعبادة الله ،والحقوق المدنية الخاصة بالفرد وممتلكاته وذلك من خلال التعويض عن الأضرار ،وقد جاءت مكلّفة حتى يعي الفرد معنى الخطيئة ويدرك مفهومها ،وهي تشبه ذبيحة الخطية .

تُقدم هذه الذبيحة حسب نوع الخطأ المرتكب ،فإن كان الخطأ في حق الله يتم تقديم باكورة الثمار والعشور ،أو تقدمات أخرى كتعويض وكقربان ،إضافة الى دفع أربع أخماس الدين المطلوب ،وإن كان ارتكاب الخطأ ضد إنسان فإن الخمس المتبقي كان مطلوبا منه دفعه لإصلاح الخطأ على اعتبار أن ذلك انتهاك ومساس بحقوق الآخرين ومعصية موجهة إليه ،وإذا لم يتم التعويض نحو الشخص المذنب إليه أو لقريب من الأقرباء فإنه يدفع للكاهن ،لأنّ الذبيحة كانت أمرا لابد منه[3] .

[1]– سفر اللّاويين 6 :24 – 30، 5 :1 – 13

[2]– المرجع السابق ،ص86 – 87

[3]– سفر العدد5 :5 – 10 ،سفر اللّاويين7 :1 – 7

هـ– **تقدمة الحبوب (الدقيق)** :هذه التقدمة من نتاج الأرض ،تُقدم تكفيرا عن الخطية ،وهي تشير الى تعب الإنسان ومجهود يديه ،وبواسطتها يكون بنو إسرائيل قد قدموا ثمار أتعابهم مكرسا لله.أما تقديمها فيكون عن طريق الكاهن القائم بالخدمة ،حيث يُقدم حفنة على مذبح المحرقة ويحتفظ بالباقي للتذكير في خيمة الاجتماع[1].

ج – تنظيم الأعياد الدينية :

اقتضى النظام الديني توحيد الأعياد الدينية ،حيث جاءت في شكل احتفالات أخذت الطابع الديني التربوي ،السياسي ،الاقتصادي والاجتماعي ،وأصبحت تمثل الذاكرة الجماعية لشعب هيمنت عليه العبودية لسنين طويلة في أرض مصر ،وقد نصت شريعة موسى على وجوب الالتزام بالقيام بها وحفظها وحضورها ،لأنّها تشكّل عاملا رئيسيا في توحيد الأسباط الإثنا عشر حول مركزية العبادة المشتركة ،وفي تكوين وتربية المجتمع ،لذلك يرى علماء التربية أن الأعياد والاحتفالات الدينية لعبت دورا لا تضاهيه أي وسيلة تربوية أخرى في تلقين النشء تراثهم الديني القومي ،فكل عيد ديني كان مناسبة لتدريب الطفل على العبادة وتلقين مبادئ الدين ،ومن خلالها يتعلّم الأحداث الهامة في حياة الشعب ،وتجربته الدينية والسياسية [2] .هذه الأعياد الرئيسية هي :

1 – **عيد الفصح** : يعتبر هذا العيد من أهم الأعياد التي نصت عليه شريعة موسى ولزم الحفاظ عليه والقيام به ،فهو عيد بدوي يُحتفل به ليلا في كل أسرة [3] ،جاء في التوراة :" [٣]وَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: "اذْكُرُوا هذَا الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَا. وَلاَ يُؤْكَلُ خَمِيرٌ.[٤]الْيَوْمَ أَنْتُمْ خَارِجُونَ فِي شَهْرِ أَبِيبَ.[٥]وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّتِي حَلَفَ لآبَائِكَ أَنْ يُعْطِيَكَ، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، أَنَّكَ تَصْنَعُ هذِهِ الْخِدْمَةَ فِي هذَا الشَّهْرِ.[٦]سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ فَطِيرًا، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عِيدٌ لِلرَّبِّ.[٧]فَطِيرٌ يُؤْكَلُ السَّبْعَةَ الأَيَّامِ، وَلاَ يُرَى عِنْدَكَ مُخْتَمِرٌ، وَلاَ يُرَى عِنْدَكَ خَمِيرٌ فِي جَمِيعِ تُخُومِكَ.[٨]"وَتُخْبِرُ ابْنَكَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ إِلَيَّ الرَّبُّ حِينَ أَخْرَجَنِي مِنْ مِصْرَ.[٩]وَيَكُونُ لَكَ عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَتَذْكَارًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ، لِكَيْ تَكُونَ شَرِيعَةُ الرَّبِّ فِي فَمِكَ. لأَنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ"[4] .

[1] – سفر اللّاويين 2 :1 – 16

[2] – سعيد إسماعيل علي ،التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم ،عالم الكتب ،القاهرة ،د ط ، 1995 ، ص140

[3] – بيومي ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ، ص527 وما بعدها

[4] – سفر الخروج 13 : 3 – 9

تكمن أهميته في كونه ارتبط بالتحرر من العبودية ،فأصبح بذلك عيدا وطنيا يقام في اليوم الرابع عشر من شهر أبيب إحياء لهذه الذكرى ،وتذكارا سنويا بتدخل الله العجيب في شئونهم بالنيابة عنهم[1] ،جاء في العهد القديم :" ٥فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فِصْحٌ لِلرَّبِّ "[2] ،وكان شعاره مائدة الفصح، وهي أهم طقوسه كما جاء في التوراة :" فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: "اسْحَبُوا وَخُذُوا لَكُمْ غَنَمًا بِحَسَبِ عَشَائِرِكُمْ وَاذْبَحُوا الْفِصْحَ"[3] .

هذا العيد في بداية الأمر كان إحياءه والاحتفال به يتم ضمن نطاق الأسرة ،فكان رب الأسرة يقوم بذبح حمل ،وتدريب الأبناء على العبادة وتلقينهم مبادئ الدين ،ثم أصبح يُحتفل به على مستوى واحد بعد تأسيس الكهنوت وخيمة الاجتماع ،حيث أصبح الشعب يجتمع حول مذبح خيمة الاجتماع في كل سنة[4] .

نظرا لأهمية الفصح وضرورة حفظه فإن النّظام المتّبع في إقامة هذا العيد كان يخضع لشروط دقيقة ومعيّنة التزم بها بنو إسرائيل وهي :

الختان :أصبح الختان تكريسا للبدن من أجل الخالق وعلاقة عضوية بالأرض الموعودة ؛أي أن قطع القُلفة قطعا للعهد مع الآباء بامتلاك أرض الميعاد ،وصار الالتزام به ضرورة لإبقاء العهد قائما ،وقد حدد اليوم الثامن لختن كل مولود ،جاء في سفر اللّاويين :"٣وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ "[5] .

لذلك تشدد بنو إسرائيل في إقامة هذا الطقس الديني لما له من دلالة دينية وسياسية ،فكانوا يمنعون غير المختونيين من أن يأكلوا من الفصح كما أمر الرب موسى بذلك :" ٤٣وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: "هذِهِ فَرِيضَةُ الْفِصْحِ: كُلُّ ابْنِ غَرِيبٍ لاَ يَأْكُلُ مِنْهُ. ٤٤وَلكِنْ كُلُّ عَبْدِ رَجُلٍ مُبْتَاعٍ بِفِضَّةٍ تَخْتِنُهُ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْهُ ... "[6] .

الاجتماع المقدس : اعتُبر اليوم الخامس والحادي والعشرين من بين الأيام التي يُدعى فيه الشعب للاجتماع معا اجتماعا مقدسا ،وأكل الخبز غير مختمر خلال الأسبوع بأكمله[7] .

---

[1] – التفسير التطبيقي ،ص 154 ،عرفان عبد الحميد فتاح ،مرجع سابق ،ص 33

[2] – سفر اللاويين 23 : 5

[3] – سفر الخروج 12 : 21

[4] – سعيد إسماعيل علي ، التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم ، ص140

[5] – سفر اللّاويين 12: 3

[6] – سفر الخروج 12 : 43 – 44

[7] – سفر التثنية 16 :7

تقدمة المحرقة :كانت تُقَدم خلال الأسبوع بأكمله تقدمات من أجل الشعب تتمثل في وجبة الطعام المنصوص عليها وحزمة من باكورة ثمار الأرض ،إشارة الى أن بركة الله ظهرت في الحاجات المادية[1] .هذه التقدمة كانت من أجل الابتعاد عن الأوثان ،وعن العجول والحملان المصنوعة من الحجر أو من المعدن ،والالتزام بأوامر الله من أجل الخلاص[2] .

ولأهمية الفصح وضرورة حفظه لم يُعف إسرائيلي واحد من المشاركة فيه ،فكان يُنبذ كل شخص يرفض تعييد الفصح ،لأنّه تذكار دائم لبني إسرائيل بأنّهم شعب الله المختار .

2 – **عيد الأسابيع (الحصاد)** :يقع في اليوم السادس من الشهر الثالث مارس (سيوان) بعد خمسين يوما من تاريخ حلول الفصح ،وكان الاحتفال به يستغرق يوما واحدا ،ويتم فيه تقديم رغيفين من خبز مختمر أمام الرب للتعبير عن أن كل شيء حتى الخبز اليومي هو من الله ،وإبراز العلاقة العضوية التي تربطهم به [3] ،هذا الاحتفال يتم فيه زفاف التوراة داخل المعبد كأنّها عروس ،وفيه يبالغ البعض في قراءتها كاملة[4] .

تكمن أهمية هذا العيد في كونه ارتبط في جانبه السياسي والديني بإحياء ذكرى وصول بني إسرائيل الى جبل سيناء بعد خروجهم من مصر ،ونزول القوانين أو الوصايا على موسى ،وفي جانبه الاجتماعي والاقتصادي كان يهدف الى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي ،ففي هذه المناسبة كان على الإسرائيلي أن لا ينسى الفقراء والمعوزين ،ومن ثم كان واجبا أن يترك اللقاطة في الحقل من أجل هؤلاء [5] .

3– **عيد المضالّ** :يبدأ عيد المضالّ في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع أكتوبر (تشري) ومدته سبعة أيام ،أقيم هذا العيد بعد الاستقرار في أرض كنعان إحياء لذكرى سنوات التيه والإقامة في الصحراء تحت المضالّ والخيام أربعين سنة[6].

يتميز هذا العيد في مغزاه الديني عن بقية الأعياد بكمية التقدمات التي تقدم على المحرقة مدة سبعة أيام ،وفي اليوم الثامن يُعقد اجتماع ديني ويُقرأ الناموس علانية تأكيدا على الالتزام وحفظ شريعة موسى[1].

---

[1]– سفر العدد 28 :19 – 23 ،سفر اللاّويين 23 :9 – 14

[2]– أحمد ايبش ،التلمود كتاب اليهود المقدس ،دار قتيبة ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،1427 هـ ،2006 م ،ص 366

[3]– سفر الخروج 34 :24 ، سفر الخروج 24 :12 ،سفر اللاّويين 23 :15 –20

[4]– بيومي ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 527

[5]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[6]– سفر الخروج 23 :16 ،سفر اللاّويين 23 :40 –41

4 – **يوم السبت** :كان حفظ السبت له المقام الأول من بين المناسبات التي أقامها بنو اسرائيل في هذا العهد ،وكان الالتزام به وإحيائه من أبرز الواجبات الدينية كونه ارتبط بالحرية السياسية من ذل وعبودية المصريين ،ونظرا لأهميته كان يوقع عقاب صارم على أيّ شخص يتعمد إهمال حفظ السبت[2] .

وقد أوصى موسى بالتفرغ التام عن العمل في هذا اليوم ،ومدّته من غروب شمس يوم الجمعة الى غروب شمس يوم السبت بناء على ما جاء في الوصايا العشر ،إذ يعتبر هذا اليوم رابع هذه الوصايا ،جاء في التوراة :" ٨اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.٩ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ،١٠ وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ.١١ لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ "[3] .

أمّا النّظام المتّبع في إحياء هذا اليوم فهو تقديم خروفين قربانا ،ووضع اثنا عشر رغيفا على المائدة المقدسة ،وفيه يحرم كل ما يشعر بالسعي في الرزق والانشغال بحرفة أو صناعة ،وإيقاد النار إلّا التي اشتعلت قبل دخول يوم السبت ،ويحرم أيّ تبادلات تجارية كما يحرم عقد الزواج فيه[4] .

5 – **عيد رأس السنة وعيد الأبواق** :يبدأ هذا العيد في اليوم الأول من الشهر السابع ،وفيه يُنفخ بالأبواق إعلانا رسميا على بدء الشهر الجديد ،وقد تم الإعلان عن تأسيس هذا العيد بناء على وصية الرب لموسى :" وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:٢"اصْنَعْ لَكَ بُوقَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ. مَسْحُولَيْنِ تَعْمَلُهُمَا، فَيَكُونَانِ لَكَ لِمُنَادَاةِ الْجَمَاعَةِ وَلارْتِحَالِ الْمَحَلاَّتِ... .١٠ وَفِي يَوْمِ فَرَحِكُمْ، وَفِي أَعْيَادِكُمْ وَرُؤُوسِ شُهُورِكُمْ، تَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ عَلَى مُحْرَقَاتِكُمْ وَذَبَائِحِ سَلاَمَتِكُمْ، فَتَكُونُ لَكُمْ تَذْكَارًا أَمَامَ إِلهِكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ."[5] .

6– **سنة اليوبيل** :تبدأ هذه السنة في اليوم العاشر من الشهر السابع وتأتي في أعقاب السنة السبتية ،أمّا الاحتفال بهذه السنة فيعود إلى أنّه ارتبط أيضا بالحرية السياسية وبعودة الميراث الى الأسرة التي فقدته ،فكانت الأسرة تُعيِّد هذا العيد وتحفظه ميراثا من جيل الى جيل[6] .

---

[1]– سفر اللّاويين 31 :9 –13

[2]– سفر الخروج 31 : 14 – 36 ،35 : 35 : 3

[3]– سفر الخروج 20 :8 –11

[4]– صموئيل شولتز ، مرجع سابق ،ص89 ،البدراوي ،مرجع سابق ،ص1033

[5]– سفر العدد 10 :1 – 10

[6]– أنظر :صموئيل شولتز ،المرجع السابق ،ص90

وكان الإعلان عن هذا العيد يتم بواسطة نفخ البوق في اليوم العاشر ،وفيه كان يُطلق صراح العبيد بصرف النّظر عن المدة التي قضوها في العبودية والأسر ،ذاكرين أنّهم كانوا يوما عبيدا في مصر ،وكان لزاما على بني إسرائيل أن يتركوا الفلاحة وزرع الحقول في هذه الفترة[1].

7 – **السنة السبتية السابعة** : ارتبطت هذه السنة ارتباطا وثيقا بيوم السبت تعبيرا عن الحرية السياسية ودخول أرض كنعان[2] ،وكان النّظام المتّبع في إحياء هذه السنة هو إراحة الأرض من خدمتها وفلاحتها ،ومحصول الفلاحة في تلك السنة يكون مشاعا بين المالك والخدم والغرباء وحتى الوحوش ،وفيها يتم تحرير العبيد ومسح الديون والقروض من المدين ،وقراءة النّاموس وفقا لما تضمنته الإرشادات والتوجيهات الرسمية[3] .

القرآن الكريم لم يشر إلى كل هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم بخصوص هذه الأعياد والاحتفال بها ،إنّما أشار فقط إلى أن الله تعالى جعل السبت على بني إسرائيل ،وشّدد عليهم فيه لما خالفوا أمر نبيّهم موسى عليه السلام حينما أمرهم بأن يتفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما واحدا ،هو يوم الجمعة لا يعملون فيه شيئا ،فأبو ذلك واختاروا يوم السبت[4] ،قال تعالى :﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤ ﴾[5] ،ففي هذه الآية الكريمة فُرض السبت حين ظلّوا عن يوم الجمعة ،فصار اختلافهم سببا سببا في وجوب احترامه وتعظيمه ،وأن لا يعملوا فيه ،فلمّا رأى موسى عليه السلام رجلا يحتطب يوم السبت ضرب عنقه[6] .

وحين استقر بهم المقام وسكنوا القرى ،استحلوا محارم الله واعتدوا على السبت الذي حُرّم عليهم ،فكانوا يُعدّون آلات الصيد يوم السبت ،وقد حرّم الله عليهم الصيد فيه[7] ،هذا ما تؤكده الآية الكريمة ،قال تعالى:﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ

---

[1]– المرجع نفسه ،ص91

[2]– سفر الخروج 23 : 10 –11

[3]– سفر الخروج 21 : 2 – 6 ،سفر التثنية 15 :1 –11 ،12 –18

[4]– الرازي ،تفسير الرازي ،ج20 ،ص 139

[5]– سورة النحل :124

[6]– عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ،ط1 ،1420 هـ ،2000 م ،ص 452 ،

[7]– الرازي ،تفسير الرازي ،ج 15 ،ص 40

ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].

3 – الشؤون العسكرية :

تميّز هذا العصر بمرحلتين من النشاط العسكري ،وتغيرا تاما في مفهوم العمل العسكري على خلاف ما كان في عهد الآباء ،حيث يظهر لأوّل مرة مفهوم الدعم والمدد الإلهي ،ومفهوم الإبادة ،واحتلال الأرض لنيل رضا الرب ،وقد انتهج موسى كقائد أعلى لقوات الجيش سياسة التعبئة العامة الدائمة من أجل احتلال الأرض الموعودة تحت شعار "كنعان هي أرض الميعاد" ،لذا طالب أنصاره بوجوب غزوها والاستيلاء عليها[2] .

تقول التوراة : "[20]فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: "إِنْ فَعَلْتُمْ هذَا الأَمْرَ، إِنْ تَجَرَّدْتُمْ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحَرْبِ،[21]وَعَبَرَ الأُرْدُنَّ كُلُّ مُتَجَرِّدٍ مِنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى طَرَدَ أَعْدَاءَهُ مِنْ أَمَامِهِ،[22]وَأُخْضِعَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الرَّبِّ، وَبَعْدَ ذلِكَ رَجَعْتُمْ، فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ مِنْ نَحْوِ الرَّبِّ وَمِنْ نَحْوِ إِسْرَائِيلَ، وَتَكُونُ هذِهِ الأَرْضُ مُلْكًا لَكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ. [23]وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هكَذَا، فَإِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ إِلَى الرَّبِّ، وَتَعْلَمُونَ خَطِيَّتَكُمُ الَّتِي تُصِيبُكُمْ"[3] .

العمل العسكري الذي قام به موسى وإن كان محدودا من حيث عدد المعارك الحربية التي قادها ،إلّا أنّه كان بمثابة إعداد لحروب طويلة خاضها بنو إسرائيل من بعده ،فالتوراة تذكر لنا قصة أول حرب خاضها مع ملك الأموريين بعد أن رفض هذا الأخير طلب مرور بني إسرائيل بأرضه أثناء اجتيازهم البرية من أرض سيناء الى فلسطين أرض الميعاد ،فاختار الحرب بدل السلم ووقع القتال بينهم :"[24]فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَمَلَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَرْنُونَ إِلَى يَبُّوقَ إِلَى بَنِي عَمُّونَ. لأَنَّ تُخُمَ بَنِي عَمُّونَ كَانَ قَوِيًّا.[25]فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ هذِهِ الْمُدُنِ، وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الأَمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قُرَاهَا"[4] .

غير أن الرغبة في ضم المزيد من المدن وتوسيع الحدود كانت وراء اللّقاء الحربي الثاني بين موسى وبين مملكة باشان بقيادة ملكها عوج الذي انهزم أمام بني إسرائيل بقيادة موسى الذي يملك دائما أسباب الانتصار،وهو الدعم الإلهي

[1]– سورة الأعراف : 163

[2]– فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 58

[3]– سفر العدد 32 :20 – 23

[4]– سفر العدد 21 :24 –25 ،أنظر: محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص165 – 166

"[٣٤]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : "لاَ تَخَفْ مِنْهُ لأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفْعَلُ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِ فِي حَشْبُونَ". [٣٥]فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ."[1] .

ثم تفرغ موسى لقتال مديان بأمر من الرب ،لأن الشعب قد زنى مع بنات مديان وتعلق بآلهتها ،فتجندوا على مديان كما أمر الرب،وقتلوا كل ذكر ،وملوك مديان،وسبوا نساءهم وأطفالهم ،ونهبوا جميع مواشيهم وأملاكهم ،وأحرقوا مدنهم[2].

هذا العمل العسكري الذي قام به موسى تجاه هذه الأمم إنمّا هو في الأساس يحمل بعدا دينيا واضحا كما نص عليه سفر التثنية ،فالاختيار الإلهي لبني إسرائيل جعل منه شعبا مقدسا ،والحفاظ على هذه القداسة تستوجب عدم المصاهرة بين هذا الشعب المقدس وبين بقية الشعوب الأخرى حتى لا ينحرف ويعبد آلهة الأمم الأخرى ،وعلى هذا الأساس جاءت هذه الحروب كضمان لاستمرارية قداسة شعب بني إسرائيل ،واختياره من قبل الرب ،وإبقائه بعيدا عن مؤثرات الوثنية[3] .

أمّا القرآن الكريم فلم يثبت لموسى عليه السلام أي حرب من الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ضد جيرانهم من العرب العمالقة وغيرهم ،فحروب بني إسرائيل لم تحدث إلّا بعد وفاة موسى عليه السلام في أثناء التيه في صحراء سيناء مدة أربعين سنة ،حيث أشار القرآن الكريم الى أن موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة[4] ،وقتال العمالقة الجبارين وأنّه بشرهم بالنصر ،لكنّهم تمردوا على موسى عليه السلام وخالفوا أمره ونكلوا عن الجهاد ومقاتلة الأعداء فعوقبوا بالتيه أربعين سنة[5] .قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا

---

[1]- سفر العدد21 : 34 - 35

[2]- أنظر: فراس السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ، مرجع سابق ،ص64

[3]- سفر التثنية 7 : 1 – 8

[4]- أختلف أهل التأويل في الأرض المقدسة ،فقال بعضهم الطور وما حوله ،وقال آخرون هو الشام ،وقيل أرض أريحا ،وقيل أيضا دمشق وفلسطين وبعض الأردن ،أنظر : الطبري ،تفسير الطبري ،ج6 ،ص 167

[5]- ابن كثير ،تفسير تفسير ابن كثير ،ج3 ، ص74 ، القرطبي ،تفسير القرطبي ، ج6 ،ص127

ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

من بعد موسى تأتي مرحلة أخرى أكثر أهمية في التاريخ العسكري لبني إسرائيل ،حيث ارتبط النشاط العسكري في هذه المرحلة بيشوع خليفة موسى والذراع العسكري الأيمن له ،الذي قاد بني إسرائيل نحو ارض الموعد بناءا على أمر إلهي صدر إليه[2] .جاء في سفر يشوع :"[1]وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً: [2]"مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمُ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ[3]كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى... [5]لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ[6]تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَقْسِمُ لِهذَا الشَّعْبِ الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ"[3] .

في هذه المرحلة تتجسد الملامح الحقيقية للعسكرية الإسرائيلية ،حيث أن يشوع اتبع في ذلك سياسة عسكرية صارمة مكّنته من دخول الأرض المقدسة واحتلالها ،وتقسيمها على الأسباط ،وإرغام سكانها على العيش مواطنين من الدرجة الثانية تحت سلطته بعد أن فشل موسى في تحقيق ذلك ،هذه السياسة تمثلت في الإشراف على الحملات العسكرية ، وإدارة العمليات القتالية التي تميزت بطابعي القوة والإبادة ؛فقد أباد يشوع قرى بأكملها برجالها ونسائها وأطفالها ،حيث اتبع في ذلك سياسة الغزو المنظم لأرض كنعان ،والاستيلاء على القرى الواحدة تلو الأخرى ؛أي أن يشوع وضع برنامج لفتوحاته العسكرية باعتماد وسيلة التجسس لمعاينة الأرض والحصول على معلومات بشأن الأرض والسكان ،وجعل من هذه الحملة العسكرية أيضا سياسة كل إسرائيل القومية ،باستجابة الأمة بأسرها عندما أصدر أمره بالتأهب لعبور الأردن ،وتعهد القوات المسلحة بالمساندة له (الدعم اللّوجيستيكي) ،كما أعاد تجديد الميثاق الذي يربط الشعب بالله في إطار

[1]- سورة المائدة :20 – 26

[2]- أنظر :محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص98 ، فراس السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 86

[3]- سفر يشوع 1 :1 – 6

الوعد بالاستيلاء على أرض اللبن والعسل ،كان ذلك بإحياء طقس الختان الذي أفتقد في الجيل المتمرد ،وبذلك أخذ يشوع بكل أسباب القوة والانتصار[1].

إضافة الى هذه الإستراتيجية العسكرية ،كان يشوع هو الآخر يحضى بالدعم الإلهي لتنفيذ خطته ،إذ سخّر له يهوه كل العوامل الطبيعية لعبور الشعب من خلال الممر اليابس في وسط المياه ،وضرب الجيوش بحجارة برد من السماء ،ووقوف الشمس في كبد السماء نحو يوم كامل ،الشيء الذي مكّنه من احتلال وإبادة وتدمير للمدن ،وتطهير عرقي للشعوب المعادية نحو تحقيق الوعد المبرم مع الآباء ،احتلال الأرض وتقسيمها على الأسباط[2] .

من هذه المنطلقات إذا أكمل يشوع المشروع الموسوي دخول الأرض الموعودة ،فبدأ سلسلة الحروب بموجب الأمر الإلهي ،وبدأت معها سياسة الفتح والاحتلال العسكري وما تبعها من تقسيم الأراضي المحتلة واستيطانها وتغير معالمها ،وإن كان من المؤرخين من يرجح بأن جانب من عملية الفتح تم بالتغلغل السلمي على شكل هجرات كبيرة توصلت في النهاية إلى السيطرة على الأديان والثقافات المحلية في المنطقة[3].

يذكر المؤرخون أن يشوع وضع خطة عسكرية للهجوم على أرض فلسطين تتضمن ثلاث مراحل[4] :

المرحلة الأولى : الهجوم على وسط أرض فلسطين،حيث قام بغزو مدن أريحا،وعاي ،ومقيدة ،ولبنة، وحصارها ،واحتلالها وإبادة أهلها تماما ،ونهب ما فيها بدعم من الرب ،جاء تفصيل ذلك في سفر يشوع[5] .

المرحلة الثانية :غزو الجنوب،حيث شنّ حربا ضد تحالف ملوك الأموريين الخمسة ،وهم ملك أورشليم ،وملك حبرون ،وملك برموت ،وملك لخيش ،وملك عجلون ،وأباد كل نفس ،واحتل أرضهم بدعم إلهي[6] .

المرحلة الثالثة :غزو الشمال الذي كان ضد تحالف ملوك الشمال بزعامة ملك حاصور ،وإبادتهم والاستيلاء على مدنهم[7].

---

[1] – محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص167 ،إكرام لمعي ، مرجع سابق ،ص 32

[2] – سفر يشوع 10 : 10 – 14

[3] – موسكاتي ،مرجع سابق ،ص140 ،فيليب حتى ،مرجع سابق ،ص 195 ،فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ، مرجع سابق ،ص 68 – 69 ،جارودي ،مرجع سابق ،ص 67 ،روبن فايرستون ،مرجع سابق ،ص 28

[4] – مكسيموس ، المرشد الجغرافي التاريخي للعهد القديم ،ص 87 – 88 ،إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص 146

[5] – سفر يشوع 6 : 1 – 17 ،7 : 2 – 6 ،8 : 1 – 29 ،10 : 28 – 31

[6] – سفر يشوع 10 : 31 -37

[7] – سفر يشوع 11 : 10 -17

من خلال هذه الحروب،كانت خطط يشوع تعتمد على السيطرة على وسط فلسطين ،حيث يستولي بداية على التلال والمرتفعات حتى يصبح في مركز قتالي أقوى ،وقد مكنت الانتصارات التي حققها وسط فلسطين من فصل مدن فلسطين الشمالية عن الجنوبية لإيقاف أي تحالف ضده ،وبفضل السيطرة على مناطق الوسط الفلسطينية أصبح بإمكانه غزو مدن فلسطين الجنوبية ،ومن تم الاتجاه نحو المدن الشمالية بكل قوته بعد أن أمن جيشه من كل الجهات[1].

بهذه الانتصارات التي حققها يشوع أصبحت مساحة الأرض المحتلة تشمل المنطقة الممتدة من قادش برنيع حتى شمال الوادي في لبنان في أسفل جبل حرمون ،وفي الجهة الشرقية من الموضع الضحل للأردن حتى وادي أرنون شرق البحر الميت ،ويبلغ عدد الملوك الذين هزم يشوع واحد وثلاثين ملكا،ومن خلال هذه الفتوحات وإخضاع ملوكها نجح يشوع في توفير السلام والاستقرار في أرض الموعد[2].

بعد انتهاء يشوع من حملاته العسكرية التي دامت سبع سنين بحسب التوراة[3] ،دعا الشعب والقادة والرؤساء الى اجتماع علني في مدينة شكيم ذكرهم فيه بعهد الآباء ،وأكد على ضرورة حفظه ،بأن أخذ عهدا من القادة والرؤساء بخدمة الرب وحفظ وصياه ،والالتزام بالقوانين والتقاليد الدينية التي كان موسى قد فرضها من قبل[4] .كذلك أقام المذابح وقدّم القرابين تنفيذا لوصية موسى ،كما كتب نسخة من شريعة موسى على الحجارة ،وتلا عليهم ناموس موسى تذكيرا لهم بمسئولياتهم حتى لا ينحرفوا عن سبيل الرب[5] .

إضافة الى ذلك أخذ يشوع كل الاحتياطات التي تجعل الشعب لا ينسى هذه الأحداث ،حيث أقام نصب تذكارية من الحجارة تذكارا للأجيال القادمة يسترجعون عند رؤيتها عناية الله لهم منذ بداية عبورهم لنهر الأردن[6] .

القرآن الكريم أشار في آيات متعددة الى دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة بعد خروجهم من التيه بقيادة يشوع بن نون،فقد أمرهم أن يدخلوها سجدا خاشعين لله[7] ،منها قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ**

---

[1]- مكسيموس ،المرجع السابق ،ص 88 ،إسماعيل حامد ،المرجع السابق ،ص 146 – 147

[2]- شولتز ، مرجع سابق ،ص131 - 132

[3] - سفر يشوع 14 :6 - 12

[4]- جارودي ،فمرجع سابق ،ص 69

[5] - سفر يشوع 8 :30 - 35

[6] - سفر يشوع 4 :3 ،4، 9

[7]- أنظر : طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 371، سعد الدين السيد ،مرجع سابق ،ص 59

شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

ويذكر ابن كثير أن بني إسرائيل دخلوا بيت المقدس بقيادة يشوع بن نون بعد أربعين سنة من التيه ،كان ذلك يوم جمعة ،وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح[2] .

4 – الشؤون الاقتصادية والاجتماعية :

في هذه المرحلة كان يعتمد في إدارة اقتصاد الدولة على نهب المحاصيل الزراعية الكنعانية من المدن التي تركها أهلها ،حيث أضحت مصدرا هاما خاصة في تموين الجيش[3].

ثانيا :السياسة الخارجية :

تشير نصوص التوراة الى أن علاقة بني اسرائيل السياسية بالأمم المجاورة في هذه الفترة كانت قائمة على الصراع والحرب،وعدم الالتزام بأي عهد أو ميثاق مع أي شعب لعدم الثقة بأحد ،لأنّ إقامة أي علاقة مع أي أحد قد يكون فخا منصوبا لهم[4] ،جاء في سفر الخروج :" [١٢]اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ "[5] .

1 – الشؤون السياسية :

أ – العلاقة مع بني مديان :رغم أن موسى كانت تربطه علاقة مصاهرة مع أهل مدين بزواجه من ابنة يثرون بعد أن اختار مدين كمنفى اختياري له ،وعاش فيه،كما أشار الى ذلك سفر الخروج[6] ،إلّا أن هذه العلاقة مع أهل مدين عرفت توترا شديدا بسبب أنّهم حاولوا تدمير بني إسرائيل من الداخل بعد خروجهم من مصر ومحاولاتهم دخول الأرض المقدسة

[1]– سورة البقرة :58 – 59

[2]– ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج1 ،ص 273

[3]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 151

[4]– أسعد السحمراني ،موسوعة الحضارات القديمة الميسرة ،ص 293

[5]– سفر الخروج 34 : 12

[6]– سفر الخروج 2 : 15 – 23

،حيث قاموا بإغواء شباب بني إسرائيل ،ومنعهم من دخول الأرض المقدسة ،خوفا من أن يكون لبني إسرائيل كيان سياسي وعسكري يفرض سلطته وسيادته عليهم ،ممّا يحرمهم من كثير من المزايا التي يتمتعون بها[1] .

ب – العلاقة مع بني أدوم :حاول موسى حينما خرج بقومه من مصر متجها الى الأرض المقدسة أن يحصل على موافقة ملك أدوم ،إلاّ أن هذا الملك لم يسمح له باستخدام أرضه ،رغم أن موسى قدّم له كافة الضمانات التي تكفل عدم إحداث أضرار لمملكته أثناء مروره بأرضه ،وقد تمثلت أسباب هذا الرفض في[2] :

– الخوف من انقلاب بني إسرائيل عليهم في حالة انتصارهم.

– الخوف من انقلاب المماليك المجاورة عليهم بسبب تقديم المساعدة لبني إسرائيل في حال انتصار تلك المماليك على موسى وجيشه.

– الجروح القديمة التي تتغلغل في أنفس ذرية عيسو بسبب أخذ يعقوب حق البكورية .

وفي عهد يشوع استمرت سياسة تطبيق العزلة القبلية بتصفية الآخرين وفق قانون الدعوة إلى الصلح من أجل التسخير والعبودية .

القرآن الكريم وإن يتفق مع العهد القديم في أن موسى عليه السلام كانت تربطه مع أهل مدين علاقة المصاهرة ،إلاّ أنّه لم يشر إلى هذه الأحداث التي أشار إليها العهد القديم بالتفصيل .

[1] – محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 453

[2] – المرجع نفسه ،ص 446

الفصل الثاني :

التنظيم الإداري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :التنظيم الإداري المدني

أولا :الجهاز الإداري

1 – الوظائف الإدارية :

بيّنت نصوص التوراة أن جهاز الدولة يعتمد على الوظائف التالية :

أ- **وظائف إدارية تنفيذية** :وهي من اختصاص مجلس الشيوخ الذي يتكون من سبعين رجلا يمثلون رؤساء القبائل الإثنتي عشرة ،وهو تنظيم إداري عملي حدد فيه موسى مسؤولية هؤلاء النقباء ووضع لهم نظاما خاصا في الاتصال والحركة باعتبارهم أصحاب مكانة اجتماعية مميزة ،فأصبحوا بذلك رجال النّظام الإداري للدولة ،ورؤساء العشائر الذين يمارسون سلطاتهم تحت رؤساء القبائل ،ومن خلال نظام النقباء أستطاع موسى أن يحافظ على التقسيمات القبلية ،وعلى تنظيم القضاء .

ب- **وظائف دينية** : من اختصاص رجال الدين ،وهم الكهنة والعرفاء القائمون على تنظيم الشؤون الدينية والعسكرية.

ج – **وظائف أمنية وعسكرية** : يشغلها القادة العسكريين ،على رأس كل قبيلة قائد عسكري .

د- **وظائف حرفية** : يقوم بها المشرفون على البناء ،وهم الرؤساء الذين عيّنهم موسى للإشراف على بناء الخيمة ،وهم أصحاب فن وصناعة .

أمّا القرآن الكريم فقد أشار إلى أن موسى عليه السلام كان يعتمد في تسيير شؤون بني إسرائيل على :

أ- **مجلس النقباء** :يتكون من اثني عشرة نقيبا ،وهم زعماء الأسباط ألاثني عشرة ،قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾[1] .

ب- **الوزير** :شغل هذا المنصب هارون ،فقد بعثه الله نبيا معينا لموسى في دعوته لفرعون ،كما بينته نصوص القرآن الكريم ،قال تعالى :﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ﴾[2] .

وحين ذهب موسى عليه السلام لمكالمة ربه عند جبل الطور ،ووعد موسى قومه أن يأتيهم بالتوراة لتكون دستورا وشريعة لهم ،استخلفه على بني إسرائيل ،وأكّد عليه الأمر بالنظر في مصالحهم ،وإصلاح شئونهم ،كما قال تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾[1] .

---

[1]- سورة المائدة : 12

[2]- سورة طه : 29 – 32

وكانت مهمّة هارون تتمثل في :نقل كلام موسى عليه السلام الى غيره من الناس ،وخلافته في بني إسرائيل حين يغيب عن قومه لأمر ما ،والإصلاح بين بني إسرائيل إذا ما نشأت خصومة أو عداوة بينهم ،وحل المشكلات والنظر في القضايا التي تقع بينهم وإصدار الأحكام فيها ،وتعليم قومه أمور دينهم ،وهداية من ضل منهم واتبع الهوى وسار على نهج فرعون وقومه الى الطريق المستقيم ،وتنفيذ كل ما يأمره به موسى وخاصة في بناء وتشيّيد بيوت العبادة ،والتخفيف من حدة المعاناة التي يعانيها بنو إسرائيل من اضطهاد فرعون[2] .

2 – التقسيم الإداري :

وضع كل من موسى ويشوع نظاما دقيقا لكيفية توزيع أرض كنعان على الأسباط ،ورسم الحدود الدقيقة لأراضي كل سبط ،فقد تحصّلت أسباط شرق الأردن على أنصبتها من موسى نفسه ،بينما تحصّلت بقية الأسباط على أنصبتها من يشوع ،حيث تحصّلت سبعة منهم على المناطق الخاصة بها عن طريق القرعة[3] .

بعد الاستيلاء على أرض فلسطين تم تقسيمها الى اثنا عشرة ولاية تتمتع كل منها باستقلالها الذاتي وبحدودها التي لا تتغّير ،فلا ينتقل نصيب سبط لآخر ،هذا التقسيم تم بناء على النزعة الانفصالية التي عُرف بها بنو إسرائيل ،وكذلك حسب الكثافة السكانية لكل سبط ،فقد خص كل قبيلة منها بقسم يتناسب مع عدد أفرادها بالقياس الى أخواتها ،وهو ما يعني التفاوت في نصيب كل سبط ،وكان ذلك وفقا لما أوحى به الله الى موسى جاء في سفر العدد :" [٥٣]لِهؤُلاَءِ تُقْسَمُ الأَرْضُ نَصِيبًا عَلَى عَدَدِ الأَسْمَاءِ [٥٤]اَلْكَثِيرُ تُكَثِّرُ لَهُ نَصِيبَهُ، وَالْقَلِيلُ تُقَلِّلُ لَهُ نَصِيبَهُ. كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ الْمَعْدُودِينَ مِنْهُ يُعْطَى نَصِيبَهُ."[4] .

وقد أمر الله بأن يحتفظ كل سبط بنصيبه :". [٧]فَلاَ يَتَحَوَّلُ نَصِيبٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ، بَلْ يُلاَزِمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ سِبْطِ آبَائِهِ..،[٩]فَلاَ يَتَحَوَّلْ نَصِيبٌ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ آخَرَ، بَلْ يُلاَزِمُ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ"[5].

---

[1]- سورة الأعراف : 142

[2]- محمد راشد ،ملوك مصر القديمة ، مرجع سابق ،ص 245 – 246

[3]- الشامي ،العبرانيون وبنو إسرائيل ،ج1 ،مرجع سابق ،ص 131

[4] - سفر العدد 26 : 53 – 54

[5] - سفر العدد 36 : 7 – 9

وكانت حدود الأرض التي استولى عليها بنو إسرائيل بقيادة موسي ،ثم بقيادة يشوع بن نون قد حددتها التوراة وهي تشمل الأرض الممتدة من جبل حرمون ،المسمى اليوم جبل الشيخ ،الى قادش برنيع ووادي العريش جنوبا ،ومن الصحراء شرقا الى البحر الأبيض المتوسط غربا باستثناء أرض المؤآبين وأرض الفلسطينيين[1].

جاء في سفر العدد :" ٢ إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا. أَرْضُ كَنْعَانَ بِتُخُومِهَا: ٣تَكُونُ لَكُمْ نَاحِيَةُ الْجَنُوبِ مِنْ بَرِّيَّةِ صِينَ عَلَى جَانِبِ أَدُومَ، وَيَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْجَنُوبِ مِنْ طَرَفِ بَحْرِ الْمِلْحِ إِلَى الشَّرْقِ،٤وَيَدُورُ لَكُمُ التَّخْمُ مِنْ جَنُوبِ عَقَبَةِ عَقْرِبِّيمَ، وَيَعْبُرُ إِلَى صِينَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ قَادَشَ بَرْنِيعَ، وَيَخْرُجُ إِلَى حَصَرِ أَدَّارَ، وَيَعْبُرُ إِلَى عَصْمُونَ. ٥ثُمَّ يَدُورُ التَّخْمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ٦وَأَمَّا تُخْمُ الْغَرْبِ فَيَكُونُ الْبَحْرُ الْكَبِيرُ لَكُمْ تُخْمًا. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْغَرْبِ. ٧وَهذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ. مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ تَرْسُمُونَ لَكُمْ إِلَى جَبَلِ هُورَ. ٨وَمِنْ جَبَلِ هُورَ تَرْسُمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُ التَّخْمِ إِلَى صَدَدَ٩ثُمَّ يَخْرُجُ التَّخْمُ إِلَى زِفْرُونَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ حَصَرِ عِينَانَ. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ١٠وَتَرْسُمُونَ لَكُمْ تَخْمًا إِلَى الشَّرْقِ مِنْ حَصَرِ عِينَانَ إِلَى شَفَامَ١١وَيَنْحَدِرُ التَّخْمُ مِنْ شَفَامَ إِلَى رَبْلَةَ شَرْقِيَّ عَيْنٍ. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ وَيَمَسُّ جَانِبَ بَحْرِ كِنَّارَةَ إِلَى الشَّرْقِ. ١٢ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ إِلَى الأُرْدُنِّ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ بَحْرِ الْمِلْحِ. هذِهِ تَكُونُ لَكُمُ الأَرْضُ بِتُخُومِهَا حَوَالَيْهَا"[2] .

هذه الأرض تنقسم من حيث طبيعتها الى خمسة أقسام متوازية تمتد من الشمال الى الجنوب على النحو التالي[3].

– القسم الأول : هو السهل المتاخم للبحر الأبيض المتوسط.

– القسم الثاني :هو سلسلة طويلة من التلال التي تقع بين السهل الشمالي المتاخم لجبال الكرمل ،وبين سلسلة الجبال الوسطى .

– القسم الثالث :هو سلسلة الجبال الوسطى الممتدة من جبال لبنان ،وكانت قمم هذه الجبال تنحدر جنوبي بحر الليطاني انحدارا سريعا نحو نجد يمتد جنوبا حتى يبلغ الطرف الشمالي من بحيرة طبرية ،فكانت هذه هي منطقة الجليل الأعلى ،وأمّا الجليل الأسفل فكان على شكل مثلث يحده من الشرق نهر الأردن وبحيرة طبرية التي تسمى أيضا بحر الجليل ،ويقع الى الجنوب منه مرج ابن عامر حيث ترتفع سلسلة من القمم الممتدة من الشرق الى الغرب يتخللها عدد من الوديان .

– القسم الرابع :هو غور الأردن ،ويمتد من سفح جبل حرمون الغربي الى قرب حاصبيا في لبنان حتى البحر الميت .

[1] – زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 41

[2] – سفر العدد 24 : 1 – 12

[3] – المرجع السابق ،ص 42 – 43

– القسم الخامس :هو سلسلة الجبال الشرقية التي تمتد من الأجراف المطلة على غور الأردن حتى بادية الشام، ويشطرها نهر الزرقا شطرين ، كما يشق اليرموك القسم الشمالي منها جنوبي بحيرة طبرية .

تم تقسيم الأرض على بني إسرائيل ،وكانت القاعدة الأساسية في هذا التقسيم هي عملية القرعة ،وقد أوكلت هذه المهمة الى لجنة التقسيم المكونة من :

الكاهن اليعازر ،يشوع بن نون،ورئيسا واحدا من كل سبط[1] ،وهو ما يعني إشراك كل من :السلطة الدينية ممثلة في الكاهن اليعازر ،السلطة السياسية والعسكرية ممثلة في يشوع ،الإدارة المدنية ممثلة في مجلس النقباء الإثنا عشر والذي يضم الأسماء التالية :

كالب بن يفنة من سبط يهوذا ،شموئيل بن عميّهود من سبط شمعون ،أليداد بن كسلون من سبط بنيامين ،بقيّ بن يجلي من سبط بني دان ،حنّينيل بن ايفود من سبط منسّي ،قموئيل بن شفطان من سبط أفرايم ،أليصافان بن فرناح من سبط زوبولون ،فلطئيل بن عزّان من سبط يساكر ،أخيهود بن شلومي من سبط أشير فدهئيل بن عمّيهود من سبط نفتالي .

أمّا الطريقة التي جرت بها عملية التقسيم فكانت على يد الكاهن اليعازر الذي ارتدى لباسه الكهنوتي ،ووقف الى جانبه اثنان من الكهنة الشباب لإجراء عملية السحب ،حيث وضع اليعازر أمامه قِدرا يحتوي على أسماء الأسباط ،وكان هناك قِدر آخر به أسماء الأماكن التي ستوزع على الأسباط ،فيرفع كل واحد منهما أسماء من أحد القِدرين ،وبعد أن تمت عملية القرعة ،تم تحديد الإقليم الإداري الخاص بكل سبط واستقلاله عن غيره ،فكانت الحدود الجغرافية لهذه الأقاليم بأسماء أصحابها على النحو التالي[2] :

الإقليم الأول :من نصيب سبط رأوبين ،ينقسم الى أربع عشائر من أبنائه ،يقع شرقي الأردن والبحر الميت ،حده الشمالي يمتد من وادي حسبان الى حدود نصيب سبط جاد.هذا الإقليم الإداري تقع به أربع عشرة مدينة هامة منها ميديا ، حشبون ،ديبون ،ياموت بعل ،بيت بعل معون ،بيت فغور ، ياصر ،يهصة ،قديموت وميفعة .

الإقليم الثاني :من نصيب سبط شمعون ،ينقسم الى خمس عشائر من أبنائه ،وهو أصغر الأقاليم مساحة ،يشمل جزء من إقليم يهوذا ،ويضم تسعة عشر مدينة اغلبها على شاطئ البحر جنوبي إقليم دان .

الإقليم الثالث :من نصيب سبط جاد ،ينقسم الى سبع عشائر من أبنائه ،يقع شرقي الأردن ،يحده من الشمال إقليم سبط منسّي ،ومن الجنوب إقليم سبط رأوبين ،ويشتمل على الجزء الجنوبي من جبل جلعاد الممتد من يبوق الى حشبون ،

[1] – سفر العدد 34 : 16 -18

[2] – زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص ص 30 – 37

ومن حشبون الى ربة عمون شرقي وادي الأردن ،والشاطئ الشرقي من بيت نمرة بالقرب من الطرف الشمالي للبحر الميت الى بحيرة جنيسارت التي هي بحيرة طبرية أو بحر الجليل .

الإقليم الرابع :من نصيب يهوذا ،ينقسم الى خمس عشائر ،يمتد من البحر الميت شرقا الى البحر المتوسط غربا ،ومن بيت حجلة الى الجنوب الشرقي من أريحا .أمّا الحد الجنوبي فيمتد من بحر لوط الى نهر العريش .

الإقليم الخامس : من نصيب سبط يساكر ،ينقسم الى أربع عشائر ،يشتمل على يزرعيل ويمتد من جبل الكرمل الى الأردن ،ومن جبل تابور الى عين جنيم، يحده من الشمال سبط زبولون ،ومن الجنوب سبط منسّي ،ومن الشرق جبال جلعاد ،هذا الإقليم به ست عشرة مدينة ، منها مجدون ،يزرعيل وشونم ، أفيق وتعنك .

الإقليم السادس :من نصيب سبط زبولون ،ينقسم الى ثلاث عشائر ،يقع في شمالي فلسطين الى الغرب من بحر الجليل ،ويمتد الى جبل طابور .

الإقليم السابع :من نصيب سبط أفرايم ،ينقسم الى أربع عشائر ،يقع في القسم الأوسط من فلسطين الغربية ،يحده من الشمال سبط منسّي ،ومن الجنوب سبطي دان وبنيامين ، ومن الشرق نهر الأردن ،ومن الغرب البحر المتوسط .ومن أهم المدن في هذا الإقليم شكيم التي أصبحت فيما بعد عاصمة مملكة إسرائيل ،وشيلوة التي أقيمت فيها خيمة الاجتماع ، وكانت مركز العبادة الدينية ،وبيت إيل التي أصبحت مركزا دينيا في مملكة إسرائيل .

الإقليم الثامن : من نصيب سبط منسّي ،ينقسم الى ثماني عشائر،هذا الإقليم ينقسم الى قسمين أحدهما يقع في شرقي الأردن ويمتد من منتصف جلعاد الى باشان وارجوب ، ومن الأردن وبحر الجليل الى البرية السورية.ويقع القسم الثاني غربي الأردن ،يمتد من البحر المتوسط الى الأردن ،ومن حدود سبطي أشير ويساكر شمالا الى حدود سبط أفرايم جنوبا ، وكانت لسبط منسّي بعض المدن داخل تراب إقليمي يساكر وأشير .

الإقليم التاسع : من نصيب سبط بنيامين ،ينقسم الى سبع عشائر ،يقع في المنطقة الواقعة بين إقليمي أفرايم ويهوذا ،ويظم واحد وعشرون مدينة .

الإقليم العاشر : من نصيب سبط دان ،يضم عشيرة واحدة ،يقع بين إقليمي يهوذا وأفرايم ،وبين إقليم بنيامين وشاطئ البحر من الناحية الأخرى ،هذا الإقليم هو أصغر الأقاليم .

الإقليم الحادي عشر : من نصيب أشير،ينقسم الى خمس عشائر ،يمتد حده الغربي على ساحل البحر الأبيض المتوسط من دور جنوبي الكرمل الى حدود صيدون ،ويحده من الشرق إقليمي زبولون ونفتالي ،ومن الشمال بلاد فينيقية ،ويحده من الجنوب إقليم منسّي .

الإقليم الثاني عشر : من نصيب سبط نفتالي ،ينقسم الى أربع عشائر ،يقع في القسم الشمالي من فلسطين ،يحده من الشرق نهر الأردن وبحر الجليل ،ومن الغرب إقليم أشير، ومن الجنوب إقليم زبولون .هذا الإقليم يضم عدة مدن أهمها حاصور ،الرامة وقادش .

أمّا اللّاويون فلم يكن لهم في هذا التقسيم الإداري إقليم محدد ،إنما كانوا موزّعين داخل هذه الأقاليم ،وكانوا ينقسمون الى ثلاث عشائر تنسب الى جرشون وقهات ومراري ،ولمّا كان الله قد خصصهم للخدمة الدينية فإنّ نصيبهم كان ثمانية وأربعين مدينة موزّعة في أقاليم جميع الأسباط ،منها ست مدن تعتبر حرما آمنا وملجأ لمرتكبي جريمة القتل الخطأ لا يمسون فيها بسوء إذا لجئوا إليها ،وبمساحات واسعة حول كل مدينة من هذه المدن الثمانية والأربعين يستخدمها اللّاويون وحدهم في مرافقهم ورعي أنعامهم وما الى ذلك[1] .

القرآن الكريم لم يهتم بهذه التفاصيل ،إنّما أشار الى أنّ ذرية إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام قد قطّعهم الله الى اثني عشر أسباطا أمما ؛أي الى إثنا عشرة قبيلة متعارفة متوالفة كل بني رجل من أبناء يعقوب قبيلة ،وكل سبط معروف على انفراد،له ملكا يحكمه ،ويكون مسؤولا عنه[2] .جاء ذلك في قوله تعالى :﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[3] .

وقد كان الهدف من هذا التقسيم كما ذكر رشدي البدراوي هو سكنى كل سبط الأرض المحددة له ،تسهيل طلبات كل سبط والتعرّف على احتياجاته والاهتمام بشئون جميع أفراده ،تسهيل فض الخصومات والمنازعات بين أفراد كل سبط ،تسهيل عملية توزيع الطعام والشراب[4] .

ثانيا :النظام المالي

1 – الموارد المالية :

---

[1]– علي عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 131 ، زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 38 ،صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص133

[2]– السعدي ، تفسير السعدي ،ج1 ،ص603 ، محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 342

[3]– سورة الأعراف : 160

[4]– البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج3 ،مرجع سابق ،ص 980

بيّنت نصوص العهد القديم أنّ الموارد المالية كانت عينية ونقدية ،فالعينية تمثلت في رؤوس الماشية بأنواعها ،وأمّا النقدية فتمثلت في الذهب والفضة ،وهذه الموارد في حدّ ذاتها محلّية وخارجية ،فالمحلّية كانت تأتي عن طريق تربية الماشية ،وأمّا الموارد المالية الخارجية فكانت من طريق الغنائم والأسلاب .وهذه الموارد المالية كانت توزع حسب القانون المنصوص عليه في دستور موسى ،حيث نصف يوزع على الجنود والنصف الآخر يوزع على الشعب عل اعتبار أنّه يقوم بالحراسة أثناء انشغال الجيش بالحرب ،وتوزع الأموال التي تؤخذ من الشعب (2 % من الغنائم التي توزع عليهم) ومن الجيش (واحد من خمسمائة) على الكهنة واللاويين على اعتبار أنّهما يقومان بخدمة المعبد والقيام بالأعمال الدينية ،وأمّا الموارد النقدية فلا توزع وتذهب الى خزينة الدولة (المعبد) وتودع فيه[1].

القرآن الكريم إن لم يشر إلى هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم ،إلاّ أنّه أشار إلى أن الثروة الحيوانية هي أساس الموارد المالية من خلال الإشارة إلى حديث موسى عليه السلام عن رعيه الغنم ،وحينما طلب من القوم أن يذبحوا بقرة تنفيذا لأمر الله .

2 – النظام الضريبي :

ظهر النّظام الضريبي منذ أن شرع موسى في بناء خيمة الاجتماع من أجل توفير الموارد المالية المطلوبة في عملية البناء ، حيث فرض جزية مقدارها نصف شاقل على كل واحد بلغ سن العشرين حسب ما جاء في سفر الخروج[2] .

القرآن الكريم لم يشر إلى هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم بخصوص فرض النظام الضريبي .

ثالثا :نظام الشغل

1 – الأشغال العامة :

الرعي هي المهنة التقليدية ،وهي مهنة موروثة عن الآباء الأولين قبل هجرتهم الى مصر وأثناء تواجدهم بها ،فكانت تربية الأنعام في هذه الحقبة التاريخية هي الأساس الذي تقوم عليه الثروة المالية واقتصاد القبيلة ،فالعهد القديم يبّن أنّ بني إسرائيل عندما خرجوا من مصر أخذوا معهم ما كانوا يملكونه من أغنام وأبقار ،وأن فرعون عندما سمح لهم بالخروج كانت

[1]- سفر العدد 31 : 25 – 45

[2]- سفر الخروج 30 :11 - 16

أوّل عبارة له تتضمن سماحه لهم بأن يسوقوا معهم أنعامهم[1] ،وأنّهم خرجوا بثروات عظيمة تتمثل في قطعان كثيرة العدد من الأنعام[2] .

أمّا النّظام المتبع في إدارة هذه الحرفة وفي استغلال هذه الثروة الحيوية ،فهو نظام مشاعي (اشتراكي واسع النطاق) بين الأسر الإسرائيلية ،حيث يشترك جميع أفراد الأسرة في إدارتها وفي ملكيتها[3].وقد أشارت نصوص التوراة الى هذا النشاط حينما تقص علينا أن موسى كان يرعى الغنم في البرية[4] .

إلى جانب مهنة الرعي مارس بنو إسرائيل بعض النشاطات الحرفية المتمثلة في صناعة الجلود ،والنسيج والطرز ،والأخشاب ،والأحجار ،وقد استفاد موسى من هذه المواد في عملية البناء خاصة بناء الخيمة كما أشارت إلى ذلك أسفار العهد القديم[5] .

القرآن الكريم يكشف أن نظام الشغل كان قائما على مهنة الرعي وتربية الأنعام ،إذ هي الأساس الذي يقوم عليه النّظام الاقتصادي في عهد موسى عليه السلام ،من خلال الإشارة إلى رعي الغنم ،جاء ذلك في قوله تعالى :﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[6] .كما بيّن أن بنو إسرائيل بعد أن ملّوا مائدة الله استبدلوها بنتاج الأرض ،حيث طلبوا من موسى عليه السلام أن يسأل ربه أن يستبدل لهم بالمن والسلوى بصلا وثوما وعدسا وبقولا وغيرها من المزروعات ،قال تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[7] .

2 – المنشآت العمرانية :

---

[1] – سفر الخروج 32 : 12

[2] – سفر الخروج 38 : 12

[3] – على عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 125

[4] – سفر الخروج 3 : 1- 10

[5] – سفر الخروج 26 : 1 – 37، 27 : 1 -21

[6] – سورة المائدة : 18

[7] – سورة البقرة : 61

أ- **بناء خيمة الاجتماع**[1] :

بعد أن تمت مراسيم تعيين القائد الأعلى للدولة ،كان لابد من وجود المقر الرئيسي لهذه الدولة الذي تصدر منه القرارات السياسية ،العسكرية ،الدينية والإدارية التي بها تنتظم شؤون الدولة ، وكذا الأوامر الحربية وما يترتب عليها لحماية الكيان السياسي للأمة .وقد تم الإعلان عن هذا المقر الذي هو خيمة الاجتماع بكامل تفصيلاته ومواد بنائه ووظائفه وموظفيه بأمر الهي ،كما جاء في سفر الخروج[2] .

فبعد أن تلقى موسى هذا الأمر من يهوه أمر الشعب ببناء هذا المسكن الذي هو بمثابة بلاط الله ،وهو السلطة العليا لهذه البلاد ،وكان الهدف من ذلك إجماع شمل الأمة حول هذا البناء ؛ أي مركزية السلطة الدينية والسياسية ،والتركيز على المسؤولية الجماعية في هذا البناء والحق المشترك للجميع[3] .

وفي أرض سيناء تم الإعلان عن بناء الخيمة ،ونظرا لخصوصية هذه المرحلة المبكرة من التاريخ السياسي لبني إسرائيل التي تميزت بكثرة التنقل وعدم الاستقرار فإن مكان العبادة لم يكن مناسبا أن يُبنى بالطوب أو الحجارة ،كما أن وجودهم في سيناء كان وجودا مؤقتا ينتهي بحلول الوقت المناسب لدخولهم أرض فلسطين ،لذلك وجب أن يكون بيت العبادة متنقلا يسهل فكه وحمله أثناء المسيرة ،ثم إقامته في المكان الجديد الذي ينزلون فيه .

وأما في عهد يشوع الذي يمثل مرحلة الاستقرار بعد عبور نهر الأردن الى أرض كنعان استقرت خيمة الاجتماع في الجلجال عاصمة الدولة الجديدة[4] .

وكانت خيمة الاجتماع تشتمل على :

- الفناء الخارجي : يحيط به سور ،وبالفناء مذبح المحرقة ،والمغسلة ،(أو المرحضة) .

---

[1]- سميت خيمة الاجتماع باعتبار أن الله يجتمع فيها بشعبه ،والمسكن باعتبار أن الله يسكن فيها بين شعبه ،ومسكن الشهادة لأنّه كان بداخلها ألواح الناموس التي كانت تسمى ألواح العهد أو ألواح الشهادة،كما سميت بيت الرب،سفر الخروج33 :7 -10 ،25 :8 -9 ،38 :21 ،يشوع6 :24 . وخيمة الاجتماع تطلق على عدة معاني ، يقابلها في العربية (مشكن) أي مسكن ،وكذلك "أوهيل موعيد" بمعنى خيمة الاجتماع ، المسيري ،الموسوعة ،ج 4 ،ص 154.

[2]- سفر الخروج 25 : 1 – 40 ، 26 : 1 – 37

[3] – سبينوزا ،رسالة في اللاهوت والسياسة ،ص 392

[4]- سفر يشوع 4 : 19

– الدار الداخلية :يوجد في داخلها المسكن ،ويتكون المسكن من المقدس ،به المائدة والمنارة ومذبح البخور ،ثم قدس الأقداس ،به التابوت.ومن هذا الوصف يتضح أن خيمة الاجتماع تنقسم الى ثلاثة أقسام المسكن والخيمة والغطاء ،وهي كلها مفصلة على الشكل التالي :

1- **المسكن** :وسمي بالدار ،وصنعت أستار الدار في محيط خارجي يبلغ أربعمائة وخمسين قدما من البوص المبروم ملون بلون أسمانوجي (أزرق شديد الزرقة) على لون أرجواني بالإضافة الى ألواح من خشب السنط للسقف ،وكل الألواح مغطاة بالذهب ، كان ارتفاع الأعمدة سبعة ونصف قدم والمسافة بين كل عمود وآخر سبعة ونصف قدم من المدخل الرئيسي إليها وعرضه ثلاثين قدما كان في أقصى الشرق[1] .

2 – **الخيمة** :وفي الجزء الغربي من المسكن أقيمت الخيمة الخاصة ،طولها خمسة وأربعين قدما وعرضها خمسة عشر قدما ،وارتفاعها خمسة عشر قدم ،واشتملت على ثمانية وأربعين لوحا ،عشرون لوحا منها على كل جانب وثمانية الى أقصى الغرب ،وهي مصنوعة من خشب السنط ومغطاة بالذهب، وتتماسك أجزاء هذه الألواح بقضبان قواعد من فضة واشتمل السقف على سجف من بوص مبروم أزرق اللون وأرجواني وقرمزي مزينة بالكروبيم ،وكان الغطاء الرئيسي الخارجي مصنوع من جلود الكباش والتيوس لوقايتها من الشمس والمطر ،ولها باب واحد في جانبه الشرقي يسمى مدخلا [2].

3 – **الحجاب** : قُسمت الخيمة الى جزءين المقدس وقدس الأقداس وبينهما ستارة تسمى الحجاب[3] .

ب – قدس الأقداس :ويحتوي على

1 – **تابوت العهد**[4] :

هو عبارة عن صندوق صنعه موسى من خشب السنط المغطى بالذهب من الداخل ومن الخارج ،طوله ذراعان ونصف،وعرضه ذراع ونصف ،وارتفاعه ذراع ونصف،يحيط بأعلاه إكليل من ذهب فوقه غطاء من ذهب نقي ،وفوق كل طرف من الغطاء كروب من ذهب عبارة عن تمثال ملاك ،وكان يسمى غطاء التابوت كرسي الرحمة الذي يرمز الى حضور

[1]- سفر الخروج 72 : 9 – 18 ،38 : 9 – 20

[2]- سفر الخروج 26 : 25 – 38

[3] – أنظر :البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج 4 ،مرجع سابق ،ص ص 1009 – 1017 ،صموئيل شولتز،مرجع سابق ،ص ص 76 – 79 ،سيكل ،مرجع سابق ،ص 67

[4]- ويسمى أيضا تابوت عهد الرب ،أو تابوت الشهادة ،أو تابوت الرب ،أو تابوت الله، سفر التثنية 10 :8 ،سفر الخروج25 : 22

الله ،وعلى جانبي التابوت أربع حلقات من الذهب ،في كل اثنتين منها عصا ليحمل اللّاويون التابوت بها ،وكان فيه وعاء المن وعصا هارون ولوحا العهد عليهما الوصايا العشر ،ثم وضع فيه كتاب التوراة[1] .

وقد أصبح التابوت رمزا دينيا مقدسا عند بني إسرائيل ،فقد ارتبط بالعهد ماديا ومعنويا ،ففي جانبه المادي أصبح مقرا تحفظ فيه تعاليم الشريعة ،وفي جانبه المعنوي أصبح أساس العبادة ،وشهادة على بني إسرائيل ،وعلامة من علامات الانتصار على باقي الشعوب ،ومتى ضُيع فإنّ الله سينتقم منهم ويعتبرهم خارجين عن عهده[2] .

وفي ذلك يقول روبنسون :وتابوت العهد أصبح بمثابة العلامة التي بنيت على أساسه الشخصية والعقيدة عند بني إسرائيل[3] .

بعد أن ارتبط التابوت في عهد موسى بالعبادة ،أصبح في عهد يشوع يرتبط بالحرب والغزو ،فأصبح رمزا للقتال والانتصار.فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر ،وكانوا لا يلقاهم عدوا فيقدموا التابوت ويرجعون به معهم ،إلّا هزم الله تعالى ذلك العدو[4] .

2 – **الحجاب** : هو الذي يفصل بين قدس الأقداس وبين المقدس ،وهو مصنوع من بوص مبروم منسوج مثل الحصير بلون أسمانجوني وأربعة أعمدة تحمله مطلية بالذهب[5].

ج – المقدس :وهو يحتوي على

1 – **مائدة خبز الوجود** : وهي مصنوعة من خشب السنط ومغطاة بالذهب النقي ،طولها ذراعان وعرضها ذراع واحد وارتفاعها ذراع ونصف ،ولها حاجب من ذهب بعرض شبر حواليها ،وفي كل ركن من الأركان يوجد إكليل من ذهب ،ولها في كل زاوية حلقة من ذهب ،وعصوان من خشب السنط المغطى بالذهب لحمل المائدة ،مكانها على يمين الداخل الى المقدس في خيمة الاجتماع ،أمّا الأدوات التي توضع عليها ،فكانت عبارة عن صحاف وأكواب وكؤوس وإبريق كلها من الذهب الخالص[6] .

---

[1]– سفر الخروج 25 : 10 – 22، 37 : 1 – 9

[2]– الباش ، القرآن والتوراة أين يلتقيان ،ج2 ، مرجع سابق ،ص 341 – 342

[3] -Robinson ,History Of Israel ,p218

[4]– المرجع السابق ،ص346 الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 359

[5]– سفر الخروج 26 : 31 – 34

[6]– سفر الخروج 25 :23 – 30، 37 :10 – 16

2 – **المنارة** : توضع على يسار الداخل في مقابل المائدة ،وهي مصنوعة من الذهب الخالص ،وتتكون من قاعدة وعمود أوسط ،يخرج من كل جانب ثلاث شعب أو أفرع مقوسة ترتفع بارتفاع العمود الأوسط ،وينتهي كل منها بكأس صغير هو السراج حيث يوضع زيت الزيتون النقي وكل سراج يسع نصف لتر من الزيت ،ومن مكملات المنارة ملاقط وأحواض ستخدم لأخذ قطع الفحم من المذبح لوضعه بجانب فتيل القطن والنفخ فيه حتى يشتعل نارا لإيقاد سرج المنارة[1].

3 – **مذبح البخور** : النصف الشرقي بهذه الدار كان مربع المذبح للعبادة ،ويوضع في نهاية المقدس في الوسط قبل الحجاب الذي يؤدي الى قدس الأقداس ،وهو مصنوع من خشب السنط ،طوله ذراع ،وعرضه ذراع مربعا ،وارتفاعه ذراعان ،وسطحه وجدرانه كلها مغطاة بذهب نقي ،وله من فوق إكليل حلية من ذهب وقرون في الزوايا ،وفي الأركان توجد أربع حلقات من ذهب وعصوان مغطاتان بالذهب لحمله[2].

د – الفناء الخارجي :

1- **سور المسكن** : أحيطت خيمة الاجتماع بدار غير مسقوفة ،وهي عبارة عن سياج للخيمة مستطيلة الشكل ،طولها من الشرق الى الغرب مائة ذراع ،وعرضها من الشمال الى الجنوب خمسون ذراعا ،مسورة بأعمدة من نحاس قواعدها من نحاس ،وقضبانها من فضة ،أمّا الستائر المعلقة على الأعمدة المحيطة بالخيمة ،فهي مصنوعة من بوص مبروم[3].

2 – **المرحضة** : تقع بين خيمة الاجتماع ومذبح المحرقة ،وهي مصنوعة من نحاس ،بها ماء للاغتسال ،كان الكهنة يغسلون أيديهم وأرجلهم استعدادا للوقوف أمام الرب ،وعند دخولهم الى خيمة الاجتماع[4] .

3 – **مذبح المحرقة**: وُضع في أول الفناء بعد المدخل الرئيسي،وهو مصنوع من خشب السنط ،أبعاده5 ×5 ذراعا وارتفاعه ثلاثة أذرع، مجوف ومغطى بالنحاس، معلقة به من الداخل في منتصف المسافة من القاع للسطح شبكة من النحاس لوضع النار عليها وشبكة من أعلا لوضع القربان.وللمذبح أربع حلقات من نحاس يدخل في كل اثنين منها عصا من خشب السنط مغطاة بالنحاس لحمله[5].

---

[1]- سفر الخروج 25 :31- 39

[2]- سفر الخروج 30 : 1 – 6

[3]- سفر الخروج 27 : 9 – 19

[4]- سفر الخروج 35 : 17- 21

[5]- سفر الخروج27 : 1 - 8

القرآن الكريم أشار الى أن موسى وهارون عليهما السلام قاما بأمر من الله بتشييد وبناء بيوتا أو مساجد في مصر ليقيم فيها قومهما ،وكل من يتبعهما من قوم فرعون شعائر الصلاة ،ويجتمعون فيها للتشاور في أمور دينهم ودنياهم[1] .جاء في قوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2] .

كذلك وردت في القرآن الكريم الإشارة الى التابوت الذي ورد ذكره في التوراة ،وهو الصندوق الذي حفظت فيه بقية من آل موسى وآل هارون ،وهي عصا موسى وعصا هارون ،ولوحين من التوراة والمن[3] ،قال تعالى :﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾[4] .

المبحث الثالث :التنظيم العسكري

كان خروج موسى ببني إسرائيل من أرض مصر أرض العبودية الى أرض فلسطين أرض تفيض لبنا وعسلا ،من أجل أن يجد لهم بين ربوعها مكانا آمنا ينعمون فيه بحرية العقيدة ،فيعبدون الإله الواحد إله آبائهم ابراهيم وإسحاق ويعقوب .إلّا أن هذه الأرض استقرت فيها شعوب قوية تطورت من النظم القبلية المضطربة الى نظم حكم مستقرة ،فاستطاعت أن تقيم عددا من دويلات المدن على رأس كل منها ملك أو أمير ،ولها جيوش تحميها وتدافع عنها .وما كان للإسرائيليين الذين تقدر عددهم أسفار التوراة بنحو ستمائة ألف أن يجدوا مكانا لهم بين هذه الشعوب إلّا بالحرب ،ولما كانت هذه المهمة التي حمل لواءها موسى لا تتم إلا عسكريا ، توجب ذلك تشكيل جيش ،فبدأ موسى يعد العدة من أجل تحقيق ذلك[5] .

.

أولا : تشكيل الجيش وإعداده

1- **التجنيد :**

---

[1]- محمد راشد ،ملوك مصر القديمة ،مرجع سابق ،ص 278

[2]- سورة يونس : 87

[3]- ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج1 ،ص 667

[4]- سورة البقرة : 148

[5]- أحمد عبد الوهاب ، مرجع سابق ،ص 42

في إطار تقدير الموارد البشرية كأحد سمات الإستراتيجية الكبرى ؛التي تعني تنسيق وتوجيه كافة المصادر والثروات من أجل تحقيق الغاية السياسية للحرب باعتبار هذه الموارد هي الأساس الذي تبنى عليه سائر السياسات[1] ،وهنا نتحدث عن السياسة العسكرية ، تم تشكيل الجيش في عهد موسى بأمر من الرب يهوه الذي يمثل المرجعية العسكرية وفق نظام التعبئة والإحصاء ؛أي تعداد المحاربين ،وقد تم ذلك على مرحلتين مختلفتين زمنيا ومكانيا .

أ – **المرحلة الأولى** : كانت في صحراء سيناء في خيمة الاجتماع ،جاء في سفر العدد : "[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً:[2]"أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ، بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ، كُلَّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ،[3]مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلَّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ. تَحْسُبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونُ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ"[2].

يبيّن هذا النّص أنّ عملية الإحصاء والتجنيد تمت في صحراء سيناء في السنة الثانية بعد الخروج ،وقد أشرف على هذه كل من السلطة السياسية ممثلة في موسى رئيس الدولة ،والسلطة الدينية ممثلة في هارون رئيس الكهنة ،ورؤساء الأسباط ،وقد أورد سفر العدد قائمة بأسماء رؤساء الأسباط الذين شاركوا موسى في عملية الإحصاء[3] .بعد عملية الإحصاء تم تشكيل الجيش ،فكان عدد المجندين حسب كل سبط على النحو التالي :

سبط رأوبين : ستة وأربعين ألف وخمس مائة جندي (500، 46). سبط شمعون : تسعة وخمسون ألف وثلاث مائة جندي (300 ،59). سبط جاد : خمسة وأربعون ألف وستمائة وخمسون جندي (650 ،45). سبط يهوذا : أربع وسبعون ألف وستمائة جندي (600 ، 74). سبط يساكر : أربع وخمسون ألف وأربعمائة جندي (400 ، 54). سبط زبولون : سبعة وخمسون ألف وأربعمائة جندي (400 ، 57). سبط أفرايم : أربعون ألف وخمسمائة جندي (500 ،40). سبط منسّي : اثنان وثلاثون ألف ومائتي جندي (200 ، 32). سبط بنيامين : خمسة وثلاثون ألف وأربعمائة جندي (400 ،35). سبط دان : اثنان وستون ألف وسبعمائة جندي (700،62). سبط نفتالي :ثلاثة وخمسون ألف وأربعمائة جندي (400 ,53) .

ب – **المرحلة الثانية** :كانت في صحراء مؤاب ،جاء في سفر العدد :" [1]ثُمَّ بَعْدَ الْوَبَإِ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَأَلِعَازَارَ بْنَ هَارُونَ الْكَاهِنِ قَائِلاً:[2]"خُذَا عَدَدَ كُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، كُلِّ خَارِجٍ

[1] – محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 23

[2] – سفر العدد 1 : 1 – 4

[3] – سفر العدد 1 : 4 – 19

لِلْجُنْدِ فِي إِسْرَائِيلَ".[3]فَكَلَّمَهُمْ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا قَائِلَيْنِ:[4]"مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا. كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى". وَبَنِي إِسْرَائِيلَ الْخَارِجِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"[1].

هذا النص يبّن أن النّظام المتبع في تشكيل القوة العسكرية ،هو إلزامية الخدمة الوطنية التي ظهرت لأوّل مرة في تاريخ بني إسرائيل ،والقاعدة الأساسية التي تم بها تشكيل الجيش هي عملية الإحصاء للأسباط المعنيين بالخدمة العسكرية والصالحين لها دائما وفق قانون التجنيد الإجباري الذي يبدأ بسن العشرين كحد أدنى وينتهي بسن الخمسين ،والجندي الذي يشمله الإحصاء يجب أن يكون قوي البنية ،وأن يكون سليما من الأمراض،جاء في سفر العدد :"[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:[2]"أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْل، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ.[3]الذَّكَرَ وَالأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلاَ يُنَجِّسُوا مَحَلاَّتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِمْ..."[2].

هذه التعبئة العامة الثانية التي حدثت في السنة الثامنة بعد الخروج ،كانت نتيجة لما حدث لبني إسرائيل أثناء التيه في سيناء أربعين سنة ،وهي مدة طويلة تغير فيها حجم الأسباط تغيرا كاملا ،فقد مات جيل بأكمله ونشا جيل جديد ،ولا يمكن لقائد حصيف أن يدخل المعركة معتمدا على بيانات إحصائية لحجم قوّاته من أربعين سنة ،لذلك صدر الأمر بإحصاء جديد لتقدير عدد الرجال القادرين على حمل السلاح لغزو فلسطين ودخول الأرض وامتلاكها[3].وقد أشرف على هذه العملية اليعازر ممثلا عن السلطة الدينية بعد وفاة أبيه هارون الذي خلفه على رأس هذه المؤسسة ،الى جانب السلطة السياسية دائما ممثلة في موسى،كما بيّنه النص السابق .

بعد عملية الإحصاء تم تشكيل الجيش ،فكان عدد المجندين حسب كل سبط على النحو التالي :

سبط رأوبين : ثلاثة وأربعون ألف وسبع مائة وثلاثين جندي (730 ، 43).سبط شمعون: اثنان وعشرون ألف ومائتي جندي(200 ،22).سبط جاد : أربعون ألف وخمسمائة جندي (500 ،40) . سبط يهوذا : ستة وسبعون ألف وخمسمائة جندي (500 ،76) . سبط يساكر : أربع وستون ألف وثلاثة مائة جندي (300 ،64) . سبط زبولون : ستون ألف وخمسمائة جندي (500 ، 60) . سبط أفرايم : اثنان وثلاثون ألف وخمسمائة جندي (500 ، 32) . سبط منسّي:اثنان وخمسون ألف وسبعمائة جندي (700 ،52) .

[1] – سفر العدد 26 : 1 – 5

[2] – سفر العدد 5 : 1 – 3

[3] – رشدي البدراوي ، قصص الأنبياء والتاريخ ، ج 4 ، مرجع سابق ،ص 1101

سبط بنيامين : خمس أربعون ألف وستمائة جندي (600 ،45) . سبط دان :أربع وستون ألف وأربعمائة جندي (400 ،64) . سبط نفتالي :خمس وأربعون ألف وأربعمائة جندي (400 ، 45) .

ذكرنا أن النّظام المتبع في تشكيل الجيش في عهد موسى ،ومن بعده يشوع يقوم على نظام الإحصاء وإلزامية التجنيد الذي يبدأ من سن العشرين وينتهي في سن الخمسين ،لكن هذا لا يتوقف على عدم وجود قانون الإعفاء من هذه الخدمة ،فالتوراة أتت ببعض الأسباب التي يمكن أن تعفي الجندي من الانخراط في الجندية إعفاءا دائما أو مؤقتا[1] .

– الإعفاء الدائم :أعفت اللّاويين إعفاءا دائما بسبب الإشراف على خدمة خيمة الاجتماع ، لقيامهم بخدمة اله إسرائيل ،والقيام بفرائض الكهنوت .

– الإعفاء المؤقت :كذلك نصت التوراة على إعفاء غير اللّاويين من الخدمة العسكرية في أحوال معيّنة فأعفت كل من بني بيتا جديدا ولم يدشّنه ،ومن غرس كرما ولم يقطف بواكيره ،ومن خطب امرأة ولم تزف إليه .

الجدير بالملاحظة أن عملية الإحصاء والتجنيد التي قام بها موسى لتشكيل قوّات الجيش كانت خالية من وجود عنصر المرأة سواء من الجنود أو القادة ،وهذا ما لم يرد له ذكر في العهد القديم .

القرآن الكريم أشار الى أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يجند بني إسرائيل ،ويسير بهم الى الأرض المقدسة التي جعلها لهم دارا وقرارا ومنزلا ،وأن يحثهم على قتال الجبابرة الأعداء[2] ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾[3] .

2 – تقسيم الجيش وتنظيمه :

قام موسى بأمر من الله بتقسيم الجيش وتنظيمه كخطوة هامة من أجل حفظ النّظام الداخلي ،وضبط عملية التنقل ،حيث تم تقسيمه الى أربع معسكرات ،كل معسكر يظم ثلاثة أسباط ،على كل معسكر قائد ،ولكل سبط قائده

[1]– سفر التثنية 20 : 6 – 7 ، سفر العدد 1 :47

[2]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج 10 ،ص 113 – 114 ،رشيد رضا ،تفسير المنار ،ج 6 ،ص 280 ، ابن كثير ،قصص الأنبياء ، مرجع سابق ،ص 536

[3]– سورة المائدة : 12

،وجميعهم يتوزعون في شكل دائري يبدأ من الشرق وينتهي إليه حسب دوران عقارب الساعة .وفي وسط هذه المعسكرات تنصب خيمة الاجتماع ،ومن حولها اللّاويون الذين كرّسوا أنفسهم للكهانة وخيمة الاجتماع ،وكان لكل منهم ترتيبا معيّنا يلتزم به عند الرحيل ،وراية تميّزه عن غيره،هذا التوزيع كما يلي :

المعسكر الشرقي : يسمى معسكر يهوذا ، ويظم كل من سبط يهوذا بقيادة يخشون ابن عمينا داب ، يليه الى الجانب سبط يساكر بقيادة تثنائيل ابن صوعر ،وبعده يأتي سبط زبولون بقيادة الياس بن حبلون .

المعسكر الجنوبي : يسمى معسكر رأوبين ، ويظم كل من سبط رأوبين بقيادة اليصور بن شداي أور ،وبجانبه يأتي سبط شمعون بقيادة سلو مئيل بن صور شيداي ،يليه سبط جاد بقيادة الياساف بن رعوئيل .

المعسكر الغربي : يسمى معسكر أفرايم ، ويظم كل من سبط أفرايم بقيادة اليشاماع بن عميهود ، وبجانبه سبط منسي بقيادة جملئيل بن فدهصور ،يليه سبط بنيامين بقيادة أبيدان بن جدعوني .

المعسكر الشمالي :يسمى معسكر دان ،ويظم كل من سبط دان بقيادة أخيعازر بن عميشدان ،بجانبه سبط آشر وقائده فجعئيل بن عكران ،يليه سبط نفتالي وقائده نفتالي أخيرع بن عينان .

بعد تحديد مكان إقامة كل معسكر ورايته التي تميّزه عن غيره ،تتم أيضا ترتيب عملية الرحيل ،حيث يبدأ معسكر يهوذا أولا بالرحيل،يتبعه معسكر رأوبين ،بعدهما ترتحل خيمة الاجتماع وحولها اللاّويون ،ثم يرحل معسكر افرايم ،وأخيرا معسكر دان .هذا الترتيب الذي سنه موسى أصبح نظاما ألتزم به الأسباط يراعونه في كل خطوة يخطونها[1] .

عملية تنظيم الجيش وضبط النظام الداخلي استلزمت وجود آليات ووسائل أعتمد عليها موسى منها:

– **الرايات والألوية** : منذ بداية تشكل وحدات الجيش في عهد موسى ظهرت الرايات والأعلام ،وقد لعبت دورا كبيرا في تنظيم وترتيب صفوف الجيش حينما يسير الى المعركة أو حينما يعسكر ،حيث كان لكل سبط رايته التي تميّزه عن غيره من بقية الأسباط ينزل عندها ويرتحل خلفها ،أي كل في موضعه على حسب رايتهم[2] ،كما جاء تفصيل ذلك في سفر العدد :" [1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: [2]"يَنْزِلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلٌّ عِنْدَ رَايَتِهِ بِأَعْلاَمٍ لِبُيُوتِ آبَائِهِمْ..."[3] .

– **المظلة** :كان الجيش في بعض الأحيان يحتاج الى إقامة المظلات في بعض الأماكن للوقاية من الطقس ،هذه المظلات تشبه الأكشاك[1] .

---

[1] – سفر العدد 2 : 1 – 34 ، زكي شنودة ،المجتمع الإسرائيلي ،مرجع سابق ، ص 24

[2] – أنظر :حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 56

[3] – سفر العدد 2 : 1 – 2

– **نظافة المعسكر** : تشددت الشرائع الموسوية في نظافة المعسكرات وما حولها ،وأجبرت الجنود على أن يتجنبوا استعمال المعسكر وما حوله كدورات مياه إلّا في أماكن محددة ،بينما يبقى المعسكر نفسه طاهرا ،ويكون حكمه كحكم المعبد وفي ذلك تقول التوراة :" [٩]إِذَا خَرَجْتَ فِي جَيْشٍ عَلَى أَعْدَائِكَ فَاحْتَرِزْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رَدِيءٍ. [١٠]إِنْ كَانَ فِيكَ رَجُلٌ غَيْرَ طَاهِرٍ مِنْ عَارِضِ اللَّيْلِ، يَخْرُجُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. لاَ يَدْخُلْ إِلَى دَاخِلِ الْمَحَلَّةِ. [١١]وَنَحْوَ إِقْبَالِ الْمَسَاءِ يَغْتَسِلُ بِمَاءٍ، وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَدْخُلُ إِلَى دَاخِلِ الْمَحَلَّةِ [١٢]وَيَكُونُ لَكَ مَوْضِعٌ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ لِتَخْرُجَ إِلَيْهِ خَارِجًا [١٣]وَيَكُونُ لَكَ وَتَدٌ مَعَ عُدَّتِكَ لِتَحْفِرَ بِهِ عِنْدَمَا تَجْلِسُ خَارِجًا وَتَرْجِعُ وَتُغَطِّي بِرَازَكَ. [١٤]لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ سَائِرٌ فِي وَسَطِ مَحَلَّتِكَ، لِكَيْ يُنْقِذَكَ وَيَدْفَعَ أَعْدَاءَكَ أَمَامَكَ. فَلْتَكُنْ مَحَلَّتُكَ مُقَدَّسَةً، لِئَلاَّ يَرَى فِيكَ قَذَرَ شَيْءٍ فَيَرْجِعَ عَنْكَ."[2].

القرآن الكريم أشار الى أنّه بعد أن أمر الله موسى عليه السلام تجنيد بني إسرائيل لقتال العماليق ،أمره أن يجعل عليهم رؤساء وعرفاء وأمناء ،فقام بتعيين اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيب من خيّرهم وأوفاهم رجلا ،يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به [3] .

ثانيا : أساليب القتال وعملياته

رغم أن الكنعانيين كانوا أصحاب تاريخ عسكري طويل ،وقدرة على تشييد القلاع والحصون كما يصفها سفر التثنية :بأنّها مدنا عظيمة محصّنة إلى السماء.[4] ،إلّا أن بني إسرائيل نجحوا وتفوقوا في الدخول الى أرض كنعان نتيجة عدة أسباب وعوامل سياسية وأخرى عسكرية أستغلها بنو إسرائيل في عملية الدخول .

هذه الأسباب والعوامل تمثلت في الحالة الأمنية المزعزعة التي تسبب فيها نظام الحكم المصري من جهة ،ومن جهة أخرى النزاعات والصراعات الداخلية بين حكام المدن الكنعانية أنفسهم ، والعزلة السياسية نتيجة غياب التجانس العرقي في التركيبة السكانية للكنعانيين ،ممّا أدى الى غياب الوعي القومي في الوقوف صفا واحدا أمام هجمات قبائل الأسباط الذين يتمتعون بحماس ديني وقومي جعلهم يتطلعون الى احتلال هذه الأرض التي غدت عندهم أرضا موعودة ،إضافة الى

---

[1]– المرجع السابق ،ص 55

[2] – سفر التثنية 23 : 9 – 14

[3]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج10 ،ص 113 ، السعدي ،تفسير السعدي ،ج1 ،ص 225 ،البغوي ،تفسير البغوي ،ج 3 ،ص 28 – 29

[4] – سفر التثنية 1 : 82

الاستفادة من التناقض الطبيعي بين الجماعات العرقية المختلفة التي استوطنت ارض كنعان والتي استندت في قياداتها على الزعامة الجماعية[1] .

1 – الاستطلاع و التجسس :

في هذه المرحلة تحول العمل الإستخباراتي الذي قام به موسى الى وسيلة حربية يعتمد عليها في دخول أرض كنعان ،فبعد أن قام بعملية الإحصاء والتعبئة العامة ،وإعداد القوة اللازمة ومعرفة عددها وتنظيمها وتقسيمها وتوزيع الرئاسات عليها ،بدأ عملية التخطيط لدخول أرض كنعان، فاستخدم أوّل وسيلة لذلك وهي عملية الاستطلاع لمعرفة قوة العدد ، وقوة استحكاماته ،وطبيعة الأرض والطرق والتحصينات ،لأنّ موسى رغم التنظيم العسكري الذي قام به أدرك أنّه ليس في الإمكان تحويل أناس مستعبدين الى شعب مقاتل في أسابيع أو حتى في أشهر ،وأنّه لابد من روح جديدة تُبعث فيهم ،وهو أمر يتطلب وقتا لايستهان به ،فكان من العبث الإقدام على غزو أرض كنعان من غير خطة للوصول الى الهدف المنشود ،ومن غير انتكاسات ؛إذ أن الانكسار في المعركة كان يؤدي الى فقدان الثقة به كقائد عسكري[2] .

هذا النّظام أسّسه موسى حينما كان يقيم في برية سيناء مع بني إسرائيل ،حيث قام بإنشاء جهاز استخباراتي للتجسس على أرض كنعان استعدادا لاحتلالها ،لأنّ الرب قد عيّنها لتكون وطنا له ،هذا الجهاز الإستخباراتي يتكون من اثنا عشرة جاسوسا من قادة الأسباط ،ما يعني أن موسى كان يركز على العمل أو الدافع الجماعي لبني إسرائيل من خلال تمثيل كافة أسباط بني إسرائيل في هذه المهمة[3] .وقد أورد سفر العدد أسماء هؤلاء الجواسيس على النحو التالي[4] : شمعون بن ذكور من سبط رأوبين ،شافاط بن حوري من سبط شمعون ،كالب بن يفنة من سبط يهوذا ،يجال بن يوسف من سبط يساكر ،يشوع بن نون من سبط افرايم ،جدي بن سوس من سبط منسي ،فلطي بن رافو من سبط بنيامين ، جدئيل بن سودي من سبط زبولون ،عمئيل بن جمّيلي من سبط دان ،ستور بن ميخائيل من سبط أشير ،نحي بن وفسي من سبط نفتالي ،جاوئيل بن مساكي من سبط جاد .

بعد أن عيّن موسى هؤلاء القادة ،هيأهم لهذه المهمة وحدد لهم تفاصيلها ؛ قام بتوجيههم وتزويدهم بخطة العمل ،وتعيين مكان الدخول ،المراقبة والمعاينة ،ثم طلب منهم الاستطلاع بقوة ،وإعداد تقرير مفصّل عن الوضع الذي عليه الكنعانيون ،وهو قوة الشعب والسلطة ،ونوع الإقليم والنمط العمراني ؛أي تقرير عام عن حالة البلاد ،وقوة العدد وعدده

---

[1]- ابراهام مالمات ، مرجع سابق ،ص ص 147 – 149

[2]– رجاء عبد الحميد عرابي ،سفر التاريخ اليهودي ،الأوائل ،سورية ،ط1 ،2004 م ،ص 170

[3]– أنظر: رشدي البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ، ج4 ، مرجع سابق ،ص 1042 - 1043

[4]– سفر العدد 13 : 4 – 16 .

،ونوعية الأرض ،والحالة الاجتماعية للسكان ،والحالة الاقتصادية للبلاد ،لأنّ موسى أراد أن يعرف من خلال ذلك القوة المادية والمعنوية والقتالية للعدو قبل القيام بعملية الهجوم عليه ،وهو ما يعكس تمكن موسى من طرق وأساليب المخابرات العسكرية والاقتصادية والديموغرافية[1] .

جاء في سفر العدد :" [١٧]فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ، وَقَالَ لَهُمُ: "اصْعَدُوا مِنْ هُنَا إِلَى الْجَنُوبِ وَاطْلَعُوا إِلَى الْجَبَلِ،[١٨]وَانْظُرُوا الأَرْضَ، مَا هِيَ: وَالشَّعْبَ السَّاكِنَ فِيهَا، أَقَوِيٌّ هُوَ أَمْ ضَعِيفٌ؟ قَلِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ؟[١٩]وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَجَيِّدَةٌ أَمْ رَدِيئَةٌ؟ وَمَا هِيَ الْمُدُنُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَمُخَيَّمَاتٌ أَمْ حُصُونٌ؟[٢٠]وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ، أَسَمِينَةٌ أَمْ هَزِيلَةٌ؟ أَفِيهَا شَجَرٌ أَمْ لاَ؟ وَتَشَدَّدُوا فَخُذُوا مِنْ ثَمَرِ الأَرْضِ "[2].

بعد أربعين يوما عاد الجواسيس من مهمتهم بتقرير مفصل عرضوه على موسى ،تضمن محتواه تخطيط هيكلي للخارطة الإثنية الجغرافية للبلاد ،العمالقة ساكنون في أرض الجنوب ،الحيثيون ،اليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل ،والكنعانيون ساكنون عند البحر على جانب الأردن ،فالبلاد تفردت بهيكل مورفولوجي- تميز السكان ببنية مورفولوجية فريدة- والأرض تفيض لبنا وعسلا ، هذا التقرير كان مرفقا بعيّنات من ثمار الأرض أخذوها تأكيدا على خصب هذه الأرض وغناها بالفواكه والثمار،وتشجيعا لهم على تحمل مصاعب اقتحامها.لكن أغلبية الجواسيس كسّروا قلب الشعب بأنّهم ضعفاء جدا بالنسبة لشعب كنعان ،فأثار ذلك رعب وخوف في قلب شعب بني إسرائيل ،وتذمّروا على هارون وموسى وأرادوا رجمهما ،إلّا كالب بن يفنة ويشوع حاولا تقوية إيمان الشعب وتشجيعه على اقتحام الأرض[3].

تأكيدا على العمل الإستخباراتي أرسل موسى مرة أخرى جواسيس لاستكشاف أرض الأموريين من أجل الاستيلاء على قراها،جاء في سفر العدد :"[٣١]فَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ.[٣٢]وَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَتَجَسَّسَ يَعْزِيرَ، فَأَخَذُوا قُرَاهَا وَطَرَدُوا الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ هُنَاكَ"[4].

هذا النّظام الذي أسسه موسى ووضع له قواعد وقوانين ،أصبح نظاما معمولا به من بعده ،وفنا من فنون الحرب أعتمد عليه القادة العسكريون وملوك بني إسرائيل في غزو الأراضي واحتلال شعوبها ،فيشوع الذي أكمل مهمة الدخول

[1]- ابراهام مالمات،مرجع سابق ،،ص150،محمد جلاء إدريس،فلسفة الحرب، مرجع سابق ،ص132 ،لواء أحمد عبد الوهاب،مرجع سابق ،ص 43

[2] - سفر العدد 13 :17 -20

[3]- سفر العدد 12 : 29 ،13 :23 ، ابراهام مالمات،المرجع السابق ،ص 71 ، رشدي البدراوي ،قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4،مرجع سابق ،ص 1043 ،حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص145

[4] - سفر العدد 21 :31 – 32

ببني إسرائيل من بعد موسى ،اعتمد في استكشاف المدن التي يريد غزوها عن طريق إرسال جواسيس لاستقصاء حالة البلاد ،وجمع معلومات عن خطط الأعداء ،وعن القدرة الدفاعية لهم ،يبدو ذلك حينما أرسل جواسيس الى مدينتي عاي وأريحا وأمرهم أن يتجسسوا عليهما حسب ما جاء في رواية العهد القديم :"اصْعَدُوا تَجَسَّسُوا الأَرْضَ". فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَتَجَسَّسُوا عَايَ. ٢ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى يَشُوعَ وَقَالُوا لَهُ: "لاَ يَصْعَدْ كُلُّ الشَّعْبِ، بَلْ يَصْعَدْ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُل أَوْ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُل وَيَضْرِبُوا عَايَ. لاَ تُكَلِّفْ كُلَّ الشَّعْبِ إِلَى هُنَاكَ لأَنَّهُمْ قَلِيلُونَ"[1] .

لم تقتصر أعمال الجاسوسية على الرجال فقط ،إنما تعدتها الى النساء كما يفهم من قصة راحاب مع الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع ،فكانت واحدة من العملاء الذين استفاد منهم يشوع في هذا العمل[2].

يذكر المفسرون والمؤرخون أن موسى عليه السلام قبل أن يطلب من بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة كما أمره الله عزّ وجلّ أرسل أناسا يأتونه بالأخبار ،فأخذ من كل سبط رجلا فكانوا اثني عشر نقيبا ،وهم زعماء أسباطهم الاثني عشر ،وقال لهم سيروا ،فرأوا من ضخامة أجسام أولئك القوم ما هالهم وأفزعهم ،فلما عادوا أخبروا بني إسرائيل بما عاينوا فضعفت نفوسهم وخارت قواهم ،ولم يعد لهم طاقة للقتال والجهاد ،إلاّ رجلان منهم كتما ما رأوا ولم يخبرا به أحدا ،وأشارا على القوم بالإقدام ،وعدم الإحجام عن القتال ،وهما يوشع بن نون وكالب بن يفنا[3].وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ ﴿١٢﴾ ﴾[4].وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

2 – التعبئة العامة :

بعد عملية إعداد الجيش وتهيئته تأهبا للحملة العسكرية ،تأتي عملية تنظيمية أخرى ولمسة نهائية في غاية الأهمية ،هي التعبئة والدعم المعنوي لبعث الروح القتالية في نفوس الجنود ،هذه العملية اعتمدها موسى بأمر من يهوه إذ يقول له :" [1]إِذَا

---

[1] – سفر يشوع 7 : 2 – 3

[2] – سفر يشوع 2 : 1 – 24

[3] – الطبري ،تفسير الطبري ،ج 10 ،ص 176 وما بعدها ، رشيد رضا ،تفسير المنار ،ج 6 ،ص 280 ،الصابوني ،النبوة والأنبياء ،ص 194 ،ابن كثير ،قصص الأنبياء، مرجع سابق ،ص 453

[4] – سورة المائدة : 12

[5] – سورة المائدة : 23

خَرَجْتَ لِلْحَرْبِ عَلَى عَدُوِّكَ وَرَأَيْتَ خَيْلاً وَمَرَاكِبَ، قَوْمًا أَكْثَرَ مِنْكَ، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ، لأَنَّ مَعَكَ الرَّبَّ إِلهَكَ الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"[1].

هذا النص على ما فيه من حث ودعم معنوي ،جاء فيه تذكير المقاتلين بحدث إعجازي هو الخروج من مصر دون أي إعداد حربي ،فكأن يهوه يذكر شعبه بأنّه قد انتصر على فرعون دون أي استعداد بل دون قتال ،فكيف إذا خرجوا وهم على أهبة الاستعداد[2].

هذه التعبئة هي عبارة عن ترتيبات وطقوس دينية تسبق بداية المعركة يقوم بها الكهنة والعرفاء والقادة من أجل تشجيع ورفع معنويات المقاتلين وبث الحماس في نفوسهم ،هذه الطقوس فرضت على جميع أجيال بني إسرائيل مند عهد موسى ،وأصبحت قاعدة تشريعية وتقليدا متبعا[3]،وهي عبارة عن :

خطبة الحرب واستشارة الرب : هذا النّظام أصبح قاعدة أساسية يعتمد عليها الجيش قبل بداية عملياته العسكرية ،حيث يتولى هذه المهمة الكاهن الذي يلعب دور الوسيط بين الرب والجنود ،فبعد أن يمسح الكاهن بالزيت المقدس يقوم بإلقاء خطبة حماسية بين جموع المحاربين يقول لهم:" اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ قَرُبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ. لاَ تَضْعُفْ قُلُوبُكُمْ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعِدُوا وَلاَ تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِكَيْ يُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ"[4].

هذه المهمة تولاها الكاهن اليعازر،فهو من كان يقوم بخطبة الحرب، وهو الذي يسأل عن حكم الأوريم.حسب قوله يخرجون،وحسب قوله يدخلون هو وكل بني إسرائيل معه كل الجماعة[5].

من بعد موسى أدرك يشوع أهمية التعبئة المعنوية لجنوده،وذلك عن طريق الضرب على وتر الأرض الموعودة كما نص عليه سفر يشوع:" [10]فَأَمَرَ يَشُوعُ عُرَفَاءَ الشَّعْبِ قَائِلاً:[11]"جُوزُوا فِي وَسَطِ الْمَحَلَّةِ وَأْمُرُوا الشَّعْبَ قَائِلِينَ: هَيِّئُوا لأَنْفُسِكُمْ زَادًا، لأَنَّكُمْ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ هذَا لِكَيْ تَدْخُلُوا فَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ لِتَمْتَلِكُوهَا"."[6].

---

[1]- سفر التثنية 20 :1

[2]- محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص129

[3] - سفر العدد 10 : 9 ، سفر التثنية 20 :2 – 4 ، هدير الصافوري ،نشوز المرأة اليهودية ،مكتبة مدبولي ،ط1 ،2011 م ،ص90

[4]- سفر التثنية 20 : 3

[5] - سفر العدد 27 : 21

[6]- سفر يشوع 1 : 10 -11

في كل مرة يواصل يشوع مهمته بنجاح في تذكير أتباعه بأرض الموعد، وهي كلمة السر التي أصبحت تشحذ الهمم وتقوي العزائم،يبدو ذلك من خلال الاستجابة الواسعة والاستعداد التام في صفوف الجنود والالتفاف حول هذا القائد،جاء في سفر يشوع:"ثم كلّم يشوع الرؤبينيين والجادين ونصف سبط منسي قائلا:أذكروا الكلام الذي أمركم به موسى عبد الرب قائلا:الرب إلهكم قد أراحكم وأعطاكم هذه الأرض نسائكم وأطفالكم ومواشيكم تلبث في الأرض التي أعطاكم موسى في عبر الأردن وأنتم تعبرون متجهزين أمام إخوتكم كل الأبطال ذوي البأس تعينونهم حتى يربح الرب إخوتكم مثلكم ويمتلكوا هم أيضا الأرض التي يعطيهم الرب إلهكم،ثم يرجعون الى أرض ميراثكم وتمتلكونها التي أعطاكم موسى عبد الرب في عبر الأردن نحو شروق الشمس.[16]فَأَجَابُوا يَشُوعَ قَائِلِينَ: "كُلَّ مَا أَمَرْتَنَا بِهِ نَعْمَلُهُ، وَحَيْثُمَا تُرْسِلْنَا نَذْهَبْ.[17]حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَا لِمُوسَى نَسْمَعُ لَكَ. إِنَّمَا الرَّبُّ إِلهُكَ يَكُونُ مَعَكَ كَمَا كَانَ مَعَ مُوسَى.[18]كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْصَى قَوْلَكَ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُهُ بِهِ يُقْتَلُ. إِنَّمَا كُنْ مُتَشَدِّدًا وَتَشَجَّعْ." [1].

اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في أن موسى عليه السلام كان يحرض بني إسرائيل ويبعث فيهم الروح المعنوية على إتباع أمر الله في قتال الجبّارين ودخول الأرض المقدسة ،فبدأ يذكّرهم بأيّام الله عندهم وبآلائه قبلهم ،فكان يقول لهم : أذكروا نعمة الله عليكم أن فضّلكم ،بأن جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحيه ،ويخبرونكم بأنباء الغيب ،ولم يُعط ذلك غيركم في زمانكم هذا ،وجعلكم أحرارا بعدما كنتم عبيدا فأصبحتم ملوكا تحكمون أنفسكم ،وفلق لكم البحر وأغرق عدوكم وأورثكم أمواله ،وأنزل عليكم من المن والسلوى ،وأظل فوقكم الغمام ،وأخرج لكم الماء العذب من الحجارة ،وأنّه لم يجتمع لقوم الملك والنبوّة كما جمعها لكم ،وأنّكم العلماء بالله ،وأحباب الله وأنصار دينه[2].بعدها بدأ يبث فيهم روح الجهاد،بأن الأرض المقدسة سيفتحها الله لهم ،وستكون لهم مسكنا وقرارا ،وفي الوقت نفسه كان يحذرهم من الامتناع عن القتال ،والرجوع إلى الوراء ،بأن الهلاك والخسران هو مصيرهم[3]. قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

[1]- سفر يشوع 1 : 12 – 18

[2]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج10 ،ص 160 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 3 ،ص 74 ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج 11 ،ص 201 – 202

[3]- الطبري ،المصدر نفسه ، ص 170 ،ابن كثير ،المصدر نفسه ،ص 75

[4]- سورة المائدة : 20 – 21

كذلك بيّن القرآن الكريم أن يوشع بن نون كان يشجع القوم الذين جبنوا عن القتال ،ويبعث فيهم الرغبة على القيام به ،ويغرس في نفوسهم الثقة في الله ،فكان يقول لهم : إنّ البلاد طيّبة كثيرة النعم ،لا تعصوا الله ،ولا تخافوا الشعب الذين بها ،فإنّهم وإن كانت أجسادهم عظيمة ،إلّا أن قلوبهم ضعيفة ،فهم خبزنا ،ومدفعون في أيدينا ،إن كبرياءهم ذهبت منهم ،وإنّ الله معنا ،فنحن الغالبون إن فعلتم ذلك ،وإن صدقتم نبيّكم فيما أخبركم عن ربكم من النصرة والظفر عليهم ،وإن آمنتم بأن ربّكم قادر على الوفاء لكم بما وعدكم من تمكينكم في هذه البلاد[1] .جاء في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾[2] .

3 – الحيل والخداع :

إذا كان عهد موسى لم يطبق فيه هذه الوسيلة الحربية ،فإن يشوع الذي تميزت فترة حكمه بكثرة الحروب قد استخدمها فلم يكن إسقاط أريحا المحصنة بأسوارها ومبانيها واحتلالها وإبادة من فيها إلّا عن طريق الحيلة استخدام سلاح النفخ في البوق الذي أصبح شعيرة وطقسا من شعائر وطقوس الحرب في التاريخ العسكري لبني إسرائيل[3].

4 – المفاجأة والمباغتة[4] :

أصبحت هذه الوسيلة أهم تكتيك حربي في هذه الفترة، خاصة مع يشوع الذي لم يغيب عنه تقدير أهمية الضربة الأولى ،ومفاجأة العدو ومباغتته كعامل حاسم في تحقيق الانتصار ،خاصة أمام تزايد وتعاظم قوة الأعداء وتحالفهم[5] ،جاء في سفر يشوع :" [9]فَأَتَى إِلَيْهِمْ يَشُوعُ بَغْتَةً. صَعِدَ اللَّيْلَ كُلَّهُ مِنَ الْجِلْجَالِ. [10]فَأَزْعَجَهُمُ الرَّبُّ أَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً..."[6].

---

[1]– الطبري ،المصدر السابق ،ص 183 – 184

[2]– سورة المائدة : 23

[3]– سفر يشوع 6 : 1 – 22

[4]- كان الإسرائيليون يغتنمون الفرص على كافة أنواعها للهجوم على أعدائهم ليفوزوا بالضربة القاضية في أسرع وقت ممكن قبل أن ينتبه العدو إليهم ،وقبل أن يكون قد تهيأ للقائهم ، أو استعد لمحاربتهم. ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 154

[5]– محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص137

[6]– سفر يشوع 10 : 9 – 10

هذه الوسيلة طبّقها يشوع أمام تحالف الكنعانيين ،الأموريين ،الحثيين ،الفرزيين واليبوسيين الذين نزلوا على مياه ميردم لكي يحاربوا إسرائيل ،فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميردم بغتة ،وسقطوا عليهم فدفعهم الرب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم...[1].

5 – الكمائن[2] :

تعد الكمائن من أحدث الوسائل وأشهرها تكتيكا في حروب يشوع ،فقد كانت وسيلة قتالية ناجحة ومفضلة عنده ،إذ بفضلها حقق كثيرا من انتصاراته واحتلاله لمدن فلسطين المختلفة[3] ،هذه الوسيلة جاءت بأمر يهوي الى يشوع الذي أدرك قيمة هذه الكمائن بوصفه المحارب ورب الجنود إثر احتلال مدينة عاي وتدميرها ،" [١]فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: "لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ. خُذْ مَعَكَ جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ، وَقُمِ اصْعَدْ إِلَى عَايَ. انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ مَلِكَ عَايٍ وَشَعْبَهُ وَمَدِينَتَهُ وَأَرْضَهُ،[٢]فَتَفْعَلُ بِعَايٍ وَمَلِكِهَا كَمَا فَعَلْتَ بِأَرِيحَا وَمَلِكِهَا. غَيْرَ أَنَّ غَنِيمَتَهَا وَبَهَائِمَهَا تَنْهَبُونَهَا لِنُفُوسِكُمُ. اجْعَلْ كَمِينًا لِلْمَدِينَةِ مِنْ وَرَائِهَا".[٣]فَقَامَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ لِلصُّعُودِ إِلَى عَايٍ. وَانْتَخَبَ يَشُوعُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ وَأَرْسَلَهُمْ لَيْلاً،[٤]وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: "انْظُرُوا! أَنْتُمْ تَكْمُنُونَ لِلْمَدِينَةِ مِنْ وَرَاءِ الْمَدِينَةِ. لاَ تَبْتَعِدُوا مِنَ الْمَدِينَةِ كَثِيرًا، وَكُونُوا كُلُّكُمْ مُسْتَعِدِّينَ"[4].

اقتضت خطة يشوع بأن يكمن ثلاثون ألفا من مقاتله وراء المدينة ،ثم يقترب هو وجميع الشعب من المدينة حتى يراهم أهل عاي ويخرجون للقائهم ،وعندها يفر يشوع ومن معه مستدرجا أهل عاي ،يخرج الكامنون ويملكون المدينة ،وهي خطة حربية تسمى اليوم بالانسحاب[5] .

6- الحصار[6] :

---

[1]- سفر يشوع 1 : 6 – 8

[2]- الكمين هو وسيلة للإيقاع بالعدو عرفها بنو إسرائيل عن المصريين ،فأصبحت وسيلة يُعتمد عليها في إدارة العمليات العسكرية أمام نقص العدة والعتاد ،وصعوبة التضاريس. ظاظا ،المرجع السابق،ص 162

[3]- المرجع السابق ،ص138 ،شنودة ،المجتمع اليهودي ، مرجع سابق ،ص461

[4]- سفر يشوع 8 :1 – 4

[5]- ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص155

[6]- سلاح قديم عرفته الدول مند الأزمنة القديمة ،وقد عرف بنو إسرائيل هذا السلاح فحاصروا به المدن وحوصروا به أيضا ،وقد أفاض العهد العهد القديم في الحديث عن الحصار ونظامه في فترات الحكم التي ظهر فيها. المرجع نفسه ،ص162

كان الحصار بمثابة وسيلة الحسم في سياسة يشوع العسكرية لإسقاط المدن وإبادة سكانها ،إذ به تمكن من إسقاط أريحا أول مدينة فلسطينية محصنة وإبادة من فيها وسلب ثرواتها ،وسقوط أريحا تم بتخطيط من يهوه الذي حدد خطوات القتال ،وأمر يشوع وأيّده وباركه وبشّره بالفوز قبل القتال ،وقد تلخّص ذلك في الخطوات التالية حسب ما جاء في سفر يشوع[1]

– دوران رجال الحرب وعددهم أربعين ألف رجل حول المدينة مرة كل يوم لمدة سبعة أيام.

– يحمل سبعة من الكهنة أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت– في اليوم السابع يدورون حول المدينة سبعة مرات ،والكهنة يضربون بالأبواق

– عند سماع جميع الشعب لصوت البوق يهتفون هتافا عظيما فيسقط صور المدينة.

ثالثا: معدات القتال في الحروب

من الأسلحة التي أصبح التركيز عليها بقوة في حسم المعركة وتحقيق النصر ضرب الأبواق لإرباك العدو،فكثرة صوتها وعلوها تؤدي الى الجلبة والصياح ممّا يدخل الرعب في قلوب الأعداء ،هذا السلاح اعتمد عليه يشوع في إسقاط مدينة أريحا .وأيضا تابوت العهد ،حيث كان يُؤتى به الى معسكر الجيش فيُستقبل بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر ،ويقع الذعر في قلوب الأعداء[2].

القرآن لم يهتم بهذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم فيما يخص هذه الوسائل الحربية.

[1]- سفر يشوع 6 : 20 – 21 ،6 : 3 – 5

[2]- سفر يشوع 6 : 3 – 5

الفصل الثالث :

التنظيم القضائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: القضاء

كان نظام القضاء في عهد موسى في بداية الأمر قائما على أساس من المركزية ،فكان موسى هو القاضي الذي يقضي في الخصومات والمنازعات بين بني إسرائيل في أرض سيناء ،فكان يجلس للقضاء في شؤونهم من صباح كل يوم حتى مسائه ،غير أنّه لم يلبث أن ازداد العمل زيادة عظيمة أن قام موسى بتأسيس هيئة قضائية جديدة ،فاختار سبعين من الرجال وجعلهم قضاة ينوبون عنه في القضايا البسيطة بموجب الشريعة التي وضعها لهم ،وقد كان ذلك استجابة لرأي يثرون كاهن مدين[1] .جاء في العهد القديم :" [١٨]قُضَاةً وَعُرَفَاءَ تَجْعَلُ لَكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ حَسَبَ أَسْبَاطِكَ، فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ قَضَاءً عَادِلاً."[2] ،وبناء على ذلك أصبح نظام القضاء على النحو التالي :

1 – القاضي الأعلى: كان موسى هو القاضي الأعلى الذي يحكم في القضايا العسيرة التي لا يستطيع أن يفصل فيها شيوخ القبيلة،وكان يرجع الى الله في كل دعوى يعجز عن الوصول بنفسه الى حكم بشأنها على أساس أن الله هو الحاكم والقاضي الأعلى،وذلك كما حدث مع ابن شلومية الذي جدف على الله،والرجل الذي وجدوه يحتطب يوم السبت[3] .

2 – القاضي العام : وهو كاهن الرب الحافظ لناموسه والعارف بشريعته ،أقامه موسى من الكهنة اللاويين ،وهو الذي ينظر في الدعاوى العسيرة التي تُرفع إليه من المحاكم الابتدائية من قبل القضاة المحليين الذين لم يستطيعوا الفصل فيها[4] .

3 – القضاة : وهم رؤساء أو شيوخ القبائل والعشائر ،أقامهم موسى كرؤساء عشرات أو خماسين أو مئات أو ألوف ،وهم قضاة محليون كانت المحاكم الابتدائية تتكون منهم ،وهؤلاء القضاة يمارسون اختصاصاتهم داخل قبائلهم وعشائرهم ،فكانوا يفصلون في القضايا البسيطة التي تُرفع إليهم[5] ،أمّا المنازعات بين القبائل والعشائر المختلفة فكان يختص بنظرها مجلس الشيوخ وجمعية الشعب وقد استطاع هؤلاء أن يحلّوا نظام الدية والتعويض محل القوة والانتقام الفردي[6] .

4 – نواب القضاة : وهؤلاء هم العرفاء أو نقباء الجماعة ،ودورهم هو مساعدة القضاة ،والعمل على تنفيذ الأحكام[7] .

---

[1]– زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 251 ،سيكل سيل ،المرشد الى الكتاب المقدس ، جمعية الكتاب المقدس ،لبنان ،ط2 ،2000 م ،ص 164

[2]– سفر التثنية 16 : 18

[3]– زكي شنودة ،المرجع السابق ،ص251

[4]– نادي فرج درويش العطار ،شرح الأحكام الشرعية في التوراة ،مركز ابن العطار للتراث ،القاهرة ،ط1 ،2004 م ،ص 389

[5]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[6]– صوفي ،مرجع سابق ،ص463

[7]– المرجع السابق ،ص384

أصبح الحكم القضائي يصدر طبقا لما جاء في شريعة موسى دون الرجوع الى الإله في كل نزاع على حدة ،وأمّا الحالات الجديدة التي لا يمكن ردها الى إحدى السوابق القضائية ،فكان لابد من رأي العناية الإلهية للفصل فيها[1] .

بعد تعين القضاة وتوزيع المهام ،ألزم موسى القضاة بتحقيق العدالة ،وتطبيق ما نص عليه الأمر الإلهي :" [19]لاَ تُحَرِّفِ الْقَضَاءَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى الْوُجُوهِ، وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَعْيُنَ الْحُكَمَاءِ وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الصِّدِّيقِينَ."[2] ،فأمرهم موسى أن لا يحرفوا القضاء فيحكموا حكما غير عادل ،وأن لا ينظروا الى الوجوه فيحرفوا قضاءهم بمجاملة الأغنياء أو ذوي السلطة ،أو الإشفاق على المجرمين من الفقراء والمساكين ،وأن لا يأخذوا رشوة من أحد ،لأنّ الرشوة تعميهم عن الحق فتجعلهم يصدرون أحكاما ظالمة[3] .

وعندما استقر الشعب في أرض كنعان كانت له في كل بلدة صغيرة محاكم جزئية ابتدائية تتألف كل منها من ثلاثة أعضاء من بينهم رئيسهم ،وفي كل مدينة كبيرة يزيد عدد سكانها على 1200 أسرة كانت المحكمة تتكون من ثلاثة وعشرين عضوا من بينهم رئيسهم ،أمّا المحكمة العليا التي كانت تحكم في القضايا العسيرة أو الخطيرة أو العامة ،والتي كانت تعتبر مجلسا تشريعيا فكانت من سبعين عضوا ،وكان من بينهم رئيس الكهنة ومعه عدد من الكهنة والباقي من شيوخ الشعب ورؤسائه[4] .

المبحث الثاني : التشريع

إذا كان الخروج من مصر هو بداية تشكيل الوعي القومي لبني إسرائيل ،فإن وجودهم في سيناء أصبح يُمثل مرحلة البناء الفكري والعقدي والتشريعي ،حيث أصبحوا جماعة العهد ؛جماعة مقدسة ليهوه يعمل من أجلها طوال الوقت ويطالبها بالعمل من أجل عبادته المطلقة ،منذ أن ألقى إلى موسى بوصايا وتشريعات دينية وتعبدية وخلقية ومدنية ،وهذا كلّه من أجل ضمان الأمن والاستقرار السياسي ،وبناء مجتمع مدني حضاري بعد أن كانوا أسباط تحت العبودية ،فجاءت هذه الشريعة الموسوية تنظم جميع شؤونهم الاجتماعية ،السياسية ،المالية ،القضائية ،الإدارية ،الحربية والدينية ،وتعلن عن حدود هذه الأمّة في دولتها الجديدة بحدود أراضي جماعتها التي سميت بأسمائها .

---

[1]- المرجع السابق ،ص463

[2]- سفر التثنية 16 : 18 – 19

[3]- العطار ،المرجع السابق ،ص384

[4]- المرجع نفسه ،ص 389

فموسى باعتباره مؤسس الدولة والدين ،والمعلن عن التشريع أو الدستور الذي أصبح المرجع القانوني ،نظّم الشعب وسنّ له الشرائع والطقوس التي نمت وتطورت مع توالي العصور وتفرعت الى تقاليد متعددة[1] ،ثم سلّم هذا الدستور الى الكهنة والى جميع شيوخ بني إسرائيل ،وأمرهم أن يضعوه في التابوت الى جانب الوصايا العشر وعصا هارون ،ووعاء المن ليكون هذا الدستور شاهدا عليهم ،وأمرهم أن يقرؤوه في نهاية كل سبع سنين على مسامع كل إسرائيل[2] .هذه الشريعة التي سلّمها موسى للكهنة والشيوخ نسخ عنها يشوع نسخة ثانية ،وهي أوّل عملية نسخ لها[3] .

والصيغة التي تم بموجبها تأسيس العهد (الدستور) والمصادقة عليه ،هو الاحتفال الذي أقيم على قمة الجبل ،وهو عبارة عن وليمة مقدسة شارك فيها ممثلون عن بني إسرائيل مع موسى وهارون وابنا هارون والسبعون شيخا[4] .

والشريعة الموسوية ،هي الشريعة التي فرض الله على أتباعه العمل بها كقانون لهم ،لذلك اتخذت اسم الناموس (نوموس ومعناها عادة راسخة) ،أو القانون وهو لفظ من أصل يوناني معناه البنتاتيوخ ،وهي تطلق على أسفار موسى الخمسة ،لذلك سُميت شريعة موسى ،أو ناموس موسى[5] .

وقد تعددت النصوص التي توصي اليهود بالتزام هذه الشريعة والعمل بها والمحافظة عليها في عهد موسى ومن بعده ،نذكر منها :" [٤]اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ[٥]فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ[٦] وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ،[٧]وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ،[٨]وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ،[٩]وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ "[6] .

أعطى الله موسى الوصايا العشر مكتوبة على لوحين من الحجارة كما أشار إلى ذلك سفر الخروج :" [١٢]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ..."[7] ،هذه

---

[1]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 289

[2]- سفر التثنية 9 : 24 -26 ،بطرس عبد المالك ،قاموس الكتاب المقدس ،ص209

[3]- محمد علي برُّ العاملي ،الكتاب المقدس في الميزان ،الدار الإسلامية ،بيروت ،د ط ،1413 هـ ،1993 م ،ص 60

[4]- سفر الخروج 24 : 4

[5]- مجموعة من المؤلفين ،شريعة حمورابي ،ترجمة: أسامة سراس ،دار علاء ،دمشق ،ط2 ،1993م ،ص 14 ،بباوي ،مرجع سابق ،ص 512

[6]- سفر التثنية 6 : 4 – 9

[7]- سفر الخروج 24 : 12 – 18، 32 : 15 – 16

الوصايا العشر ،يذهب بعض الدارسين إلى أنّها بمثابة حجر الأساس في هذا التشريع ،وجوهر العقيدة اليهودية[1].فهي من ناحية المعنى والأهمية ذات مكانة بارزة في العهد القديم ،لأنّ الله كتبها وحدها بأصبعه ،ووُضعت وحدها في تابوت العهد[2].ومن ناحية الشكل تشبه نماذج المعاهدات المتّبعة في الشرق الأدنى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،وبخاصة الاتفاقيات التي كانت تُعقد بين العبيد والسادة ،وقد تضمنت نصوصا مختلفة الأغراض بحيث يمكن تقسيمها إلى شريعة جنائية وشريعة مدنية ،لأنّ العهد القديم لا يفصل بين القوانين المدنية والخُلقية والدينية[3].

هذا هو نص الوصايا كما جاء في سفر الخروج :" [1]ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: [2]"أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. [3]لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. [4]لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. [5]لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ،[6]وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. [7]لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. [8]اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. [9]سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، [10]وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. [11]لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. [12]أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. [13]لاَ تَقْتُلْ. [14]لاَ تَزْنِ. [15]لاَ تَسْرِقْ. [16]لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. [17]لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"[4] .

إضافة إلى الأحكام والقوانين التي نصّت عليها الوصايا العشر في سفري الخروج والعدد ،وردت أحكام وقوانين أخرى مثبّتة في مواضع مختلفة من بقيّة الأسفار الخمسة منها القوانين الخلقية الدينية في سفري الخروج والتثنية ،ومجموعة من القوانين خاصة بالنظام الكهنوتي وأخري تسمى قانون القداسة،هذه القوانين كان لها تطورها المستقل المرتبط أساسا بأحوال

[1]- زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 217 ،المسيري ،الموسوعة ،ج 2 ،مرجع سابق ،ص 28

[2]- بباوي ،مرجع سابق ،ص 514

[3]- زكي شنودة ،المرجع السابق ،ص 219 ،سيكل سيل ،مرجع سابق ،ص 164 ،روبن فايرستون ،مرجع سابق ،ص27

[4]- سفر الخروج 20 : 1 – 17

الحياة العبرية التي تتوسط بين حياة الرعي وحياة الزراعة ،فكانت شديدة الاختلاف عن ظروف الحياة في أرض الرافدين[1] .

أولا : التشريع الجنائي

نصّت شريعة موسى على أفعال اعتبرتها جرائم تستوجب العقاب على ارتكابها ،وقد تعددت أنواع العقوبات تبعا لنوع الجريمة المرتكبة ،هذه الجرائم وعقوباتها جاءت كما يلي :

1 - **الجرائم ضد الله :**

اعتبر التشريع الموسوي أن التجديف على الله،عبادة الأصنام والآلهة الأجنبية ،القيام بأي عمل يوم السبت ،هي جرائم ضد الله يعاقَب عليها بالرجم والقتل بالسيف والرمي بالرمح[2] .كما اعتبر أن كل فعل يخالف الترتيبات الطقسية الموضوعة للخدمة الدينية في خيمة الاجتماع جريمة ضد الله يعاقَب عليها بالقطع من الشعب ،هذه الجرائم هي ذبح الذبائح بعيدا عن خيمة الاجتماع ،الأكل من ذبيحة السلامة في اليوم الثالث،أكل النجس من ذبيحة السلامة ،أكل الدم والشحم ،اقتراب النجس إلى الأقداس ،إهمال الطقوس المقررة في الفصح[3] .

2 – **الجرائم ضد النفس :**

وضع التشريع الموسوي عقوبات مشددة على جرائم التعدي على الأشخاص أكثر من المرتكبة ضد الممتلكات ،ومن هذه الجرائم التي نص عليها التشريع : القتل بأنواعه، الضرب،سب الوالدين أو التمرد عليهما،جريمة الزنا ،شهادة الزور والارتشاء ،وهي جرائم يعاقب عليها بالقتل والقصاص والغرامة والتعويض[4] .

3 – **الجرائم ضد المال :**

من الجرائم ضد المال التي نصت عليه شريعة موسى وحددت عقاب مرتكبيه ما بين القتل والتعويض ،جريمة السرقة ،السلب والاغتصاب وأخذ ما حرم الله وخيانة الأمانة[5] .

ثانيا : التشريع المدني

---

[1]- موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 166

[2]- سفر الخروج 31 : 14 – 15 ، 32 : 27 – 28 ، سفر العدد 15 : 32 – 36 ،25 : 1- 18 ،سفر اللاويين 24 : 16

[3]- سفر اللاويين 17 : 1 – 4 ،19 : 1 – 8 ،7 : 20 ،7 : 27 ،22 : 3 ، سفر العدد 9 : 13

[4]- سفر الخروج 21 : 14 - 27 ،سفر اللاويين 24 : 20 ،21 ،سفر التثنية 19 : 16 – 19

[5]- سفر الخروج 22 : 1 – 15

نصّت شريعة موسى على جملة من المعاملات المدنية ،ووضعت لها قواعد وأحكام وقوانين دقيقة وبيّنت حالات التعامل بها على المستوى الداخلي بين الأفراد ،ومع الغير على المستوى الخارجي .

1 – العقود والمواثيق :

من العقود والمواثيق التي حددتها شريعة موسى ،ووضعت لها قوانين وأحكام ،وبيّنت كيفية التعامل بها وتأديتها ،البيع، الإيجار ،الرهن ،القرض[1].وقد كان الغرض من ذلك هو حماية الفقير ،وتحقيق العدالة الاجتماعية والخلقية[2] .

2 – الأحوال الشخصية والمواريث :

من أجل الحفاظ على القومية ووحدة الجنس ،أوجبت الشريعة الموسوية أحكاما عامة في شؤون الأسرة ،أو بما يسمى اليوم بقانون الأحوال الشخصية والميراث ،جعلتها ترتبط بمفهوم القومية والثروة وسياسة الاقتصاد من خلال وضع قانون ينظم الروابط الاجتماعية على أسس دموية بواسطة الزواج الداخلي والحرص على مصاهرة الأقارب ،حيث أوجبت الزواج من ابنة العم ،وزواج البيوم (زواج المرأة من أخ زوجها بعد وفاته) من أجل الاحتفاظ بثروة العشيرة داخل العشيرة نفسها حتى يأمن أفرادها مورد رزقهم ويطمئنوا على ثروتهم ،كما حرمت الزواج بين بعض الأقارب ،والزواج من خارج القبيلة وجعلته خرقا للقوانين والشريعة وذلك دفعا لخطر الاندماج في الشعوب الأخرى ،ومن أجل حماية الزواج وتدعيمه وضعت الشريعة قيودا معينة على حق الطلاق[3] .وقد أشارت إلى ذلك نصوص التوراة[4] .

كذلك اهتمت الشريعة بقضية الميراث الذي يشمل الأرض وبقية الممتلكات الشخصية ،فوضعت لذلك قانون يضبط أحوال المواريث العقارية التي لا ينبغي أن تتحول من وارث إلى وارث آخر من خارج نظام التقسيم الذي راعى البيوتات والأسباط ،وذلك من أجل تقوية التكافل وحفظ والتوازن بين الجهات والجماعات[5].

---

[1]– سفر اللاويين 25 : 14 – 16 ،25 – 55 ، سفر التثنية 24 : 10 – 15 ، 23 : 19 – 20 ، 15 : 1 – 4

[2]– موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 170

[3]– شنودة، المجتمع اليهودي،مرجع سابق،ص 246 – 247 ،ملكة يوسف زرار ،مرجع سابق ،ص55 ، بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج 4 ،مرجع سابق ،ص607 ،أسعد السحمراني ،ترجمان الأديان ،دار النفائس ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1430 هـ ،2009 م ،ص284 ،موسكاتي ، المرجع السابق ،ص 168 – 169

[4]– سفر التثنية 21 : 18 – 21 ، 25 :5 – 10، سفر العدد 36 : 1- 12، 20 :1 – 3 ،31 : 1 – 17

[5]– عشراتي ،مرجع سابق ،ص 95

خلاصة القول في هذا الموضوع هو أن قيمة وخصوصية هذا التشريع وما احتوته الوصايا العشر ،يكمن في أنّه جمع شمل اليهود وحفظ وحدتهم ،فكان حجر الأساس في بناء الدولة ،والسور الحصين الذي يحميها ،ولكن بمقدار ما حافظت هذه الوصايا على الروحية اليهودية ،جعلتهم يعيشون حياة القبلية والعزلة عن الآخرين[1] .

كذلك تكمن قيمة وأهمية هذا التشريع في أن موسى ألقى خطابا في أرض مؤاب ذكر فيه الوصايا ،ونزول البركة لمن استمسك بالشريعة ،والعقاب الشديد على من عصاها ،أما يشوع من بعده فقد نفّذ بدقة ما أمر به الرب موسى في الشريعة .

وردت في القرآن الكريم آيات تشير إلى أن الله تعالى أنزل على موسى عليه السلام التوراة وجعلها دستورا وشريعة ومنهاجا وميثاقا يأخذ بها بنو إسرائيل بقوة بكل ما فيها من عقيدة وتشريعات وأحكام وقوانين ومعاملات وأخلاق ،من أجل صلاح أمورهم وانتظام شؤونهم الدينية والدنيوية ،حتى يكونوا على استعداد للخلافة في الأرض بدين الله ،منها قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾[2] .

القرآن الكريم لم يشر إلى تفاصيل التشريعات التي أوردتها التوراة ،لكنّه ذكر أن الله أعطى موسى عليه السلام كل ما يحتاج إليه وقومه في دينهم ،وبيّن له الأمور التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية ،وشرح له أقسام الأحكام وتفصيل الحلال والحرام ،وذلك بذكر الوعد والوعيد[3] .قال تعالى :﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥ ﴾[4] .

كما بيّن أن قانون العقوبات يقوم على مبدأ القصاص ،قال تعالى :﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾[5] .

---

[1]- محمد علي برُّ العاملي ،الكتاب المقدس في الميزان ، ص 163 – 164 ،أحمد شلبي،مرجع سابق ،ص 289

[2]- سورة المائدة : 44

[3]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج 14 ،ص 246 – 247

[4]- سورة الأعراف : 145

[5]- سورة المائدة : 45

ممّا تقدم ذكره نجد أن العهد القديم والقرآن الكريم يقرران بأن نظام الحكم الموسوي كان قائما على أساس التشريع ، وأن موسى عليه السلام كان قائدا ومرشدا ،فكان أول من رسم لليهود السلطة التشريعية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الثالث

نظام القضاة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

التنظيم السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:الأوضاع السياسية

كانت الأحوال السياسية السائدة في هذا العصر تعكس أولا التطورات التي حدثت على اثر موت يشوع مباشرة ؛أي قبل تولي القضاة السلطة ،وثانيا الأحداث السياسية والدينية ،والتغيرات الاجتماعية التي لازمت تلك الفترة ،والتي تبدو مثل حلقات متكررة من الوقوع في العبادات الوثنية ،واستعباد الأغراب لهم ،والصراخ ليهوه من أجل الخلاص ،وافتدائهم بيد مخلص يهبهم فترة هدوء واستقرار سياسي.

فبعد مركزية السلطة السياسية في عهد موسى وخليفته يشوع ،آل مصير الدولة الى حالة من اللاّ انتظام ،ومن اللاّمركزية في الحكم،حيث تفكّك التنظيم الشعبي الذي كان أيام يشوع وانحلّت عقدة القبائل فوجدت هذه القبائل نفسها تعيش من حول بيت إيل وأورشليم مفكّكة الروابط منشقّة على نفسها لا تربطها من الروابط إلاّ رابطة العقيدة القومية[1] ،ولم يعد هناك وجود لقوة سياسية وحكومة مركزية تعزز جانب القانون والنّظام ،ولم تكن هناك عاصمة سياسية ،ولا مكان إداري رسمي يُمارس فيه الحكم إلّا المركز الديني شيلوه الذي أصبح مكان اجتماع القضاة ،وهو المقر الذي أسسه يشوع[2] .

كما ترك هذا الأخير لبني إسرائيل ما إن حافظوا عليه لن يضلوا ولن يستعبدوا ؛شريعة الرب ،الأرض والوصية بطاعة الرب ،والوعد بحضور الرب معهم لتمكينهم من إخضاع الكنعانيين[3] .

غير أن الأسباط لم يحافظوا على هذه التركة ،التي كان عنوانها الولاء للرب ،فماتت بموته ولم تستمر طويلا ،وتمزقت الوحدة الدينية وتعددت المعابد ،وتفرقت العبادة في صور عديدة تحاكي معبودات الكنعانيين ،فعبدوا البعل وعشتاروت ،ومارسوا البغاء ،واختلطوا دينيا بأهالي كنعان فبدأت شيئا فشيئا عمليات الاندماج الدينية ،فقامت القبائل في الضفة الشمالية (السامرة) بعملية كنعنة الإله يهوه ،وتطويره بما يتلاءم مع نمطها الحياتي الجديد[4] .

كما أدى الاقتصاد الزراعي والاختلاط الاجتماعي عن طريق الزواج من كنعان الى تشكيل خليط بشري (كنعاني-إسرائيلي) نتج عنه انحلال روابط العشيرة والقبيلة القائمة على وحدة الدم والجنس، وحلول روابط الجوار محلّها ،فأصبحت

---

[1]- أبكار السقاف ،الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبريين ،ص 174 ،اسبنوزا باروخ ،رسالة في اللاهوت والسياسة ،ص394 ،عرفان عبد الحميد ،مرجع سابق ،ص 34

[2]- سفر يشوع 18 : 1 ،سفر صموئيل الأول 1 : 3

[3] - سفر يشوع 23 :6، 24: 14 ، 22 :5

[4]- إسماعيل ناصر الصمادي ،التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،2005 م ،ص328 ،عرفان عبد الحميد ، المرجع السابق ،ص 34 – 35

القبيلة تضم مجموعات من الوحدات الإقليمية ،كما أدّى هذا الاندماج الى أن زاوجت هذه القبائل بين النظام القبلي العشائري ،والنظام الكنعاني (المدينة–الدولة) [1].

بهذا الوضع أصبح بنو إسرائيل مقسّمون الى مناطق نفوذ ،كل سبط يؤلف قبيلة ،وكل قبيلة تؤلف وحدة سياسية منفصلة ومستقلة ،ولم يعد كل سبط يتدخل في شؤون الآخر ،فتحول الأسباط الى دويلات حليفة بدل الدولة الموّحدة ،وتحول نظام حكمهم الى حالة من التذبذب ،وعدم الاستقرار ،فامتازت سياستهم بنوع من الفردية والمحلية[2] .يقول سفر القضاة:" ٦وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ."[3].

نصوص العهد القديم تشير من جهة الى هذا التمزّق الداخلي بين الأسباط رغم وحدة الجنس ،والانشقاق السياسي بينهم ،وضعف التنظيم العسكري ،وتفكك الجيش النظامي الدائم ،والحروب الأهلية كالحرب التي نشبت بين سبط بنيامين وباقي الأسباط الأخرى على خلفية الجريمة الجنسية التي حدثت في جبعة ،بل كان من الأسباط من يتحالف مع الممالك الأجنبية ضد بقية الأسباط الأخرى[4].

من جهة أخرى تشير الى الحروب الدائمة التي تميّز بها هذا العهد الذي أصبح لا يتّسم بنظام المسالمة مع الجوار ،ولا عقد المعاهدات السلمية مع الشعوب الأخرى ،لأنّ يهوه حرّم عليهم ضرب الوعود ،وقطع المعاهدات مع الشعوب الأخرى ،وحثّهم على عدم الالتصاق بهم ،والقيام بحروب دائمة لكي يستولوا على الأرض التي وعدهم بها ،وهو ما انعكس سلبا على استقرار الوضع السياسي ،حيث تعرض بنو إسرائيل الى أزمات سياسية على أيدي الفلسطينيين ،العمونيين والكنعانيين...،فقدوا من خلالها الوحدة الوطنية بعد أن فقدوا المركز الديني والروحي– شيلوه– ورمز الوحدة الدينية – التابوت– على أيدي الفلسطينيين الذين هدموا المدينة والهيكل في الألف قبل الميلاد ،واستعادوا الأرض التي سبق لبني إسرائيل احتلالها[5].

تحوّل بنو إسرائيل بعدها الى حالة من التجزئة السياسية سببت الفوضى في الحياة السياسية والدينية للشعب ،وساهمت في الفساد الاجتماعي ،فاختل النّظام وظهرت التحزبات القبلية التي ساهمت في ضعف نظام الحكم السياسي نتيجة استقرار الأسباط وتكيّفهم مع ظروف التجمّعات السكّانية الحضرية من أهل كنعان الذي أسفر بقدر أو بآخر عن الميل

---

[1]– إسماعيل ناصر الصمادي ،التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية ،ص328 –329 ،صوفي ،مرجع سابق ،ص467

[2] – اسبينوزا ،مرجع سابق ،ص 394

[3]– سفر القضاة 17 : 6

[4] – سفر القضاة 19 :21

[5] – سفر القضاة 1 :34 ،أنظر:الأرقم الزعبي ،حقائق عن اليهودية ،الدار المتحدة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1990 ،ص51

الى تفضيل المبدأ الإقليمي على مبدأ قرابة الدم ،ومن ثم أصبح بنواسرائيل في هذا العهد شعبا مجزّءً إلى قبائل متعددة ،فرغم اتحادهم في الأصل إلّا أنّهم لم يندمجوا في أمّة واحدة ،ولم ينتظموا في وحدة سياسية تأخذ شكل الدولة ،فضلّوا قبائل متفرقة يحكمها رؤساء عرضة للاختلاف فيما بينهم ،وبالتالي كان القرار السياسي موزعا بين عدد من مراكز القوى[1].

رغم هذه الفرقة السياسة ،الدينية والاجتماعية التي جعلت منهم أسباطا متعددة منفصلا كل منها عن الآخر انفصالا تامّا تتفق فيما بينها بعض الوقت وتختلف أغلب الوقت ،بل تنشب الحروب أحيانا بين بعضها والبعض الآخر كأنّها شعوب مختلفة المنشأ متعددة الأجناس ،تفتقر إلى وجود دستور دولة يجمع وينظّم هذه الفرقة ،إلّا أنّه لم يمنع من وجود نظام حكم وسياسة إدارية تنظّم شؤون المجتمع ،فكان ينهض زعماء محلّيون يتصدرون القيادة ويجمعون الشمل ويوحدون الصفوف ضد الأعداء من أجل أن يعود بنو إسرائيل أدبيا وسياسيا ،وكذلك دينيا واجتماعيا شعبا واحدا ،وهؤلاء سُمّوا بالقضاة[2].

القرآن الكريم أشار كذلك إلى الأوضاع السياسية لبني إسرائيل في هذه الفترة من خلال الإشارة إلى إفسادهم في الأرض ،وإلى العقوبة التي حلّت بهم بسبب هذا الفساد عند عرضه لقصة القتال الذي دار بين طالوت قائد بني إسرائيل وجالوت القائد الفلسطيني ،إذ أن بني إسرائيل كانوا مهزومين مقهورين بسبب إفسادهم في الأرض ،حيث كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم ،وتركوا ما عهد الله إليهم ،فسلّط الله عليهم جالوت وجنوده من العمالقة ،فأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم ،وقتلوا منهم عددا كبيرا ،وسبوا كثيرا من ذراريهم،وغلبوهم على كثير من أراضيهم ،وضربوا عليهم الجزية ،وأخذوا توراتهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم[3] ،يتجلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[4].

خلاصة الكلام في هذا الموضوع ،هو اتفاق العهد القديم والقرآن الكريم على أن بني إسرائيل في هذه الفترة قد تعرضوا الى العقاب على أيدي أعدائهم الذين سلبوا منهم الأمن ،وسلبوا منهم التابوت بسبب الفساد السياسي والديني.

---

[1] – أبراهام مالمات ،مرجع سابق ،ص 168

[2] – زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ، ص 38 ، رينهارد لاوت ،مرجع سابق ،ص 264

[3] – طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 167 – 168 ،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 359 – 360

[4] – سورة البقرة : 245

المبحث الثاني :نظام اعتلاء الحكم

1- مفهوم القضاة :

تُعرّف كلمة قاضي بأنّها مأخوذة من أصل كنعاني تفيد معنى قائد ورئيس ،والقضاة اسم مترجم من اللفظة العبرية شوفطيم ،وقد استخدمت لقبا للذين قاموا بعد موت يشوع لينقذوا شعب إسرائيل من أعدائهم المحيطين بهم .ومعنى هذه اللفظة بالعبرية لا تنصبّ على السلطة القضائية كما يُفهم من مدلول هذا اللفظ في العربية ؛فلم يكن عملهم القضاء وإصدار أحكام بحسب قانون معيّن لتحقيق العدل ،وإنما تؤدي هذه اللفظة الحكم والسلطة الإدارية والمنقذ ،وهذا النوع من الحكم هو حكم عسكري مطلق .وقد سُمّوا أيضا مخلّصين لأنّ إقامة أحدهم كان لتخليص الشعب من أيدي الأعداء ،وكان ذلك في أحوال غير اعتيادية ،وتنقضي سلطتهم عادة بانتهاء الحالة التي دعت الى قيامهم[1].

ولفظ قاضي لا يعني ذلك الموظف أو الشخص الذي يفصل في مشاكل القوم ،فلفظ شوفط في الواقع يستخدم في سفر روث بمعنى والي أو حاكم ،لكن أحيانا يرد في أسفار أخرى مثل عاموس بمعنى ملك ،ومن مقدمة سفر القضاة يُفهم أن القاضي كان يتمتع بحق مقدّس يمنحه إياه يهوه لكي يحرّر الشعب من معصية ارتكبها فعاقبه يهوه لهذه الخطيئة وأسلمه الى طاغية مستبد ،ومن ثم تاب الشعب فغفر الله له[2].

ويطلق اليهود كلمة شوفيط على القاضي ،وهذا اللّفظ نقله اليهود عن القرطاجنيين ،إذ كان معروفا عند قرطاجنة بمعنى القاضي وقائد الجيش في آن واحد ،وكان اللفظ في اللّغة القرطاجنية سوفيت .هذا اللّفظ إشارة الى زعامة الشعب التي تشتمل تلقائيا على صلاحية التحكيم والحسم في القضايا ،إلى جانب تحرير الشعب وتخليصه من سيطرة الأعداء[3].

مصطلح قاض هو مصطلح قديم يفيد معنى الحاكم والوالي ،وقد استخدم حسب وثائق ماري في الربع الأول من الألف الثاني لتشير إلى صاحب منصب في الهيكل السبطي ،وأن صلاحيات صاحب هذا المنصب تختلف تماما عن إصدار الأحكام القضائية ،ويرد مصطلح قاضي في الكتابات الفينيقية بمعنى حاكم ،وخاصة في اللغة البونية ،وربما ورد بهذا المعنى في الوثائق الأوجاريتية كما يذكر مالمات[4].

وقد صُنّف القضاة إلى فئتين ،قضاة كبار هم: عثنئيل ،أهود ،شمجر ،دبورة ،باراق،جدعون ،شمشون .وقضاة صغار هم :تولع ،يائير ،يفتاح ،أيصان ،أيلون ،عبدون[5].

---

[1] – مراد كامل ،الكتب التاريخية في العهد القديم ،مرجع سابق ،ص 62

[2] – فؤاد حسنين على ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ، ص 17

[3] – ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص82

[4] – مالمات ، مرجع سابق ،ص 169

[5] – علي البار ،مرجع سابق ،ص 73 – 74

أمّا مدّة حكمهم فقد أختلّف فيها العلماء بناء على تاريخ الخروج من مصر ،فالذين يقولون بالخروج في زمن الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة يضعون بداية حكم القضاة في حوالي سنة (1370- 1360 ق.م) ،أمّا الذين يقولون بأن الخروج حدث في أيام الأسرة الفرعونية التاسعة عشرة فيضعون بداية حكم القضاة في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد[1].

2- تعيين القضاة :

كان تعيين القاضي لتولي شؤون الحكم ،وقيادة الشعب يتم عن طريق اختيار الله ،فكان الله هو الذي يقيم القاضي ،وأحيانا ينتخبه كبراء الشعب ،وتعيين القضاة لهذا المنصب لا يمثل حلقة متصلة ،فهم ليسوا كالملوك ؛إذ لم يخلف القضاة بعضهم الآخر ،وفق نظام الخلافة ،بل كان يعاصر أحدهم الآخر[2] ،وليسوا من الرجال فقط ،بل فيهم من النساء من قاد بني إسرائيل ،حيث يذكر سفر القضاة أن:" ٤وَدَبُورَةُ امْرَأَةٌ نَبِيَّةٌ زَوْجَةُ لَفِيدُوتَ، هِيَ قَاضِيَةُ إِسْرَائِيلَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ "[3].

هذه الطريقة في تعيين القضاة تعني أن نوع القيادة كانت جماعية ،فلم تكن هناك سلطة وقيادة مركزية ،ونظام حكم مركزي ،فهذا الكيان السياسي لم يكن أكثر من تحالف قبلي لمجموعة من المشيخات ،يترأس عليها شيخ الشيوخ ،أو قاضي القضاة يحكم قبيلته بقانونه الخاص كما هو عليه الحال في كل زمان ومكان[4].

إلّا أنه في أواخر أيام القضاة أصبح نظام الحكم مركزي ،حيث تركزت السلطة في يد صموئيل آخر القضاة الذي جمع بين السياسة والكهانة والقضاء والنبوة ،فأصبح يتمتع بكل الصلاحيات السياسية ،الدينية ،العسكرية والقضائية ،وامتدت هذه السلطة حتى أرغمه الشعب على التنحي واختيار ملك علماني لهم مثل باقي الشعوب المجاورة ،لأنّ الشعب اكتشف أن نظام القضاة لم يعد صالحا للدفاع عنهم ،ولا عن حماية مصالحهم الاقتصادية بعد أن أصبحوا أصحاب ملكية وأراضي زراعية ،رغم محاولات صموئيل إقناع هذا الشعب بعدم صلاحيات نظام الملك لما فيه رفض مباشر لحكم يهوه ،إلّا أنّهم أصرّوا على اختيار الملك لإحساسهم العميق بفشل نظام القضاة والحكم الإلهي المباشر .وقد نجح الشعب في ذلك بعد أن فشل في إقناع جدعون بإقامة نظام ملكي وراثي كما هو الحال لدى سائر الشعوب[5].

---

[1]- بيباوي ،دائرة المعارف الكتابية ،ج 6 ، مرجع سابق ،ص 226

[2] - أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 72

[3]- سفر القضاة 4 : 4

[4]- إسماعيل ناصر الصمادي ،مرجع سابق ،ص 329 ، إكرام لمعى ،مرجع سابق ،ص33

[5]- إكرام لمعى ،المرجع نفسه ،ص34 ،جارودي ،مرجع سابق ،ص 90

في القرآن الكريم وردت الإشارة إلى نظام تولي الحكم في هذه الفترة ،فالحاكم أو الملك يتولّى شؤون الحكم بناء على طلب رؤساء وأشراف ووجهاء بني إسرائيل ،هذا الحاكم أو الملك يتم تعيّنه من طرف النبي[1] ،الذي يقوم بتوجيهه وتقويمه ، فهو يسير بالجموع والنبي يقوم له بأمره ويأتيه بالخبر من ربّه[2] ،جاء في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا ﴾[3] .

المبحث الثالث : المهام السياسية

أولا : السياسة الداخلية

القضاة هم أناس نالوا من الله سلطة امتدت إلى الحياة الاجتماعية دون أن تقتصر على عالم القضاء ،وهم في الحقيقة أبطالا وحكاما وطنيين ظهروا بصورة عفوية في أيّام الشدة ،وقادوا شعبهم ضد الأعداء المجاورين أو الحكام الأجانب[4].

وكان القضاة يمارسون وظيفتهم حتى نهاية حكمهم ،ولم يكن لهم امتياز معيّن ،أو أجر يتقاضونه من الشعب ،ولا حرس ولا أتباع ،ولا أحد يخدمهم ،بل كل منهم ينفق على نفسه[5] .

هذه الوظيفة كانت تُمارس في إطار الفردية والمحلّية ،وليس على مستوى الشعب كلّه ؛أي لم تشمل كل الأسباط ؛إذ كان لكل سبط رئيسه الذي يدبّر أموره الخاصة ،فمثلا كان مركز حكم أهود ويفتاح وإيلون ويائير هو دائرة شرق الأردن ،ومركز حكم باراق وتولع هو شمال كنعان ،ومركز حكم عبدون هو وسط كنعان ،أمّا مركز حكم كل من أبصون وشمشون فهو جنوب كنعان .وأمّا الأمور الخاصة التي تمس الجماعة على مستوى جميع الأسباط كمحاربة الأعداء ،فيرجع الى القاضي[6].

1- الشؤون السياسية :

---

[1]- أورد المفسرون عدة آراء في تحديد اسم النبي الذي وردت الإشارة إليه منها ،أن الطبري أورد عدة آراء هي ،ذكر أبو جعفر أنه شموئيل بن بالي بن علقمة وينتهي نسبه إلى ابراهيم ،وهو قول وهب منبه دون ذكر نسبه ،وقال السدي بل اسمه شمعون نسبة إلى أنّ أمّه دعت الله أن يرزقها ولدا فلما استجاب لها قالت سمع الله دعائي فسمته شمعون ،وقال آخرون منهم قتادة أنه يوشع بن نون .الطبري ،تفسير الطبري ،ج 5 ،ص ص 291 – 293

[2]- المصدر نفسه ،ص 295

[3]- سورة البقرة : 245

[4]- فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 195

[5]- ول ديورانت ،قصة الحضارة ،ترجمة محمد بدران ،دار الجيل ،بيروت ،ج 2 ،ص 436 ،إكرام لمعي ،المرجع السابق ،ص33

[6]- أنظر: لومير ،مرجع سابق ،ص 15

أ- انفصال الوحدة السياسية :

لم ينجح نظام القضاة في هذه الفترة في توحيد الأسباط وتأسيس سلطة مركزية من أي نوع ،وقيادة واحدة يجتمع حولها الأسباط تدير شؤونهم السياسية في أوقات السلم والحرب ،فالقبائل الإسرائيلية لم تقم بأي نشاط سياسي مشترك يتضمن كل إسرائيل ما عدا اتحاد قبلي جزئي يتكون من أربعة قبائل هم أفرايم ومنسي وجلعاد وبنيامين ،وقد تجمعت هذه القبائل تحت قيادة غير مباشرة لسبط أفرايم مشكلة نواة إسرائيل اللاحقة ،وبعدها فقط استطاعت القاضية دبورة أن توسّع هذا الاتحاد إلى عشرة قبائل في أوقات الحرب[1] .

إذا كان من وقت لآخر يحدث تحالف بين بعض الأسباط ،ولكنّ الاتحاد السياسي كان شبه معدوم ،فلم تستطع عوامل الخطر وانعدام الأمن التي أحاطت بهم من كل جانب أن توّحِد صفوفهم ،فكان لكل إقليم أبطاله المحلّيون ،وكلٌّ يعمل على شاكلته ويحكم بما يوحي إليه رأيه[2] .فمثلا كهنة دان في الشمال يعتقدون أنّهم ينحدرون من نسل موسى ،بينما في الجنوب كان ابراهيم يحضى بشعبية كبيرة في الخليل ،وكان أهالي شكيم يجددون سنويا الميثاق الذي عقده يشوع مع يهوه بعد غزواته لأرض كنعان[3] .

وظل هكذا كل سبط يؤلّف وحدة سياسية منفصلة تميّزه عن غيره من بقية الأسباط ،فالشعور بالانتماء لسبط واحد كان له دوره البالغ في كثير من صراعات عصر القضاة ،وعلى ذلك استمرت الفوضى السياسية التي كان مبعثها التنافس على إدارة الأموال ،وحول النفوذ السياسي في المنطقة ،وهذه بعض الصور على ذلك[4] .

- الصراع الذي دار بين الإخوة الأعداء حول الميراث بين يفتاح الجلعادي وإخوته .

- الصراع الذي دار بين أبيمالك وإخوته ،إذ يقص علينا سفر القضاة أن أبيمالك قتل من إخوته بني يربعل سبعين رجلا على حجر واحد.

- التنافس الذي دار بين يفتاح وأفرايم حول النفوذ السياسي في المنطقة ،إذ حارب يفتاح أفرايم وقتل منهم أثنين وأربعين ألف حسب رواية سفر القضاة.

---

[1]-كارين أمنسترونج ،تاريخ الكتاب المقدس ،ترجمة محمد صفار ،دار الشروق الدولية ،مصر ،ط1 ،1431 هـ ،2010م ،ص15، السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 98، لومير ،المرجع نفسه ،ص 17 وما بعدها.

[2]- أطلس الكتاب المقدس ، مرجع سابق ،ص 28 ،شارل سنيوبوس ،مرجع سابق ،ص 45

[3]-كارين أمنسترونج ،المرجع السابق ،ص15، لواء أحمد عبد الوهاب ،مرجع سابق ،ص 54

[4]- سفر القضاة 11 :1- 3 ،9 : 5 ،12 : 4 – 6 ،21 : 1

– كما أدى التنافس القبلي العصبي الى إبادة سبط بنيامين ومدنه وممتلكاته ،إذ اجتمعت بقية الأسباط في حرب إبادة ضده فقتلوا منه في يوم واحد خمسة وعشرين ألف حسب رواية العهد القديم.

– وبعد وقوع الحرب بين بني إسرائيل وسبط بنيامين جاء إجماع الأسباط على عدم مصاهرة بني إسرائيل لإخوانهم من بني بنيامين.

فرض أبيمالك ابن جدعون نفسه ملكا في شكيم لمدة ثلاث سنين بعد موت جدعون وحصل على تأييد بني شكيم له وقتل سبعين ابنا لجدعون ،وأراد أن يقيم النظام الملكي الذي رفض قيام الملكية أو مناصرتها ،ولكن بموت أبيمالك بعد التمرد الذي قاده وضع حدا فاصلا لجميع المحاولات التي بذلت لإقامة دولة ملكية في أيام القضاة[1] .

القرآن الكريم اتفق مع نصوص العهد القديم فيما كان من أمر بني إسرائيل من بعد موسى من قتل بعضهم بعضا ،وإخراج بعضهم بعضا من الديار[2] ،قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[3] .

وفي حديث المثنى: أن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليه كل حبر جزء منه ،واستخلف موسى يوشع بن نون فلما مضى القرن الأول ومضى الثاني ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم حتى أخرقوا بينهم الدماء ،ووقع الشر والاختلاف وكان ذلك كلّه من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها ،فسلّط الله عليهم جبابرتهم[4] .

ب– فقدان تابوت العهد :

تقول نصوص العهد القديم :أن الكاهنان حفني وفنحاس كسّرا الشريعة والنّاموس ،وأفسدا الشعب والمقدسات ،فأدخلا البغاء الى العبادة على نسق الديانة الكنعانية ،وأخذا أفضل أجزاء الذبيحة ،ولم يسمعا نصيحة أبيهما عالي الذي لم يكن حازما في توبيخهما .هذا الفساد الديني كان سببا في الدمار الذي لحق بمدينة شيلوة ،وفقدان تابوت العهد على يد الفلسطينيين بعد أن استقر في مدينة شيلوة لفترة زمنية طويلة[5] .

[1]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص 154

[2]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج 2 ،ص 302 – 303 ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج 3 ،ص ص 182 – 184

[3]– سورة البقرة : 84 – 85

[4]–الطبري ،تفسير الطبري ،ج 6 ،ص 276 – 277

[5]– سفر صموئيل الأول 2 :22 – 26 ،أنظر: الباش ،مرجع سابق ،ص 348

القرآن الكريم أشار إلى التابوت في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [1] .ويذكر المفسرّون في بعض الروايات أن التابوت كان في أيدي بني إسرائيل ،فكانوا إذا حضروا القتال قدّموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوّهم ،وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فإذا سمعوا صيحة من العدو استيقنوا بالنصرة ،فلمّا عصوا وفسدوا سلّط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه[2].

2 – الشؤون العسكرية :

لم يشهد عصر القضاة سياسة التوسع العسكري ،إلّا بعض العمليات العسكرية الفردية التي قام بها بعض الأسباط في إطار سياسة تحرير وتخليص بني إسرائيل من سلطة الملوك والشعوب المجاورة ،لأنّ القضاة انحطّوا بالبلاد سياسيا بسبب توقّف الزحف العسكري ،والانغماس في حياة مدنية غير مألوفة .فعهد القضاة يكشف عن الاضطهاد الذي يتعرض له بنو إسرائيل في كل مرة من طرف الدول والأمم المجاورة كعقاب إلهي كلّما نقضوا الميثاق المبرم مع الله ،وابتعدوا عن عبادة يهوه ؛فقد كانوا يُذلّون ويُهانون كلّما تركوا عبادة الرب ،والتفتوا الى عبادة الآلهة الكنعانية ،ثم يستريحوا من قاهريهم كلّما ذكروا ربّهم بأن يبعث فيهم مخلّصا يريحهم من أعدائهم ،حتى وإن كان هذا المخلِّص كيفتاح الجلعادي ابن امرأة زانية ،ورئيس عصابة طرده قومه ،ثم استعانوا به في وقت الحرب لشجاعته وجبروته[3].

ورغم أن قضاة بني إسرائيل كانوا قادة عسكريين أصحاب مواهب ،إلّا أنّهم لم يلتفّوا حول زعيم عسكري بارز كموسى ويشوع كما كان من قبل ،وإنّما هو انتظام القبائل في إطار أيديولوجي مفروض من الخارج بشكل قصري ،لذلك كان العمل العسكري يتم في الإطار السبطي ؛أي على مستوى محلّي في مناوشات عبر المنازعات الإقليمية[4].

كذلك كان هذا العمل العسكري أو إدارة العمليات العسكرية ،تخضع لجملة من الإجراءات تمثلت في استشارة الكهنة يهوه لمعرفة ما إذا كان يريدهم خوض هذه الحرب أم لا يريدهم فعل ذلك ،فمثلا ما جاء في سفر القضاة:

---

[1]- سورة البقرة : 248

[2]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج 6 ،ص 190

[3]– كمال سعفان ،اليهود تاريخ وعقيدة ،دار الاعتصام ،القاهرة ،د ط ،1988 ،ص 16 ،السواح ،آرام دمشق وإسرائيل،مرجع سابق ،ص103 ،محمد يونس هاشم ،الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية ،ص222-223

[4]– أطلس الكتاب المقدس ،مرجع سابق ،ص28 ،السواح ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

"[٢٦]فَصَعِدَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلُّ الشَّعْبِ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَبَكَوْا وَجَلَسُوا هُنَاكَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَصَامُوا ذلِكَ الْيَوْمَ إِلَى الْمَسَاءِ، وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ أَمَامَ الرَّبِّ. [٢٧]وَسَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ، وَهُنَاكَ تَابُوتُ عَهْدِ اللهِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، [٢٨]وَفِينَحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ وَاقِفٌ أَمَامَهُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، قَائِلِينَ: "أَأَعُودُ أَيْضًا لِلْخُرُوجِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي بَنْيَامِينَ أَخِي أَمْ أَكُفُّ؟" فَقَالَ الرَّبُّ: "اصْعَدُوا، لأَنِّي غَدًا أَدْفَعُهُمْ لِيَدِكَ"[1].

وقد عرف عصر القضاة نوعان من الحروب ،حروبا داخلية محلّية ،كانت تقع بين القبائل بسبب التنافس على إدارة الأموال ،وحول النفوذ السياسي في المنطقة (كما أشرنا الى ذلك من قبل) ،وأخرى خارجية من أجل الدفاع عن الحدود الخارجية ،وتخليص بني إسرائيل من سلطة الأعداء.

الحروب الخارجية: كانت هذه الحروب حسب روايات سفر القضاة ضد الآراميين ،الموأبيين ،العمونيين ،الكنعانيين والفلسطينيين ،ونكتفي في هذا المقام ببعض الإشارات الى هذه الحروب على سبيل المثال لا الحصر كما يلي:

– قام يهوذا بسلسلة من الحروب على المماليك المجاورة ،واستطاع أن يحقق انتصارات عسكرية ويخلّص الشعب من الاحتلال الذي فرضته المماليك على بني إسرائيل ،ويبيد من فيها ،ويغيِّر حتى من أسماء المدن التي بأيدي أصحابها ،فقد حارب كل من الكنعانيين والفرزيين وانتصر عليهم ،وهزم أورشليم وحرقها بالنار وأباد من فيها ،وتمكن من احتلال دبير ،كما استطاع الاستيلاء على غزة وما حولها ،وأشقلون وما حولها ،وعقرون وما حولها بدعم من يهوه[2].

– حروب عثنيل بن قناز: ارتكب بنو إسرائيل الشّر في عيني الرّب ،ونسوا إلههم،وعبدوا البعليم وعشتروت ،فاحتدم غضب الرّب عليهم ،فسلّط عليهم كوشان ملك آرام النهرين ،فأصبحوا تحت سلطته ثماني سنوات ،فاستغاث بنو إسرائيل بالرّب ،فأقام لهم مخلصا أنقدهم هو عثنيل بن قناز أخو كالب بن يفنة ،فقام بحرب ضد الملك وقتلِه ،وتحرير بني إسرائيل، وتحقيق سلام عمّ البلاد دام أربعين سنة[3] .

– حروب إيهود بن جيرا البنياميني: بعد أم مات عثنيل عاد بنو إسرائيل يقترفون الشّر في عيني الرّب ،فسلّط عليهم الرّب عجلون ملك مؤاب عقابا لهم على شرهم فاستعبدهم ثماني عشرة سنة ،بعدها استغاث بنو إسرائيل بالرّب ،فأرسل

[1]– سفر القضاة 20 :26 – 28

[2]– سفر القضاة 1 : 4– 5 ،1 :8 ،1 :11 ،1 : 17 – 18

[3]– محمد يونس هاشم ،مرجع سابق ،ص238

لهم منقذا يُسمى إيهود الذي هاجم المؤابيين فقتل منهم نحو عشرة آلاف من المقاتلين ،وأخضعهم لبني إسرائيل ،وعمّ السلام البلاد ثمانين سنة[1] .

– حروب جدعون للمديانيين عند تل مورة في الوادي والاستيلاء على مصادر المياه التي كانت بحوزتهم ،ولزيج وصلمناع والانتصار عليهما ،وقتل جميع رجال سكوت [2] .

– حروب يفتاح الجلعادي ضد بني عمون في عشرين مدينة والانتصار عليهم ،وتنفيذ النذر الرهيب الذي نذره ،وهو حرق ابنته حية[3] .

الى جانب الحروب الفردية التي كانت تقوم بها بعض القبائل ،والجنوح الى السلم والتعايش مع الكنعانيين مما تفضله قبائل أخرى ،كان للأسباط معركة كبيرة اشترك فيها ستة من قبائل الشمال العشرة ،ضد يابين ملك حاصور ،دعت إلي هذا التحالف دبورة ،وجعلت على رأسه باراق من سبط نفتالي الذي أستطاع تخليص بني إسرائيل من الاحتلال بعد سقوط جيش سيسرا كاملا أمام باراق ،هذا الانتصار يخلّده نشيد دبورة[4] .

وبتحليل معارك وحروب القضاة نجد بأنّها حروب تحرير ؛جاءت في إطار الدفاع عن بني إسرائيل من سيطرة الأعداء لهم ،وأمّا أسباب هذه الحروب فقد كانت عقابا من الرب ينزله بهم بسبب فسادهم ونقضهم للعهد.

أمّا النّظام المتّبع في هذه الحروب والمعارك ،فقد تميّز عن النّظام السابق في عهد موسى وخليفته يشوع ،مع بقاء استمرارية الدعم الإلهي ،فالتعامل مع آليات الحرب التي لم تكن معهودة من قبل كالمركبات الحديدية التي كانت بحوزة الفلسطينيين أدّى الى تغيير في السياسة العامّة لإدارة العمليات العسكرية ،وقد تمثّل ذلك في:

الإبقاء على سكان المدن المفتوحة،وسياسة التعايش معها ،مع فرض الجزية على الخاضعين لهم ،كما يلاحظ على هذه الحروب كذلك استمرارية بعض ملامح حروب يشوع كسياسة احتلال أرض كنعان وإبادة المدن المفتوحة ،والتمثيل بملوكها ،وكذلك استمرارية بعض التكتيكات الحربية كإزعاج العدو وتخويفه[5].

---

[1]– سفر القضاة 3 :28 – 29 ،محمد يونس هاشم ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[2] – سفر القضاة 7 :21 – 25، 8 : 10 – 12 ، 8 : 17

[3] – سفر القضاة 11 : 32 – 33

[4]– سفر القضاة 4 : 6 – 20 ،5 : 1 – 5 ،أنظر:السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص102 ،لومير ،مرجع سابق ،ص16

[5]– سفر القضاة 1 : 1 ،1 : 6 – 7 ،1 :17 – 35 ،7 :15 – 33 ،أنظر: محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 171

إضافة الى ما سبق ذكره عرفت هذه المرحلة نوعا آخر من العمليات القتالية ميّزت معارك القضاة عن بقية معارك بني إسرائيل تمثّل ذلك في بعض العمليات الانتحارية على نحو ما جاء في قصة شمشون[1].

ولكن هذه السياسة العسكرية فشلت بسبب الفوضى والاضطرابات والخلافات والنكبات ،فصارت البلاد مجزّأة منقسمة على نفسها ،حيث استطاعت مدن وقبائل عديدة من الكنعانيين والفلسطينيين أن تستعيد استقلالها الذاتي ،كما أنّها استطاعت حوالي عام 1050 ق.م أن تخضع بني إسرائيل لسيطرتها وحكمها ،وتستولي على تابوت العهد ،ونقله الى مدينة أشدود في آخر معركة بين الطرفين في شيلوه بعد سقوط ثلاثين ألف من بني إسرائيل[2] ،ولم تتمكن بعدها القوة العسكرية الإسرائيلية من فرض السيطرة على الفلسطينيين وإنّما شاركوهم السكن في البلاد كما نصّت عليه التوراة.

وفي عهد صموئيل آخر القضاة ،وقد تولّى القضاء في فترة عصيبة بلغ فيه اضطهاد الفلسطينيين للإسرائيليين ذروته ،بفضل تفوّق سلاحهم الذي كان مصدره صهر واستخدام الحديد ،صلّى هذا الأخير للرّب ليرفع غضبه عن شعبه ،فاستجاب له الرّب لأنّه كان نبيّا ومختارا للرّب منذ صغره ،وأعان بنو إسرائيل على خصومهم فاسترجعوا منهم كل الأراضي التي سلبوها[3].

القرآن الكريم وإن لم يفصل في هذه الأحداث،ولم يذكر مثل هذه الحروب التي وقعت في عهد القضاة ،إلّا أنّه يتّفق مع نصوص العهد القديم أولا في فساد بني إسرائيل بأن عصوا أوامر الله وكفروا بآياته ،وعبدوا العجل من دونه ،ونقضوا العهود فسلّط الله عليهم من قهرهم وأذلّهم ،وضرب عليهم الذلّة والمسكنة ،وباؤوا بغضب منه[4] ،قال تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[5] ،وقوله تعالى:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ

[1] – سفر القضاة 16 : 23 – 31

[2] – محمد أديب العامري ،مرجع سابق ،ص138 ، أحمد سوسة ،مرجع سابق ،ص293 ،فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 198

[3] – السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 111 ،فليب حتى ،المرجع نفسه ،ص الصفحة نفسها

[4] – محمد يونس هاشم ،مرجع سابق ،ص242 – 243

[5] – سورة البقرة :61

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1] ،وقوله تعالى:﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2].

وثانيا في أنّ بني إسرائيل خاضوا حروبا ضد العمالقة ففي حديث موسى بن هارون: كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ،وكان ملك العمالقة جالوت ،وأنّهم ظهروا على بني إسرائيل فأخذوا توراتهم وضربوا عليهم الجزية ،وكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه[3] .قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾[4] .

3 – الشؤون الدينية :

أ – بناء المعابد والمراكز الدينية :

نظرا لكون النظام السياسي في هذا العهد اتسم بالضعف ،فإنّ الوحدة الدينية أخذت تضعف بسبب استقرار الأسباط ،وتكيّفهم مع ظروف التجمعات الحضرية من أهل كنعان ،حيث أدى ذلك الى تفضيل مبدأ الانفصال الديني بين القبائل بسبب الصراع بين المعابد ،وممّا ساعد في ذلك هو تقليل الثقة بها ،وتبادل التكذيب والتحقير بين معبد ومعبد في المناسبات الشديدة[5] .

ونظرا لكون نظام القضاة كان قائما على مبدأ الانفصال السياسي ،لم تكن لبني اسرائيل عاصمة سياسية ودينية واحدة في هذا العهد ،وإنّما اعتُبرت شيلوة المركز الديني مند عهد يشوع الى عهد عالي ،وقد تم تأسيس هذه المدينة بعد أن تم نقل خيمة الاجتماع إليها بعد أن كانت تُحمل أينما حلّوا ،وبقيت هناك مدة تتراوح بين ثلاثمائة أو أربعمائة سنة ،ثم نقلت بعد ذلك الى العاصمة الدينية الجديدة نوب ،وأما سبط بني دان فقد قام بتأسيس مركز ديني جديد في دان ،وأقاموا

[1]–سورة آل عمران : 112

[2]– سورة البقرة : 100

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 5 ،ص 298

[4]– سورة البقرة : 246

[5]– أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 206

فيه تمثال ميخا الذي أخذوه معهم في طريقهم ،وفي أواخر أيام عهد القضاة قام صموئيل الذي عاش في الرامة ببناء هيكلا لعبادة يهوه ،بعد أن دمرت شيلوة[1] .

ب– نظام العبادة :

لقد شهد عصر القضاة انحراف وفساد بني إسرائيل وعبادتهم لآلهة الأمم الأخرى[2] ،بسبب فشل النظام الكهنوتي في إدارة الشؤون الدينية داخل خيمة الاجتماع ،وتقديم القرابين والحفاظ على المقدسات الدينية خاصة تحت قيادة الكاهن عالي الذي كان مسئولا عن العبادة والتقدمة بسبب الفساد الديني ،والانحطاط الخلقي ،والإخلال بقوانين العمل الكهنوتي الذي تسبب فيه أبناءه ،ممّا جعل من بعض بني إسرائيل يثورون أحيانا على الطقوس والقرابين والعبادات الشكلية بالمعبد ،ويقدمون محرقاتهم خارج خيمة الاجتماع[3] .

لذلك كانت مهمة القضاة منذ البداية هي شن حربا على الآلهة الأخرى ،باعتبارها أيديولوجيات منافسة شكّلت خطرا سياسيا على نظام العبادة ؛عبادة يهوه ،وبالتالي القضاء على الأهداف والمرامي السياسية الإقليمية .والنجاح في هذه المهمة كان متوقفا على تحويل الأسباط الى أمّة موّحدة دينيا ،بإقامة هيكل واحد وسلطة دينية مركزية يجتمعون حولها في إقامة الاحتفالات الدينية وممارسة الطقوس والشعائر الدينية[4] .

ج – تقديم القرابين :

الى جانب النّظام الذي كان سائدا في عهد موسى مارس القضاة في هذه الفترة تقديم القرابين البشرية ،فيشير سفر القضاة الى أن يفتاح ضحى بابنته[5] ،وصموئيل بملك العمالقة أجاج الذي قدّمه قطعا ليهوه[6] .

د– نظام الكهنة :

---

[1]– سفر صموئيل الأول 1 :3 ،21 :1 –9 ، سفر يشوع 18 :1 ،أنظر: مالمات ،مرجع سابق ،ص 158، رشاد الشامي ،اليهود واليهودية في العصور القديمة ،مرجع سابق ،ص 102

[2]– سفر القضاة 2 : 11 – 13 ،3 : 12 – 14

[3]– أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 206

[4]- الباش ، القرآن والتوراة ،ج2 ،مرجع سابق ،ص348

[5]– سفر القضاة 11 : 30

[6]– سفر صموئيل الأول 15 : 32

1 – **تعين الكهنة** : كان تعيين الكاهن في هذه المرحلة يخضع في بعض جوانبه الى إرادة المجتمع ،أي يستمّد سلطته من الشعب ،فالجماعة هي التي تُرقي الكاهن أو تسمو بمكانته وتنزله منزلة اجتماعية وروحية متميزة[1] .

2 – **مهام الكاهن** : الى جانب القيام بالواجبات الدينية ،كان الكاهن يشرف على العمليات العسكرية ،فكان الجيش يخضع له في طلب المشورة من الرب من أجل معرفة هل ينجح طريقه الذي هو فيه سائر[2] .

القرآن الكريم في معرض حديثه عن بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام ،يكشف بالرصد والتسجيل في آيات كثيرة[3] ملامح هذه الفترة الدقيقة التي تعرض فيها بنو اسرائيل للاختبار بالتمسك بالدين والحفاظ عليه من عدمه ،ومدى تأثير الإيمان فيهم من عدمه ،حيث تؤكد آيات القرآن الكريم ضعف الوازع الديني لديهم ،والتحلل من الالتزامات التي فرضها الله عليهم بنقض العهد الذي قوامه الإيمان بالله ،وممارسة ضروب من الانحراف الديني والخلقي ،هذا وليس عندهم ما يمنع الكهان والأحبار بتقرير مثل هذه الانحرافات وربطها بتاريخ الدين والأنبياء[4] .

4 – الشؤون الاجتماعية والاقتصادية :

في بداية الأمر لم يؤسس القضاة نظاما اقتصاديا معيّنا إذ ظلوا على بداوتهم ،فكانت كل عائلة تستوفي احتياجاتها الخاصة بنفسها بطريقة لا إتقان فيها ولا نظام ،فالنظام الاقتصادي في هذه الفترة كان قائما على تحقيق الاكتفاء الذاتي من خلال الرعي والزراعة ،إذ ظل بنو إسرائيل قوما من الزرّاع والرعاة ،فانحصر عملهم في تربية المواشي ،وزراعة القمح والتين ،والزيتون والعنب على الدوام[5] ،وقد أشار سفر القضاة الى أن القائد جدعون كان يدرس البُر ويذروه حينما طُلب منه تخليص بني إسرائيل من المديانيين[6] .

وبعد الاستقرار في أرض كنعان ،تحوّل بنو إسرائيل الى الاقتصاد الزراعي في ظل سيطرة الإقطاع بعد أن انتقل جزء من سلطة الأب الى شيوخ المدينة ،فكانت الأسرة هي الوحدة الاقتصادية التي يقوم عليها زرع الأرض ورعي قطعان الضأن،

---

[1]– عشراتي سليمان ،مرجع سابق ،ص114

[2]– سفر القضاة 18 : 5

[3]– سورة البقرة : 83 – 88 ،سورة المائدة :70 ، 77 – 79

[4]– انظر : صابر طعيمة ،مرجع سابق ،ص 242

[5]– جوستاف لوبون ،مرجع سابق ،ص 66 ، لومير ،مرجع سابق ،ص 16

[6]– سفر القضاة 11 : 6

وكانت مكانتها هذه مصدر قوّتها ونفاذ كلمتها وسلطانها السياسي ،وكان في الأسرة قسط من الشيوعية يخفف بعض الشيء من صرامة النظام الأبوي[1] .

وفي مجال الصناعة لم يظهر في هذا العهد نظام صناعي متخصص ،وإنّما كانت هناك صناعة تقليدية ،وحرف يدوية بسيطة تمثّلت في مواد البناء من الطين والحجارة والأخشاب ،وصناعة الجلود والفخار وغيرها من الأواني المنزلية التقليدية ،وبعد ذلك عرف عصر القضاة بعض التقدم في مجال الصناعة ،فأخذوا عن الكنعانيين صناعة آلات الزراعة وتطوير الأسلحة ،وصناعة الفخار ،وصناعة الحلي والمجوهرات .ولم يكن يزاول هذه الصناعات جماعات أو شركات تهدف الى الكسب على نطاق واسع ،لذلك لم يكن لها أثر كبير في تنمية الموارد المالية ،لكن ضعُف سلطان الأسرة وأصبح الفرد هو الوحدة الاقتصادية في الإنتاج[2] .

وقد سمح الانتقال من الرعي الى الزراعة الى ظهور نظام الملكية الجماعية للأرض التي تم تقسيمها عن طريق القرعة ،غير أن تطور الاقتصاد أدّى الى تلاشي الملكية الجماعية ،وظهور الملكية الفردية الخاصة ،سواء كانت ملكية أسرة أو فردية ،واستمر التحوّل الاقتصادي الى أن نشأ نظام الإقطاع وتضخّم ،فأدّى الى ظهور الفوارق الاجتماعية[3] .

ثانيا:السياسة الخارجية :

1 – الشؤون السياسية :

نظرا للتمزّق الداخلي بين الأسباط ،والانشقاق السياسي بينهم ،وضعف التنظيمات الإدارية والعسكرية وكثرة الحروب الدائمة الداخلية والخارجية ،أصبح حكم القضاة لا يتّسم بنظام المسالمة مع الجوار ،ولا عقد المعاهدات السلمية مع الشعوب الأخرى هذا من جهة ،ومن جهة أخرى لأنّ يهوه حرّم عليهم ضرب الوعود ،وقطع المعاهدات مع الشعوب الأخرى ،وحثّهم على عدم الالتصاق بهم ،والقيام بحروب دائمة لكي يستولوا على الأرض التي وعدهم بها ،وهو ما انعكس سلبا على استقرار الوضع السياسي كما سبق وأن بيّنا ذلك في الحديث عن الأوضاع السياسية.

2 – الشؤون العسكرية :

[1] – سعيد إسماعيل علي ، التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم ،ص130 ،ول ديورانت ،مرجع سابق ،ص 440

[2] – شلبي ،مرجع سابق ،ص73 ،فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 128 وما بعدها ،شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 532 ،جوستاف لوبون ،مرجع سابق ،ص 66

[3] – بيومي مهران ،بنو إسرائيل، ج4 ،مرجع سابق ،ص 666

ساهمت كثرة الخلافات والحروب الأهلية الداخلية بين الأسباط في إقامة تحالفات عسكرية بين بعض الأسباط مع الممالك الأجنبية ضد بقية الأسباط الأخرى كما أشار إلى ذلك سفر القضاة .

القرآن الكريم لا يشير إلى وجود علاقات سياسية وعسكرية بين بني إسرائيل والمماليك الأجنبية كما نصّت عليه نصوص العهد القديم ،لكنّه يشير إلى أنهّم كانوا بسبب إفسادهم في الأرض مهزومين مقهورين من قِبل أعدائهم جالوت وجنوده الذين قتلوا منهم عددا كبيرا ،اضطروا معها إلى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم[1] ،قال تعالى :﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾[2] .

[1]- أنظر: طنطاوي ،مرجع سابق ،ص ص 665 – 668

[2]- سورة الإسراء : 4 – 5

الفصل الثاني :

التنظيم الإداري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : التنظيم الإداري المدني

أولا :الجهاز الإداري

1 – الوظائف الإدارية :

نظرا لعدم وجود حكومة مركزية تعزز جانب القانون والنّظام ،ومكان إداري رسمي يُمارس فيه الحكم ،لم تكن هناك حاجة لوجود جهاز إداري ،لذلك لم يعرف نظام القضاة وظائف إدارية وموظفون ،إلاّ الكهنة الذين كانوا يشرفون على خدمة المعابد الدينية ،واستشارة الرب في أوقات الحرب ،وقادة الجيوش .

2 – التقسيم الإداري :

ظل التقسيم القبلي هو النظام الاجتماعي القائم في فترة القضاة ،فقد انتظم بنو اسرائيل في اثنتي عشرة قبيلة أو اثني عشر سبطاً ،كل قبيلة مقسَّمة إلى بطون وأُسَر على ما جرت عليه العادة في عهد موسى ،وكذا النّظام الاجتماعي للتجمعات الكنعانية في فلسطين ،وبعد عملية التقسيم استوطنت قبيلتان ونصف (رؤوبين وجاد ونصف منَسَّى) الضفة الشرقية لنهر الأردن ،واستقرَّت القبائل الأخرى في ضفته الغربية .وكانت أهم القبائل قبيلة يهوذا التي استوطنت في الجنوب وسُمِّيت باسمها المملكة الجنوبية بعد تفكُّك اتحاد القبائل في المملكة العبرانية المتحدة .أمّا أكبر قبيلة في الشمال ،فهي قبيلة إفرايم ،ولذا سُمِّيت المملكة الشمالية إفرايم[1] .

ثانيا :النّظام المالي

1 – الموارد المالية :

بيّنت نصوص العهد القديم أنّ الموارد المالية في هذه الفترة كانت من ملكية النقود والمتاع والمنقول ،وهي موارد مالية فردية خالصة ،هذه الأموال كانت بفضل ما تدرّه الماشية والزراعة من جهة ،ومن جهة أخرى الغنائم من مال ومتاع وذهب وفضة وتحف وأثاث الناتجة عن الغارات والسلب[2] .

2 – النّظام الضريبي:

كانت ملكية الأرض والأنعام تفرض على مالكها أن يقوم بتقديم ضريبة للاّويين ،فكان يجب عليه أن يُقدّم لهم زكاة أرضه وهي العشر من كل ما تخرجه الأرض من غلّة أيّا كان نوعها ،وثمار سنة كاملة أربع سنيين من نتاج بساتينه من الفواكه ،ومن زكاة الأنعام أول ما يولد من جميع الماشية التي يملكها ،وعاشر ما يولد لكل بقرة ونعجة وشاة[1].

---

[1]- أنظر :لومير ،مرجع سابق ،ص 15 وما بعدها

[2] – علي عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 147

ثالثا:نظام الشغل

1 – الأشغال العامة:

إلى جانب مهنتي الرعي والزراعة المهنة الرئيسية ،اعتمد بنو إسرائيل في هذه الفترة على بعض الحرف اليدوية البسيطة والتقليدية التي أصبحت عماد الحياة اليومية ،وقد تمثلت في توفير مواد البناء من الطين والحجارة والأخشاب وغيرها ،وتوفير الأواني المنزلية التقليدية من الفخار ،ودباغة الجلود والحدادة والنجارة والصباغة والنسيج وغيرها من الأعمال اليدوية البسيطة[2].

2 – المنشآت العمرانية:

بعد الاستقرار في أرض كعنان ،أستوطن بنو إسرائيل في القرى والمدن واستبدلوا الخيمة بالمنزل ،فظهر بذلك بناء البيوت السكنية بكتل من الطين ،وأما سقوفها فمن أغصان الأشجار ،وكان البيت يتكون في الغالب من غرفة واحدة،أما بيوت الأغنياء فكانت تصنع من الحجارة ويجعلونها كثيرة الحجرات،إضافة إلى المنازل والقصور التي ورثوها عن الكنعانيين[3].

المبحث الثالث :التنظيم العسكري

أولا : تشكيل الجيش وإعداده

1– التجنيد :

نظرا لأنّه لم تكن في هذه الفترة قوّة موحَّدة تقوم بتشكيل جيش نظامي واحد ،وقائد مشترك ينتظم بنو إسرائيل تحت لوائه ويأتمرون بأمره ،تُرك كل سبط يدبّر أمره بنفسه على طريقته الخاصة[4] .

فمثلا جدعون كان تشكيل الجيش في عهده يتم بأمر وتوجيه من الرّب ،وكانت طريقة ذلك هي اغتراف الماء من النهر ،حيث بيّنت التوراة هذه الطريقة فقالت:" [4]وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: "لَمْ يَزَلِ الشَّعْبُ كَثِيرًا. اِنْزِلْ بِهِمْ إِلَى الْمَاءِ فَأُنَقِّيَهُمْ لَكَ هُنَاكَ. وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا يَذْهَبُ مَعَكَ، فَهُوَ يَذْهَبُ مَعَكَ. وَكُلُّ مَنْ أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا لا يذهب معك فهو لا يذهب". [5]فَنَزَلَ بِالشَّعْبِ إِلَى الْمَاءِ. وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: "كُلُّ مَنْ يَلَغُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَلَغُ الْكَلْبُ فَأَوْقِفْهُ وَحْدَهُ. وَكَذَا كُلُّ مَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِلشُّرْبِ". [6]وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ وَلَغُوا بِيَدِهِمْ إِلَى فَمِهِمْ ثَلاَثَ مِئَةِ رَجُل. وَأَمَّا

[1]– المرجع نفسه ،ص 134

[2]– أنظر :شنودة المجتمع ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص232

[3]– المرجع نفسه ،ص485 ،بيومي مهران ،بنو إسرائيل،ج4 ،مرجع سابق ،ص 665

[4]– الشامي ،اليهود واليهودية في العصور القديمة ،مرجع سابق ،ص 95

بَاقِي الشَّعْبِ جَمِيعًا فَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ لِشُرْبِ الْمَاءِ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: "بِالثَّلاَثِ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ وَلَغُوا أُخَلِّصُكُمْ وَأَدْفَعُ الْمِدْيَانِيِّينَ لِيَدِكَ. وَأَمَّا سَائِرُ الشَّعْبِ فَلْيَذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَكَانِهِ"[1].

2 – تقسيم الجيش وتنظيمه :

تتميز الملامح العسكرية في عهد القضاة عما كان عليه سابقا– في عهد موسى ، أو لاحقا في عهد المملكة الموحدة– من حيث نوع العمل العسكري وقوة الجيش وطريقة تنظيمه ،فلم يكن عدد المحاربين كبيرا ،ولا عدد الوحدات القتالية ،لعدم وجود قوة مركزية ذات سلطة واحدة تمكّنها من فرض الخدمة العسكرية ،فكان يكفي وجود الثقة في قائد محلّي معروف ليس غريبا أو أجنبيا ،كما أنّه ليس هناك أيضا مجال لإستراتيجية كبرى ،فالتكتيك القتالي ليس معقدا ،وإنّما بما ألفه المقاتلون من التضاريس والأراضي[2] .

ثانيا : أساليب القتال وعملياته

1 – الاستطلاع و التجسّس :

أستمر العمل بنظام التجسّس والاستطلاع في عهد القضاة كوسيلة يُعتمد عليها دائما في الاستيلاء على أراضي الشعوب المجاورة ،يبدو ذلك من خلال ما قام به سبط دان كنموذج لهذا العمل الذي أراد من خلاله الاستيلاء على منطقة لايش حينما لم يستمر في استيطان السفوح الغربية من القطاع الجبلي الأوسط نظرا للضغوط الهائلة التي جابهها من العموريين غربا ومن بني إسرائيل شرقا ،فأضطر قسم من السبط أن يهاجر علّه يستطيع أن يستولي على منطقة جديدة، فاستعان قبل تنفيذ عملية الرحيل بجواسيس ينفّذون عمليات استخباراتية ويستقصون طبيعة البلاد التي يستعدون للاستيلاء عليها ،فأرسلوا رجالا منهم شجعان ذوي بأس من صرعة ومن شتاؤل ،وهناك تمكّنوا من العثور على موقع مناسب للاستيطان وهو منطقة لايش بالطرف الشمالي الشرقي لفلسطين[3] ،جاء في سفر القضاة: "٢فَأَرْسَلَ بَنُو دَانَ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ خَمْسَةَ رِجَال مِنْهُمْ، رِجَالاً بَنِي بَأْسٍ مِنْ صُرْعَةَ وَمِنْ أَشْتَأُولَ لِتَجَسُّسِ الأَرْضِ وَفَحْصِهَا.. ٧فَذَهَبَ الْخَمْسَةُ الرِّجَالِ وَجَاءُوا إِلَى لاَيِشَ. وَرَأَوْا الشَّعْبَ الَّذِينَ فِيهَا سَاكِنِينَ بِطَمَأْنِينَةٍ.. .٨وَجَاءُوا إِلَى إِخْوَتِهِمْ.. ؟"٩فَقَالُوا: "قُومُوا نَصْعَدْ إِلَيْهِمْ،

[1]– سفر القضاة 7 : 4 – 7

[2]– محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص168

[3]– أبراهام مالمات ،مرجع سابق ،ص 157 ، زكي شنودة ، المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ، ص 450 ، حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 146

لأَنَّنَا رَأَيْنَا الأَرْضَ وَهُوَذَا هِيَ جَيِّدَةٌ جِدًّا وَأَنْتُمْ سَاكِتُونَ... لاَ تَتَكَاسَلُوا عَنِ الذَّهَابِ لِتَدْخُلُوا وَتَمْلِكُوا الأَرْضَ . ١٠عِنْدَ مَجِيئِكُمْ تَأْتُونَ إِلَى شَعْبٍ مُطْمَئِنٍّ، وَالأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ. إِنَّ اللهَ قَدْ دَفَعَهَا لِيَدِكُمْ "[1].

من خلال هذا النص أفادت تقارير هذا الاستطلاع التي قدمها الجواسيس أن سكان لايش يعيشون في طمأنينة كعادتهم مستريحين ،وليس في الأرض مؤذ ،وليس لسكان لايش أي علاقة بمن يحيط بهم ،مع اتساع مساحة الأرض وجودتها.

بناءا على نتائج هذه التقارير المشجّعة ،جاء بنو إسرائيل إلى لايش الى شعب مستريح مطمئن ،وضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ،ولم يكن من ينقذها لأنّها بعيدة عن صيدون ،ولم يكن لهم أمر مع إنسان...فبنو المدينة وسكنوا بها ،وأطلقوا عليها اسم أبيهم دان ،هذا يشير بوضوح الى أن بني إسرائيل اتبعوا سياسة الأرض المحروقة ،وتغيير معالمها وتهويد الأماكن المحتلة من خلال إطلاق مسميات إسرائيلية عليها[2].

نظام الجوسسة لم يقتصر على إرسال الجواسيس فحسب ،إنّما تعدى ذلك الى استخدام الأسرى كوسيلة يُعتمد عليها في معرفة الحقائق والمعلومات التي تفيدهم في مواجهة ومقاتلة الأعداء من خلال استجوابهم ،واستخدام وسائل التعذيب ،كما فعل جدعون حينما أمسك غلاما من أهل مدينة سكوت ،ثم أجبره على أن يذكر له أسماء سبعين من شيوخ المدينة ،ولما تمكن من ذلك أخذهم وغمرهم بالأشواك[3].

2 – التعبئة العامة :

كانت التعبئة المعنوية تقتصر على خطبة الكاهن ،حيث أستمر دوره كعامل قوّي وفعّال في رفع الرّوح المعنوية للمقاتلين وبث الحماس في نفوسهم قبل بداية الحملات العسكرية ،هذه الخاصية تبرز بوضوح في الحملة العسكرية التي قام بها سبط دان من خلال الانصياع للكاهن وطلب مشورة الإله: "اسْأَلْ إِذَنْ مِنَ اللهِ لِنَعْلَمَ: هَلْ يَنْجَحُ طَرِيقُنَا الَّذِي نَحْنُ سَائِرُونَ فِيهِ؟"٦فَقَالَ لَهُمُ الْكَاهِنُ: "اذْهَبُوا بِسَلاَمٍ. أَمَامَ الرَّبِّ طَرِيقُكُمُ الَّذِي تَسِيرُونَ فِيهِ "[4] .

3– الحيّل والخدع :

[1] – سفر القضاة 18 : 1 – 10

[2] – أنظر: محمد جلاء إدريس ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص134

[3] – سفر القضاة 8 : 13 – 16 ،أنظر : زكي شنودة ،المرجع السابق ، ص 451

[4] – سفر القضاة 18 : 5 – 6

في هذا العصر الذي تفتقر فيه الإدارة العسكرية إلى وجود جيش منظّم بمقاييس ذلك العصر ،ازداد التركيز على هذه الوسيلة حتى أضحت من أهم وأبرز وسائل الحرب التي استخدمها قادة بنو إسرائيل في مواجهة قوة الأعداء المدججين بالسلاح ،وقد كان سبب اللجوء الى هذه الوسيلة ،هو عدم وجود جيش مدرّب ومنظّم تام التسلّح ،هذا ما يبيّنه سفر القضاة حينما يقص حرب جدعون مع المديانيين ،وانتصاره عليهم بعدد قليل من الجنود لا يتعدى ثلاث مائة مقاتل بلا سلاح باستخدام النفخ في الأبواق ،وجرار فارغة في وسطها مصابيح ،وتقسيم الجيش حتى يعتقد الملك أخيش أن لجدعون ثلاثة جيوش[1].

كذلك نجد القائد الأسطوري شمشون الذي تمتع بابتكار الحيّل والخدع ،انتقم من الفلسطينيين بحيلة مفاده كما يلي:" وَذَهَبَ شَمْشُونُ وَأَمْسَكَ ثَلاَثَ مِئَةِ ابْنِ آوَى، وَأَخَذَ مَشَاعِلَ وَجَعَلَ ذَنَبًا إِلَى ذَنَبٍ، وَوَضَعَ مَشْعَلاً بَيْنَ كُلِّ ذَنَبَيْنِ فِي الْوَسَطِ، ثُمَّ أَضْرَمَ الْمَشَاعِلَ نَارًا وَأَطْلَقَهَا بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَحْرَقَ الأَكْدَاسَ وَالزَّرْعَ وَكُرُومَ الزَّيْتُونِ"[2].

4 – **المباغتة** :

في هذا العهد أصبح عامل المباغتة والمفاجأة فن من فنون القتال يُعوّل عليه كثيرا في تحصيل الضربة الأولى وتحقيق النصر على الأعداء ،فلقد أدرك جدعون أن اختيار الوقت المفاجئ والانقضاض على العدو وهو مطمئن غير مستعد هو أحد عوامل النصر ،يقول سفر القضاة :" [11]وَصَعِدَ جِدْعُونُ فِي طَرِيقِ سَاكِنِي الْخِيَامِ شَرْقِيَّ نُوبَحَ وَيُجْبَهَةَ، وَضَرَبَ الْجَيْشَ وَكَانَ الْجَيْشُ مُطْمَئِنًّا..."[3] .

5 – **الكمائن** :

[1]- سفر القضاة 7 :25- 33

[2]- سفر القضاة 15 :4 – 6

[3]- سفر القضاة 8 : 11 – 12

استفاد عصر القضاة هو الآخر من خبرة يشوع في هذا الفن من القتال ،فاستعمله بنو إسرائيل حتى في الحروب التي قامت بينهم ،ففي الحرب التي وقعت بين بني بنيامين وبقية الأسباط الذين قاموا بوضع كمين لإسقاط مدينة جبعة واحتلالها ،والقضاء على ثمانية عشرة ألفا من بني بنيامين كما جاء في سفر القضاة[1] .

6- **الحصار** :

كان حصار المدن ،وقذف المدافعين عنها بالسهام والنبال والمقاليع من بين الوسائل الحربية التي اعتمدها القضاة في إسقاط المدن ،هذا ما فعله أبيمالك عندما حاصر أحد أبراج مدينة تاباص[2] .

7**– القلاع والحصون** :

عرف القضاة هذا النوع من السلاح في مواجهة العدو وصد الغارات المتكررة من قبل المديانيين وغيرهم من الشعوب التي ناصبتهم العداء ،نجد ذلك في سفر القضاة:".[٢]فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. بِسَبَبِ الْمِدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمِ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرَ وَالْحُصُونَ"[3] .

8 – **الأبراج** :

لعبت الأبراج دورا بارزا من الناحية الدفاعية ،فقد أدرك القضاة أهمية ذلك باعتبارها الملاذ الأخير للنجاة من قبضة الأعداء ،كما يحكي سفر القضاة قصة فشل أبيمالك في اقتحام برج شكيم ،فلقد ساعد البرج أهل شكيم حيث كان الملاذ الأخير لهم ،ومنه كانت نهاية أبيمالك الذي تفرق أتباعه بعد مقتله على يد امرأة شجبت رأسه بحجر من أعلى البرج حينما حاول حرق باب البرج بالنار واقتحام المدينة[4].

ثالثا :معدات القتال في الحروب

اعتمد القضاة في إدارة العمليات العسكرية على الأسلحة الخفيفة التي كانت تُستخدم في الدفاع والهجوم،منها:

الرمح :كان للرمح أهمية كبرى في إدارة العمليات العسكرية ،إذ تقص علينا معارك الإسرائيليين كما يقول إدريس جلاء

[1]- سفر القضاة 20 :92 – 30، 20 :37، 20 :44

[2]- سفر القضاة 9 :51 – 52

[3]- سفر القضاة 6 :2

[4]- سفر القضاة 9 :50 – 54

استخدام هذا السلاح في معاركهم ،أو عمليات الاغتيال الأهلية الذي شهدها تاريخهم المليء بالصراعات[1] ،وتحكي دبورة كيف عانت القوات الإسرائيلية في زمنها من نقص الرماح[2] .

السيف والخنجر : يعتبر السيف والخنجر سلاح متطور بالنسبة لعصر القضاة ،اعتمد عليه القضاة في الهجوم على الأعداء وللدفاع أيضا[3] ،يشير سفر القضاة الى استخدام هذا السلاح ،فيقول:" ١٦فَعَمِلَ إِهُودُ لِنَفْسِهِ سَيْفًا، ذَا حَدَّيْنِ طُولُهُ ذِرَاعٌ، وَتَقَلَّدَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى".

المقلاع : يُعتبر من الأسلحة الهجومية البدائية عند بني إسرائيل،حيث تفوّق القضاة في استخدمه كسلاح هجومي ،إذ كان من بين بني بنيامين سبعمائة رجل منتخبون عسر ،كل هؤلاء يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون[4].

القرآن الكريم لم يشر إلى كل هذه التفاصيل التي أوردتها نصوص العهد القديم فيما يخص التنظيم الإداري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- محمد جلاء إدريس ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص155

[2]- سفر القضاة 5 :8

[3]- سفر القضاة 3 :16 ،أنظر: شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص445

[4]- سفر القضاة 20 :16

الفصل الثالث :

التنظيم القضائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : القضـــاء

1 – القاضي :

كان نظام الحكم في هذه الفترة لا يقوم على أساس الدولة ،بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة ،فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة ،وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى ،فإذا فشل القاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون الى القاضي الذي كان يمثل الرئيس ،فيقضي في منازعاتهم ويقيم العدل فيهم[1] .

وكان القضاة أحيانا حكام وولاة يقصد إليهم أفراد الشعب ليحتكموا إليهم وليقضوا بينهم سياسيا ،وكان لكل سبط قاض يحكم بين أفراده ،فتكوّن من ذلك مجلس للقضاء ،وكان رئيس هذا المجلس هو شبه الحاكم في الدولة[2].

وفي أواخر أيام حكم القضاة أصبح القضاء مركزي وراثي ،فصموئيل آخر القضاة كانت له السلطة المطلقة في القضاء ،وكان له الحق في النظر في الدعاوي والفصل فيها في جميع أنحاء أرض إسرائيل ،وفي تعيين القاضي لمنصب القضاء ،فقد عيّن من أبنائه يوئيل وأبيا لذلك ،وقد اشتهر بأنّه أعظم القضاة ،وأعظم نبّي قضى لبني إسرائيل منذ عصر موسى[3] .

وقد كان نظام القضاء في هذا العهد يخضع لنوعين من التقاضي ؛خاص وهو من اختصاص شيوخ القبائل والعشائر ،إذ كانوا هم الذين يفصلون في المنازعات التي تحدث بين أفراد العشيرة أو القبيلة ،وقضاء عام وهو من اختصاص مجلس الشيوخ وجمعية الشعب ،إذ كانوا يفصلون في المنازعات التي تحدث بين العشائر والقبائل المختلفة ،وقد استطاع هؤلاء أن يُحلّوا الدية والتعويض محل القوة والانتقام الفردي ،وأمّا قوانينهم فهي الأعراف والتقاليد التي كانت تتناقلها الأجيال[4].

2 – مكان القضاء :

تبعا لعدم وجود حكومة مركزية أو عاصمة رسمية للحكم ،فإنّه لم يكن هناك مكان رسمي يمارس فيه القاضي مهامه ،فكانت المحاكمات تجري عادة تحت شجرة عالية أو عند مدخل المدينة كما هو الحال في بلاد الشرق وعند الرومان[5] .

---

[1]– سعدون محمود الساموك ،المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن ،دار وائل للنشر ،عمان ،ط1 ،2006م ،ص97

[2]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص 138، نعيم فرح ،مرجع سابق ،ص23 ،الأعظمي ،مرجع سابق ،ص 105

[3]– سفر صموئيل الأول 8 :1 -5

[4]– صوفي ،مرجع سابق ،ص462، نعيم فرج ،المرجع السابق ،ص24

[5]– نعيم فرج ،المرجع نفسه ،ص 24 ،لوبون ،مرجع سابق ،ص 72

وبالنسبة لبعض القضاة الذين يقضون في أماكن محلّية ،فإنّ أماكن القضاء كانت مشتركة جزئيا ،فصموئيل ظل يتنقل دوريا بين مراكز القضاء المختلفة كبيت إيل وبئر سبع والجلجال والمصفاة[1] .

المبحث الثاني: التشريع

أولا : التشريع الجنائي

رغم استمرار رب الأسرة في التمتع بقدر كبير من السلطة داخل بيته ،إلاّ أنّ جانبا كبيرا من هذه السلطة انتقل بالتدريج إلى شيوخ المدينة نتيجة التنظيم السياسي ،فلم يعد يملك حق الموت والحياة على أولاده ،وأصبح ملزما بأن يعرض الأمر على شيوخ المدينة يشكو لهم عقوق ابنه ،فيصدرون هم القرار بالرجم حتى الموت ،لذلك وجدت طبقة الكهنة نفسها في موقع الحاكم والقاضي ،ولكن بسبب النظرة الى المصالح المادية مالت الى تمييع النصوص المرتبطة بالعقوبات وإيجاد مبررات لتبرئة المذنب إذا دفع ما يرضي الكهنة ويسكتهم ،وسيعاقَب إن لم يكن لديّه ما يقدّمه لهم[2] .

ثانيا :التشريع المدني

1 – العقود والمواثيق :

أدّى التطور الاقتصادي الذي نتج عن الانتقال من الرعي إلى الزراعة إلى ظهور الفوارق الاجتماعية ،وغياب العدالة الاجتماعية والخلقية بسبب أن بعض الفئات من المجتمع استغلت الوضع الاقتصادي فحققت ثراء فاحشا واستعلت على غيرها استعلاء كبيرا ،وكان لا بد لهم لكي يبقوا على مستواهم الاقتصادي أن يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شيء ،وأن يسلكوا في سبيل الإثراء كل وسيلة ،فلجئوا إلى الرشوة والقرض بربا فاحش واستولوا على الأراضي[3] ،وهو ما تسبب في سقوط نظام القضاة ،وإلى ذلك يشير العهد القديم في حديثه عن أبناء صموئيل[4] .

2– الأحوال الشخصية والمواريث :

نظام القضاة لم يخضع في هذه الفترة إلى نصوص ولوائح تمثل مجمل التعاليم الدينية والمدنية المتعلقة بالأحوال الشخصية والمواريث ،لكن كان هناك ثمة تعاليم شفوية لقانون الزواج والطلاق والعادات العشائرية والطقوس يلتزم بها عدد قليل من اليهود نظرا لأن أكثر العناصر اليهودية وعلى رأسهم القضاة تخلّت عن عبادة يهوه لصالح آلهة الكنعانيين الذين أقاموا لها معابد ،وتخلّت عن إتباع قاعدة الزواج من الداخل ،فتزوجوا من نساء كنعانيات، ثيات ، يدونيات، عمونيات وأدوميات

[1] – سفر صموئيل الأول7 :15

[2] – بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 601 ، الباش،القرآن والتوراة ،ج2 ،مرجع سابق ،ص 428

[3] – عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 151 – 152

[4] – سفر صموئيل الأول 8 : 1 – 3

رغم محاولات الكهنة منعهم من ذلك ،كما أُبطل زواج البيوم الذي كان مألوفا من قبل ،لأنّه أصبح عبئا ماليا لا تقابله أيّ ميزة اقتصادية[1] .وأمّا الطلاق فلم يكن يخضع لأيّ قيود ،وأنّه كان بيد الرجل لأن المرأة لم تكن إلاّ جزء من بيته[2].

أمّا فيما يخص الميراث فإن الملكية تُقسَّم بين أولاد المتوفى وحدهم لأكبرهم مثل حظ اثنين منهم ،وفي حالة عدم وجود أولاد ذكور تُوزّع تركة المتوفى على بناته غير المتزوجات ،وفي هذه الحالة لا يصح لهن أن يتزوجن من خارج القبيلة حتى لا تخرج الثروة إلى قبيلة أخرى ،بل لا يصح لهن أن يتزوجن إلاّ من أقرب فرع في عشيرة أبيهن ،وعل هذه القاعدة كان يسير الميراث في جميع ما يتركه المتوفى من منقول وعقار[3].

القرآن الكريم ذكر أنّه من بعد موسى عليه السلام حكم بنو اسرائيل الأنبياء والربانيون والأحبار ،فقد بعث الله في بني اسرائيل ألوفا من الأنبياء ليس معهم كتاب ،إنّما بعثهم بإقامة التوراة حتى يحدّوا حدودها ويقيموا بفرائضها ويحلّوا حلالها ويحرّموا حرامها[4] ،قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾[5].

لكن القرآن الكريم ذكر أن كثير من العلماء والقراء من بني اسرائيل لا يحكمون بما أنزل الله بل يحكمون حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية ،ويأخذون الرشى في أحكامهم ويحرّفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هي من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سلفتهم ،ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام[6] .قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ٣٤ ﴾[7].

---

[1]- علي خليل ،اليهودية بين النظرية والتطبيق ،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،د ط ،1997 م ،ص15

[2]- بيومي ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 215

[3]- أنظر :عبد الواحد وافي اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 132 – 133

[4]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج 12 ،ص 4

[5]- سورة المائدة : 44

[6]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 14 ،ص 216

[7]- سورة التوبة : 34

الباب الرابع :

نظـــــام المُـــلك

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

التنظيم السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الأوضاع السياسية

لمّا كان نظام القضاة لا يتلاءم مع متطلبات وتطورات ذلك العصر،أصبح من الضروري إعادة النظر في هذا النّظام باللّجوء إلى شخصية واحدة توحّد صفوفهم من الفُرقة التي لازمتهم طويلا ،فأبقت عليهم جماعات متناثرة في أرض كنعان أضعف من أن توجِد وحدة سياسية موّحدة القوانين والنظم ،حيث ظل كلّ سبط يشكّل وحدة سياسية منفصلة ومستقلة يقودها زعيم في قتالها للمماليك والدول المجاورة ،وهو في ذلك لا يدين بأيّ ولاء أو طاعة لأيّة سلطة مركزية ،فحرمانهم من حكومة مركزية تدعّم المجتمع وتعزّز جانب النّظام والقانون ،وانعدام منهج للإدارة والقضاء ،أو الاجتماع كما هو الحال في المماليك المجاورة لهم ؛كاتحاد الفلسطينيين في خمس مدن بمثابة حصون قويّة هي أشدود ،أشقلون ،عقرون ،غزة وجت ،لكلّ منها جيش منظّم ،وملك يتولى القيادة وشؤون الحكم في الحرب والسلم ،تعقد اجتماعات موّحدة من آن لآخر لمناقشة الأهداف السياسية والعسكرية ،كان له أكبر الأثر في حياتهم السياسية والاجتماعية[1] .

إضافة إلى هذا التنظيم الذي كان عليه الفلسطينيون ،امتلاكهم الأسلحة واحتكارهم صناعة المعادن ،وحرمانهم بني إسرائيل من استخدامها حتى يضمنوا أن لا يكون منهم حدادون يستطيعون أن يصنعوا الأسلحة والأدوات الحديدية ،الأمر الذي هدد سلامتهم ،وحدّ من تقدّمهم وازدهارهم[2] .

كما سمحت الفُرقة التي كانت تمزّقهم من الداخل للكنعانيين والفلسطينيين أن يضعوهم بين شقّي الرحى ،فكان ضغط الفلسطينيين واحدا من أقوى العوامل التي ساهمت في تجميع قواهم ،وساعدت على إنشاء وتأسيس مملكة موحدة[3] .

كذلك كان المديانيون ،المؤآبيون،العمونيون والآراميون لا يكفّون عن الإغارة عليهم ،هذه الغارات شكلّت عائقا أمام أطماع بني إسرائيل في توسيع الرقعة ،أو الخارطة الجغرافية والحدود السياسية لهم ،فكان التهديد الذي واجههم من الشمال ووقف عائقا في سبيل أطماعهم التوسعية هي الأمة الآرامية ،فمنذ عهد الآباء احتل"آرام"مقاطعة خابور في أعالي أراضي مابين النهرين المعروفة وقتئذ باسم"آرم النهرين" وتمتد غربا حتى أليبو ،وجنوبا إلى قاداش على نهر اوروكنز ،كما احتل بنو عمون أطراف الحدود الشرقية لبني إسرائيل ،إضافة إلى الحروب المستمرة مع الآدوميين الذين استوطنوا المنطقة الجبلية

[1]- بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص649 ،صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص154 ،أحمد عبد الوهاب ،مرجع سابق ،ص 56

[2]- أرنولد توينبي ،تاريخ البشرية ،ترجمة : نقولا زيادة ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط2 ،1985 ،ج1 ،ص173 ،لومير ،مرجع سابق ، ص22

[3]- توينبي ، المرجع نفسه ،ص 172

جنوب البحر الميت ،والمؤابيين شرق البحر الميت[1] ،فكانت فلسطين مطمعا لكل حاكم بأن يوسع حدود مملكته نظرا لخصوصيتها وموقعها الإستراتيجي كحلقة اتصال بين القارات الثلاث ،وهو أمر جعلها معرضة للأخطار والغزوات من جميع الجهات ،إضافة إلى مجاورتها لأقدم مركزين للحضارة السومرية في الشرق والمصرية في الغرب ،كذلك موقعها الذي انعكس فيه خليط من السكان والجماعات العرقية والمذاهب الدينية[2] .

في ظلّ هذا الوضع الذي آل إليه بنو إسرائيل ؛أزمات سياسية ،أمنية واجتماعية صاحبتها حالات الفوضى والانقسام وتفكك الروابط والخوف الدائم من المصير الذي ينتظرهم ،خاصة وأنّهم كرهوا حياة العبودية والعيش غرباء بين الأمم ،أرادوا ملكا يرفعهم من مقام العبودية إلى مقام السيادة ،لأنّهم رأوا أن القضاة لم يثبتوا في التصدي للهجمات المتوالية للشعوب والأمم المجاورة ،إضافة إلى الاحتجاج على فساد نظام القضاء ؛لأنّ صموئيل الكاهن الأكبر جعل منصب القاضي وراثي ،وأبناءه لم يكونوا جديرين بهذا المنصب نظرا لسوء أخلاقهم ،فلم يسلكوا طريقه بل مالوا وراء المكسب وأخذوا رشوة ،وعوّجوا القضاء هذا من جهة ،ومن جهة أخرى وجدوا أن الشعوب المحيطة بهم قد سبقتهم في تنصيب الملوك وإقامة المماليك والدول ،فأدركوا بذلك البون الشاسع بين البداوة والترحال والاستقرار [3] .

هذه المتغيّرات السياسية والاجتماعية ،اقتضت منهم النهوض القوّي لاستدراك تخلّفهم عن الركب الحضاري الذي فاتهم بقرون ،فظهرت بذلك فكرة المطالبة بقيام نظام ملكي في شكل نهضة سياسية إصلاحية فرضت نفسها بإلحاح في الوسط الشعبي من خلال مطالبة شيوخ ورؤساء القبائل صموئيل عندما أتوا إليه الى مدينة الرامة أن يجعل عليهم ملكا كباقي الشعوب ،كما جاء في سفر صموئيل :" اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ "[4] .

وقد كان الغرض من ذلك ،هو أن يقودهم هذا الملك في زمن الحرب ،وأن يقيم العدل بينهم في زمن السلم ،غير أن الكهنة القضاة وزعماء القبائل من النخبة لم يقبلوا بوجود سلطة أعلى من سلطتهم ،لأنّ ذلك لا يخدم مصالحهم ،فصموئيل نفسه أبدى اعتراضا واعتبر أن اختيار هذا الملك هو رفض لسلطان يهوه رب إسرائيل ،وتقليدا للشعوب الوثنية

[1]- سفر صموئيل الأول 11 :1 -16 ،14 :47 ، سفر التكوين 36 :31 - 39

[2]- ابراهيم الفقي ،التوراة - تاريخا أثريا دينيا - ،ص93

[3]- أحمد عبد الوهاب ،مرجع سابق ،ص 47 ، تاريخ الحضارات العام،

[4]- سفر صموئيل الأول 8 : 5

المجاورة التي شاءت أن تستبدل الملك بالقاضي[1] .إلّا أنّه أُرغم على ذلك بأمر إلهي ،جاء في سفر صموئيل :"اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ"[2] .

هكذا إذا أدي ضعف التنظيم العشائري المتوارث في مواجهة الفلسطينيين الى وجوب توحيد الأسباط تحت قيادة حاكم واحد يمكنه تحويل الوضع الى حكم دستوري ثابت ذي سلطة تنتقل بالوراثة ،فنشأ ما يطلق عليه عهد الملوك (1020 – 930 ق.م) ،وتم اختيار شاول أول ملك في تاريخ بني إسرائيل ،وتأسيس أول وأقوى حكومة ملكية غيّرت تاريخهم السياسي والاجتماعي ،فلم يحدث من قبل أن اتسعت تخوم الدولة وامتدت حدودها ،وذاعت شهرتها بين دوّل العالم قديما ، فكان دخول عصر الملكية على النظام الإسرائيلي يمثل نقلة نوعية على التقليد القديم[3] .

القرآن الكريم أشار أيضا الى أن بني إسرائيل قد ضاعت دولتهم ،وذهب ملكهم وسلطانهم بعد فترة من التمكين في الأرض المقدسة على يد أعداءهم الذين قهروهم ،وتحكموا فيهم زمنا طويلا ،الى أن جاء طالوت الذي اختاره الله ملكا لقيادة بني إسرائيل ،واختصه بصفات منها الإيمان ،العلم ،الفطنة والقيادة ،فقادهم الى النصر على أعداءهم ،لينهي بذلك فترة هزائمهم ،ويفتح لهم طريق النصر والتمكين والسلطان[4] ،يظهر ذلك من خلال العرض القرآني لقصة طالوت في سورة البقرة[5] .

بعد طالوت قاد داود عليه السلام بني إسرائيل نحو بناء الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار ،والرفاه والصلاح ،والعدل والرشاد ،فقد بيّن القرآن الكريم أن داود عليه السلام كان نبيّا كريما ،وخليفة صالحا ،وملكا عادلا ،فكانت فترة حكمه تمثل الحكم الإسلامي الرشيد ،لما امتاز به من صفات ومزايا ،فقد أعطاه الله الملك والسلطان والحكمة والنبوة ،ومنحه

---

[1]- فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 170

[2]- سفر صموئيل الأول 8 :7

[3]- حسين شريف ،المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية 1900 ق.م – 1995 م ،الهيئة المصرية العمة للكتاب ،د ط ،1995 م ،ج1 ،ص32 ،مراد كامل ،الكتب التاريخية في العهد القديم ،مرجع سابق ،ص99 ،أبكار السقاف ،الدين في مصر القديمة ،مرجع سابق ،ص174، موريس روبان ،تاريخ الأفكار السياسية المقارن ،نقلته عن الفرنسية ،دعد قناب عائدة ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 1 ،2004 م ،ص178 ،أحمد فؤاد أنور ،مرجع سابق ،ص 29 – 30

[4]- الخالدي ،مرجع سابق ،ص 96 وما بعدها

[5]- سورة البقرة : 246 – 151

مشارق الأرض ومغاربها، فاستخدمها في تقدم أمته وسعادتها ورفاهيتها[1] ،قال تعالى :﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴿٢٥١﴾ ﴾[2] ،وأنزل الله عليه الزبور،قال تعالى :﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[3] .

من صفاته أيضا أنّه كان قويا حازما شجاعا ،أوّابا شاكرا لربه ،مطيعا عابدا له ،صابرا على طاعته ،مكثرا من الصلاة والتسبيح والذكر ،والصيام والقيام ،فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما[4] ،قال تعالى : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[5] .

كذلك من صفاته أنّه كان لا يأكل إلّا من عمل يديه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] .

بهذه المواصفات كانت الدولة في عهده متفوّقة ومتقدمة من الناحية السياسية ،العسكرية ،الدينية ،الاجتماعية والاقتصادية ،فكانت تتمثل فيها خصائص الحكومة الربانية المسلمة جزاء انتفاضة العقيدة في نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود[7] .

من بعد داود عليه السلام،أصبح بنو إسرائيل تحت قيادة سليمان عليه السلام ،فقد ورثه في النبوة والملك واتصف بصفاته ،فكان نبيّا رسولا ،حاكما صالحا ،وملكا عادلا ،قال تعالى :﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ

---

[1]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج2 ،ص 632 ،جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ،الكشاف ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،د ط ،د ت ،ج1 ،ص296

[2]- سورة البقرة :251

[3]- سورة النساء : 163

[4]- الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،مصر ،د ط،1960 ،ج1 ،ص 478 ،ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،دار صادر ،دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،د ط ،1965 ،ص 223 ،أنظر أيضا : الطبري ،تفسير الطبري ،ج 23 ،ص 136 ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج4 ،ص 30 ،القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج15 ،ص 159

[5]- سورة ص : 16 – 20

[6]- أبي السعادات مبارك محمد ابن الأثير الجرزي ،جامع الأصول في أحاديث الرسول ،تحقيق محمد حامد الفقي ،القاهرة ،ط1 ،1952 ،ج9 ، ص 388

[7]- سيد قطب،تفسير الضلال ،ج2 ،ص221

﴿ ٣٠ ﴾ [1] ،وقال تعالى:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [2] .

بلغت الدولة في عهده أفضل فتراتها ،فتقدَّم سلطانها السياسي ،الاقتصادي والدولي ،واتسعت رقعتها الى أقصى مداها ،حيث حكم سليمان عليه السلام الأرض المقدسة وما جاورها من الأقطار حتى وصل سلطانه الى اليمن ،وضمّ مملكة سبأ الى سلطانه[3] ،فحكم ما لم يحكم أحد مثله كما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ [4] .

وقد كان من مظاهر حكمه الذي لم يؤت أحد مثله ،أنّ الله سخّر له الريح وجعلها خاضعة له تجري بأمره كما قال تعالى :﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ ﴾ [5] .

ذكر أهل العلم والتفسير أن سليمان عليه السلام قد سخّر الريح للانتفاع بها في الزراعة ،والملاحة البحرية، وأنّ الله علّمه منطق الطير ،فكان يعلم كلام الطير والدواب [6] ،قال تعالى :﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ [7] .

المبحث الثاني: نظام اعتلاء الحكم

أصبح النظام الملكي حديثا بالنسبة لبني إسرائيل ،فلم يمارسه سوى ملكان هما شاؤل من سبط بنيامين وداود من سبط يهوذا ،لذلك لم تكن هناك قاعدة ثابتة أو نظام ثابت قد وضع لخلافة العرش في دولة إسرائيل حتىّ أيام داود ،ولكن الابن الأكبر في البيت المالك كان هو صاحب الحق في ذلك ،إلاّ أنّ سلطة ومكانة الأم ،وتحيّز الملك ،واختيار

[1]- سورة : ص 30

[2]- سورة النمل : 16

[3]- أنظر: الخالدي ،مرجع سابق ،ص 101 وما بعدها

[4]- سورة ص : 35

[5]- سورة ص : 36

[6]- الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج 11 ،ص 158 ،النجار ،مرجع سابق ،ص 321 ،الطبري ،تفسير الطبري ،ج 19 ، ص 437

[7]- سورة النمل : 16

الشعب وموافقة يهوه قد تكون سبباً في اختيار أحد إخوته الصغار[1] .

أولا: مراسيم تنصيب الملك :

1 - الشكل الديني : يُمسح الملك بالزيت على يد الكاهن في مكان مقدّس وهو جالس على كرسي الملك ،والجلوس على الكرسيّ هو إحدى الشعائر الأساسية التي تقام عند عملية التنصيب ،وهو إجراء سياسي ،وطقس ديني يرمز إلى سلطان الملك وسيادته ،وهذا الشكل الديني كان مستخدما في سوريا في القرن السادس قبل الميلاد[2] .

2 – الشكل الديمقراطي : يقف الملك على منصة من الخشب أثناء ممارسة طقوس التنصيب[3] ،وبعد أن يمسحه الكاهن بالزيت المقدّس يصيح الشعب "يحيا الملك" ،هذه الصيحات تُعدّ تأييدا له من قبل الشعب ،وقبول سيادته عليهم ،وإعلانا رسميا عن شرعية هذا الرئيس الجديد[4] .

أمّا الأساس الذي يقوم عليه اختيار الملك ،هو أن يكون شخصا يختاره الرب ،وأن يكون من إخوتهم ؛أي من جنس ابراهيم عموما ،ومن بين أسباطهم خصوصا ،وليس إنسانا وثنيا أجنبيا .

جاء في سفر التثنية :" ١٤مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. ١٥فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا.لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ. "[5] .

بعد عملية التنصيب يبرم الملك والشعب معا عهدا مع الله ،يخضع فيه لاحترام القانون شأنه شأن غيره من أفراد المجتمع ،وطبقا لهذا العهد لا يحق له تغيير القانون ،ولا تغيير التشريع ،لأنّ الذي يملك حق التغيير والتشريع هو الله فقط إلّا في حال وجود ضرورة لتغيير القانون للصالح العام ،فإنّه يتعاون مع الشعب لإدخال التعديلات المطلوبة[6] .

ثانيا : اعتلاء الحكم:

1– اعتلاء شاول الحكم : رغم أنّ نظام الوراثة كان من أول أركان الملكية التي نشأت عن الرغبة في تنظيم عملية تولّي

---

[1] – بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص652

[2] – بيومي مهران ،دراسات في تاريخ الشرق ،ص301

[3] – سفر الملوك الثاني 11 : 14 .

[4] – سفر صموئيل الأول 10 : 24 ، 10 : 16 ،هدير الصافوري ،مرجع سابق ،ص 60- 61

[5] – سفر التثنية 17 :14 -15

[6] – فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 177

الحكم ،إلاّ أنّ هذا المبدأ لم يطبق عند تعيين شاول أول ملك في تاريخ الملكية العبرية ،إذ نال هذا الإمتياز ،أو المنصب بفضل شجاعته الشخصية والمآثر العسكرية التي قام بها ،ورغبة الشعب في ذلك ،وتأييد صموئيل النبيّ له بناءاً على توجيه من اللّه[1] .جاء في العهد القديم أن الرب أوحى الى صموئيل النبي أن يقوم بتعيين شاؤل ومسحه ملكا على بني إسرائيل ،كما جاء على لسانه :" [1]وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: "إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ"[2] .

كان الدليل على تعيينه ملكا أن صموئيل أخبره بعلامات وأحداث تحدث له عند خروجه من عنده تكون دليلا على تعيينه ،وهي أنّه يصادف رجلين يخبرانه بأن أتن أبيه قد وجدت ،وأنّه يصادف ثلاثة رجال ومعهم قرابين وخبز وخمر ،فيعطونه رغيف وخبز ،وأنّه يجد مجموعة من المتنبئين معهم الرباب والدف والعود ،يرقصون ويغنون ويتنبئون ،فيدخل معهم ويتنبأ مثل ما يتنبئون[3] .

أمّا مراسيم التعيين ،فكانت بعد أن قام المجلس الوطني برئاسة صموئيل الذي رشّحه لهذا المنصب بعقد اجتماع في المصفاة (مكان اجتماع بني إسرائيل العام)[4] ،حيث أحسن استقباله كضيف شرف فوق المرتفعة التي أصعدت عليها المحرقات ،وأعلن أمام الشعب نبأ اختياره ملكاً على كل بني إسرائيل ،بعد أن أخذ قنينة الدهن وصب على رأسه ،ثم مسحه على ميراث الرّب رئيساً مبرهناً على ذلك أنّ الملكية تتسم بالثقة المقدسة وسط تأييد الشعب وهتافاته ،بينما احتفظ هو بالنيابة وعيّن مساعدين له يوناثان وداود ،ودون أن ينسى ذكّرهم بأنّه استجاب إلى طلبهم وأعطاهم ملكا ،وذكّرهم بنعم الله عليهم المتعددة منذ أن أخرجهم من مصر ،وأنقذهم من فرعون ،وأكّد لهم الرخاء القومي الذي كان كفيلاً بتوفير السعادة ،والاستقرار عبر تاريخهم بشرط أنّ الملك والشعب يحفظون ناموس موسى ولا يعصونه[5] .

هكذا بعد أن تم تنصيب شاؤل قام على رأس بني إسرائيل ملكا ،وبدأوا يؤلّفون أمّة ،وانتقلوا من نظام الحكم الديني الى نظام الحكم العلماني ،فأصبح الملك هو الذي يحكم وليس الله ،كما كان في فترة القضاة ،أو كما يقول جارودي كان

---

[1] – لومير ،مرجع سابق ، ص 22

[2] – سفر صموئيل الأول 15 : 1

[3] – سفر صموئيل الأول 10 : 2 – 6 ،أنظر :علي البار ، مرجع سابق ،ص 225 – 226

[4] – إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص158

[5] – صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص162، مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ، ص82 ،المراغي ،مرجع سابق ،ص21 ،علي البار ،المرجع السابق ،ص 326

الانتقال من الديني الى السياسي[1] .

إلاّ أنّ الملاحظ أن تنصيب شاول ملكا لم يحظ بإجماع بني إسرائيل ،فمنهم من أبدى اعتراضا عليه وإن كان قائدا لا نظير له في جميع الشعب ،وأطول رجال بني إسرائيل ،ولم يكن فيهم من هو أحسن منه ،وقد جاء الرفض الإسرائيلي ممثلا في احتقار هذا الملك والسخرية منه ،وتحديد صلاحياته بما يشبه الدستور ،إذ أن مقاييس الحكم عندهم تختلف عن مقاييس الرب ،الأمر الذي يفسر لنا عدم استقرار الوضع السياسي لبني إسرائيل قبل وأثناء وبعد قيام النظام الملكي[2] .جاء في العهد القديم : "... فَهَتَفَ كُلُّ الشَّعْبِ وَقَالُوا: "لِيَحْيَ الْمَلِكُ!"... وَأَمَّا بَنُو بَلِيَّعَالَ فَقَالُوا: "كَيْفَ يُخَلِّصُنَا هذَا؟". فَاحْتَقَرُوهُ وَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهُ هَدِيَّةً. فَكَانَ كَأَصَمَّ."[3] .

يتّفق القرآن الكريم مع رواية العهد القديم في تنصيب طالوت[4] ملكا على شعب بني إسرائيل ،فيسجّل أن الله اختاره ملكاً على بني إسرائيل ،ويبيّن واقعة توليه الحكم بأنّه كان أمرا من الله نزل على نبيّهم صموئيل أن يعيّن عليهم ملكا أو قائدا يختاره فيتولى قيادتهم ،لأنّ طبيعة النّظام السياسي في بني إسرائيل تقتضي أن يجعل الله فيهم ملكا من أحد فروعهم، يدير شؤونهم الحياتية وينظمها ،ويصحح مسارهم ويقودهم في المعركة التي سيخوضونها مع أعدائهم ،وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى[5] ،قال تعالى :﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا** ﴾[6] .

وقد كان التابوت دليلا على تعيين طالوت في قوله تعالى :﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن**

---

[1]- محمد عزة دروزة ،تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ،مطابع شركة الإعلانات الشرقية ،مصر ،د ط ، د ت ،ص 169 ،لوبون ،مرجع سابق ،ص 54 ، جارودي ،مرجع سابق ،ص 73

[2]- أنظر :محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص45 ،عرفان عبد الحميد ،مرجع سابق ،ص 36

[3] - سفر صموئيل الأول10 :24 -27

[4]- اسم طالوت بالسريانية شاؤل بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرت بن أفيح بن أيش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم ،وكان دباغا يعمل الأديم ،وقيل سقاء يسقي على حمار ،وقيل سمي طالوت لطوله ،الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج 1 ،ص475 ،البغوي ،تفسير البغوي ،ج1 ،ص 297 ،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 364

[5]- الأغا ،مرجع سابق ،ص 174 ،الصابون ي،مرجع سابق ،ص 287 ، الثعلبي ،المرجع نفسه ،ص 362 – 363

[6]- سورة البقرة : 247

يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾[1] .

بعد تعيين طالوت ملكا، أرسى الله تعالى قوام الحكم فيه في أمرين ،هما العلم والقوة البدنية ،قال تعالى :﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[2] .

كذلك اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في اعتراض بني إسرائيل والتمرد على تعيين طالوت ملكا عليهم ،وإن نجح في توحيد وتعبئة صفوفهم ،وشحذ هممهم لقتال الفلسطينيين ،قال تعالى :﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ ﴾[3] .

حجة ذلك أن موازين الحكم عندهم هي الجاه وكثرة المال والنسب ،بصرف النظر عن الكفاءة العقلية والقوة البدنية ،وأن هذا المِلك كان رجلا متواضعا من الجنود وكان فقيرا ،وأقل منهم فهما وإدراكا ،وهو دون مستواهم ،وهم أحق بتحمل مسؤولية القيادة منهم ،ولم يكن ينحدر من بيت مُلك ولا نبوة ،لأنّ الملك كان في سبط يهوذا ،والنبوة في سبط لاوي وهو من سبط بنيامين ،وبالتالي فإن نسبه لا يؤهله للملك عليهم[4] .

قال ابن كثير :"لما طلبوا من نبيّهم أن يعيّن لهم ملكا منهم،فعيّن لهم طالوت وكان رجلا من أجنادهم ،ولم يكن من بيت الملك فيهم ؛لان الملك فيهم كان من سبط يهوذا ،ولم يكن هذا من ذاك السبط...ثم هو مع هذا فقير لا مال له حتى يقوم بالملك ،وقد ذكر بعضهم أنّه كان سقّاء ،وقيل دبّاغا"[5] .

لكن نبيّهم بيّن لهم أن موازين الملك التي اعترضوا بها على تنصيب طالوت ملكا ليست معتبرة عند الله ،لأنّ المسألة هي اصطفاء من الله ،وأنّ الله أنعم عليه فوهبه كافة المؤهلات التي تؤهله للانتصار على الأعداء ،فقد منحه العلم والخبرة والحنكة في الشؤون العسكرية ،إضافة الى البنية الجسمية القوية ،والجمال الخلقي الواضح[6] ،وفي ذلك يقول تعالى :﴿ قَالَ

---

[1]- سورة البقرة : 248

[2]- سورة البقرة: 247

[3]- سورة البقرة: 247

[4]- طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 38 ،ص 271 ، الأغا ،مرجع سابق ،ص 175،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 364

[5]- ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج1 ،ص 666

[6]- الأغا ،المرجع السابق ،ص 175

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ [1].

أيضا من اعتراضهم على طالوت ،عدم الالتزام بأوامره والاستجابة لطلبه ،فرفضوا القتال تحت لوائه رغم أنّهم طلبوا هذا الملك لكي يقودهم في قتال الأعداء ، قال تعالى :﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ [2].

– **اعتلاء داود الحكم** : تذكر نصوص العهد القديم أنّه تم تنصيب داود ملكا على مرحلتين

أ – **المرحلة الأولى** : تم تنصيب داود ملكا على يهوذا في بيت لحم ،فبعد موت شاول بدأ صراع داخلي بين ورثة شاول وأتباع يهوذا انتهى بانقسام بني إسرائيل الى قسمين ،القسم الأول في الشمال بقيادة أبنير قائد جيش شاؤل الذي نظّم رجال بني إسرائيل ،وبقى يحفظ النّظام في المملكة ويدافع عنها خمس سنيين ونصف ،الى أن قام بتنصيب اشبوشت رابع أبناء شاول ملكا على أسباط بني إسرائيل العشرة في محنايم شرقي الأردن لمدة سنتين ،بينما اتبع القسم الثاني ،وهو بيت يهوذا الذي مقره بيت لحم في الجنوب داود واختاروه ملكا عليهم لأنّه من هذا السبط[3] .

يذكر العهد القديم أن النبي صموئيل مسح داود أمام إخوته في بيت لحم بأمر من الرب ،يقول سفر صموئيل :"وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: "هَلْ كَمُلُوا الْغِلْمَانُ؟" فَقَالَ: "بَقِيَ بَعْدُ الصَّغِيرُ وَهُوَذَا يَرْعَى الْغَنَمَ". فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: "أَرْسِلْ وَأْتِ بِهِ، لأَنَّنَا لاَ نَجْلِسُ حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى ههُنَا"... فَقَالَ الرَّبُّ: "قُمِ امْسَحْهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ".فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا."[4] .

كذلك تعتبر قصة شاؤل مع العماليق تمهيدا لاختيار داود ،وتبريرا لمسحه ملكا مكانه جاء في نصوص العهد القديم أن صموئيل أوعز الى شاول بأمر من الرب أن يضرب العماليق الذين وقفوا في طريق بني إسرائيل عند خروجهم من مصر:" [3]فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا"[5].

---

[1]– سورة البقرة : 247

[2]– سورة البقرة : 246

[3] – سفر صموئيل الثاني 2 : 3، 2 :9 – 10

[4]– سفر صموئيل الأول 16 :11 – 13

[5]– سفر صموئيل الأول 15 : 3

إلاّ أن شاؤل خالف الأمر وأبقى على الملك أجاج ،وعن خيار الغنم والبقر...هذا التصرف من شاول أغضب الرب، فأمر صموئيل أن يمسح داود مكانه ،فقام صموئيل بمسحه ملكا على يهوذا في لقاء شخصي خفيت حقيقته عن شاول في الوقت الذي كان فيه ملكا على بني إسرائيل [1] .

ب – **المرحلة الثانية** : أصبح داود ملكا على كل بني إسرائيل في حبرون ،حيث اعتلى داود العرش الملكي أيضا بتعيين مباشر من اللّه بواسطة صموئيل النبيّ ،جاء في سفر صموئيل :" وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ دَاوُدَ سَأَلَ الرَّبَّ قَائِلاً: "أَأَصْعَدُ إِلَى إِحْدَى مَدَائِنِ يَهُوذَا؟" فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "اصْعَدْ". فَقَالَ دَاوُدُ: "إِلَى أَيْنَ أَصْعَدُ؟" فَقَالَ: "إِلَى حَبْرُونَ".... [3]وَأَصْعَدَ دَاوُدُ رِجَالَهُ الَّذِينَ مَعَهُ، كُلَّ وَاحِدٍ وَبَيْتَهُ، وَسَكَنُوا فِي مُدُنِ حَبْرُونَ. [4]وَأَتَى رِجَالُ يَهُوذَا وَمَسَحُوا هُنَاكَ دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا"[2] .

أمّا تنصيبه ملكا على كل بني إسرائيل بعد أن كان ملكا على يهوذا ،فكان بعد موت اشبوشت المعارض السياسي له ،حيث اجتمع الجناح السياسي ممثلا في مجلس الشيوخ ،والجناح العسكري ممثلا في قوّاد الجيش ،وعقدوا مجلسا في مدينة حبرون حوالي ألف قبل الميلاد ،ونصبّوا داود ملكا،وأبرموا معه عهدا أمام الرب في الهيكل المحلي في مدينة حبرون[3].وكان عمره حين اعتلى الملك ثلاثين سنة ،وملك أربعين سنة ،منها سبع سنين وستة أشهر في حبرون على يهوذا ،وثلاثا وثلاثين سنة في أورشليم على جميع بني إسرائيل[4] .

كانت فرحة الشعب كبيرة بتمليك داود وصعوده الى مركز السلطة ومسحه ملكا ،حيث أقاموا حفلا استمر ثلاثة أيام تبرّع فيه الرؤساء بنفقات الطعام والشراب ،وكان الشعب القريب من حبرون يحضر الطعام على الحمير والجمال والبغال والبقر حتى يأكل الرجال الذين جاءوا يملّكون داود عليهم ،لأنّه كان فرح في إسرائيل[5] .

باعتلاء داود العرش الملكي ،انتقل الحكم من سبط بنيامين الى سبط يهوذا ،لأنّه لم يخلف شاؤل أحد أبنائه ،ولا أحد أفراد أسرته أو عشيرته أو سبطه ،وطبقا لتقاليد الشعوب المجاورة أصبح للقصر الملكي واجب مراعاة قواعد وآداب السلوك

[1] – صموئيل شولتز ،مرجع سابق ، ص165، مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق، ص84

[2] – سفر صموئيل الثاني 2 : 1 – 4

[3] – مصطفى كمال عبد المنعم ،المرجع السابق ،ص84 ،مالمات ،مرجع سابق ،ص 207

[4] – سفر صموئيل الثاني 5 : 4 – 6

[5] – سفر أخبار الأيام الأول 12 : 39 – 40

والتعامل ،فلقد أصبح من الواجب على كل من يريد مقابلة داود أن يقدّم التماسا بذلك ،وعند المقابلة يكون مجبرا على أن يركع بنفسه أمامه على الأرض[1] .

يتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في تعيين داود ملكا على بني إسرائيل بعد وفاة طالوت ،إذ يبيّن أن الله تعالى اصطفى داود عليه السلام نبيّا وملكا وقاضيا وحكيما ،ومنحه مسؤولية القيادة والملك بعد طالوت ،فجمع الله له الى جانب النبّوة الملك والسياسة والقضاء،قال تعالى:﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[2].

لما بلغ عليه السلام سن الأربعين من عمره كُلّف بالرسالة ،فشدد الله ملكه وآتاه الحكم والقضاء وسخّر له الجبال والطير ،فجعل له ملكا كاملا من جميع ما يحتاج إليه الملوك من كثرة العَدد والعُدد[3]، قال تعالى :﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] ،أي قوّيناه وثبّتناه بالنصر في المواطن على أعدائه وإلقاء الرعب في قلوبهم ،وقيل بكثرة الجنود[5] .وهكذا اصطفى الله داود نبيا لهداية بني إسرائيل ،وأنزل عليه الزبور كتابا سماويا ،وامتلأت أفئدة الناس بحبه ،لأنّه أرسى قواعد العدل والمساواة بينهم[6] ،جاء في قوله تعالى :﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[7] ،وشدد ملكه بمؤهلات مادية فسخّر معه الجبال والطير يسبّحن معه رب العالمين ،والحديد ليصنع منه الدروع والسلاح ،قال تعالى :﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾[8] ،وقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾[9] .

---

[1]- يومي مهران ،دراسات في تاريخ الشرق ،مرجع سابق ،ص302

[2]- سورة البقرة :251

[3]- ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج7 ،ص 58 ،السعدي ،تفسير السعدي ،ج1 ،711 ،الصابوني ،مرجع سابق ،ص 288

[4]- سورة ص : 20

[5]- محمد بن علي بن محمد الشوكاني ،فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) ، راجع أصوله :يوسف الغوش ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط4 ،1428 هـ ،2007 م ،ج4 ،ص256 ، البغوي ،تفسير البغوي ،ج7 ،ص67

[6]- الأغا ،مرجع سابق ،ص 180

[7]- سورة الإسراء : 55

[8]- سورة ص : 18 - 19

[9]- سورة سبأ : 10

3 – اعتلاء سليمان الحكم : (961 -922 ق.م) : أمّا سليمان فقد ورث الملك عن أبيه داود ،وأصبح بذلك ثالث ملك على بني إسرائيل ،وآخر ملك في المملكة الموّحدة والوريث الشرعي للعرش الداودي بعد أن أعلن اللّه لداود أن ابنه سليمان سيخلفه على العرش ،وأنّ داود أخبر بتشبع أم سليمان التي اعترضت بأمر من النبي ناثان على تنصيب أدونيا نفسه ملكا دون علم أبيه .

جاء في سفر الملوك :" [11]فَكَلَّمَ نَاثَانُ بَثْشَبَعَ أُمَّ سُلَيْمَانَ قَائِلاً: "أَمَا سَمِعْتِ أَنَّ أَدُونِيَّا ابْنَ حَجِّيثَ قَدْ مَلَكَ، وَسَيِّدُنَا دَاوُدُ لاَ يَعْلَمُ؟[12]فَالآنَ تَعَالَيْ أُشِيرُ عَلَيْكِ مَشُورَةً فَتُنَجِّي نَفْسَكِ وَنَفْسَ ابْنِكِ سُلَيْمَانَ. [13]اِذْهَبِي وَادْخُلِي إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ وَقُولِي لَهُ: أَمَا حَلَفْتَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ لأَمَتِكَ قَائِلاً: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنَكِ يَمْلِكُ بَعْدِي، وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّي؟ فَلِمَاذَا مَلَكَ أَدُونِيَّا؟[14]وَفِيمَا أَنْتِ مُتَكَلِّمَةٌ هُنَاكَ مَعَ الْمَلِكِ، أَدْخُلُ أَنَا وَرَاءَكِ وَأُكَمِّلُ كَلاَمَكِ"[1].

بعد هذه الحادثة أعلن داود لكلّ الشعب أنّ اللّه اختار من أبنائه الكثيرين سليمان ليجلس على كرسي المملكة أربعين سنة[2] .

وفي حفل رسمي حضره الرؤساء ورجال الدولة الرسميّين والأسرة المالكة وأفراد الشعب ،تمّ تنصيب وتتويج سليمان رسمياً على مشهد من الشعب على العرش الملكي في جيحون تحت رعاية كلّ من صادوق الكاهن ،وناثان النبيّ وبنا ياهو ياداع ،وبأمر من الملك داود مسحه صادوق الكاهن معلنا أمام الجميع شرعية الملك الجديد بعد أن ضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحي الملك سليمان[3] .

عقب هذا الاحتفال تمّت تلاوة أهم التوصيات ،حيث ذكّرهم داود بمسؤولياتهم وواجباتهم نحو الملك الذي اختاره اللّه لهم،وفي جلسة مغلقة بين داود وسليمان كانت بمثابة تسليم المهام للملك الجديد ،ذكّره أيضا بمسؤولياته والتزاماته باللّه، وبطاعته لناموس موسى وحفظه ،كما ذكر له بعض الحقائق التي يجب أن لا يغفل عنها ،وأوصاه بأن يقوم بها ،أبرزها أن يبني الهيكل،وأن يدير العدل في المملكة،وأن يقتص من المجرمين الذين ثاروا ضده،من يوآب ابن أخته ،وقائد جيشه لأنّه خانه ؛فقد سفك دما بريئا بقتله أبنير وعماسا ،وأن ينتقم أيضا من شمعي بن جيرا البنياميني ،وأن يحسن لأبناء برزيلاي الجلعاوي لأنّهم ساعدوه خلال فتنة وتمرد أبشالوم[4] .

---

[1] – سفر الملوك الأول 1 : 13 – 17 ،1 :11 -14

[2] – سفر أخبار الأيام الأول 28 : 5 ، 29 : 1 ،سفر الملوك الأول11 :42

[3] – سفر ملوك الأول 1 : 33 – 47

[4] – صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص191 – 192 ،أحمد عيسى الأحمد ،داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم ،دار العلوم ،جامعة القاهر ة،1410 هـ ،1990 م، ص95

جاء في هذه الوصية :"فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً. ٣اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ. ٤لِكَيْ يُقِيمَ الرَّبُّ كَلاَمَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي قَائِلاً: إِذَا حَفِظَ بَنُوكَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكُوا أَمَامِي بِالأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ، قَالَ لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ"[1] .

هكذا تم تنصيب سليمان ملكا على بني إسرائيل ،وقد ملك عليهم وداود ما يزال موجودا على قيد الحياة بفضل الخطة السرية التي وضعها ناثان النبي ،ونفذها بالاشتراك مع أم سليمان. تقول نصوص العهد القديم : "٢٥وَعَظَّمَ الرَّبُّ سُلَيْمَانَ جِدًّا فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ جَلاَلاً مَلِكِيًّا لَمْ يَكُنْ عَلَى مَلِكٍ قَبْلَهُ فِي إِسْرَائِيلَ." [2] .

بعد أن تمّت هذه المراسيم ،جاء رجال الملك يهنّئون داود قائلين :"٤٧وَأَيْضًا جَاءَ عَبِيدُ الْمَلِكِ لِيُبَارِكُوا سَيِّدَنَا الْمَلِكَ دَاوُدَ قَائِلِينَ: يَجْعَلُ إِلهُكَ اسْمَ سُلَيْمَانَ أَحْسَنَ مِنِ اسْمِكَ، وَكُرْسِيَّهُ أَعْظَمَ مِنْ كُرْسِيِّكَ. فَسَجَدَ الْمَلِكُ عَلَى سَرِيرِهِ٤٨وَأَيْضًا هكَذَا قَالَ الْمَلِكُ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَعْطَانِيَ الْيَوْمَ مَنْ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّي وَعَيْنَايَ تُبْصِرَانِ"[3] .

حينما تولى سليمان الحكم وجلس على كرسي الملك أدرك أهمية الحكمة بأنّها أساس الحكم السياسي ،وأنّه بواسطتها يستطيع أن يتسلّط على أمور الدولة وقيادة الرعية ،لذلك طلبها من الرب فقال :"٩فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لأَنَّهُ مَنْ يَقْدُرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ الْعَظِيمِ هذَا؟"١٠فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لأَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ هذَا الأَمْرَ.١١فَقَالَ لَهُ اللهُ: "مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَسْأَلْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلاَ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ غِنًى، وَلاَ سَأَلْتَ أَنْفُسَ أَعْدَائِكَ، بَلْ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ تَمْيِيزًا لِتَفْهَمَ الْحُكْمَ،١٢هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلاَمِكَ. هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ "[4].

هكذا جمعت حكمة سليمان الواسعة بين الأمر الإلهي والأمر السياسي ،فلأول مرة تطلق صفة الحكمة بشكل رسمي على ملك إسرائيل ،وقد نتج عن ذلك أن أعطي سليمان امتيازا وتفوقا على غيره من الحكام والسلاطين لم يسبق له أو يتلوه نظير[5] . يقول سفر الملوك :"٢٩وَأَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا، وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ

[1] – سفر ملوك الأول 2 : 2 – 4 .

[2] – سفر أخبار أيام الأول 29 : 25

[3] – سفر الملوك الأول 1 :47 – 48

[4] – سفر الملوك الأول 3 :9 – 12

[5] – نزار يوسف ،مرجع سابق ،ص 288 – 289

الْبَحْرِ.[٣٠]وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ... [٣٤]وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ"[1] .

اختلف المؤرخون فيما يتعلق بتولي سليمان الملك ،فمنهم من وقف مؤيّدا ومنهم من رأى أن ذلك كان كارثة لبني إسرائيل..،وكمثال لرأي المؤيّدين :

يقول جاكسون :لما كان حكم سليمان قد اتسم بالازدهار والرخاء الاقتصادي ،والتقدم في فنون الحياة المختلفة التي تتكون منها الحضارة..فإننا نتصور أن داود أختار واحدا من أصغر أبناءه لوراثة العرش بترو وتأن ،وهذا الهدف كان ماثلا أمامه انطلاقا من تجربته أنّ أبناءه الكبار تنقصهم المواصفات والمؤهلات الضرورية التي تمكنهم من حمل أعباء العمل الذي بدأه ،لذلك قام بتدريب سليمان ليصبح ملكا على بني إسرائيل ،فاستحق ذلك سليمان عن جدارة .أمّا التحالف الذي تمّ بين أدونيا وأبياثار ويؤآب فقد كان بدافع إبقاء الأمور على حالها القديم دون محاولة التقدم والتطور ،لذلك كان قمع هذا التحالف ضرورة لبسط السلم ونشر الثقافة[2] .

يقول روبنسون أيضا :تدل الظروف المحيطة بتنصيب سليمان على أن وصوله الى العرش كان انتصارا للأوتوقراطية، وهي قاعدة حكم الفرد المطلق.لقد كان أحد أبناء داود الصغار ،إلّا أن مطالبته بالعرش لم تلق قبولا واسعا ،فعلى الرغم من عدم وجود قاعدة بشأن حق البكورة الذي ينص على حق البكر في الإرث كله دون سائر الأبناء ،إلّا أنّه مع ذلك كان من الطبيعي أن يخلف داود أحد أبنائه الكبار.كانت هذه هي وجهة النظر التي أخذ بها أدونيا وتبنى على أساسها فكرة كونه الوريث الشرعي[3] .

كذلك اتفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم في أن الله اختار سليمان عليه السلام نبيّا الى بني إسرائيل ،ومنحه الملك عليهم ،فهو نبيّهم وملكهم في وقت واحد ،ورث الملك عن أبيه داود عليهما السلام ،قال تعالى:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[4] .وقال تعالى :﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

---

[1]- سفر الملوك الأول 4 : 29 – 34

[2]- أحمد عيسى الأحمد ،داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم ،ص104

[3]- المرجع نفسه ،ص105

[4]- سورة النمل: 16

[5]- سورة ص : 30

يذكر أهل العلم والتفسير أن سليمان عليه السلام قام بالنبوة والملك من بعد أبيه داود عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،وكان ملكه على بني إسرائيل أربعين سنة ،ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة[1] .

كان ملكه عليه السلام أعظم من ملك أبيه ،أتاه الله مُلكا لم يؤته أحد من خلقه ،فكان يعرف لغة الطير والحيوان ،ويسخّر الجن ،وهذا لم يعطه أحد من البشر مما أخبر الله به ورسوله[2] ،كما جاء على لسان سليمان عليه السلام في قوله تعالى :﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[3] .وقوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[4] .

ممّا تقدم ذكره نلاحظ وجوه الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقران الكريم كما يلي :

- يؤكد كل من العهد القديم والقرآن الكريم أن نظام الملك بدأ مع شاؤل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم باسم طالوت وانتهى مع سليمان .
- اتفقا المصدران على اعتراض بني إسرائيل على شاؤل ،ولكن اختلفا في طريقة الاعتراض .
- أساس الملك في العهد القديم قائم على العرق،وفي القرآن الكريم قائم على العلم والقوة .
- اختلافا في طريقة ودليل التعيين .
- القرآن الكريم لا يشير الى أي صراع لتولي الحكم .

المبحث الثالث : المهام السياسية

النّظام الملكي كنموذج لواقع شعب يبحث عن موطأ قدم له في أرض فلسطين بين الأمم والمماليك ،أصبح في حاجة ماسة الى قادة ملهمين أمثال شاؤل ،داود وسليمان ،حيث امتاز كل واحد منهم بحنكة سياسية مكّنته من القيام بالدور المنوط به لقيام هذه المملكة ،وإخلاص هذه القيادات للأفكار الملكية وتمسكهم بها وتفانيهم في خدمتها ترجمته المنجزات السياسية ،الدينية،الإدارية ،العسكرية ،الاقتصادية والاجتماعية على المستوى الداخلي والخارجي .

---

[1] - أبي الحسن بن علي المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر،راجعه كمال حسن مرعي ،المكتبة المصرية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،ج1 ،ص 70 ،الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 260

[2] - المسعودي،المرجع نفسه،ص 71 ، ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،ج6 ،ص 182

[3] - سورة النمل: 16

[4] - سورة ص: 35

في بداية العهد تمكّن شاول الذي ملأ الحلقة المفرغة بين حكم القضاة وبين قيام النّظام الملكي من المزج بين التنظيم العشائري المتفكك في عهده والملكية على عهد خلفه داود ،وتحقيق الوحدة الوطنية والسياسية التي نادي بها صموئيل بتكوين مجلس وطني سياسي يضم ممثلين عن أسباط الجنوب والشمال ،وإصلاح الأوضاع الداخلية في كل المجالات، وتأسيس جيش نظامي للقضاء على عاملي الفوضى والفرقة ،والحروب الداخلية ،ولمواجهة الغارات المتكررة من قبل المماليك المجاورة العمونيون ،المؤابيون ،الآدميون ،الفلسطينيون والآراميون[1] .

غير أن حكم شاؤل لم يعمر طويلا ،وانتهى مشواره السياسي مبكرا نظرا لكثرة أخطائه السياسية ،وتضارب قراراته بسبب المرض الذي أصيب به حتى أصبح يلجأ الى العرافة، واختلافه مع صموئيل رأس السلطة الدينية التي كانت في أوج قوتها ،حيث استطاعت أن تنزع منه السلطة وتعطيها للقيادة الشابة والواعدة داود عام 1000 ق.م[2] .

أمّا داود فقد تميّز بحنكة سياسية وإستراتيجية عسكرية عالية مكّنته من تأسيس مركز سياسي إداري وديني ،وبناء مؤسسة عسكرية قوية ،حيث تمكّن في بداية الأمر من أن ينتزع السيطرة من أيدي شيوخ القبائل ،ويبسط هيمنته بتركيز السلطة وجمعها في يده ليصبح بذلك الرجل الأقوى في المملكة ،الأمر الذي سمح له بتوحيد أسباط الجنوب والشمال ،حيث اعتمد في تحقيق ذلك على سياسة المحايدة بينهم لكسب ود الجميع ،ونبذ العصبية القبلية والدينية ،وربط الولاء السياسي بالديني ؛أي بمعنى إخضاع السلطة الدينية (النبوية ،الكهنوتية) لسلطته ،ليقوم بعدها بتوسيع حدود المملكة ،وإنشاء جهاز إداري ،وإعادة تابوت العهد ،رمز الوحدة الدينية والروحية ،والشعار القومي ،وإقامة جسر يربط الداخل بالخارج في جميع المجالات الحيوية والاقتصادية عن طريق عقد المعاهدات والتحالفات السياسية مع دول الجوار ،ليحقق بذلك مجدا عظيما في حياة بني إسرائيل[3].

من بعد داود جاء سليمان وتسلّم هذا الإرث الداودي وحاول أن يحافظ عليه ،فبدأ يبسط سلطانه ويتسلّط على جميع الأمم والمماليك المجاورة من النهر الى أرض فلسطين ،والى تخوم مصر ،ويرغمهم على تقديم الهدايا وخدمته كل أيّام حياته ،بعدها وجه معظم طاقاته لتقوية ودعم المملكة ،فبدأ بتكوين مجلس أعلى لحكم البلاد ،وتطوير البناء التنظيمي للمملكة وتوسيعه ،وإدخال تعديلات على الجهاز الإداري الذي خلّفه داود حتى أصبح يضاهي أو يفوق جميع الأنظمة في عهده ،كذلك إقامة الحصون والاستحكامات في المدن الإستراتيجية ذات الأهمية الاقتصادية ،وبناء مدنا جديدة ،وقد تُوّجت أنشطته المؤسساتية والإنشائية بإقامته البلاط الملكي والهيكل في أورشليم ،وتوسيع التجارة الخارجية ورفع المستوى

[1]– مصطفى كمال ،مرجع سابق ،ص 82 ،أحمد فؤاد أنور،مرجع سابق ،ص 30

[2]– إكرام لمعي ،مرجع سابق ،ص34

[3]– عبد الستار قاسم ،مرجع سابق ،ص57 ، مصطفى كمال ،مرجع سابق ،ص ص 86 – 88

الاقتصادي للبلاد عن طريق التنمية والتطوير بإقامته مشاريع كبرى مثل إقامة مناجم النحاس وصهر المعادن ،وإتباع الديبلوماسية في حل المشاكل السياسية ،وتدعيم العلاقات الودية الدولية مع ملوك الدول المجاورة في جميع المجالات الحياتية عن طريق المصاهرة ،وعقد المعاهدات من أجل أن يوفّر الأمن والاستقرار ،والرخاء والبحبوحة الاقتصادية داخل المملكة ،فاستطاع سليمان بذلك أن يوجد اعترافا سياسيا حضاريا لهذه المملكة بوجود دولة ونظام مركزي إداري ،سياسي ،ديني وعسكري مثل الدول المجاورة[1] .

لكن رغم سعي هؤلاء القادة بما أوتوا من خصائص ومميزات في إرساء قواعد النّظام الملكي والحفاظ على البنية الداخلية للملكة ،والتوازن السياسي داخليا وخارجيا ،إلّا أنّ هذه السياسة التي اتبعها الملوك لم تستطع تماما القضاء على عوامل الهدم داخلها ،فظهر في كل مرحلة من مراحل هؤلاء القادة تنظيمات تسعى الى الإطاحة بالنّظام والاستيلاء على الحكم كما حدث مع شاؤل حينما عجز عن السيطرة على الفئات المعارضة داخل المملكة ،عجّلت بسقوطه من أعلى هرم السلطة ،وكما حدث مع داود حينما ساد التوتر والحروب والنزاعات بين الأسباط شمالا وجنوبا على خلفية المعارضة التي ظهرت على يد اشبوشت بن شاؤل ،وفي عهد سليمان ظهر يربعام بن نباط الذي قاد المعارضة وأراد الانفصال ،إلّا أنّه فشل وفرّ هاربا الى مصر ،لذلك كان يتحتم على هؤلاء القادة مواجهة هذه التنظيمات وتصفيتها للحفاظ على الأمن الداخلي الذي من شأنه أن يساعد على عملية تأسيس وبناء الدولة وأجهزتها الإدارية[2] .

أولا : السياسة الداخلية :

1- الشؤون السياسية :

أ – توحيد القبائل والقضاء على المعارضة :

شغل شاول أول منصب سياسي في نظام الحكم الملكي بعد تعينه من قبل صموئيل ،وتعتبر الفترة التي بدأ فيها شاول إدارة الحكم في المملكة (1020 ق.م) مرحلة انتقالية بين التنظيم العشائري وبين إقامة دولة ملكية شاملة من الناحية السياسية ،الدينية ،العسكرية ،الاجتماعية والاقتصادية .

[1] – نزار يوسف ،مرجع سابق ،ص289 ،عشراتي ،مرجع سابق ،ص57 ، مصطفى كمال ،المرجع نفسه ،ص89، فؤاد أنور ،مرجع سابق ص 33 ، ملاك محارب ،مرجع سابق ،ص 195

[2] – موسكاتي ،مرجع سابق ،ص141 ، مصطفى كمال ،المرجع نفسه ،ص 83 – 84، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص 204 – 205

بعد أن شغل شاؤل هذا المنصب ،كان أول عمل قام به هو إصلاح الأوضاع الداخلية للخروج من مرحلة التمزق العبري بين شعوب بلاد كنعان ،والانتقال من البداوة الى المدنية ،حيث استطاع الى حد ما أن يبرز أهمية وحدة اليهود من اجل بقائهم ،وأن يعمل على توحيد القبائل العبرية التي كانت معزولة جغرافيا الواحدة عن الأخرى ،ويقضي على هذا التمزّق ،ويقود بني إسرائيل الى النصر ،فينقل بذلك هذا المجتمع من اتحاد هش بين القبائل الى مملكة عسكرية يجنّد الملك فيها ضبّاطا يقطع عليهم أفضل الأراضي[1] .

اعتمد شاؤل في تحقيق هذه الوحدة المؤقتة على سياسة الولاء داخل العشيرة ،فقد أنحاز لسبطه وأحاط نفسه بالمقرّبين من بيته ؛إذ كانت حاشية الملك هيئة عسكرية مؤلفة من يوناثان ابنه ،وأبنير ابن عمه ،وقائد الجيش ،كما استطاع أن يربح ولاء قواد الجيش عبيده ،بعد أن وزع عليهم الحقول والكروم ،جاء في سفر صموئيل : "اسْمَعُوا يَا بَنْيَامِينِيُّونَ: هَلْ يُعْطِيكُمْ جَمِيعَكُمُ ابْنُ يَسَّى حُقُولاً وَكُرُومًا؟ وَهَلْ يَجْعَلُكُمْ جَمِيعَكُمْ رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَرُؤَسَاءَ مِئَاتٍ"[2] .

غير أن شخصية شاول العسكرية ونقص الروح الديبلوماسية والسياسية جعلت سياسته قائمة على أساس غير ثابت ،فكانت من الأسباب التي دفعت به الى الفشل ،وعدم القدرة على مواجهة المشاكل والأزمات السياسية والعسكرية التي أحاطت به من الخارج ومن الداخل ،فالأزمة من الخارج تمثلت في قوة المواجهة العسكرية مع الأعداء وما يتطلبه من قوة وتأييد ودعم من الأسباط ،ومن الداخل عدم قدرته على مواجهة واحتواء وإرضاء القوى الدينية والسياسية المعارضة لسلطته بدء بالسلطة الدينية النبوية المنحازة الى داود بزعامة صموئيل النبي الذي كان يخطط لعقابه بتشويه صورته أمام الرأي العام الشعبي ،وإرغامه على اصعاد المحرقة بنفسه حتى يقع في الخطأ ويفقد شعبيته ،وبالتالي يستطيع التخلّص منه ،وتسليم السلطة لداود على اعتبار أنّه تجاوز صلاحياته الدينية عدة مرات ،فكان لا يقبل أن يتصرف شاؤل في أيّ شيء دون الرجوع إليه واستشارته ،وأخذ موافقته باعتباره المرجعية الرئيسية دينيا ودنيويا[3] .

إضافة إلى هذا كانت السلطة النبوية تعمل على تشويه صورة النّظام الملكي عن طريق إقناع الشعب بعدم جدوى هذا النّظام الذي تشبث به وفرضه فرضا ،بل إرغامه على أن يقر بخطئه على اختياره له رغم أن هذه السلطة النبوية هي التي نصبت الملك ،لأنّها رأت في الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولًا عن العالم الخارجي المعادي لاسرائيل ،وبالتالي الخروج عن

[1]- توينبي ،تاريخ البشرية ،ج1 ،ص172 ، لومير ،مرجع سابق ،ص24 ،موسكاتي ،مرجع سابق ،ص142، المراغي ،مرجع سابق ،ص98

[2]- سفر صموئيل الأول 22 :7

[3]- موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 142 ،المراغي ،مرجع سابق ،ص98 ،علي خليل ،مرجع سابق ،ص 110 ،شولتز ،مرجع سابق ،ص 165

التقاليد المألوفة في حكم وتسيير شؤون جماعة بني إسرائيل ،وهو ما يعني تهديد كيانها السياسي ونفوذها الإجتماعي ،وحجتها في ذلك أنّ لا ملك إلاّ لله ،وأنّ إسرائيل ما كانت في حاجة إلى النّظام الملكي ،لأنّ كلّ ما كانت في حاجة إليه لإقرار النّظام وسلامة الحكم ،إنّما كان متوفراً لديها قبل قيام الملكية لينتهي هذا الصراع السياسي بعد أن بشّر صموئيل بنهاية ملكية شاؤل واعتلاء داود العرش[1] .

كذلك عمل صموئيل على نقل المعارضة إلى داخل النّظام ليتآكل من الداخل حينما نصّب داود ملكا وشاؤل جالس على كرسي العرش، ليخلق بذلك صراعا سياسيا بين ملكين متوجَين في الآن نفسه .هذا الصراع بدأ منذ الانتصار الذي حقّقه داود على جليات الفلسطيني ،أين أبدى شاؤل خوفا على مستقبله السياسي وزوال سلطانه ،بعد أن رأى خصمه يتحوّل الى بطل قومي في أعين بني إسرائيل ؛يحظى بشعبية كبيرة والنّاس يترنّمون باسمه ،هذا الأمر ولّد غيرة في نفسه فصار يخشى بذلك انتشار نفوذ داود بين الناس ،الأمر الذي ينتهي حتما بتحول الملك إليه ،من هنا بدأت محاولاته لتصفيته بأي وسيلة ،فنتج عن ذلك صراعا سياسيا استمر داخل البيت الملكي لم يستطع شاؤل احتواءه ،وباءت محاولاته بالفشل[2] .

ازداد إعجاب بني إسرائيل بداود الذي أصبح قوّة موازية ومعارضة لسياسة المملكة ،فزاد حقد شاؤل عليه والغيرة منه ،وتنوعت محاولاته للتخلّص منه ،فاحتال عليه بأن قرّبه إليه وزوّجه بابنته ميكال مقابل أن يقتل داود مائة من الفلسطينيين ،فكان يدفع به الى الموت للتخلص منه ،ولم يتوقف عن ذلك رغم محاولة الإصلاح التي قام بها يوناثان ابنه ليهدأ من حدّة هذا الصراع الذي استمر بالرغم من أن شاؤل قطع عهدا مع داود وطلب منه أن يحلف له أن لا يقطع نسله من بعده ،ولا يبيد اسمه من بيت أبيه ،وحلف داود لشاؤل كما قال ،ولكن السلام بينهما لم يستمر ، فخرج شاؤل مرة أخرى يفتش عن داود ليقتله ،ونسي الوعد الذي قطعه ،فكان ذلك أيضا من الأسباب التي عجّلت بسقوطه[3].

في خضم هذه الأحداث انتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف ،وقاموا بمهاجمة بني إسرائيل أكثر من مرة ذاقوا فيها مر الهزائم ،كان أشهرها موقعة وادي برزعيل التي قُتل فيها شاؤل ،وأُخذت دروعه الى معبد فينوس الفلسطيني ،ودُق جسمه بالمسامير على أسوار بيت شان[4] .

---

[1]- مالمات ،مرجع سابق ،ص199،بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج 4 ،مرجع سابق ، ص 649

[2]- إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص165 – 166 ،أطلس الكتاب المقدس والعهد الجديد ،مرجع سابق ، ص 32

[3]- الثعلبي ،مرجع سابق ،ص 239 وما بعدها ،مصطفي كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص83 ،مكسيموس ،مرجع سابق ،ص 122، منيس عبد النور ،النبي داود وابنه سليمان الحكيم ،شتوتجارت ،ألمانيا ،ط1 ،1990 ،ص35

[4]-محمد محمد ابراهيم مصطفى ،اليهود قافلة الشر في العالم ،دار الهناء ،القاهرة ،د ط ،2008 م ،ص102

من بعد شاؤل انتقل الحكم الى داود وملك ثلاثا وثلاثين سنة في أورشليم على جميع إسرائيل ،بعد أن أسس دولة صغيرة في حبرون وحكمها مدة سبع سنوات وهو ابن ثلاثين سنة تحت سيادة الفلسطينيين وفي حمايتهم عندما كان لاجئا سياسيا مطاردا من قبل شاول ،حيث يقول كل من أندرسون وروبنسون :بأن داود خلال حكمه في حبرون الذي استمر لمدة سبع سنوات كان تابع للفلسطينيين بصورة واضحة وجلية ،وأنّه كان تحت حماية الملك جت[1] ،لكن داود استطاع أن يخدع الفلسطينيين إبان وجوده بينهم ،فكان يمهّد الطريق لحكمه وفي الوقت نفسه كان يحاول القضاء على أعدائه[2] .

أظهر داود منذ بداية حكمه دبلوماسية عالية في بناء الوحدة الوطنية وتشكيل حدود جغرافية للملكة ،حيث استطاع أن يقوم بتوحيد أسباط بني إسرائيل في مملكة واحدة في الوقت الذي كان فيه الوضع السياسي العام يسوده التوتر ،والحروب الأهلية بين الأسباط الشمالية والجنوبية على خلفية التمرد والمعارضة التي ظهرت على يد أشبشوت بن شاول الذي طالب بعرش أبيه ،والإبقاء على السلطة في سبط بنيامين ،حيث ساعده في ذلك تأييد أسباط الشمال له ،والمطالبة بالتملك عليهم ،ورفضهم مبايعة داود ملكا من سبط يهوذا ،كذلك أبنير قائد جيش شاول الذي تمكّن من الانفصال سياسيا وعسكريا عن الجنوب ،وإقامة عاصمة له في مدينة مناحيم شرقي نهر الأردن[3] ،تقول رواية العهد القديم :" ١٠ وَكَانَ إِيشْبُوشَثُ بْنُ شَاوُلَ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَلَكَ سَنَتَيْنِ. وَأَمَّا بَيْتُ يَهُوذَا فَإِنَّمَا اتَّبَعُوا دَاوُدَ."[4] .

استمر الوضع السياسي على هذا الحال مدة عامين ممّا جعل داود يعتمد سياسة الانتداب ،فلجأ الى الفلسطينيين لمساعدته في القضاء على هذا التوتر ،وتطهير المملكة من التمرد ،والقضاء على نظام المعارضة .غير أن انقلاب المعارضة على نفسها على خلفية الخلاف الذي وقع بينها ساعده في القضاء عليها ،فقد انقلب الجناح العسكري بقيادة أبنير على الملك اشبوشت ليبدي ولاءه لداود ،فأرسل رسلا إليه يطلب منه أن يدخل في عهد معه ويساعده ليكون ملكا على كل إسرائيل ،فوافق داود على ذلك ،وذهب أبنير الى شيوخ بني إسرائيل يقنعهم بأن يقبلوا داود ملكا عليهم ،بهذا الاتفاق عاد

[1]-Anderson Bernard. W, The Living World Of The Old Tastament, Secend Edition, Longmans, 1968, p140, Robinson, AHistory Of Israel, Vol, I, Oxford, 1957, p20

[2]- إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص170

[3]- المرجع نفسه ،ص167 ،رشدي البدراوي ،أنبياء بني إسرائيل ،ص141

[4]- سفر صموئيل الثاني 2 :10

الاتحاد الى أسرة شاؤل وداود ،وتم القضاء على الحرب الأهلية ،وحاز داود على تأييد شعب إسرائيل طواعية ،وعُزل نسل شاؤل من القيادة السياسية[1].

بعد القضاء على المعارضة التي كانت تطمح في كرسي المملكة وقلب نظام الحكم ،عمل داود على أن يضع نفسه في وضع استراتيجي يمكّنه من تحقيق خطته السياسية لقيادة بني إسرائيل ،حيث اتّبع في ذلك وسائل تدل على أنّه كان سياسيا داهية كما يقول أندرسون[2] ،هذه الوسائل هي[3] :

- **تعزيز** نفوذه السياسي بحكم عشيرته يهوذا ،وكسب ولاء شيوخ بني إسرائيل بتقديم الهدايا لهم .

- كسب ولاء الأسباط العشرة الموالية لبيت شاؤل ،لأنّه لم يكن له أي مصلحة في استعدائها ،من أجل ذلك لم يظهر الشماتة بمصرع شاؤل وأبنائه على يد الفلسطينيين ،إضافة الى العناية التي أولاها لهذه الأسرة جعل أتباع شاؤل يرتاحون الى حسن سياسته ،فشكّلوا وفدا من شيوخهم يمثل جميع أسباط بني إسرائيل لمبايعته .

- كسب ولاء الشعب من خلال الانتصارات العسكرية التي حققها على أعدائه ،وتوسيع حدود المملكة ،حيث جعلت اليهود ينظرون الى أن هذه المملكة قامت تحقيقا لوعود يهوه الذي يمنحهم أرض الميعاد الواقعة بين النيل والفرات ،فاعتقدوا بتأييده حتى أصبح الولاء والطاعة له ولمملكته ،ولأورشليم هو الولاء والطاعة ليهوه .

- كسب ولاء السلطة الكهنوتية ،حيث استطاع بحنكته وذكاءه السياسي أن يختار رؤساء الكهنة من أنصاره والمقرّبين إليه ،وأن يجعلهم من رجال دولته الرسميين ،وأعضاء في المجلس الأعلى للدولة ،وتسخيرهم لدعم مملكته وحكمه ،والترويج من خلالهم لدعواته القائلة بأنّ مملكته تعتبر الوريث الشرعي للعهود الإلهية الممنوحة لإبراهيم وذريته ،وأنّها تمثل حلفا قبليا يجمع بين الجنوب والشمال ،إلى أن حل الولاء للملكة الداودية محل الولاء للإله يهوه ،واعتبرها الكهنة تجسيما لعهود إبراهيم وتحقيقا لها ،وقالوا أنّها أساس الخلاص ،وأنّ الرب اختار داود ملكا حتى أصبح الارتباط بها ككيان سياسي يعبّر عن العلاقة الوثيقة بين اليهود والرب يهوه. تقول التوراة :"[18]الرَّبَّ كَلَّمَ دَاوُدَ قَائِلاً: إِنِّي بِيَدِ دَاوُدَ عَبْدِي أُخَلِّصُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ"[4].

---

[1]- كمال عبد المنعم ،المرجع السابق ،ص84، منيس عبد النور، النبي داود وابنه سليمان الحكيم ،ص46 ،شولتز ،مرجع سابق ،ص173

[2] -Anderson , The Living World Of The Old Tastament, p139

[3]- لمعي إكرام ،مرجع سابق ،ص34- 35 ، كمال الصليبي ،حروب داود ،ص 24 ، إسماعيل راجي الفاروقي ،أصول الصهيونية في الدين اليهودي ،ص52 وما بعدها

[4]- سفر صموئيل الثاني 3 : 18

هكذا بهذه الولاءات اتحد الشمال الذي كان يتبع شاول سابقا مع الجنوب في ظل سلطة واحدة ونظام واحد ، فصارت مملكة موّحدة .

ب– القضاء على تمرد أبشالوم :بالرغم من الانتصارات السياسية والعسكرية التي حققها داود ،والتجديدات الإدارية ، والتغيرات السياسية والاجتماعية التي أدخلها على نظام الحكم ، لم يستطع هذا النّظام الجديد أن يضرب بجذوره بسهولة في حياة الشعب ،فظهر من جديد ابنه أبشالوم الذي حاول الانقلاب على السلطة للاستيلاء على العرش ،وقلب نظام الحكم بعد أن عرف من ناثان النبي أن سليمان أخاه سيرث كرسي العرش ،حيث يذكر سفر صموئيل أن أبشالوم كان يسعى الى قتال أبيه ،وهو يتحاشى قتاله،الى أن أرغمه على ذلك فقاتله وانتصر عليه في النهاية بعد سقوط الآلاف من القتلى ،بعدها استقر الوضع لداود ليواصل مسيرة البناء والتشييد[1] .

هذا الانقلاب الذي حاول أبشالوم القيام به ،استغل فيه جمال منظره الذي أُعجب به النّاس ،وأسلوبه في التعامل معهم ،وذكاءه في مهاجمة سلطة القضاء ،حيث تظاهر أنّه لا يوجد عدل في المملكة ،ولو تولى القضاء وأصبح هو الملك لأجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين ،فكان يقول :"[4]مَنْ يَجْعَلُنِي قَاضِيًا فِي الأَرْضِ فَيَأْتِيَ إِلَيَّ كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ خُصُومَةٌ وَدَعْوَى فَأُنْصِفَهُ؟"[2] .كما استغل تأييد كل من شيوخ القبائل الذين رأوا أن داود قلل من شأنهم ،والوحدة السبطية المحاربة (تسمى الألف،كانت تعتبر حجر الأساس في تجنيد العامة) التي أبقى عليها داود ،ووعوده بعودة هذه المؤسسات القديمة الى الحكم ،فأحب النّاس أبشالوم ،وأعجبتهم وعوده الجميلة، حتى صاروا يتطلعون الى اليوم الذي يعتلي فيه العرش[3] .

تجدر الإشارة الى أن الآثار التي ترتبت على هذه المحاولة الانقلابية ،هو خلو المملكة من كرسي الملك ،وبقاء الشعب حائرا دون ملك بعد هروب الملك داود من وجه ابنه أبشالوم ومقتل هذا الأخير ،يقول القس منيس حسب ما جاء في العهد القديم :عرف داود أن أهله الذين هم من سبط يهوذا لن يتحركوا ليدعوه ليعود إلى عاصمته ،لأنّهم كانوا في خجل شديد بسبب مؤازرتهم للانقلاب ،فأرسل إليهم كاهنين يقولان لهم إنّه غفر لهم ،وينتظر منهم أن يرجعوه إلى عرشه .ثم أرسل لعماسا قائد جيش أبشالوم ووعده أن يجعله رئيس جيشه ،وقصد داود بذلك أن يرضي رجال يهوذا ،كما أراد أن يرضي الذين آزروا ابنه.وقبل رجال يهوذا كلام الملك وأرسلوا إليه يقولون :ارجع أنت وعبيدك ،فرجع داود ليملك ولاقاه الشعب عند نهر الأردن ،وجاء إليه كثيرون يهنئونه بسلامة الرجوع[4] .

---

[1]– سفر صموئيل الأول 18 : 6 – 18 ،سفر صموئيل الثاني 15 : 10 – 30 ،16،17، 18

[2]– سفر صموئيل الثاني 15 :4

[3]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 214 ، منيس عبد النور ،النبي داود ،مرجع سابق ،ص59

[4]– منيس عبد النور، المرجع نفسه ،ص 62

ج – التغييرات في نهاية عصر داود :بعد هذا التمرد الذي قاده أبشالوم ،أدرك داود أنّه يجب عليه اتخاذ القوى القبلية الاجتماعية القديمة كركيزة اجتماعية ،فقرر ترك أهدافه للمساواة بين الأسباط ،وشكّل لنفسه دعامة مخلصة في الإطار العسكري القبلي من جماعة رجل يهوذا ،القوة العسكرية التابعة لسبطه التي أعادته الى كرسي الملك بعد مقتل أبشالوم ،فمكّنته من توحيد الأسباط ،وإقامة مملكة شملت العديد من الشعوب المحيطة به ،إلّا أنّه لم يستطع أن يقيم أنفس بني إسرائيل المعوجة[1] ،لذا جاء في دعائه :" ٤٤وَتُنْقِذُنِي مِنْ مُخَاصَمَاتِ شَعْبِي، وَتَحْفَظُنِي رَأْسًا لِلأُمَمِ. شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي"[2].

كذلك رغم النجاحات التي حقّقها داود ،إلّا أنّه لم يسلم هو الآخر من انتقادات السلطة النبوية بزعامة النبي ناثان الذي قام بتوبيخه على العمل الشنيع الذي قام به ضد أوريّا الحثي بعد أن ذكّره بما أسدى إليه من خدمات ،حيث تنبأ له بأنّ السيف لن يفارق بيته ،فكانت النتيجة أن مات ثلاثة من أبنائه بالسيف ،هم أمنون ،أبشالوم ،أدونيا ،وظهرت في بيته قوة الشهوة الجامحة ؛فاغتصب أمنون أخته تامار ،وقوة الانتقام ؛فانتقم أبشالوم من أخيه أمنون وقتله ،وتمرد وعصيان أبشالوم على المملكة[3].

أمّا الملك سليمان بعد أن تولى حكم المملكة من أبيه ،كان بعض الشعب المحافظين غير راضين على هذه الوحدة التي تركزت فيها السلطة في يد شخص واحد ،إذ اعتبروا أن ذلك خروجا عن الأسلوب التقليدي القائم على سياسة الحكم الذاتي الذي حدده الله بأن كل سبط يحكم نفسه ،وبذلك كان سليمان غير محبوب من قبل التقليديين كما كان أبوه من قبل ،خاصة من طرف قبائل الشمال،رغم الحكمة التي أعطاها الله له[4].

د– القضاء على المعارضة وتعديل الجهاز الحكومي في عهد سليمان :تولى سليمان العرش في هذا الجو ،وأول ما قام به لتثبيت عرشه ،هو إجراء تعديلا في مؤسسات الدولة الدينية والعسكرية حتى يتمكن من التصفية الجسدية لأقطاب المعارضة التي كانت خصما منافسا له ،وخطرا عليه تدفع بالأحداث الى الفوضى والاضطراب ،هذه المعارضة قادها أدونيا الأخ الأصغر لأبشالوم صاحب الانقلاب الأول الذي كان يدعو لنفسه لولاية العهد ،يساعده في ذلك كل من يؤآب ،وأبياثار ،ورهط قوي من رجال داود ؛وهو التحالف السياسي ،العسكري والديني الذي قام بالانقلاب الفاشل على داود

[1]– – مالمات ،المرجع السابق ،ص 214 – 215 ،علي البار ، الله والأنبياء في التوراة والقرآن ،ص 374

[2]– سفر صموئيل الثاني 22 : 44

[3]– سفر صموئيل الثاني 12 : 7 – 15

[4]– متى ،تاريخ إسرائيل، مرجع سابق ،ص87.

،إضافة الى شمعي بن جيرا الذي كان يحاول ا هو الآخر لتخلص من داود لئلا ينتزع منه ومن قبيلته بنيامين عرش المملكة ،هذا الأخير أبدى كراهية اتجاه داود ،فأقدم على الإساءة له وتعرض له بالشتائم عندما كان هاربا من أبشالوم ،لذلك ورد اسمه في وصية داود لابنه سليمان بالقضاء عليه[1] .

تمت هذه التصفية بعد أن قام سليمان بتعيين بناياهو بن يهوياداع قائدا جديدا للجيش ،وأمره بقتل يؤآب بن صرويه القائد السابق في جيش داود ،الذي قام بقتل أبشالوم عندما ثار ضد أبيه رغم تحذير داود بعدم قتله ،وقتله أيضا لأبنير دون علم داود.ثم أمره بالتخلص من أخيه أدونيا وكل من التف حوله في محاولة تنصيب نفسه ملكا على بني إسرائيل ،فبطش به فمات .أمّا أبياثار الكاهن فقد اكتفى بإسقاطه من درجته الكهنوتية ،ونفيه الى منطقة نائية لا يتخطاها ،وعيّن بدلا منه صادوق رئيسا للكهنة[2] ،جاء في سفر الملوك :" ٢٦وَقَالَ الْمَلِكُ لأَبِيَاثَارَ الْكَاهِنِ:"اذْهَبْ إِلَى عَنَاثُوثَ إِلَى حُقُولِكَ، لأَنَّكَ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ، وَلَسْتُ أَقْتُلُكَ فِي هذَا الْيَوْمِ،.."[3].

يرجع سبب فشل أدونيا في الوصول الى كرسي الحكم ونجاح سليمان في القضاء عليه أولا الى أن كثيرا من كبار رجال الدولة لم يكونوا في صفّه وعلى رأسهم ناثان النبي ،وثانيا إلى سوء تقديره وتدبيره للأمور كما يقول القس منيس عبد النور: لم يكن أدونيا حكيما في تدبيره إذ ذهب الى مكان قريب من أورشليم ،وأخذ معه عددا قليلا من الناس ،وترك كل عظماء المملكة في أورشليم[4] .

أمّا شمعي بن جيرا ففرض عليه الإقامة الجبرية في أورشليم ومنعه من الخروج وإلّا قتله ،وحدث أن هرب عبيد لشمعي والتجئوا الى أخيش ملك جت الفلسطيني ،فخرج شمعي من فلسطين ليفتش عليهم وكان ذلك سببا لقتله ،فاستدعاه سليمان فقتله .

يقول سفر الملوك :" ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَلِكُ وَدَعَا شِمْعِيَ وَقَالَ لَهُ: "اِبْنِ لِنَفْسِكَ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ، وَأَقِمْ هُنَاكَ وَلاَ تَخْرُجْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى هُنَا أَوْ هُنَالِكَ.[٣٧]فَيَوْمَ تَخْرُجُ وَتَعْبُرُ وَادِيَ قَدْرُونَ، اعْلَمَنَّ بِأَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ، وَيَكُونُ دَمُكَ عَلَى رَأْسِكَ".[٣٨]فَقَالَ شِمْعِي لِلْمَلِكِ: "حَسَنٌ الأَمْرُ. كَمَا تَكَلَّمَ سَيِّدِي الْمَلِكُ كَذلِكَ يَصْنَعُ عَبْدُكَ". فَأَقَامَ شِمْعِي فِي أُورُشَلِيمَ أَيَّامًا كَثِيرَةً.[٣٩]وَفِي نِهَايَةِ ثَلاَثِ سِنِينَ هَرَبَ عَبْدَانِ لِشِمْعِي إِلَى أَخِيشَ بْنِ مَعْكَةَ مَلِكِ جَتَّ، فَأَخْبَرُوا شِمْعِي قَائِلِينَ: "هُوَذَا عَبْدَاكَ فِي جَتَّ".[٤٠]فَقَامَ شِمْعِي وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ وَذَهَبَ إِلَى جَتَّ إِلَى أَخِيشَ لِيُفَتِّشَ عَلَى عَبْدَيْهِ، فَانْطَلَقَ شِمْعِي وَأَتَى بِعَبْدَيْهِ مِنْ

[1]- أنظر :السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 134 – 135 ،أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص106

[2]- المراغي ،مرجع سابق ،ص34 ،السواح ،المرجع نفسه ،ص 135

[3]- سفر الملوك الأول 2 : 26

[4]- منيس عبد النور، داود صاحب المزامير ،ص155 ،نقلا عن أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص104

جَتَّ.[41]فَأُخْبِرَ سُلَيْمَانُ بِأَنَّ شِمْعِي قَدِ انْطَلَقَ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى جَتَّ وَرَجَعَ.[42]فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَدَعَا شِمْعِيَ وَقَالَ لَهُ: "أَمَا اسْتَحْلَفْتُكَ بِالرَّبِّ وَأَشْهَدْتُ عَلَيْكَ قَائِلاً: إِنَّكَ يَوْمَ تَخْرُجُ وَتَذْهَبُ إِلَى هُنَا وَهُنَالِكَ، اعْلَمَنَّ بِأَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ؟ فَقُلْتَ لِي: حَسَنٌ الأَمْرُ. قَدْ سَمِعْتُ.[43]فَلِمَاذَا لَمْ تَحْفَظْ يَمِينَ الرَّبِّ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا؟".[44]ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِشِمْعِي: "أَنْتَ عَرَفْتَ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي عَلِمَهُ قَلْبُكَ الَّذِي فَعَلْتَهُ لِدَاوُدَ أَبِي، فَلْيَرُدَّ الرَّبُّ شَرَّكَ عَلَى رَأْسِكَ.[45]وَالْمَلِكُ سُلَيْمَانُ يُبَارَكُ، وَكُرْسِيُّ دَاوُدَ يَكُونُ ثَابِتًا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ".[46]وَأَمَرَ الْمَلِكُ بَنَايَاهُوَ بْنَ يَهُويَادَاعَ، فَخَرَجَ وَبَطَشَ بِهِ فَمَاتَ. وَتَثَبَّتَ الْمُلْكُ بِيَدِ سُلَيْمَانَ."[1].

بعد هذه التصفية الجسدية لهذه المعارضة أو التحالف الذي كان يطمع في العرش الملكي ،كان الملك سليمان قد نفّذ وصية أبيه داود ،وثبّت الملك بيده ،وورث مملكة عظيمة متحدة من نهر الفرات في الشرق الى حدود مصر في الغرب والجنوب ،وتمتع الشعب بسلام كبير في فترة حكمه[2] ،يقول أحد المؤرخين الدينيين : لئن كان الملك داود أقام أمّة إسرائيل فإن سليمان أقام دولة إسرائيل[3] .

تقول التوراة :" [21]وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ[4].تقول أيضا:" [25]وَسَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ "[5] .

رغم هذه النجاحات التي حققها سليمان ،إلّا أن عهده لم يخلو هو الآخر من حدوث التمرد على نظام الحكم ،ففي النصف الثاني من عهد المملكة تغيرت الأوضاع الخارجية ،فبعد أن اعتلى شيشنق الحكم في مصر عام 945 ق.م ناصب سليمان العداء لأنّه ارتبط بعلاقة مصاهرة مع الأسرة السابقة ،وبعد فترة وجيزة من هذا الحدث استقلت آرام دمشق عن المملكة بقيادة روزان ،فقلل هذا الاستقلال من الدخل التجاري للملك سليمان[6] .

[1]- سفر الملوك الأول 2 : 36 -46

[2]- سفر الملوك الأول 2 : 46

[3]- منيس عبد النور ،النبي داود ،مرجع سابق ،ص73

[4]- سفر الملوك الأول 4 : 21

[5]- سفر الملوك الأول 4 : 25

[6]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 222

أما على المستوى الداخلي ،فقد قاد يربعام بن نباط تمردا ضد سليمان عندما كان مسئولا عن عمال السخرة من سبط أفرايم ،لكن سليمان استطاع أن يقضي على هذا التمرد بعد هروب يربعام الى مصر واحتمائه بالملك شيشنق[1].

و- تأسيس عاصمة للمملكة :إنّ اهتمام الملوك وتركيزهم على اختيار الموقع الجغرافي ،وبناء عاصمة للملكة وجعلها مركزا رئيسيا لإدارة الحكم ،كان دافعا قويا لتثبيت الحكم والحفاظ على وحدة التماسك القبلي (عرقيا ودينيا وسياسيا) ،وعاملا قويا في بناء الدولة وتأمينها واستقرار وحدتها ، من أجل بسط السيطرة والنفوذ السياسي ،العسكري والاقتصادي في المنطقة .

1- **مدينة جبعة** (جبعة بنيامين) :في بداية العهد الملكي كانت مدينة جبعة أول عاصمة للملكة ومركزا للحكم الملكي اختارها شاؤل من بين المدن ،لأنّها كانت تقع وسط أهله من سبط بنيامين ؛يريد بذلك تأمين عرشه وكسب ولاء عشيرته ،ووفقا لسياسته التي امتازت بالطابع الإقليمي المحلي ،أعاد إعمار هذه المدينة وأقام فيها حصنا ،ثم أطلق عليها اسم جبعة شاؤل، أو تل شاؤل[2] .

2- **مدينة حبرون** :كانت من بين الأماكن الإستراتيجية التي اختارها داود في بداية عهده أثناء مرحلة العمل العسكري ،لأنّها كانت في موقع ممتاز يحيط بها خمسة وعشرين ينبوعا من الماء ،وعشر آبار كبيرة ،وكروم وغابات وأشجار زيتون ،هذا الموقع كان يحميها من الهجمات العسكرية الأمر الذي يعطي داود فرصة تدبير أموره بعيدا عن الحرب والنزاع[3].

3 - **مدينة القدس** :بعد أن أصبح لداود حرية السيطرة السياسية على كامل أسباط بني إسرائيل ونجاحه في تثبيت نظام القيادة المركزية بتثبيت سلطته الشخصية ،فكّر في اتخاذ عاصمة سياسية وإدارية جديدة يكون موقعها يتوسط جميع القبائل حتى يسهل عليه حكم الدولة منها ،لأنّه ثبت لديه أن مدينة حبرون الواقعة في الجنوب لا تكفل له بسط سلطانه على الشمال وكل مناطق الأسباط ،ولا تسمح له بالحفاظ على المكاسب السياسية التي حققها من قبل ،والتي كان يهدف من خلالها الى إرساء قواعد نظام الحكم الملكي[4].

اختار داود بفضل حنكته السياسية وخبرته العسكرية وفكره الاستراتيجي المتميز من بين المدن الكنعانية المحتلة أهم مدينة حضارية ،وهي القدس المدينة اليبوسية السابقة وجعلها عاصمة إدارية وسياسية للملكة عام 1006 ق.م، ثم أطلق

[1]- سفر الملوك الأول 11 : 27 ،سفر أخبار الأيام الثاني 13 : 6

[2]- إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،159

[3]- منيس عبد النور ،النبي داود ،مرجع سابق ،ص45

[4]- لومير ،مرجع سابق ،ص25 ، متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص77

عليها اسم مدينة داود ،لتصبح بذلك المركز السياسي والديني الأول الذي يتطلع إليه بنو إسرائيل ،وينتظرون منه اتخاذ القرار السياسي والتوجيه الديني[1] .

أمّا أسباب اختيار داود لهذه المدينة ،فيعود إلى خصوصيتها الإقليمية والجغرافية ،وفنّها الإداري والمعماري ،وموقعها الاستراتيجي ،فهي تتحدى الجغرافيا بموقعها الجبلي في وسط فلسطين ،حيث أنّها تقوم على هضبة بعلو2500 قدم فوق سطح البحر ،تطل على ثلاثة أودية ،وادي قدرون من الشرق ،ووادي هنوم من الجنوب ،وواد في الوسط يسميه يوسيفوس وادي تيروبين ،وتتميز بوضعها الدفاعي الجيّد ،وأسوارها العالية المنيعة ،لذلك يصعب الهجوم عليها من قبل الأعداء ،أمّا بالنسبة لخارطة العالم فتعتبر حلقة بين أوربا وأسيا وإفريقيا.كما أنّها تتحدى التاريخ ،فقد كانت معروفة كمكان مقدّس قبل زمن ابراهيم لوجود جدولا مقدسا فيها ،ومعبدا لإله يعرف بالعليون أو الله العلي[2] .

تعتبر القدس مدينة محايدة سياسيا لأيّ من الأسباط الإثنتي عشرة ،لأنّها تقع خارج المناطق القبلية ؛أي على الحدود بين بيت يهوذا وبيت إسرائيل ،وسكانها ليسوا من يهوذا أو من مملكة أشبوشت ،ولم يشتركوا معهم في النزاعات[3] .

أراد داود تطبيق سياسة المحايدة لكسب ودّ جميع الأسباط ،وأن لا يظهر أمامهم بمظهر الملك القبلي حتى ينبذ العصبية القبلية ،أراد كذلك أن يمنحهم مدينة لها مكانة خاصة في نفوس الكثير ،حيث أنّها تحظى بالقدسية والإجلال لديهم ،وأن ينهي قوة الكنعانيين المحاصرين في وسط البلاد،كما ولّد هذا الاختيار شعورا بالوحدة والتجانس لدى بني إسرائيل أكثر عمقا ممّا كان عليه سابقا ،فالعاصمة عاصمة الجميع والقرار يسري على الجميع[4] .

يتفق الباحثون والمؤرخون على أن اختيار داود لمدينة القدس وجعلها قاعدة لملكه ،كانت ضربة ذكية نظرا لموقعها الجغرافي الذي يتوسط قبائل الشمال وقبائل الجنوب ،فكان الاستيلاء عليها من اليبوسيين من أهم العوامل التي مكّنت داود من توحيد أسباط بني إسرائيل الذين كانوا متفرقين مبعثرين شمالا ،جنوبا وشرقا[5] .

---

[1]- عبد الملك بطرس ،قاموس الكتاب المقدس ،ص364 ،عرفة عبده علي ،القدس العتيقة ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهر ة،ط1، 2007م ، ص22 ،إكرام لمعي ،مرجع سابق ،ص20 ،عبد الستار قاسم ،مرجع سابق ،ص 57

[2]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص40 ،عرفه عبده علي ،القدس العتيقة ،ص17 ،فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 60 وما بعدها ،روبن فايسترون ،مرجع سابق ،ص24

[3]- أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 55 ،لومير ،مرجع سابق ،ص25

[4]- توينبي ،مرجع سابق ،ص174 ، كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص88 ،أطلس الكتاب المقدس،مرجع سابق،ص 38 ،حامد عيدان حمد الجبوري ،التناقض في التوراة ،ص72 ،متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص77 ،عبد الستار قاسم ،مرجع سابق ،ص 57

[5]- أحمد عيسى الأحمد ، مرجع سابق ،ص72

يقول روبنسون :لقد كان اتخاذ داود لمدينة أورشليم عاصمة له رسالة تذكير دائمة لشعبه على مهارته الشخصية كجندي ،فكان عمله هذا علامة على بداية الملكية في بني إسرائيل[1] .

ويقول جاكسون :استيلاء داود على القدس كان نقطة تحول في تاريخ بني إسرائيل ،وحدثا له كبير الأثر على مصير بني إسرائيل ومستقبلهم ،فقد انتهت حياة بني إسرائيل البدائية ،وبدأت حقبة جديدة من التاريخ[2] .

ويقول لوبون عن حسن اختيار داود للقدس:فلولا أورشليم لكان شأن اليهود ضئيلا للغاية...وداود لكي ينعم على قومه بتلك العاصمة الواقعة في أصلح مكان وأسهل محل للدفاع عن فلسطين، أضطر الى طرد اليبوسيين سادة جبل صهيون،ولم يكن اليبوسيون وحدهم،هم الأعداء الذين وجب على داود أن يقهرهم،فقد اظهر في عهده من النشاط الكبير ما أقام به الوحدة اليهودية،جاعلا المملكة العبرية الصغيرة على رأس جميع الأمم التي كانت تقتسم سوريا[3].

رغم أن داود أدرك أن أورشليم وفرت له بحيادها الطبيعي المركز الممتاز اللائق بعاصمة البلاد،إلّا أنّه لم يحاول توسيعها بسبب انشغاله بالحروب، فاكتفي بتقوية حصونها وأسوارها،وبنى فيها بيته الخاص،ونقل إليه عائلته،ثم قام بتهجير فئة بني إسرائيل إليها ليصيروا الأغلبية السكانية على مر السنين خاصة في بيت داود، كما اشتهى أن يبني فيها هيكلا للرب،وينقل إليها تابوت العهد،إلّا أن الرب يهوه منعه من ذلك بسبب الحروب التي قام بها[4].

أمّا سليمان فقد أبقى على القدس عاصمة للملكة ،بل جعل منها مركزا سياسيا ودينيا في الوقت نفسه بعد أن بنى فيها الهيكل كمعبد للرب وتفنن في بنائه ،وجعل منه المركز الديني الأول في مملكته ،هذا الهيكل هو الذي رفع من مكانة أورشليم السياسية والدينية ،وبالتالي أصبحت المكان الذي يتغنى به بنو إسرائيل ،ويقدّسونه ويحرصون على المحافظة عليه وعلى سلامته[5] .

إذا كان داود لم يهتم بتوسيع العاصمة بسبب انشغاله بالحروب ،فإنّ عهد سليمان الذي عمّ فيه الأمان والسلم ،ونهوض اقتصادي ،وتوسع عمراني لم يُعرف من قبل في تاريخ بني إسرائيل ،سمح له بأن يعمل على توسيع العاصمة من

---

[1]-robinson, Op Cit, p218

[2] -Jackson, F. J .Foakes ,The Biblical History of The Hebrews To The Christian Era, Fourth Edition, London 1921,p172

[3]- جوستاف لوبون ،مرجع سابق ،ص56

[4]- متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص77

[5]- رشدي البدراوي ،أنبياء بني إسرائيل ،مرجع سابق ،ص21 ،عبد الستار قاسم ،مرجع سابق ،ص 57 ،حسن مصطفى الباش ،القدس ،القدس بين رؤتين ،دار قتيبة ، بيروت ،د ط ،1997 م ،ص 51

الناحية الشمالية ،فجعلها تشمل المرتفع اليبوسي القديم الذي يضم بيدر أرونة حيث أقام الهيكل ،كما شيّد العديد من المباني السكنية والمنشآت العمرانية حولها ،وأمّدها بقناة تحمل إليها المياه من بعيد ،فاتسعت بذلك جدا عما كانت عليه من قبل ،وكان يهدف من وراء ذلك الى أن يجعلها مدينة تليق بمكانة المملكة[1].

هذه المكانة التي أصبحت عليها القدس ،جعلتها تختص وحدها دون كافة بلاد بني إسرائيل بذبيحة الشكر أو السرور ،وبذبح خروف الفصح ،فلا يحل ولا يصلح أن يذبح الفصح إلّا داخل أسوار أورشليم ،يأتيها العابد من كل مدن فلسطين ،وبنو إسرائيل من كافة الأنحاء ليذبحوا الفصح في أورشليم[2] .

القرآن الكريم وإن لم يفصّل في هذه الأحداث التي ذكرها العهد القديم ،إلّا أنّه أشار الى ظلم وعصيان واعتداء بني إسرائيل في عهد داود عليه السلام ،وأنّهم لا يتناهون عن فعل ذلك فاستحقوا بذلك اللعنة[3] ،قال تعالى :﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4] .

خلاصة القول : ممّا سبق عرضه تبيّن أنّه رغم ما بذله الملوك الثلاثة من جهود في بناء الوحدة الوطنية ،وتحقيق الوحدة السياسية ،وتثبيت السلطة المطلقة من خلال العمل على جمع الفرقاء من الأسباط داخل إطار الدولة ،وتوثيق الصلة بين طرفي الشعب ،إلّا أنّهم لم يتمكنوا من محو الخلافات التاريخية العميقة بينهم ،حيث عادت الى الظهور من جديد مباشرة بعد موت سليمان (كما سيأتي بيانه) .فقد أفضى التنافس الشديد على كرسي الملك مند الوهلة الأولى لقيام المملكة الى ظهور المعارضة والتمرد العسكري ،وكان لهذه المعارضة دورا كبيرا في محاولة زعزعة أمن واستقرار الدولة الناشئة ،لذلك نجد أن نظام الحكم في المملكة لم يقم إلّا بعد القضاء على المعارضة والمناوئين لها ،وكسب ولاء الشعب ورؤوس القبائل وإرضاء السلطة الدينية الكهنوتية ،والسلطة النبوية .

أما حديث القرآن الكريم عن هؤلاء الملوك والأنبياء ،فلم يرد فيه أثر للصراعات السياسية أو المؤامرات العائلية أو القتل غيلة ،على خلاف نصوص العهد القديم التي انعدم فيها حتى الحديث عن أثر النبوة والرسالة الإلهية التي منحها الله لهم .

2 – الشؤون العسكرية :

[1]– عرفة عبده علي ،مرجع سابق ،ص23 ،فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص237

[2]– متى المسكين ،المرجع السابق ،ص100

[3]– ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 3 ، ص 160

[4]– سورة المائدة : 78 – 79

بعد إصلاح الأوضاع الداخلية ،وتحقيق الوحدة الوطنية السياسية والدينية والقضاء على المعارضة الداخلية ،أنتهج القادة الملوك (شاول- داود- سليمان) سياسة التخطيط لتحرير بني إسرائيل من هيمنة الأعداء ،وتوسيع حدود المملكة من دان الى مصر ؛يتضح ذلك من خلال إبرام العديد من المعاهدات ،وإنشاء الكثير من الأحلاف مع القبائل والمماليك التي كانت تقطن البلاد أو تجاورها تبادلا للمنفعة وتجنبا للحروب هذا من جهة ،ومن جهة أخرى القيام بسلسلة من الغارات والحملات العسكرية المختلفة والطويلة ضد الدول والمماليك المجاورة مند بداية الإتحاد الإسرائيلي مع شاؤل الذي بدأ يصطدم بأعداء من وزنه نسبيا مثل المديانيين ،العمونيين والمؤابيين ،الذين كانوا يهاجمونهم على حين غرة ،الى أن اختلف الوضع مع داود الذي بدأ يصطدم خاصة بالتوسع الفلسطيني[1] ،هذا العمل العسكري نوضحه كما يلي.

أ – شاول والتوسع العسكري :

1 – **الحرب ضد العمونيين** : أدّى التطوّر السياسي لبني إسرائيل على إثر تنصيب شاول ملكا عليهم الى نشاط عسكري ملحوظ ،فبعد أن استلم شاؤل جميع صلاحياته المدنية والعسكرية من صموئيل بدأ حروبه التحريرية الكبرى ،وحسب رواية العهد القديم فإن شاؤل ظل طوال فترة حكمه في حروب دائمة ،هذا النشاط العسكري انعكس في البداية على تحرير بني اسرائيل من الاحتلال العموني بعد أن رفض شاؤل شروط ناحاش العموني القاسية التي أراد أن يفرضها على يابيش جلعاد ليستعبد أهلها من الإسرائيليين ؛يفقأ العين اليمنى لكل ساكنيها مقابل تركهم أحياء ، فكانت المواجهة وتم ضرب العمونيين وتفريق شملهم وتشتيتهم .ثم توجّه الى شرق الأردن وحارب مؤاب ،وأدوم، وملوك صوبة ،والأموريين[2] .

2 – الحرب ضد الفلسطينيين : واصل بعدها شاول نشاطه العسكري ،فبدأ بهجمات عسكرية مرّكزة على مواقع الفلسطينيين وأحرز أول انتصاراته عليهم في موقعة مخماس شرقي بيت أون[3] .

تستمر الحرب سجالا ،فيقاتل الإسرائيليون بقيادة شاول العماليق ،ويبيدون مدينتهم إبادة تامة ،بعدها يلتقي الخصمان مرة أخرى في سوكوه ،لكن هذه المرة سيطر الخوف على قلوب بني إسرائيل من القائد الفلسطيني الجبار جليات لما أبداه من شجاعة ،وتحديه لبني إسرائيل واحتقاره لشأنهم قائلا :" ٨أَمَا أَنَا الْفِلِسْطِينِيُّ، وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ لِشَاوُلَ؟ اخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ رَجُلاً وَلْيَنْزِلْ إِلَيَّ. ٩فَإِنْ قَدَرَ أَنْ يُحَارِبَنِي وَيَقْتُلَنِي نَصِيرُ لَكُمْ عَبِيدًا، وَإِنْ قَدَرْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ تَصِيرُونَ أَنْتُمْ لَنَا

[1]– لومير ،مرجع سابق ،ص21

[2]– سفر صموئيل الأول 11 :1- 10 ، 11 :11 ،أنضر : محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 172 ،إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص159 ، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص154 ،السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 112

[3]– سفر صموئيل الأول 13 : 6 ،14 :11

عَبِيدًا وَتَخْدِمُونَنَا"[1] .بهذه الحادثة يبرز داود كخصم للفلسطينيين ،وتبدأ مرحلة جديدة من الصراع العسكري بين الإسرائيليين بقيادة داود والفلسطينيين فيما بعد .

شاؤل وإن استطاع بحملاته العسكرية أن يقوم بتوسيع حدود هذه المملكة التي شملت أواسط وجنوب فلسطين ،إلّا أنّه لم يتمكن من بسط سلطانه على كامل الأراضي الفلسطينية ،وباءت هذه الحملات العسكرية العديدة التي شنها ضد العمالقة والفلسطينيين بالفشل ،بعد أن ألحقوا به هزائم منكرة انتهت بموته هو وأبناءه في معركة جلبوع في واد بزرعيل جنوب نابلس ،ووضعت حدا لحملاته العسكرية وإخضاع المدن الفلسطينية له ،هذا الانهزام شجع الفلسطينيين على السيطرة على المملكة التي انقسمت على نفسها ،ليمتزج بعدها السكان في العيش سويا تحت السيادة الفلسطينية[2].

يعلق نوت على هذه المرحلة فيقول :إن هذا الحكم كان ميؤسا منه فلم يدم إلّا سنتين ،وهي فترة فاشلة ومرحلة عابرة في تاريخ بني إسرائيل ،لأنّ الفلسطينيين استطاعوا في أيامه إقامة سلطة في فلسطين[3].

ب – داود والتوسع العسكري (1010 –1003 –970 ق.م) :

أمّا داود فبعد النجاح السياسي والانجازات التي حققها وظهوره كقوة عسكرية في المنطقة ،أنتقل بعدها الى العمل العسكري الذي كان يهدف من خلاله الى توسيع حدود المملكة ،وبسط نفوذه على المنطقة ،وتطوير الإدارة المدنية والعسكرية بإنشاء جيش متفوق في السلاح والعتاد ،ورفع مستوى اقتصاد الدولة بالعمل على تطوير النشاط الاقتصادي من خلال السيطرة على الموارد الطبيعية خاصة استغلال عنصر الحديد في الصناعة الحربية ،ووضع حد للفلسطينيين في احتكار هذه المادة الحيوية التي كانت مصدر تفوقهم على غيرهم .

وقد اتسمت مساعي داود العسكرية بالنجاح نظرا لكفاءته القتالية وشجاعته ،وقدراته الحربية ،وحسن إدارته للعمليات العسكرية – ولعل برهان ذلك ما قام به وهو فتى صغير لما قتل جليات ذي القدرات العسكرية والأسلحة– حيث استطاع بذلك أن يفرض نفوذه من نهر النيل وخليج العقبة ،الى شواطئ فينيقية وأرض حماة ،ويكسب أمّته شهرة وكرامة ،واسما متفوقا بين الدول الأجنبية ،جاعلا المملكة العبرية على رأس جميع الأمم التي كانت تقتسم سوريا حتى السنوات الأخيرة من حكم سليمان[4] .

[1] – سفر صموئيل الأول 17 : 8 – 9

[2] – لوبون ،مرجع سابق ،ص 35،أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص55 ،محمد أديب العامري ،مرجع سابق ،ص138

[3] – كيث وايتلام ،اختلاق إسرائيل القديمة ،ص218

[4] – لوبون ،المرجع السابق ،ص 56

1 – **الحرب ضد الفلسطينيين** : بدأ داود عمله العسكري بالحرب الدفاعية ضد الفلسطينيين الذين بادروا لقاتله ،حيث جاءت هذه الحرب كرد فعل بعد أن رأوا قوته العسكرية في تزايد مستمر ،وبعد التأييد الشعبي الكامل له والاعتراف به ملكا على كل إسرائيل ونجاحه في توحيد بني إسرائيل ،إذ لم يتمالك الفلسطينيون أن يظلوا غير مبالين أمام توصل خادمهم القديم الى أن يصبح ملكا على يهوذا وإسرائيل معا ،فجهدوا لفصل الوحدتين السياسيتين من جديد بمهاجمته عند الحدود المشتركة قرب أورشليم في وادي رفائيم[1] ،يقول روبنسون :"إن الفلسطينيين لم يحتملوا وجود مملكة موحدة ،ولم يستطيعوا أن يتسامحوا في هذا الأمر فأعلنوا الحرب على داود"[2] .

غير أن داود تمكّن من أن يهزم الفلسطينيين في معركتين فاصلتين في وادي الرفائيم جنوبي القدس ،ويطاردهم حتى المنطقة الساحلية لينحصر خطرهم عن المملكة ،وبعد فترة ليست بقصيرة نشبت خلالها معارك متعددة استطاع داود أن يضعهم تحت السيطرة ،ويصيرهم ولاية تابعة له وخاضعة لنفوذه ،يدل الاستيلاء على مدينة جت التي هي واحدة من مدنهم الرئيسية ،والاستيلاء على الحديد والنحاس الذي ظل حكرا على الفلسطينيين ،ومصدر قوتهم وتوفقهم على بني إسرائيل على ذروة التوسع وقمة السلطة والنفوذ في هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل[3] .

أمّا العامل الذي ساعد داود في أن يوطد ملكه ويُهيأ له الاتساع ،ويمنحه حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة ،هو تراجع الهيمنة المصرية والآشورية على فلسطين وبلاد الشام [4] .

2 – **الحرب ضد اليبوسيين** : أستطاع داود أن يهزم اليبوسيين بعد حصار القدس حيث يقول يوسيفوس :أن يبوس كان يسكنها اليبوسيون الذين تفرعوا عن الكنعانيين ،ولما علموا برغبة داود الملك في الاستيلاء على مدينتهم أغلقوا أبوابها ،وشددوا الحراسة على أسوارها ،فأمر داود بحصارها حتى استولى على الجزء الجنوبي بالقوة ،ولما فشل في اقتحام القلعة أعلن عن مكافئات للجند ،ووعد بأن أول من يخترق الخنادق أسفل القلعة سيتولى قيادة الجيش ،أمام هذا التحفيز استطاع يؤآب أن يقتحمها ويخضعها لسيطرة العبرانيين بعد أن فشلوا في الاستيلاء عليها في عهد يشوع[5] .

---

[1]– لومير ،مرجع سابق ،ص25 ،السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 120

[2] -Robinson , Op Cit ,P200 .

[3]– سفر صموئيل الثاني 25 : 8 – 10 ،أنظر : مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص87 ،صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص177

[4]– أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص57 – 58

[5]– عرفة عبده علي ،مرجع سابق ،ص22

رغم كثرة الحروب التي قادها داود ضد اليبوسيين ،بقيت أمامه مدن تحت سيطرة الفلسطينيين ،لكن انتقلت إليه بسهولة وأعلنت ولائها له بعد أن فقد الفلسطينيون السيطرة على البلاد[1] .

3 – **الحرب ضد المؤابيين** : أجمع العلماء على أن داود قاتل المؤابيين وأخضعهم لحكمه ،وفرض عليهم الجزية ،وبقيت مؤاب خاضعة لاسرائيل لأجيال قادمة[2].

يقول العهد القديم في شأن هذه الحرب التي أخضع فيها داود المؤابيين لحكمه وفرض عليهم الجزية :" [٢]وَضَرَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلٍ لِلاسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوآبِيُّونَ عَبِيدًا لِدَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا"[3] .

4 – **الحرب ضد الآدوميين** : يذكر العهد القديم أيضا أن داود تمكن من إخضاع الآدوميين لنفوذه ،وجعلهم عبيدا في معركة فاصلة وقعت في وادي الملح بالقرب من بئر السبع ،ثم أقام تذكارا ،وعيّن محافظين في آدوم كلها[4] .

يعلّق المؤرّخون على قوة هذه المعركة التي تم فيها إبادة العائلة المالكة إبادة تامة باستثناء أمير صغير (يسمى هدد) فرّ الى مصر ،وفتح آدوم واحتلالها وإخضاع سكّانها لبني إسرائيل لعدة أجيال ،بأنّ ذلك يُعتبر حدثا هاما من الناحية الإستراتيجية ،لأنّها زودت داود بموارد طبيعية ثمينة ،فقد كانت صحراء العرب التي تمتد جنوبا للبحر الميت حتى خليج العقبة غنية بالحديد والنحاس ،ولحماية هذه الثروة أقام داود حاميات عسكرية حصينة في نقاط مختلفة من آدوم[5] .

5 – **الحرب ضد العمونيين** : هذه الحرب قام بها داود كرد فعل على عزم العمونيين لقتاله ،فبعد أن قوبلت أطماعه التوسعية بالتحدي من جانب قبائل العمونيين ،أرسل يوآب قائد جيشه فحاصر العاصمة ،أمّا هو فزحف على رأس جيش آخر الى عمون ففتح العاصمة وأخذ تاج الملك ،وهكذا فعل بكل مدن عمون[6] .

6 – **الحرب ضد الآراميين** : كانت هذه الحرب بين داود والآراميين بدافع بسط النفود والسيطرة على الثروات والتحكم في الطرق التجارية والعسكرية التي تمر عبر سلسلة الجبال الوسطى للأردن ،حيث استطاع داود من جهة أن يهزم

---

[1] – متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص78

[2] – أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص28

[3] – سفر صموئيل الثاني 8 : 2

[4] – سفر أخبار الأيام الأول 18 : 12 – 13 ،سفر الملوك الأول 11 : 15 –17 ،سفر صموئيل الثاني 8 :13 – 14

[5] – صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص178 ،أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص79

[6] – سفر صموئيل الثاني 12 : 26 – 31

الآراميين ويمنعهم من التوسع في جنوب سوريا ،ومن جهة أخرى استطاع أن يبسط نفوذه وسلطته خارج فلسطين حتى وصلت الى ضفاف الفرات ويجعل كل الولايات الآرامية محميات خاضعة له ،بل استبدل إدارة هدد عزر بإدارة من قبله ،وعيّن على المدينة محافظين تابعين له مباشرة ،وفرض عليها جزية كبيرة اعترافا بقوته ونفوذه تمثلت في كميات كبيرة من الذهب والبرونز أضافت ثراء جديدا الى خزينة الدولة[1] .

بعدما سمع ملك حماة بما فعله داود بالآراميين أرسل يطلب صداقته ،فبعث إليه هدايا من الذهب والفضة والنحاس ،وهي الضربة الأخيرة التي كان داود بحاجة إليها حتى يدمج الإمبراطورية الفلسطينية ضمن المناطق التي يسيطر عليها ، وتمتد سلطته جنوبا وشرقا حتى الصحراء[2].

هكذا أكمل داود برنامج اكتملت التوسع الوطني ،وتمكن من وضع حد للتحدي الفلسطيني ،وجعل أدوم ،وموآب ،وعمون تحت حكمه ،فحكم سوريا الآرامية حتى حدود مملكة حماة ،ونجح كما يقول Hemann في تكوين مملكة قوية ذات تخوم معروفة ومحددة الى حد كبير ،فاستطاع بذلك أن ينقل حكم الدولة من القومية الى الإقليمية ،والى مملكة لها حدود واضحة الى حد كبير ،وليس مجرد حلف قبلي تحت حكم الملك على خلاف شاؤل الذي أخفق في الانتقال من الدولة القومية الى دولة إقليمية موحدة لها حدود معروفة وإدارة مستقلة ،فكانت المملكة في عهده عبارة عن دولة قومية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة[3].

ج – سليمان والتوسع العسكري :

أستطاع سليمان في بداية حكمه أن يستغل قوّته العسكرية التي تركها له أبوه ليظهر كقوة سياسية مهيمنة ،فبعد موت داود استغل الفرعون سيامون ذلك فجهّز حملة على فلسطين واحتل مدينة جازر ،لكن أدرك الفرعون أن جيشه لم يكن مؤهلا لمواجهة جيش سليمان ،فتوقف عن مواصلة حملاته العسكرية باتفاق الطرفين ،وأعطى الفرعون ابنته زوجة لسليمان ،وكان مهر الزواج مدينة جازر .هذا الزواج يُعد تنازلا من قبل فرعون مصر نظرا للضعف الذي وصل إليه ،وهو أمر يُعد سابقة في تاريخ التقليد المصري القديم ،لأنّ أميرات مصر كان محظورا عليهن الزواج من ملوك وحكام العبرانيين والبابليين[4].

[4].

[1]– سفر صموئيل الأول 5 :1 –4 ،سفر أخبار الأيام الثاني 9 : 26 ،السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 130

[2]– إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص 171 ،أحمد عيسى الأحمد، المرجع سابق ،ص 81

[3]– سفر صموئيل الثاني 8 : 10 – 12 ،سفر العدد 34 :7 ،أنظر :حتي ،تاريخ سوريا ولبنان ،ج1 ،ص 203 ، كيث وايتلام ،اختلاق إسرائيل القديمة ،ص 227 – 228

[4]– لومير ،مرجع سابق ،ص28 ، محمد محمد ابراهيم مصطفى ،اليهود قافلة الشر في التاريخ ،ص 107

بعدها أدرك سليمان أن الغزو والفتح العسكري وحده لا يجدي نفعا في إخضاع القبائل والمدن لنفوذ مملكته ،لذلك اتجه إلى استخدام السياسة والدين والمهادنة ،وإتباع الحلول الدبلوماسية لتدعيم أركان مملكته عن طريق المصاهرة ،فتزوج من بنات ملوك العمونيين ،المؤابيين ،الآراميين ،الكنعانيين والحثيين ،فاتسع سلطانه وازدهر حكمه ،وخضعت له المناطق الفاصلة بين الإمبراطوريتين الآشورية والمصرية[1] .

ونظرا لاستخدامه سياسة المهادنة والوفاق السلمي والحلول الدبلوماسية ،استطاع أن يقوم بتوسيع حدود مملكته ،وتوسيع رقعة الأراضي الزراعية ،حيث شملت أجزاء من سيناء وسوريا ،وامتدت لتصل إلى دمشق ،ومن البحر المتوسط الى حد بعيدة من البادية الشرقية[2] .

ذكر القرآن الكريم أنّ الله اختار طالوت ملكا لقيادة بني إسرائيل في مجموعة حروب ،أهمها حربا ضد الفلسطيين بقيادة جالوت الذي أذلّهم وقتل من رجالهم ،وأخرجهم من الأرض المقدسة وصادر أموالهم وممتلكاتهم ،وقد بيّنت الآية الكريمة أحداث تلك المعركة ونتائجها في قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾[3].

هذه الآيات تبيّن أن طالوت قام بدعوة قومه للجهاد في سبيل الله وحثّهم على قتال أعدائهم الذين أذلّوهم ،فساق الجيش الى أرض المعركة ،والتحم الجيشان في أرض المعركة ،وحقق طالوت انتصارا عسكريا على جالوت ،وقد أسهب المفسرون في الحديث عن هذه المعركة والاستعداد لها ،وما وقع فيها من أحداث ،وكيف ولماذا قتل داود جالوت[4] .

ويرى المؤرخون أنّه بانتصار بني إسرائيل على جالوت وجنوده تأسست أول مملكة لهم برئاسة طالوت الذي استمر ملكا عليهم لمدة سنتين تقريبا قبل أن يُتوفى سنة 1055 ق.م ،وأنّ عهده كان يمتاز بالحروب الكثيرة والمنازعات المستمرة[5].

---

[1]- لوبون ،مرجع سابق ،ص39 ،فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 237

[2]- محمد أديب العامري ،مرجع سابق ،ص144 ،حامد عيدان حمد الجبوري ،مرجع سابق ، ص73

[3]- سورة البقرة :250 – 251

[4]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 2 ،ص 625 وما بعدها ،ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 1،ص303 ، القرطبي ،تفسير القرطبي ،ج3 ،ص 256 – 257 ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل،مكتبة الجمهورية ،القاهرة ،د ط ،د ت ،ص76

[5]- طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 654

أمّا الحروب التي قام بها داود عليه السلام فالقرآن الكريم لم يشر الى التفاصيل التي أوردها العهد القديم بشأنها ،إلّا أنّه أخبر بأن داود عليه السلام كان في البداية جنديا في صفوف طالوت، قاد بني اسرائل الى تحقيق الانتصار على جالوت والملوك الجبابرة[1] ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ .فداود عليه السلام رغم الحروب والمعارك العسكرية العديدة التي وقعت في حياته ،إلّا أنّه لم ينكسر في معركة من معاركه أبدا ،لأنّ الله شدّد ملكه وألان له الحديد ،وهي ميزة جعلت جيشه من أقوى الجيوش في عهده[2] .

كذلك القرآن الكريم وإن لم يفصّل في حروب سليمان عليه السلام ،إلّا أنه أشار الى التهديد العسكري الذي قام به تجاه ملكة سبأ بإرسال جيش عرمرم لغزو البلاد ،وإخراج أهلها منها أذلّة وهم صاغرون ،جاء في قوله تعالى :﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].كذلك أشار إلى أن من مظاهر قوة جيش سليمان عليه السلام في الحرب والقتال ،هو أنّه كان يأمر ويفرض شروطه ،ويطالب بها قبل وقوع الحرب والهزيمة ،قال تعالى :﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[4] .

وقصة سليمان عليه السلام مع الملكة في سورة النمل جاء فيها بيان سَعة ملكه عليه السلام ،حيث امتد من بيت المقدس الى أقاصي اليمن ،ودانت له الملوك والأمراء ،وقد اتخذ الملك وسيلة للدعوة الى الإسلام ،فلم يترك ملكا كافرا ولا حاكما جائرا ولا سلطان ذا بأس ولا قوة إلّا دعاه الى الدخول في دين الله ،فمن لم يجبه كان السيف هو الحكم الفصل ،وهكذا تمّكن عليه السلام من نشر رسالته[5] .

ممّا تقدم عرضه يتبين أن العهد القديم جعل عهد شاؤل عهد الإخفاقات العسكرية ،فقد انتهى دوره قتيلا على يدي أعدائه ،وأمّا عهد داود فقد شهد تحولا بالغ الأهمية في حياة بني إسرائيل،فذاقوا طعم الانتصارات العسكرية بعد أن لفضوا وراءهم عهد الإخفاقات ،وأمّا عهد سليمان فقد كان عهد الاستمرار والنجاح والتفوق العسكري .

[1]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج 25 ،ص 250

[2]- بهجت ،مرجع سابق ،ص 288 – 289

[3]- سورة النمل : 37

[4]- سورة النمل : 31

[5]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 302

هذه السياسة العسكرية والفتوحات التي قام بها الملوك مكّنتهم من وضع حد لتحدي هذه الدول خاصة من الجانب الفلسطيني ،وتأسيس دولة وإنشاء جيش متفوق في السلاح والعتاد ،وإحداث ثورة اقتصادية كبيرة ساهمت في بناء دولة مدنية .

أمّا القرآن الكريم فقد اكتفي بالإشارة إلى جوانب القيادة والقوة والانتصار على الأعداء .

3 – الشؤون الدينية :

استعادة تابوت العهد وإحضاره الى القدس :

بالإضافة الى الاهتمام بالشؤون السياسية والعسكرية ،واستكمالا لسياسة الحفاظ على التماسك القبلي ،بدأ داود يفكّر ويوجّه عنايته للشؤون الدينية ،وتنظيم العبادة ،والأمور الروحية ،لأنّه كان يدرك أن سلطانه على الأسباط يقوم أساسا على صلته الروحية بالله ،كما أدرك أنّه يستحيل على عاصمة الدولة الجديدة أن تستمد قيمتها من ملك أو من جيش ،لذلك أسرع إلى استعادة التابوت لما يعكسه من أبعاد روحية ،دينية وسياسية في حياة بني إسرائيل ؛فهو الذي يربطهم بماضيهم ،وهو مركز العبادة المشتركة بينهم ،ورمز الوحدة السياسية[1] .

هذا التابوت كان في حوزة الفلسطينيين مدة سبعة أشهر بعد الاستيلاء عليه زمن القاضي عالي الكاهن قبل أن يسترده بنو إسرائيل في عهد صموئيل ويضعوه في قرية يعاريم ،وبعد عشرين عاما قام داود بنقله الى القدس عاصمة الدولة الجديدة ،ووضعه في خيمة الاجتماع التي نصبها له[2] ،يحمله الكهنة اللاويون على أكتافهم في جو من الفرح والاحتفالات الدينية والذبائح كما جاء في أسفار العهد القديم :" [١٢]فَذَهَبَ دَاوُدُ وَأَصْعَدَ تَابُوتَ اللهِ مِنْ بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ بِفَرَحٍ... [١٥]فَأَصْعَدَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ تَابُوتَ الرَّبِّ بِالْهُتَافِ وَبِصَوْتِ الْبُوقِ... [١٧]فَأَدْخَلُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَأَوْقَفُوهُ فِي مَكَانِهِ فِي وَسَطِ الْخَيْمَةِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُ دَاوُدُ. وَأَصْعَدَ دَاوُدُ مُحْرَقَاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ"[3] .

أمّا عملية نقل التابوت الى مركز الحكم الجديد والأحداث التي واكبت هذه العملية ،فقد كشفت عن قوة النّظام ،وعن الحنكة السياسة التي يتمتع بها داود ،وعن الإستراتيجية التي اعتمدها في بناء الدولة من خلال[4] :

---

[1]– جارودي ،مرجع سابق ،ص123 ، متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص78

[2]– محمد قاسم محمد ،التناقض في تواريخ وأحداث التوراة ،القاهرة ،1992 م ،ص491

[3]– سفر صموئيل الثاني 6 :12 – 17 ،أنظر :أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص423 – 424 ،إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص172

[4]– أنظر : منيس عبد النور ،النبي داود وابنه سليمان الحكيم ،مرجع سابق ،ص49 – 50

– العمل على تحقيق المركزية الدينية :فكانت عملية نقل التابوت الى أورشليم تعكس رغبة داود في جعلها مركز العبادة الدينية .

– العناية الفائقة التي أولاها للجانب الروحي والديني ،واحترامه العظيم لعبادة الله ،وتعليم الشعب ضرورة الاهتمام بالعبادة ،والثبات في عبادة الرب ،وذلك تأكيدا على المغزى الذي من أجله أستعاد التابوت .

– تأمين عملية نقل التابوت :فعندما أراد داود أن ينقل التابوت الى عاصمة ملكه أخذ معه ثلاثين ألف جندي ،وكان القصد من ذلك أن يحرس الشعب من هجوم الأعداء إن فكّروا أن يهاجموه .

– إشراك كل من الكهنة والشعب ليحضروا عملية نقل التابوت مع إسناد مهمة نقله للكهنة باعتبارهم القائمين على الخدمة الدينية ،وذلك حفاظا على تماسك ووحدة بني إسرائيل .

– أقام داود فرحا مقدسا تتويجا لانتصاره باستعادة التابوت أشرك فيه جميع الشعب ،وقام بإعداد ذبائح كثيرة ،وأعطى الشعب هدايا .

يتفق المؤرخون في شأن إحضار تابوت العهد الى أورشليم مع رواية العهد القديم التي تبيّن أن سبب إحضاره كان دينيا ،يقول جاكسون :لما كان داود قد نجح في الاستيلاء على مدينة قوية ،فقد عقد العزم على جعلها مركزا لديانة بني إسرائيل التي أحياها من جديد ،وحتى يصل الى هدفه هذا كان عليه أن يحضر تابوت العهد الى أورشليم التي لم تكن حتى ذلك الوقت مدينة مقدسة عند يهوه[1] ،يقول روبنسون : لا يوجد أي شك لدينا أن إحضار التابوت الى أورشليم كان بدوافع دينية[2] .

مع سليمان استمرت سياسة الحفاظ على الوحدة الدينية والمقومات الروحية للأمّة ،فقد أولى اهتماما كبيرا للشؤون الدينية وتنظيماتها ،وإعطاء المملكة بعدا حضاريا ودينيا عما كانت عليه من قبل ؛إذ بعد أن أكمل بناء المعبد وقام بتدشينه ،جمع كل شيوخ بني إسرائيل وجميع رؤوس الأسباط ،ورؤساء الآباء ،وجميع رجال إسرائيل ووجهاؤهم في أورشليم لنقل تابوت العهد من مدينة داود من الخيمة التي كان داود قد وضعه فيها الى الهيكل ،فأمر الكهنة بحمل التابوت وإدخاله الى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس– وهو الجزء الداخلي من الهيكل– تحت جناحي الكروبين في جو احتفالي كبير مرفقا بذبح الأغنام والأبقار بأعداد كبيرة ،وكان سليمان يتقدم هذا كله ويرافقه في ذلك مجموعة كبيرة من

[1]– Jackson, Op Cit ,p 173 -174

[2] – Robinson, Op Cit, p 218

المرتّلين الذين كانوا ينشدون التسابيح ويستعملون الآلات الموسيقية ،وهو النّظام الجديد الذي أُدخل في التنظيم الديني عند بني إسرائيل .

جاء في سفر الملوك :" [1]حِينَئِذٍ جَمَعَ سُلَيْمَانُ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ رُؤُوسِ الأَسْبَاطِ، رُؤَسَاءَ الآبَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ فِي أُورُشَلِيمَ، لإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ.فَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ جَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعِيدِ فِي شَهْرِ أَيْثَانِيمَ، هُوَ الشَّهْرُ السَّابِعُ. [3]وَجَاءَ جَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَحَمَلَ الْكَهَنَةُ التَّابُوتَ. [4]وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَخَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ مَعَ جَمِيعِ آنِيَةِ الْقُدْسِ الَّتِي فِي الْخَيْمَةِ، فَأَصْعَدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ. [5]وَالْمَلِكُ سُلَيْمَانُ وَكُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ الْمُجْتَمِعِينَ إِلَيْهِ مَعَهُ أَمَامَ التَّابُوتِ، كَانُوا يَذْبَحُونَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ مَا لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. [6]وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ فِي مِحْرَابِ الْبَيْتِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ، إِلَى تَحْتِ جَنَاحَيِ الْكَرُوبَيْنِ،[7]لأَنَّ الْكَرُوبَيْنِ بَسَطَا أَجْنِحَتَهُمَا عَلَى مَوْضِعِ التَّابُوتِ...." [1] .

ومن مظاهر اعتناء سليمان بالجانب الديني صلاة تدشين الهيكل ،فقد رفع صلاة لله وبارك كل الشعب ،بعدها قام بتقديم المحرقات لله فنزلت نار من السماء أكلت الذبائح من على المذبح ،وسجد الشعب الى الأرض حمدا وسبحا لله ،بينما الموسيقى تعزف التراتيل التي تسبح الله ،واحتفل الشعب احتفالا عظيما استمر أسبوعا كاملا قبل أن يرجعوا الى بيوتهم بقلوب عامرة بالفرح[2] .

استمر سليمان يقيم صلواته ويقدم الذبائح :"[25]وَكَانَ سُلَيْمَانُ يُصْعِدُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي بَنَاهُ لِلرَّبِّ" [3] .

رغم أن سليمان كان حكمه ناجحا ،لكنّه وقع تحت تأثير ضعف طبيعته البشرية بانحرافه عن الديانة الموحدة المطلقة عندما سمح لزوجاته الأجنبيات بالعبادة على طريقتهن الوثنية ،فشيّد معابد لآلهتهن فعوقب على ذلك بشدة كما جاء في العهد القديم : "[9]فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ،[10]وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ[11]فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: "مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ."[4].

---

[1]- سفر الملوك الأول 8 :1 – 9

[2]- سفر الملوك الأول 8 : 22 - 66، 9 : 3 – 4

[3]- سفر الملوك الأول 9 : 25

[4]- سفر الملوك الأول 11 : 9 – 11

هذه العقوبة كانت بأن أقام الرب في وجهه ثلاثة أعداء ،أولهم هدد الأدومي الذي هرب الى مصر عقب حملة يؤآب قائد داود على أدوم ،والخصم الثاني هو روزن بن أليداع الذي كان قائدا في جيش هدد ،أمّا الخصم الثالث فكان من بطانة سليمان ،وهو يربعام بن نباط الذي كان عاملا له ،إلّا أنّه خرج عن طاعته بعد أن تلقى البشارة من النبي أخيا الشيلوني بأن الرب سيملّكه على إسرائيل[1] .

ب – تنظيم الكهنوت :

الكهانة سلطة لها أصولها العريقة في المجتمع العبري ،فقد كانت صاحبة النفود الأول في حياتهم السياسية والدينية والملكية سلطة مستحدثة ،لذلك لم يستطع النّظام الملكي في بداية التأسيس أن يقضي على سلطة الكاهن ،ولا حتى أن يحدّ من نشاطه أو يحتويه كما حدث مع شاؤل الذي لم يقدر أن يجعل الكاهن صموئيل تحت سلطته أو يحضى بثقة الكهنة ،حيث كان يشك في ولائهم له وعدم رغبتهم في مؤازرته خاصة بعد أن تعاونوا على إخفاء داود ممّا جعله يبعدهم مع تابوت العهد الى قرية يراعيم ،ثم يصدر قرارا ملكيا بقتل داود وإبادة مدينة الكهنة نوب لتعاونهم على إخفاء داود[2] .

لكن من بعد شاؤل أصبحت السلطة الدينية الكهنوتية تحت لواء سلطة الملك وتابعة له ،إذ كان لقيام المركزية الدينية ببناء الهيكل ووضع التابوت به ،ووجود معبد واحد ومجموعة واحدة من الكهنة دورا كبيرا في إضعاف سلطة الكاهن ،حيث تحولت الى إدارة من إدارات الدولة تخضع لقرارات وأوامر الملك الذي أصبح هو كبير الكهنة ،وهو الذي يقدم شخصيا طقوس العبادة ،وتقديم الذبائح ،وهو الذي يبارك الشعب ويشيّد المعابد ،أمّا الكاهن فقد أصبح عضوا في حكومة الملك ،وهو من يقوم بتنصيبه أو عزله[3].

في هذه المرحلة تطور العمل الكهنوتي وازداد الاعتناء به ،حيث قام كل من داود وسليمان بتنظيم مهمّة الكهنة تنظيما دقيقا ،فداود قام بتعيين 38000 من اللاويين تم تقسيمهم الى أربعة وعشرين فرقة تعمل بالتناوب ،حيث تقوم كل فرقة بخدمة الهيكل أسبوعا واحدا كل ستة أشهر ،من بين هذه الفرق من اختص بالشؤون الأمنية كحراسة الأبواب ،ومنهم من اختص بالشئون المالية ،فكانوا أمناء على الخزائن أين تحفظ التبرعات والعطايا السخية التي يقدمها رؤساء إسرائيل وآخرون ،كما أنّه لأول مرة أدخل داود وسليمان الموسيقى في الطقوس الدينية ،حيث أقيمت من بين هذه الفرق نقابات خاصة

[1]– أنظر : السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 39

[2]– صموئيل الأول 22 : 17 – 22 ،أنظر : محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص،107 – 108

[3]–أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 206، فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص173– 174،شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 134 ،ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 199

بالموسيقيين والمغنيين والعازفين على الآلات[1] .

ج – تدشين الهيكل :

بعد الانتهاء من بناء الهيكل في الشهر الثامن من السنة الحادية عشر ،أقام سليمان حفلات خاصة لتدشين الهيكل خلال الأسبوع السابق لعيد المظال استمرت أسبوعين شارك فيها شعب إسرائيل كلّه بواسطة ممثلين من القادة والرؤساء لجميع الفئات من حماة الى حدود مصر ،وقد ترأس هذه الاحتفالات ،فكان بذلك يشغل وظيفة خادم الله ممثلا أمّة شعب الله المختار ،وكانت هذه العلاقة مألوفة لدى النبي والكاهن والعلماني والملك أيضا ،كذلك رافق عملية التدشين أن سليمان قدّم الصلاة ،وألقى خطاب التدشين ،وأشرف على اصعاد المحرقات فنزلت نار من السماء أكلت الذبائح من على المذبح ،ليصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذي تقدم عنده القرابين بعد أن كانت تقدم في هياكل محلّية ،أو هياكل ساذجة فوق التلال ،وبهذا نقل سليمان العبادة من على المرتفعات الى داخل المعبد، وحقق ما عجز داود عن فعله[2].

بعد عملية التدشين وضع سليمان نظاما خاصا بهذا الهيكل الذي أصبح عجيبة من عجائب الدنيا في مبناه من حيث شكله وهندسته ،وفي معناه من حيث هدفه وجوهر رسالته كبيت الله للصلاة ؛إذ أصبحت تأدية الطقوس خارجه باطلة وكأنّها عبادة وثنية ،والدخول إليه لم يكن مباح للجميع ،وإنّما كان مقصورا على الكهنة ،وأما قدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلّا مرة في العام ،ولا يدخله إلّا كبار الكهنة[3] .

كما يُعتبر تدشين الهيكل أهم حدث ديني في تاريخ بني إسرائيل منذ أن أقيمت خيمة الاجتماع في أرض سيناء ،إذ يُعبّر عن التطور الحضاري في أماكن العبادة ،وعن التغيير في نمط الحياة ،فكان بناءه في الأساس يرمز الى الانتقال من طور البداوة الى طور المدنية ،ومن النّظام القبلي الى النّظام الملكي.

حديث القرآن الكريم عن النّظام الديني في هذا العهد ،هو حديث عن نظام العبادة والدعوة إلى دين الله ،والجهاد في سبيل الله لنشر رسالة الإسلام ،وهي مهمة جميع الأنبياء والرسل .فقد أشار القرآن الكريم إلى دور طالوت في قيادة بني إسرائيل ودعوتهم إلى الله ،وأنّ الله أتاه العلم ،وسخّر له التابوت الذي فيه وصايا إلهية ،فكان شعارا لهم ودليل على صدق

[1]– سفر أخبار الأيام الأول 26 : 20 ،أنظر :التفسير التطبيقي ،مرجع سابق ،ص 896 ،أبو المحاسن عصفور ، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1408 هـ ،1987 م ،ص 170

[2]– سفر الملوك الأول 6 : 38 ،سفر أخبار الأيام الثاني 6 : 12 – 42 ، 7 :1 – 10 ،أنظر :فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص224 ، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص198- 199

[3]– متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص99، شلبي ،مرجع سابق ،ص 201 ،التفسير التطبيقي ،مرجع سابق ،ص 925

تمسّكهم بأوامر الله التي يحفظونها داخل التابوت[1] ،قال تعالى:﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾[2]،﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨ ﴾[3] .

كما بيّن القرآن الكريم أنّ داود عليه السلام إلى جانب بلوغه العظمة في الحكم والسياسة والقضاء ،حاز مقام العبودية لله ،فقد أشار إلى انشغاله بالعبادة داخل المحراب ،قال تعالى :﴿ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ ﴾[4] ،ووصفه بأنّه كان أوّابا بكّاء من خشية الله ،قال تعالى :﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠ ﴾[5].وأنّه عليه السلام كان حربا على الكفر مصححا لعقيدة بني إسرائيل لما ارتكبوه من معاصي،فخالفوا أوامر الله وتجاوزوا حدوده[6] ،قال تعالى:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾[7].

وقد استخدم داود عليه السلام في سبيل تبليغ دعوته ونشر دينه كلّ الطاقات المادية والمعنوية التي سخّرها الله له ،فالله تعالى وهبه صوتا كصوت المزمار ،فكان كلّما تَغنّى بآيات الزبور سبّحت معه الجبال ،وحُشرت له الطير ،وعكفت الجن والإنس على تلاوته ،يقول تعالى :﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ ﴾[8].

---

[1]- محمد بسام رشدي الزين ،مرجع سابق ،ص 272

[2]- سورة البقرة : 247

[3]- سورة البقرة : 248

[4]- سورة ص : 21 – 22

[5]- سورة ص : 30

[6]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 10 ،ص 495

[7]- سورة المائدة : 78

[8]- سورة ص : 18 – 19

وقوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[1] .

كذلك سليمان عليه السلام ،فكما دلّت عليه نصوص القرآن الكريم أنّه ورث داود عليه السلام ،وأن الله اصطفاه للنبوة وأوحى إليه كما أوحى إلى الأنبياء من قبله ،وآتاه الله من كل شيء ؛فآتاه العلم والحكمة والهداية والفهم ،وعلّمه منطق الطير والحيوان ،وآتاه القدرة على تسخير الجن والإنس ،وتسخير الظواهر الكونية ،استمر في تبليغ رسالة الله ،وإقامة شرعه وعدله في الأرض ،يبدو ذلك واضحا في دعوته ملكة سبأ وأمره إيّاها وقومها للدخول في الإسلام ،وقد تمكّن من ذلك بعد أن رد الهدية ،وحذّر الملكة وقومها من عواقب الشرك والعلّو والغلّو ،جاء في قوله تعالى :﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].وقوله تعالى :﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3] .[3]

وقد استخدم سليمان عليه السلام في سبيل تحقيق غاياته الدعوية كل الطاقات التي منحها الله له ،فكانت وسيلة للدعوة إلى الله ،وإذعان الآخرين له ،وإخضاعهم لدينه كما فعل مع الملكة ،حيث استطاع بما حباه الله من علم أن يحطّم في نفسها حصون المقاومة وتعلن إسلامها ،فقد رأت قوة سليمان عليه السلام العلمية وانبهرت بها منذ أن ألقى إليها بالكتاب إلى إحضاره عرشها وتنكيره لها ،ورؤيتها الصرح الممرد ،وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة النمل[4].

ممّا تقدم ذكره في هذا الموضوع هو أن القرآن الكريم اتفق مع العهد القديم في فيما يخص الاهتمام بالجانب الديني مع الاختلاف في الأساس الذي قام عليه ،وفي الوسيلة والغاية .

كذلك اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم فيما يمثله التابوت من قيمة روحية لدى بني إسرائيل.

3 – الشؤون الاقتصادية والاجتماعية :

نمت المملكة في عهد داود وسليمان نموا سريعا بفضل السياسة الاقتصادية القائمة على استغلال الثروات ؛الحديد والنحاس والذهب ،المحاصيل الزراعية ،التجارة الداخلية ،أمّا السياسة المتبعة في ذلك فهي نظام التدبير أو الاقتصاد المركزي

[1]– سورة سبأ : 10

[2]– سورة النمل : 31

[3]– سورة النمل : 44

[4]– سورة النمل : 37 – 44

،حيث اكتسبت المملكة في عهد سليمان قوّتها الاقتصادية باعتماد هذه الموارد الطبيعية ،لأنّه كان يرى بأن العامل الاقتصادي هو ركيزة القوة السياسية .

أ- الزراعة :ساهمت فترة السلم الطويلة في عهد سليمان في تحسين وسائل الإنتاج ،فظهرت المحاريث ذات النصال الحديدية ،وزادت المساحات المستصلحة ممّا أوجد فائضا في الإنتاج الزراعي تم تصديره للدول المجاورة[1].

ب- التجارة : تنوعت بين التجارة البرية والبحرية .

1- **التجارة البرية** :توسعت مند أن فتح داود آدوم وجعلها تحت حكمه ،هذه الأخيرة سهلت من السيطرة على طريق التجارة العظيم بين سوريا والجزيرة العربية ،وكانت تعتمد على تجارة الخيول والعربات الحربية ،وقد برع سليمان في ذلك وإليه يُعزى تأسيس تجارة الخيول ،فكان يشتريها من كيليكية من شمال أسيا الصغرى حيث تربى أحسن الجياد ،ثم يبيعها لملوك الحثيين وملوك آرام في دمشق ،واهتمام سليمان بتجارة الخيول وتربيتها تؤكده الإسطبلات الملكية الكبيرة التي كشفت في مجدو[2].

وقد أشار العهد القديم الى اهتمام سليمان بتجارة الخيول ومن ذلك :" [٢٨]وَكَانَ مَخْرَجُ الْخَيْلِ الَّتِي لِسُلَيْمَانَ مِنْ مِصْرَ. وَجَمَاعَةُ تُجَّارِ الْمَلِكِ أَخَذُوا جَلِيبَةً بِثَمَنٍ.[٢٩]وَكَانَتِ الْمَرْكَبَةُ تَصْعَدُ وَتَخْرُجُ مِنْ مِصْرَ بِسِتِّ مِئَةِ شَاقِلِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَالْفَرَسُ بِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ. وَهكَذَا لِجَمِيعِ مُلُوكِ الْحِثِّيِّينَ وَمُلُوكِ أَرَامَ كَانُوا يُخْرِجُونَ عَنْ يَدِهِمْ."[3].

2 - **التجارة البحرية** :بيّن العهد القديم اهتمام سليمان بالتجارة البحرية ،فكان أوّل من اتخذ سفنا تجارية ،حيث بنى بمساعدة الفينيقيين أسطولا بحريا كبيرا على البحر الأبيض ؛وهو أسطول ترشيش مع أسطول حيرام تحت إدارة ضباط من صور ،وآخر للبحر الأحمر قاعدته عصيون جابر في خليج العقبة ،فكانت الحملات البحرية تبحر الى اليمن والصومال (أوفير)، وسبأ (عدن)، وأثيوبيا مرة كل ثلاث سنوات لاستحضار الذهب والفضة والنحاس والبخور والعاج والقرود والطواويس ،وحول ساحل الجزيرة العربية وإفريقيا الشرقية [4].

---

[1]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 218

[2]- متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص92 ،أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص121 ،مراد كامل،الكتب التاريخية في العهد القديم ،مرجع سابق ،ص98

[3]- سفر الملوك الأول 10 :28 - 29

[4]- سفر الملوك الأول 9 : 26 – 28 ،سفر أخبار الأيام الثاني 9 :21 ،أنظر :فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 207، أسعد مفرح ،ولجنة من الباحثين ،موسوعة عالم السياسة ، نوبليس ،بيروت ،2006م ،ج7 ،ص27 ، ألن ميلارد ،المرشد إلى الكتاب المقدس ،ص 258

لكن سياسة سليمان البحرية لم تعمر طويلا فسرعان ما توقفت بعد أن ظل يجني من ورائها أرباحا طائلة ،وذلك بسبب صعوبة الملاحة البحرية ،فكثيرا ما كانت الأعاصير تحطّم هذه السفن فتغرق في البحر[1] .

ج – الصناعة : إن عهد شاول لم يكن عهد صناعة ولم تكن فيه أسلحة حديدية ،لأنّ الفلسطينيين كانوا حريصين على احتكار صناعة الحديد ،فلم يحصل غير الفلسطينيين على معرفة صهر الحديد المعقدة في هذه الفترة ،وبسبب تفوقهم في ذلك كانوا يضطرون بني إسرائيل الذين يريدون تحديد آلاتهم الزراعية وأدواتهم القاطعة أن يذهبوا الى حدادين فلسطينيين[2] .

أمّا داود فقد أولى اهتماما كبيرا لمجال الصناعة بعد أن أضعف سلطة الفلسطينيين وقضى على احتكارهم للحديد ، حيث عمد الى استغلال المواد الأولية بعد أن استولى على الحديد الموجود في كل من أدوم ولبنان ،وعلى كل النحاس الذي كان بحوزة مملكة هدد عزر ،والذي كانت تنتجه مناجم النحاس في شمال سوريا في كل من بلدة بيروثاي ،وطبحة ،وخون الواقعة بين لبنان وشمال حمص ،وبتوفر الحديد والنحاس في وادي عربة ، أعدّ داود مراكز لصهر الحديد والنحاس الخام وتنقيتها ،وإنتاج القوالب اللّازمة للأغراض الصناعية .وقد اهتم داود أيضا بصناعة الأسلحة منذ الفترة التي كان فيها في حبرون ،حيث زوّدته بالأساليب والصيغ المستخدمة لدى الفلسطينيين في إنتاج الأسلحة[3] .

وفي عهد سليمان تطورت الصناعة بتطور العمران ،فأهتم بتطوير صناعة المعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس ، الى جانب اهتمامه بصناعة الحجارة ،وصناعة السفن ،فاستغل أدوم وكل المنطقة الواقعة في مملكته بين البحر الميّت وخليج العقبة في استخراج النحاس والحديد ،واستغل جزيرة العرب في استخراج الذهب وحجارة أوفير الكريمة ،ثم جعل من الميناء مركزا للتعدين وصهر المعادن[4].

إذا كانت حياة البداوة قد فرضت نظاما حياتيا إن لم يكن ديمقراطيا بالمعنى الصحيح قوامه المساواة بين الشعب وذلك بفضل اشتراكية الأموال والأملاك فإن الحياة الحضرية أزالته ،حيث أفضى الاقتصاد التجاري الذي شجعته الملكية الى

[1]– شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 530

[2]– فليب حتى ،المرجع السابق ،ص 198

[3]– سفر صموئيل الثاني 8 : 8 ،فليب حتى،المرجع نفسه ،ص 199 ، متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص82 ، أ.س.ميغوليفسكي ،أسرارالآلهة والأديان ،ص361 ، صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص178

[4]– فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 207 – 208 ،ول ديورانت ،قصة الحضارة ،ج 2 ،ص 437

التفاوت الاجتماعي فهاج في النفوس الحنين الى الحياة البسيطة .هذه السياسة الجديدة التي كانت غريبة عن روح القضاة وعن زعاماتهم التقليدية ،أدت الى ازدياد حدة الصراع مع السلطة الدينية الرافضة لهذه السياسة[1] .

القرآن الكريم بيّن أن فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام عاش فيها بنو إسرائيل في ازدهار اقتصادي وتقدم صناعي ،فقد كانت الصناعات فيها متقدمة متطورة بفضل اكتشاف معادن الحديد والنحاس ،وإنشاء المصانع لصناعة الأسلحة .فقد هدى الله داود عليه السلام والخبراء الصناعيين في حكمه الى طريقة صنع الأسلحة والأدوات الحديدية الضرورية للجنود ،فألان الله له الحديد ليستخدمه في الصناعة لبناء المملكة ،وعلّمه صناعة الأسلحة وإتقانها ،فكان يصنع دروعا واسعة طويلة محكمة النسج لا تنفذ منها السهام لغلطتها ولا تثقل حاملها ،وتستر المقاتل وتقيه ضرب السيف[2] ، قال تعالى :﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3]،وقوله :﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[4] .

أمّا عهد سليمان عليه السلام فقد كان عهدا متقدما في الصناعة المدنية والعسكرية ،فبعد أن هداه الله للاستفادة من معدن النحاس ،أسّس الكثير من المصانع للصناعات الحديدية والنحاسية[5] .وقد أشار القرآن الكريم الى بعض الصناعات المتقدمة من مادة النحاس ،وأنّ سليمان عليه السلام سخّر الجن والشياطين واستفاد من قدراتهم في بناء المملكة وتقوية عمرانها ،قال تعالى :﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[6] .

خلاصة الكلام ممّا تقدّم عرضه،هو أن القرآن الكريم اتفق مع العهد القديم على أنّ عهد داود وسليمان كان عهد الازدهار الاقتصادي والتقدم الصناعي ،دون إشارة القرآن الكريم إلى ما ورد في العهد القديم من وجود اعتراض أو رفض هذه السياسية الاقتصادية .

---

[1]- اسعد مفرح ،مرجع سابق،ص32 مالمات،مرجع سابق،ص202 – 203

[2]- أحمد بهجت ،مرجع سابق ،ص 284 ،الخالدي ،مرجع سابق ،ص 99 ، أبو بكر الجزائري ،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،دار العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،ط 5، 1424 هـ ،2003 م ،ج 4 ،ص273

[3]- سورة سبأ: 10 – 11

[4]- سورة الأنبياء: 80

[5]- الخالدي ،المرجع السابق ،ص 103

[6]- سورة سبأ : 13

ثانيا : السياسة الخارجية

1 – الشؤون السياسية :

شهدت المملكة إقامة علاقات سياسية مع الملوك والأمم المجاورة من أجل تعزيز نفوذها وقوّتها في المنطقة،وقد تمثل ذلك في إقامة علاقات عمل وصداقة.

أ – العلاقة مع الملك حيرام ملك صور :شهدت المملكة قيام علاقات سياسية مع الملك حيرام ،فداود بعد أن سكن مدينة القدس أقام علاقة عمل وصداقة مع حيرام ملك صور وتبادلا الهدايا تعزيزا لهذا التعاون ،فأرسل هذا الأخير هديّة له من خشب الأرز الثمين ؛وهو خشب لبنان الشهير الأصفر اللون ،كذلك لما كان حيرام ملكا غنيّا وحاكما قويّا له علاقات واتصالات تجارية مع دول البحر الأبيض المتوسط وله أسطول تجاري ،وداود له جيش قوي فإنّه كان من المفيد جدا أن يوطّدا علاقاتهما توطيدا قويّا ،وأيضا لما كان الفينيقيون متفوقين في فن المعمار والعمل الإنشائي النفيس الذي يتطلب براعة واتقانا الى جانب توفر المواد لديهم ،فإنّه كان من الحكمة أن يعزّز داود هذه الصداقة القائمة مع حيرام في جميع المجالات[1].

وفي عهد سليمان استمرت العلاقات السياسية قائمة مع حيرام ملك صور الفينيقية ،فبعد أن سمع بأن سليمان مسحوه ملكا أرسل رسلا يهنئونه بمناسبة توليه عرش المملكة[2] .

ب – العلاقة مع أدوم :إذا كانت البدايات الأولى للملكة لم تشهد قيام علاقات بين مملكة إسرائيل ومملكة أدوم بسبب الحروب ؛خاصة التي شنها داود ضد هذه المملكة ،وعملية الإبادة التي قام بها القائد يؤآب ،إلّا أن سليمان أقام في النهاية حالة من السلم مع الملك هدد الذي ترأس مملكة أدوم بتدخل من شيشنق صهر سليمان الذي أقام معاهدة صلح بينهما والتي نصت على حصول مملكة أدوم على الحكم الذاتي ،مع إعلان الولاء لسليمان بأن لا تقف مع أعدائه ،فنتج عن ذلك أن حل السلام بين المملكتين محل الحروب والقتال ،وسادت العلاقات الطيبة بينهما[3] .

[1]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص195 ، مكسيموس ،مرجع سابق ،ص 127

[2]– السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 136

[3]– أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص145 ،محمد راشد ،ذرية ابراهيم وحكام مصر ،مرجع سابق ،ص 446

ج – العلاقة مع مصر: لم يكن لبني إسرائيل تعامل أو اتصال مع مصر منذ زمن الخروج من مصر حتى أيّام سليمان ،والسبب في ذلك هو انشغال مصر عن التدخل في شئون فلسطين ،واقتصار بني إسرائيل في علاقاتهم مع الأقاليم الرئيسية في البلاد ،فلم يكن اهتمامهم بالشعوب الأخرى إلّا قليلا جدا[1].

يقول المؤرخون :بعد أن أصبحت مملكة بني إسرائيل تشكل قوة في غرب آسيا ،وبعد أن نجح سليمان بدبلوماسيته في جعل بلاده تقع داخل دائرة القوى الكبرى ،مدّ علاقاته مع مصر وحاز على صداقة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، أو الذي قبله كما يقول لودز[2] .فأول ما فعله سليمان بعد توليه الحكم ،هو أنه عقد صلحا مع ملك مصر بسيناسيس ،وتزوج واحدة من بناته بالرغم من أنّه كان على صلة بالملك الأدومي هدد الذي تزوج من شقيقة زوجة الفرعون ،وكان خصما لسليمان في نفس الوقت[3].

د – العلاقة مع سوريا : في عهد سليمان تميّزت العلاقة مع سوريا بالعداء والتوتر السياسي والعسكري ،فانفصلت دمشق عن المملكة بقيادة روزن الذي قاد الثورة السورية ضد سليمان ،ممّا سبّب نقصا خطيرا في دخل سليمان ليس فقط في الضرائب المباشرة ،ولكن في أيضا في الإتاوات التي تفرض على تجارة السلع التي تمر عبر البلاد[4] ،جاء في سفر الملوك :"وكان خصما لإسرائيل كل أيّام سليمان..."[5] .

و – العلاقة مع ملكة سبأ : تبعا لسياسة المملكة في إقامة علاقات تعاون وصداقة مع المماليك المجاورة ،قامت ملكة سبأ بزيارة لمملكة سليمان من أجل أن ترى ما سمعته عن سليمان ومملكته وحكمته كما أشارت إلى ذلك نصوص العهد القديم[6] ،هذه الزيارة لم تكن مثل الزيارات المألوفة منذ بدأ التاريخ التي يتبادلها الملوك والملكات بين بعضهم البعض ،فقد كانت تلك تُصبغ بالصبغة السياسية وتنتهي بأحلاف ومعاهدات سياسية أو حربية ،لكن زيارة ملكة سبأ لسليمان طُبعت بالطابع الروحي[7] .

---

[1]– أحمد عيسى الأحمد ،المرجع نفسه ،ص 134

[2]– المرجع نفسه ،ص 143

[3]– منيس عبد النور ،النبي داود ،مرجع سابق ،ص70 ، متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص90 .

[4]– المرجع السابق ،ص146

[5]– سفر الملوك الأول 25 :11

[6]– سفر أخبار الأيام الثاني 9 : 1 ،سفر الملوك الأول 10 : 1 ،10 : 4

[7]– منيس عبد النور ،المرجع السابق ،ص 81

أثناء هذه الزيارة أطّلعت الملكة على منجزات سليمان ،ولما رأت كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه ،وطعام مائدته ،ومجلس رجاله وموقف خدامه وملابسهم ،ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب ، قالت للملك :" [٦]صَحِيحًا كَانَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ.[٧]وَلَمْ أُصَدِّقِ الأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، فَهُوَذَا النِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ. زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلاَحًا عَلَى الْخَبَرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ.[٨]طُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ هؤُلاَءِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِمًا السَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ.[٩]لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا"."[1].

وخلال هذه الزيارة تم تبادل الهدايا ،فقدمت ملكة سبأ للملك سليمان مئة وعشرين وزنة ذهب ،وأطيابا كثيرة جدا وأحجارا كريمة كما أشار إلى ذلك العهد القديم[2] .

القرآن الكريم لم يشر إلى كل هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم ،إنّما أشار فقط إلى زيارة بلقيس مملكة سليمان عليه السلام ،حيث أراها سليمان في الصرح أنّها أمام مدنية أعرق وأعظم من مدنيّتها ،يقول ابن كثير :قال لها ادخلي الصرح ليريها ملكا هو أعزّ من ملكها ،وسلطانا هو أعظم من سلطانها ،فلمّا رأته حسبته لجّة وكشفت عن ساقيها ،فقيل لها إنّه صرح ممرد من قوارير ،فلمّا وقفت على سليمان عليه السلام دعاها إلى عبادة الله وحده ،وعاتبها على عبادتها الشمس من دون الله[3] .جاء في قوله تعالى :﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ ﴾[4] .

كما بيّن القرآن الكريم أنّ سليمان عليه السلام رفض هدية الملكة حتى لا يتعرض لقضية الاحتواء تحت غطاء الهديّة ،لأنّ القضية تتعلق بالهوية واثبات الذات[5] ،قال تعالى :﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ﴾[6] .

---

[1]- سفر الملوك الأول 10 : 6 - 9

[2]- سفر الملوك الأول 10 : 10

[3]- ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج 6 ،ص 195

[4]- سورة النمل : 44

[5]- عمار عزون ،ورث سليمان داود عليهما السلام ،مطبعة زاعياش ،الجزائر ،ط 1 ،1420 هـ ،2000 م ،ص 122

[6]- سورة النمل: 35 – 36

ممّا تقدم ذكره نجد أن القرآن الكريم أتفق مع العهد القديم في أن عهد الملوك عرف قيام علاقات مع المماليك الأخرى من خلال الإشارة إلى زيارة ملكة سبأ مملكة سليمان عليه السلام .

- التأكيد على عظمة ملك سليمان عليه السلام.
- الاختلاف في قضيّة الهدية .

2 - الشؤون العسكرية :

تميّزت هذه الفترة بإقامة علاقات في المجال العسكري بين الملوك وبين الدول والمماليك المجاورة ،فداود أقام علاقات ودّ وصداقة مع الفلسطينيين من أجل تعزيز قوّته العسكرية بعد أن كان لاجئا سياسيا في عهد خصمه شاول الذي كان يتخوف منه على سلطانه ،فلمّا هرب الى أرض الفلسطينيين بمعية ستمائة رجل ،اقتطع له الملك الفلسطيني أراض هو وأتباعه ،وأقام هناك ستة عشر شهرا ،وفي هذه المدة شرع في غزو جهات عديدة من أجل أن يكتسب الطاقة المادية التي تؤهله لأخذ السلطة ،ولم يفتأ يطلب المساعدة والدعم العسكري من الفلسطينيين للقضاء على المعارضة السياسية داخل البلاد[1].

أمّا سليمان فقد لجأ الى طلب المساعدة والدعم العسكري من شيشنق فرعون مصر لإخضاع المدن الفلسطينية الساحلية التي تعذر عليه فتحها كما أشارت نصوص العهد القديم الى ذلك[2].

القرآن الكريم لم يشر الى ما أورده العهد القديم بشأن العلاقات العسكرية التي أقامها الملوك مع المماليك والدول المجاورة .

3 - الشؤون الاقتصادية :

بلغت الحياة التجارية في هذه المرحلة درجة عالية من التقدم ،فامتاز عهد داود وسليمان بتقدم تجاري عظيم كفلته السيطرة على الطرق التجارية في سوريا وفلسطين وعلى الطريق المؤدي الى البحر الأحمر ،وذلك بإقامة شراكة دولية في مجال التجارة البرية والبحرية وتوسيع المشاريع الاقتصادية بالاعتماد على سياسة التبادلات التجارية ،وإقامة عقود شراكة مع المماليك والدول المجاورة سواء كانت تعتمد على الطرق البرية أو البحرية ،ممّا جعل المملكة تفتح بابا واسعا أمام سياسة التصدير والاستيراد ؛تصدير السلع والمحاصيل واستيراد المعادن والأخشاب ،وهو ما سمح بفرض السيادة والنفوذ السياسي في المنطقة واحتواء الآخرين.

[1]- سفر صموئيل الأول 27 : 1

[2]- سفر الملوك الأول11 : 12 ،أنظر :أحمد سوسة ،العرب واليهود في التاريخ ،مرجع سابق ،ص297

أ- التبادل التجاري مع الملك حيرام ملك صور :كان ذلك من خلال العلاقات التجارية التي أقامها داود مع الملك حيرام الملك الفينيقي لمدينة صور ،فلما كانت صور على شاطئ البحر كانت تحتاج الى القمح والزيت وغيره من غلاّت الأرض ،لذلك كان حيرام بحاجة الى داود ،ولما كانت المملكة في حاجة الى واردات البحر والمصنوعات أحتاج داود هو الأخر الى هذه العلاقة التجارية ،فأدى ذلك الى تدفق التجارة الفينيقية الى البحر الأحمر عبر فلسطين بعد أن توقفت عن المرور عبر مصر ،وأصبحت سفن حيرام تمخر البحر الأحمر وتبنى على شواطئه[1] .

أمّا سليمان فقد حافظ على هذه التركة وواصل تنفيذ الاتفاقات التي تمت بين داود، وحيرام ،فأقام صفقة تجارية ضخمة تمثلت في استيراد المواد الأولية المخصصة لبناء الهيكل ،ونظرا لارتفاع مستوى الأشغال وضخامتها ساءت الحالة المالية فأضطر سليمان الى عقد صفقة تجارية لتغطية العجز المالي تمثلت في بيع بعض المدن من المملكة ،تقول التوراة :" ١١وَأَعْطَى حِينَئِذٍ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ حِيرَامَ عِشْرِينَ مَدِينَةً فِي أَرْضِ الْجَلِيلِ...١٤وَأَرْسَلَ حِيرَامُ لِلْمَلِكِ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ"[2]

ب – التبادل التجاري مع الجزيرة العربية : على خلاف ملكة سبأ التي ورد ذكرها بصفة خاصة كما سبق وصف ذلك ،فإن سليمان أقام علاقات تجارية واقتصادية مع تجار وملوك الجزيرة العربية ،فهناك إشارات واضحة في العهد القديم تشير الى ذلك منها : "١٤وَكَانَ وَزْنُ الذَّهَبِ الَّذِي أَتَى سُلَيْمَانَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ سِتَّ مِئَةٍ وَسِتًّا وَسِتِّينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ١٥مَا عَدَا الَّذِي مِنْ عِنْدِ التُّجَّارِ وَتِجَارَةِ التُّجَّارِ وَجَمِيعِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَوُلاَةِ الأَرْضِ"[3]، "...١٤فَضْلاً عَنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ التُّجَّارُ وَالْمُسْتَبْضِعُونَ. وَكُلُّ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَوُلاَةُ الأَرْضِ كَانُوا يَأْتُونَ بِذَهَبٍ وَفِضَّةٍ إِلَى سُلَيْمَانَ."[4] .

يتبّن من هذه النصوص أن ذكر كلمة جميع ملوك العرب يدل على أن علاقة سليمان التجارية لم تكن مع ملك واحد ،وإنّما مع كثير من الملوك العرب ،هذه العلاقات التجارية والاقتصادية شملت الى جانب الذهب والفضة تجارة الطيوب التي بدأت في زمن سليمان تنمو وتزدهر بين الأقطار الإفريقية وجنوب الجزيرة العربية من جهة،وبين سوريا وبلدان البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى ،ولما كان سليمان يسيطر على طريق القوافل التجارية ،فإنّه كان يسيطر بشكل فعّال على تجارة الطيوب التي كانت تلقى رواجا كبيرا في الأقطار المتحضرة ،ولما كان تجار سبأ يذهبون في تعاملهم التجاري الى

[1]- أحمد شلبي ، مرجع سابق ،ص55 – 56

[2]- سفر الملوك الأول 9 : 11 - 14، 5 :1 - 12

[3]- سفر الملوك الأول 10 : 14 – 15

[4]-سفر أخبار الأيام الثاني 9 : 14

شمالي الجزيرة العربية المرتبط بأرض سليمان جعلته يرتبط بعلاقات تجارية مع كافة التجار العرب الأمر الذي كان يدر عليه أرباحا كبيرة[1].

القرآن الكريم أشار بوضوح إلى أن عهد سليمان عرف تقدما اقتصاديا لم يعرف في تاريخ بني اسرائيل ،فكانت فترة حكمه فترة رخاء ورفاهية تنعم فيها بنو إسرائيل بعيشهم ،وجنوا خصب زروعهم وثمارهم ،وأكلوا من فوق أيديهم ومن تحت أرجلهم ،وهذا الخير والرخاء والخصب ثمرة للحكم الإيماني الرباني على يد سليمان عليه السلام فلّما حكمهم بشرع الله أفاض الله عليهم من هذه الخيرات،فكان في زمانه العظمة بالإطعام والإنعام[2] ،قال تعالى :﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] .

[1]- أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص147 - 148

[2]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج25 ،ص 250

[3]- سورة ص : 36

الفصل الثاني :

التنظيم الإداري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:التنظيم الإداري المدني

لقد أدَّت التحولات الإدارية والاجتماعية والطبقية إلى ضعف سلطة شيوخ القبائل في المدن وخارجها،بخلق طبقة من الموظفين الملكيين الذين يعتمدون على الملك ويدينون له بالولاء خارج نطاق شبكة الولاء القَبَلية ،وكانت هذه الطبقة تضم الوزراء والمقاتلين والمديرين والعمال في الضياع الملكية وطبقة الكهنة واللاويين.

في عهد شاؤل كان للمملكة تنظيم إداري سارت فيه الأمور ببساطة في بادئ الأمر ،لأن فترة حكمه تعد مرحلة انتقالية من الناحية الاجتماعية والسياسية ،لذلك تميّز بلاط حكمه بالبساطة بعكس بلاط حكام كنعان ،وهو ما يعني أن طابع عصر القضاة لا يزال يهيمن على النّظام الملكي في بداية تكوينه[1] .

وفي عهد داود أصبحت الإجراءات الإدارية والتنظيمية تتعقد بتضاعف المسؤوليات واتساع الإقليم الإداري للمملكة ،فكان الملك داود يعتمد في حكم البلاد على جهاز واسع من الموظفين داخل البلاط كانوا يلقبون جميعهم بلقب سيريم[2].

ويُعد داود مؤسس الإدارة الحكومية في المملكة ،حيث استحدث وظائف إدارية لم تعرف من قبل في تاريخ بني إسرائيل حتى أصبح البلاط الملكي بمثابة مركز إداري يظم طبقة جديدة من الموظفين ،وقد كان للصدقات والمعاهدات التي أقامها مع المماليك والدول المجاورة أثر بارز في شكل الإدارة المدنية ،حيث استعان في إقامتها بنماذج الحكم المتعارف عليه في مدن كنعان القديمة والبلاد المجاورة كما دلت عليه الأبحاث ،فاستفاد من مدنيتها ونظمها وتدريب جيوشها وعمارتها وفنونها وإدارتها ،ونظّم الحكومة التي تولى فيها العمل قواد وموظفين تحت رئاسته المباشرة دون رئيس آخر[3] .

أمّا سليمان فبعد تسوية المشاكل السياسية الأساسية في الداخل والخارج تفرغ لتنظيم إدارة المملكة ،حيث أحدث تغييرا جوهريا في كل حياة المملكة ،وأعاد تنظيمها على نمط المماليك المطلقة السلطان في الشرق الأدنى القديم ،فأختلف بذلك شديد الاختلاف عن أبيه[4] .

هذا الاختلاف يكمن في أن سليمان أنشأ شبكة من المؤسسات الإدارية شكّلت نوعا من الوزارة الملكية أتاحت للسلطة العليا أن تدير الدولة بفعالية ومرونة ،هذا التنظيم الإداري الجديد جعل سليمان يتقدم عن داود تقدما طفر بالشعب الإسرائيلي طفرة كبيرة وضعته في مستوى حضارات الدول القديمة يساعده دائما في ذلك الاستقرار السياسي

[1]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 201

[2] - فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 175 .

[3]- المرجع السابق ،ص210

[4]- موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 143 ، مراد كامل ، الكتب التاريخية ،مرجع سابق ،ص98

الذي كان يعم المنطقة كنتيجة للقوة التي ترك داود بني اسرائيل عليها .هذه المهمة عادت عليه بلقب الحكيم ؛أي الرجل السياسي الماهر والإداري المحنّك[1] .

القرآن الكريم لم يفصّل في هذه القضايا التي ذكرها العهد القديم ،إنمّا من خلال الإشارة إلى هذه الفترة قرر أن مُلك سليمان عليه السلام كان من القوة والعظمة ما جعله مضرب المثل ،حيث كانت تخضع له شعوب المنطقة كلها بما فيها اليمن بعد إسلامها وتسخيرها لخدمة البلاط الملكي ،هذه القوة التي كان عليها سليمان عليه السلام كان من مظاهرها التنظيم الإداري الدقيق ،فقد كان صاحب فن إداري ،يظهر ذلك من خلال الرسالة الإدارية التي بعث بها إلى ملكة سبأ ،حيث تفاجأت الملكة واعترفت بتفوق إدارة سليمان عليه السلام وقالت عن الرسالة كتاب كريم ،أي أنّه كتاب بأحسن كتابة وبفنيّات الإدارة تضمن من وإلى ثم ختم الكتاب[2]. وهو ما بيّنه قوله تعالى :﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3] .

أولا :الجهاز الإداري

1 – الوظائف الإدارية :

الجهاز الإداري للمملكة أصبح يحتوى على مجموعة كبيرة من الموظفين ،أورد سفر أخبار الأيام الأول قائمة بأسمائهم[4] ،يقومون بمجموعة من الوظائف كل حسب اختصاصه ،هذه الوظائف على النحو التالي :

أ– وظائف دينية كهنوتية :أختص بها رجال الدّين الممثلون في رئيس الكهنة أو الكاهن الأعظم ،كهنة وأنبياء مساعدون لتقديم الذبائح ،ومساعدون لطقوس التطهير .

ب– وظائف إدارية تنفيذية : أختص بها قضاة وعرفاء ،ونظار وهم الوزراء والأشراف ،والمشرفون على الأشغال العامة وعلى الجزية ،ورئيس السخرة ،وإداريون عموميون وهم مساعد الملك ،وصاحب الملك،ومستشاريه .

ج – وظائف أمنية :شغلها الحرس الملكي لحراسة أبواب القصر والهيكل والمخازن ،إضافة إلى حارس خزانة الملابس ؛وهم حرس شرف مختارون من أعلى الرتب والشخصيات ، كانوا بمثابة لجنة المشورة لأمور الحرب .

د – وظائف فردية :كانت من اختصاص الجلادين وهؤلاء كانوا مسئولين عن توقيع العقوبات ،إضافة إلى :

---

[1]– عشراتي ،مرجع سابق ،ص57 ، لومير ،مرجع سابق ،ص28

[2]– أنظر :علي البار ،مرجع سابق ،ص 89 ، عمار عزون ،ورث سليمان داود ،ص 123

[3]– سورة النمل : 29 – 31

[4]– سفر أخبار الأيام الأول 23 :4 – 5 ، 27 – 31 ، 24 :1 – 6 ، 25 :2 – 7 ، 26: 26 – 31

– رئيس الجيش أو رئيس القواد :وهو المسئول عن الشئون الحربية والدفاعية .

– الجابي :وهو الذي يعمل على تجنيد الرجال لخدمة الملك ،وقد ظهرت هذه الوظيفة في عهد سليمان ،وكان يربعام هو المسئول عن ذلك ،والساقي ،ومدير البيت ،والسراري والمحضيات .

– كاتب الدولة (السكرتير) :كان مسئولا عن الشئون الأهلية ،العلاقات الخارجية وممارسة النشاط الدبلوماسي ،فكان يتولّى جميع المراسلات الداخلية بين الملك وموظفيه ،والمراسلات الخارجية بين الملك والأمراء .

– المسجل (مؤرخ الأحداث) :كان مسئولا عن السجلاّت القومية وحوليات المملكة (الأرشيف) ،وعن العلاقات العامة في البلاط الملكي ،فبفضل هذا المسجل تم في عهد سليمان تدوين تاريخ داود وأعماله وبطولاته ،وكذلك أعمال سليمان من عظمة ،حكمة وأمثال ،إضافة الى تدوين تقاليد الآباء البطاركة وأعمالهم ،أعمال يوسف في مصر ،أعمال موسى في البرية وأعمال يهوه مع شعبه ووعوده التي كانت مصدر إلهام وقوة الشعب مدى الأجيال .

– الوكلاء الإثنا عشر :كانوا محافظين للولايات التي حددها سليمان،وهم أساسا جباة ضرائب ومسئولين عن تزويد قصور الملك بالطعام ،يعملون بالتناوب شهرا لكل واحد على مدار السنة ،إضافة الى ذلك كانوا مسؤولين عن توريد رجال للعمل أو للجيش حسب الحاجة ،وعن مشروعات البناء وإنشاء الطرق في مناطق إقامتهم ،هؤلاء الوكلاء جهّزهم سليمان بالجند والمركبات ،وزوّج المقرّبين إليه من بناته حتى يضمن ولاءهم له[1] .

هـ– وظائف مالية :أختص بها أمناء على خزائن الملك ،وخزائن الأقداس ،والمخازن .

و – وظائف فنيّة : أختص بها موسيقيون ومرنّمون .

ز– وظائف حرفية :أختص بها حرفيون ؛وهم خبازون ،ومراقبون للمقاييس والموازين وأمناء للمحافظة على قدس الأقداس .

أمّا القرآن الكريم ففي معرض حديثه عن الملك سليمان عليه السلام وقصته مع ملكة سبأ ،بيّن أن الجهاز الإداري للملكة كان يشمل عمال وموظفين من رؤساء القوم والوزراء وقادة الجند والعلماء ،ومن الجن والطير ،كلّهم يقومون بخدمة سليمان عليه السلام وتلبية حاجياته ،فيقومون بأعمال خارقة ،ويأتون بأخبار غاية في الأهمية ،وسرعة قويّة في التنفيذ تماشيا مع خصوصية وعظمة ملكه ومملكته[2] .

[1]– سفر الملوك الأول 4 :7

[2]– بهجت ،مرجع سابق ،ص 302

من هؤلاء العمال والموظفين الذين أشار القرآن الكريم إليهم ،والى وظيفتهم ما جاء في قوله تعالى :﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] . هذا العفريت من الجن في حاشية سليمان عليه السلام كان يريد إحضار عرش الملكة من بلاد اليمن إلى فلسطين ،وقوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[2]، ذكر ابن عباس أنّه كاتب سليمان عليه السلام ،وهو الذي أحضر عرش الملكة[3].

من الموظفين كذلك كان الهدهد ،وكانت وظيفته البحث عن أماكن تواجد الماء في القفار بما أودع الله فيه من قوة النظر ،حيث ينظر الى تخوم الأرض فيدل المختصين الى مكان وجود الماء كما تفعل الأقمار الصناعية اليوم[4] .كما كان يُطلع سليمان عليه السلام بالأخبار الجديدة التي يجهلها ،قال تعالى :﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5].

2 – التقسيم الإداري :

كانت سياسة التقسيم الإداري خطوة أخرى في تنظيم الهياكل السياسية والأجهزة الإدارية للدولة ،وجعل السلطة تتركز في يد الملك ،خاصة بعد أن أضيفت الى الدولة مناطق شاسعة جديدة بعد الاستيلاء عليها عن طريق سلسلة الحروب التي قام بها الملوك.

في بداية العهد الملكي لم يظهر نظام التقسيم الإداري ووضع الحدود بين الأسباط ،وإنّما اتبع شاؤل سياسة توزيع الأراضي للمقربين من سبط بنيامين من أسرة الملك ،إذ منحهم ملكيات من الأراضي التي تم احتلالها من الفلسطينيين أو من أراضي الجبعونيين ،وقد كان ذلك تقليدا للنظام الكنعاني[6] .

---

[1]- سورة النمل : 39

[2]- سورة النمل : 40

[3]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 6 ،ص 192

[4]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 202 ،الأغا ،مرجع سابق ،ص 203 ،علي البار ،مرجع سابق ،ص 441

[5]- سورة النمل : 22 – 24

[6]- مالمات ،مرجع سابق ،ص201

لكن في عهد داود بعد أن تضاعفت المسؤوليات داخل المملكة بسبب اتساع حدود المملكة ،عمد الى إحصاء المجتمع الاسرائيلي وتقسيمه وتوزيع أعمال الدولة ،فجعل لكل بلد حاكما ومنحه حرية الحكم في البلاد ،وكان يجتمع بهم في اجتماعات دورية للتشاور معه ولمعاونته[1].

أمّا سليمان فأعاد تنظيم الأقسام الإدارية التي أنشأها داود متبعا في ذلك سياسة أن لا تكون حدودها متفقة مع الحدود القديمة لقبائل بني إسرائيل،فقسّم البلاد الى اثني عشرة مقاطعة إدارية[2] ؛وهو التقسيم الذي ظل من العلامات البارزة في الجغرافيا السياسية لبني إسرائيل مند عهد موسى ،كل محافظة أو مقاطعة تتكون من دائرة جغرافية لها قاعدتها الإدارية ،وعلى كل مستوى من هذه المستويات الإدارية كان يعيّن موظّف إداري يمثّل الملك يعمل بصفة مستديمة تأمينا للصلة بين البلاط الملكي والإدارة في هذه المحافظات أو المقاطعات ،وهو التجديد الذي أدخله سليمان في هيكل التنظيم الإداري للمملكة[3] .

هذا التقسيم الإداري الذي استبدل فيه سليمان المقاطعات الإثنتي عشرة بالنّظام القبلي القديم تحت إشراف الوكلاء كان الهدف منه هو[4] :

– القضاء على النّظام القبلي الذي كان سائدا بين بني إسرائيل ؛لأنّه كان يرى فيه أنّه لا يحقق الانسجام بين القبائل بإلغاء الحدود القديمة لإضعاف النزعة الانفصالية بينهم ،وتحقيق الوحدة الوطنية بالقضاء على الأحقاد والضغائن ،والحدّ من فرص تنظيم المؤامرات والانقلابات السياسية داخل الدولة ،خاصة أن حجم بعض القبائل كان كبيرا لدرجة قد تجعل الملك يتخوّف من تألّبها ضده ،لا سيّما وأن عوامل كثيرة كان يمكن أن تحرك هذه القبائل وعلى وجه الخصوص القبائل الشمالية .

– تعزيز المركزية في البلاد وتركيز القوة في التاج الملكي ،وتدمير شكل حكومة المقاطعات المستقلة،أو التي لها شكل الحكم الذاتي وترغب في الابتعاد عن مركز السلطة ،لأنّ كل قبيلة كانت تأتمر بأوامر زعيمها وتقر له بالسلطة والمسؤولية في كل شيء .

[1]– منيس عبد النور ،النبي داود ،مرجع سابق ،ص52

[2]– سفر الملوك الأول4 :7 – 19

[3]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 221

[4]– ول ديورانت ،قصة الحضارة ،ج 3 ،ص 333

هذه الأقاليم الإدارية التي أنشأها سليمان أوردها سفر الملوك على النحو التالي[1] :

الإقليم الأول :جبل أفرايم وهو يشمل الأرض الواقعة بين جبل يهوذا ووادي مرج بن عامر بما فيها مدينتا شكيم والسامرة.

الإقليم الثاني :يتكون من ماقص ،تل شعلبيم ،بيت شمش ،أيلون وبيت حنان.

الإقليم الثالث : يتكون من أربوت في جبل منسّي ،منطقة سوكوه وكل أرض حافر.

الإقليم الرابع :يتكون من مرتفعات دور جنوب جبل الكرمل.

الإقليم الخامس : يتكون من تعنك ،مجدو وكل بيت شان.

الإقليم السادس : يتكون من راموت جلعاد.

الإقليم السابع : يتكون من محانيم.

الإقليم الثامن : يتكون من أرض نفتالي في منطقة الجليل.

الإقليم التاسع : يتكون من منطقتي آشر وبعلوت.

الإقليم العاشر : يتكون من أرض يساكر في منطقة الجليل السفلى.

الإقليم الحادي عشر : يتكون من أرض بنيامين بين القدس في الجنوب ،وبيت ايل في الشمال،وهي تقع الى الغرب من القسم الثاني .

الإقليم الثاني عشر :يتكون من جلعاد ،أرض سيحون وعوج ،وهي الحدود الجنوبية لمملكة إسرائيل فيما بعد .

ثانيا النظام المالي

1 – الموارد المالية :

كانت الواردات المالية العينية أو النقدية التي تأتي من عائدات التجارة ،الزراعة ،الصناعة ،الجباية والضرائب وحتى من الأموال الناتجة عن بيع العقار ،وكذلك الغنائم والأسلاب التي كان مصدرها الحروب، تصل الى الهيكل الذي أصبح الى جانب كونه مخصصا لغايات القرابين ،مقرا دائما لخزائن الملك والدولة[2] .

بعد تأسيس الخزينة المالية وبعد أن أصبحت الحكومة تأخذ الغنائم وتضعها ضمن مالية الملك اختلف الوضع عما كان عليه في السابق ،حيث أُقصي الكهنة واللاويون من الحصول على جزء من هذه الغنائم ،لأنّ النّظام المتبع في صرف هذه الموارد المالية وتوزيعها أصبح يخضع الى قرارات الملك ؛كما فعل داود الذي أعطى جزءا من الغنيمة الى شيوخ قبائل

[1]– سفر الملوك الأول 4 :7 – 19

[2]– أدين شتا ينسا لتز ،مدخل الى التلمود ،ص235

يهوذا .وبشكل عام كان الملك يصرف المال لأجل العبادة اليومية في الهيكل ،وكرواتب للموظفين ،وفي بناء اورشليم المدينة المقدسة ؛كما فعل سليمان الذي استخدم معظم موارده المالية في تقوية دعائم حكومته وتجميل عاصمته[1].

إضافة إلى تمويل المشاريع المدنية ،العسكرية والدينية ،ففي في بداية الأمر لم يكن هناك قانون محدد أو نظام يتم بموجبه تموين الجيش ،لذلك كان تموينه يتم بصور مختلفة ،فالجندي إما يحمل زاده من بيته ،أو يتحصل عليه من تبرعات المدنيين ،أو من بعض الدول المجاورة أثناء الغزو ،لكن منذ أن أصبح للجيش كيان منظم ومستقل تديره وتشرف عليه إدارة وسلطات خاصة ،ظهر نظام التموين لأول مرة وتم تحديد ميزانية مالية من خزانة الدولة تفي بكافة متطلبات هذا الجيش[2].

أمّا المصادر التي اعتمد عليه الملوك في تموين الجيش فأهمها ،العشور التي أصبحت تدفع لخزانة الملك ،الضرائب المختلفة ،غنائم الحرب ،الجزية،السخرة ،والأموال الناتجة عن بيع المعادن الثمينة[3] .

القرآن الكريم وإن لم يذكر شيئا من هذه التفاصيل ،إلّا أنّه ذكر ما كان عليه عهد داود وسليمان عليهما السلام من عظمة الملك والسلطان والجاه العظيم ،جاء في قوله :﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

فسليمان عليه السلام أعطاه الله من المال ما لم يؤته أحد غيره ،وقد أشار القرآن الى سعة الثروة المالية التي كان يملكها[5] ، قال تعالى على لسانه :﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[6] .

2 – النظام الضريبي :

كان نظام جباية الضرائب وأعمال السخرة في المملكة مشابها للنّظام الذي كان معروفا في مصر ،وتأسيس نظام الضرائب في المملكة كان لسد احتياجات الأسرة المالكة من المؤن ،وتزويد البلاط الملكي بجميع احتياجاته بصورة عامة ،وتأمين حياة البذخ والإسراف داخل القصر ،كذلك لمواجهة المصاريف الباهظة التي استلزمتها الأعمال العامة والمشاريع

[1]– ظاظا ،شريعة الحرب ، مرجع سابق ،ص223، ول ديورانت ،قصة الحضارة ،ج2 ،ص 438 ،أدين ، المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[2]– ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص111

[3]– ول ديورانت ،المرجع السابق ،ص 438

[4]– سورة النمل : 16

[5]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج 19 ،ص ص 455 – 458

[6]– سورة النمل : 36

العمرانية الضخمة التي قام بها الملوك وإعالة الجيش ومجموعة الموظفين ،هذه الضرائب كانت تُجمع في صورة محاصيل من جميع أنحاء البلاد التي يسكنها بنو اسرائيل[1] .

يُعد داود أول من استحدث هذا النظام في تاريخ بني إسرائيل ؛إذ لم يعرف من قبل في تاريخ الحكومات ،حيث جعله من الواجبات المحببة الى الشعب ،هذا النظام الضريبي كان الغرض من وراءه هو الإنفاق على الجيش لسد حاجياته ومتطلباته[2] .

ثم جاء سليمان فكان أول من فرض الضرائب على التجار وعلى جميع القوافل التجارية المارة بفلسطين ،كما فرض جزية الرؤوس على جميع رعاياه وعلى كل المدن والشعوب الخاضعة لسلطانه ،وأعاد للدولة احتكارها القديم لبعض صنوف التجارة[3] .

هذه الضريبة التي فرضها سليمان كانت تُدفع عينا في بعض الأحيان ونقدا في الأحيان الأخرى ،ثم ألغيت هذه الضرائب فترة من الزمن واستبدلت بهدايا يقدمها الشعب الى الملك[4] .

لكن الزيادة العظيمة في سعة البلاط وفخامته واتساع وظائف الدولة وتعقدها وعدد الأعمال وضخامة المشاريع العامة التي كان يحاكي فيها سليمان الدول العظمى من حوله مثل مصر وأشور ،أدى كل ذلك الى إفلاس الخزينة بسبب كثرة الديون الناتجة عن هذه المشاريع العمرانية الضخمة وارتفاع مصاريف الدولة ،فاستلزم عليه أن يواجه المتطلبات الجديدة ،لذلك اضطر الى رفع الجزية والضرائب بصورة عنيفة على الشعوب التي كانت خاضعة له ،بل تعدّاها ليشمل الإسرائيليين أنفسهم ما عدا قبيلته يهوذا التي استثناها من ذلك[5] .

ثالثا :نظام الشغل

1 – الأشغال العامة :

لقد نجم عن ضعف النّظام الطبقي القَبَلي التقليدي ظهور طبقة العمال العبرانيين الموسميين وتحوُّل العناصر المحلية الأصلية التي لم تندمج في المجتمع العبراني إلى ما يشبه العبيد أو طبقة العبيد نفسها، ولكن لابد أن نشير إلى أن العبيد لم

[1]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 221

[2]– ول ديورانت ،المرجع السابق ،ص 440

[3]– ول ديورانت ،المرجع نفسه ،ص333 ،حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص192

[4]– ظاظا ،المرجع نفسه ،ص 114

[5]– أحمد سوسة ،العرب واليهود في التاريخ ،مرجع سابق ،ص296 ،مراد كامل ،مرجع سابق ،ص99

يكونوا طبقة مهمة لأن المجتمع العبراني لم يكن متقدماً بالقدر الذي يجعله يحتاج إلى أيد عاملة بشكل دائم ،كما أن المجتمع العبراني كان يسد حاجته المحدودة إلى العبيد عن طريق استعباد المذنبين أو العبرانيين الذين لم يسددوا ديونهم.

لقد كان نظام العمل تسخيريا ،وكانت الأمم الواقعة تحت السلطان الإسرائيلي هي القوى المسخّرة في تلك المشاريع العمرانية ،جاء في سفر الملوك :" [20]جَمِيعُ الشَّعْبِ الْبَاقِينَ مِنَ الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، [21]أَبْنَاؤُهُمُ الَّذِينَ بَقُوا بَعْدَهُمْ فِي الأَرْضِ، الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يُحَرِّمُوهُمْ، جَعَلَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ تَسْخِيرَ عَبِيدٍ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [22]وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَجْعَلْ سُلَيْمَانُ مِنْهُمْ عَبِيدًا لأَنَّهُمْ رِجَالُ الْقِتَالِ وَخُدَّامُهُ وَأُمَرَاؤُهُ وَثَوَالِثُهُ وَرُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانُهُ."[1] .

في عهد سليمان أزداد نظام السخرة نظرا للمشروعات العمرانية الضخمة التي كان يقوم بها من بناء الهيكل والقصر وكافة المنشآت العمرانية الأخرى ،فاحتاج الى مزيد من العمال للبناء رغم التركة التي خلفها داود من العبيد الذين أخضعهم من كافة الأجناس ،فقام بتسخير أبناء الأموريين ، الحثيين ،الفرزيين ،اليبوسيين والحويين ،لكنّه اكتشف بعد ذلك أنه يحتاج للمزيد من العمال،فاستحدث سياسة جديدة في السخرة لم تكن من قبل ،فبالإضافة الى اعتماده على اليد العاملة الخارجية من الشعوب الأخرى كما كان يفعل رمسيس الثاني ،قام أيضا بتسخير بني إسرائيل في أعمال البناء[2].

إضافة الى ذلك قام سليمان بتسخير العمال في مجال الصناعة ،فقد سخّر حورام أبي الذي كان رجلا ماهرا في عمل الأواني اللّازمة للهيكل ،وصانعا ماهرا في الذهب ،الفضة ،النحاس ،الحديد ،الحجارة ،الأرجوان ،الأسمانجوني ،الكتان والقرمز ،ونقش كل نوع من النقوش ،وكان يشارك حورام عدد كبير من العمال في تجهيز الأقمشة اللّازمة للكهنة ولستائر قدس الأقداس[3] .

كما استحدث أيضا نظام المناوبة في العمل وتنظيمه وتوزيعه على فئات عمالية متخصصة ،كل فئة عليها وكيل يراقب ويتابع العمل ،كما استحدث نظام الأجرة فجعل أجر ثابت يدفعه للعمال مقابل الأعمال التي يؤدنها خلافا لما كان معمولا به في عهد داود ؛ العمل المجاني نظير الأكل فقط[4] .

---

[1]- سفر الملوك الأول 9 : 20 – 22

[2]- منيس عبد النور ، النبي داود ،مرجع سابق ،ص 76 ،الشامي ،اليهود واليهودية في العصور القديمة ،مرجع سابق ،ص 20

[3]- منيس عبد النور ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[4]- سفر الملوك الأول 5 : 6 ، 5 : 13 – 14

ما جاء في العهد القديم حول ضخامة الجهد الذي بذله الملوك لجعل عاصمة المملكة على نمط المماليك المطلقة السلطان في الشرق الأدنى القديم ،لا يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم عن عظمة ملك داود وسليمان عليهما السلام خاصة سليمان الذي استغل لبناء المملكة كل الطاقات التي سخرها الله له ؛إذ استغل الريح وحركتها ،واستغل البحار وغاص فيها ،واستخرج المواد الخام وصنعها ،واستغل الطير في جو السماء للاستطلاع النواحي الأمنية ،إضافة الى قدرته على تسخير الإنس والجن والوحوش في المحافظة على أمن المملكة ونشر راية التوحيد والعدل ،فكان كل عضو أو جندي في مملكته له مكانه ،حيث تتضافر الجهود في عملية البناء ،وتتعاون الأيدي لبناء المملكة الصالحة[1] .

فقد نصت آيات القرآن الكريم على أن الله سخر لسليمان الجن والشياطين ،فأخضعهم له وحكّمه فيهم ،فكانوا جنودا مطيعين له وظفوا طاقاتهم التي تفوق طاقات الإنس في توطيد حكم سليمان وزيادة قوته[2] ،جاء ذلك في ثلاثة مواضيع من الذكر الحكيم ،يقول تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [3] ،وقوله تعالى :﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] ،وقال تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5] .

هذه الآيات الكريمة تبيّن أن اليد العاملة التي كان سليمان عليه السلام يقوم بتسخيرها ،هي الجن والشياطين ،حيث استفاد عليه السلام من قدراتهم فسخرهم للقيام بمجموعة من الأعمال والأشغال الشاقة التي ساهمت في تقوية مملكته وازدهارها وعمرانها ،من هذه الأعمال التي ذكرها القرآن الكريم :

– الغوص في أعماق البحار :سخر سليمان عليه السلام الجن والشياطين للغوص في أعماق البحار والمحيطات، لاستخراج ما فيها من درر وكنوز ولآلئ وجواهر.

– البناء : سخّر سليمان عليه السلام الجن والشياطين في إقامة المباني العظيمة،وتشييّد الصروح العجيبة،حيث استفاد من قدراتهم في هذا المجال.

[1]– محمد بسام رشدي الزين ،مرجع سابق ،ص295 ،الأغا ،مرجع سابق ،ص197

[2]– الخالدي ،مرجع سابق ،ص 103

[3]– سورة سبأ : 12

[4]– سورة ص : 37

[5]– سورة الأنبياء : 82

كما استفاد أيضا من قدراتهم في بناء المحاريب[1] ،قال تعالى :﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] .

كذلك أشار القرآن الكريم الى سياسة الحزم في مجال العمل في هذا العهد ،إذ أن الحزم من أهم صفات القيادة الرشيدة الناجحة ،فسليمان عليه السلام كان نظام التسخير في عهده قائما على سياسة التأديب والعقوبة للتحكم في القوى العاملة في المملكة ،وكان يراعي في عمّاله إتقان العمل وإكماله ،وعدم التهاون والإخلال بالنّظام العام للشغل[3].

حيث بيّن القرآن الكريم أنّه من يخرج منهم عن طاعته يلاقي العقوبة الرادعة ؛فيُعذب عذابا شديدا بالسعير ويوضع في القيود والأغلال ،قال كثير من المفسرين أن سليمان عليه السلام قرن الشياطين المسخرين بالسلاسل قمعا لشرهم وعقابا لهم ،وأنّ منهم من كان تحت التسخير والعذاب المهين[4] ،وفي ذلك يقول تعالى :﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[5] ،وقوله تعالى :﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[6] ،وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[7] .

2 – المنشآت العمرانية :

إن السياسة العمرانية التي انتهجها الملوك تمثلت في توسيع المشاريع والإنشاءات البنائية سواء العسكرية أو المدنية أو الدينية وإقامة ورشات للبناء خاصة الإصلاح الإداري الذي قام به سليمان في مجال البناء ،حيث خطط لبناء مدينة تضم معبدا مركزيا وقصرا ملكيا فاخرا ،بالإضافة الى المباني الإدارية والدينية التي يضمها حي خاص بجانب ثكنات للحرس الملكي وتحصينات عسكرية وحي خاص للنساء والحشم ،وأقام الأسوار الفاصلة بين هذه الأحياء كما أعدّ خزانات

---

[1]– اختلف العلماء والمفسرون في المقصود بالمحاريب على عدة أقوال ،على أنها المساجد ،القصور ،المساجد والقصور ،الأبنية دون القصور، والمحاريب إشارة الى الأبنية الرفيعة ،ابن الجوزي ،زاد المسير ،ج6 ،ص 439 ،محمد التونجي ،المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1 ،1424 هـ ،1003 م ،ص123

[2]– سورة سبأ : 13

[3]– أنظر : همام حسن يوسف سلوم ،سليمان عليه السلام في القرآن الكريم ،بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في أصول الدين ،كلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس،فلسطين ،2006 م ،ص ص 116– 118

[4]– وهبة الزحيلي ،التفسير المنير ،ج23 ،ص203 ، الرازي ،تفسير الرازي ،ج 25 ،ص 251

[5]– سورة سبأ : 12

[6]– سورة ص : 38

[7]– سورة سبأ: 14

وقنوات المياه والأحواض ،وقد دام بناء هذه المشاريع واحد وعشرين سنة ؛وهو مجموع السنين التي تم فيها تشييّد الهيكل والقصر[1].

هذه المنشآت الإدارية والبنائية ولّدت سياسة جديدة في حياة بني إسرائيل ،تمثل ذلك في نظام العمل الذي أعطى آفاقا واسعة في بناء الدولة .هذا النظام الجديد كان في حقيقته يعكس التطور العمراني والحضاري ؛وهو ما يعني الخروج من طور البداوة الى مصاف الحضارة ،كذلك يعكس قوة التفكير والتنظيم والتسيير والتحكم وقوة التسلط (الاحتواء) وقوة العمل الذي أدى الى تطور الأشغال وتنوعها داخل المملكة ،ممّا أدى الى اللّجوء الى سياسة الاعتماد على اليد العاملة الخارجية ،فنتج عن ذلك التداخل الثقافي والتمازج الحضاري ،وفن العمارة والنحت والرسم ،من خلال محاكاة الفن المعماري الفينيقي والسوري والآشوري[2] .

أ – بناء الهيكل :

كان بناء الهيكل من أكبر المشاريع السياسية والدينية التي أولاها داود اهتماما كبيرا في فترة حكمه في أورشليم بعد أن أوجد مملكة تتمتع بالنّظام وتتوفر لديها الكفاءات المحلية والأجنبية ،إلّا أن هذا الانجاز لم يتحقق في حياته لأنّه مُنع من ذلك بسبب الحروب والتوسعات التي قام بها كما نص على ذلك العهد القديم[3] ،غير أنّه بدل مجهودات عظيمة في وضع الخطط الضخمة ،والإعدادات المفصّلة الخاصة بالدين والعبادة في هذا الهيكل المرتقب ،وتوفير مواد البناء ،حيث استطاع أن يجهّز كثيرا من الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب ،ثم أسند هذه المهمة الى ابنه سليمان الذي اتسم عصره بالسلام والاستقرار ،وأوصاه قبل موته أن يقيم هذا البناء الذي سيصبح بيتا للرب ومركزا رئيسيا خاصا بدولة بني إسرائيل سياسيا وروحيا ، ووسيلة لنقل تراثهم وذكرى لهم من طول المعاناة[4] .

تولى سليمان مهمة القيام ببناء الهيكل الذي اعتبر من أعظم الأعمال العمرانية التي قام بها ،بل أجلّها كلّها حتى ذاعت شهرته ببناء هذا الهيكل الذي أراد به أن يبهر أعين الشعوب المحيطة به وأن يعزز هيبة العاصمة أورشليم ومكانتها ،

وأن يجعل منها بدافع الشهرة كما يقول روبنسون مدينة تليق بأن تكون مدينة ملكية مميّزة[5] .

---

[1]– مصطفى كمال ،مرجع سابق ،ص 92 ،علي البار ،مرجع سابق ،ص 415 – 416

[2]– أبو المحاسن عصفور ،مرجع سابق ،ص 170

[3]–سفر الملوك الأول 5 :2 – 6

[4]– شولتز ،مرجع سابق ،ص 176

[5]– أحمد عيسى الأحمد ،مرجع سابق ،ص109

خطط سليمان لبناء المعبد بكل أبعاده وتقسيماته وفروعه بعد أن اختار الموقع وحدد الأرضية جبل المريا بتوجيه من الله ،على اعتبار أن هذا المكان قدم فيه ابراهيم ابنه اسحق ذبيحة ،وفيه أيضا بنى داود مذبحا[1] ،وسمي فيما بعد جبل صهيون[2] .

وفي السنة الرابعة من حكم سليمان سنة 959 ق.م ،وبعد 480 سنة من خروج بني إسرائيل من مصر بدأ العمل في بناء الهيكل وأُكمل بناءه بعد سبع سنوات على أيدي المهندسين الفينيقيين[3] .

أمّا تقسيم العمال الذين قاموا ببناء الهيكل وملحقاته ،فيعكس ضخامة هذا المشروع وتطور العمران ونظام الشغل في المملكة ،حيث قام داود في بداية الأمر بإحصاء الأجانب المقيمين في بلاده ،وأعدّهم للعمل المنظم في الحجارة والمعدن وفي الخشب ،ومن بعده استحدث سليمان نظام التناوب في العمل،وجلب العمّال المهرة من المماليك المجاورة ،وتقسيمهم الى فئات ،وتوزيع العمل عليهم وفق تخصصاتهم[4] .

وكانت مساحة الهيكل تقدر بمساحة خيمة الاجتماع مرتين وذلك بالنسبة لمساحة القاعدة ،وقد أورد سفر أخبار الأيام الثاني تفصيلات حول كيفية بناءه ومواد بناءه ،وأقسامه ،ومحتوياته ،وزخرفته[5] .

جاء بناء الهيكل من جهة يعكس القوة السياسية والدينية التي وصلت إليها المملكة ؛مملكة متسعة وممتدة يعمها السلام والأمان بدرجة لم تبلغها إسرائيل من قبل ،ومن جهة أخرى انعكاسا للسياسة المالية والنّظام الذي انتهجه سليمان ،فعملية إكساء الهيكل بعد الانتهاء منه بانت فيه كل مظاهر العظمة والفخامة ،حيث صُنع معظم أثاثه من الذهب الخالص والفضة والخشب النفيس ومعادن ومواد كريمة ،وهو دليل على القوة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها المملكة ،ومدى الثراء الذي حققه سليمان وفاق به على جميع الدول ،ومن جهة ثالثة يعكس فن البناء المعماري ومدى اهتمام سليمان بذلك ،فجاء الهيكل كتاج على قمة حضارة البلاد المعمارية .

ب – بناء القصر الملكي :

[1]– سفر التكوين 22 :1 – 4 ،سفر صموئيل الثاني 24 :25

[2]– صهيون اسم عبري معناه حصن ،وهو رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم ،أحتله داود وسماه مدينة داود ،بطرس عبد الملك ،قاموس الكتاب المقدس ،ص 382

[3]– سفر الملوك الأول 6 :1

[4]– مصطفى كمال ،مرجع سابق ،ص 92 .

[5]– سفر أخبار الأيام الثاني 3 : 3 – 17 ،4 : 1 – 22

كان البلاط الملكي في عهد شاؤل بسيط جدا ،حيث لا يتعدى مسكنه الخيمة ،فلم يتخذ لنفسه قصرا ،وكان يكتفي في اللّيالي المقمرة بدعوة ضباطه الى منزله ،وهو جالس على كرسي مستندا على الحائط وإلى يمينه حربته ،كما أنّه اعتاد أن يعقد مجلس الحرب في ظلال الشجرة المقدسة[1] .

إذا كان الحال في عهد شاؤل كذلك،فإن الأمر قد تطور في عهد داود،حيث قام ببناء قصر شامخ في يبوس،بعد أن أخضع الأمم المجاورة لسلطانه،وقد تم بناء هذا القصر بالتعاقد مع الفينيقيين،وكانت مكوناته من حجر منحوت،ومن خشب الأرز،وقد ساهم في بنائه العمال والمهرة الذين أرسلهم حيرام ملك صور[2].

لكن مع سليمان تطور الأمر أكثر،فكان بناء القصر يعكس تعقيدات النظام في الدولة،حيث أستغرق بناءه ثلاثة عشرة سنة،وكان هذا القصر معقدا وكثير الأجزاء والملحقات،احتوى على عدد من الأبنية ومكاتب حكومية سيّجت بنفس السور الذي أحاط به الهيكل،وكانت مبانيه من الجنوب الى الشمال ،هي بيت للحرس الملكي،بيت للسعاة والراكبين به الخزائن ومستودع السلاح،صالة كبرى للاجتماعات والاحتفالات الرسمية ،قاعة الكرسي أو رواق القضاة ،بيت الملك داخل رواق القضاة يتصدره عرش البرج العالي،وهو المقر الملكي نفسه،الطريق المباشر بين مدخل القصر الملكي ومدخل المعبد[3].

هذا القصر استخدم سليمان في بنائه مقادير ضخمة من الحجارة ،الخشب ،الذهب والفضة،وتفنن في زخرفته، وأسرف في ضخامته كما جاء في العهد القديم[4].

أصبح هذا القصر الفخم الذي بناه سليمان أعجوبة في أعين الأمم الصغيرة المجاورة مثل الكنعانيين، الآراميين والآدوميين ،بل إن ملكة سبأ سمعت بهذا القصر في أرض اليمن قبل زيارتها له[5] .

ثم بنى قصرا ثانيا لزوجاته ،وخصص واحدا لزوجته المصرية ابنة الفرعون لتقيم فيه وحدها تعظيما لقدرها وسعيا لكسب رضى أبيها[6] ،جاء ذلك في سفر الملوك :"[٢٤]وَلكِنَّ بِنْتَ فِرْعَوْنَ صَعِدَتْ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى بَيْتِهَا الَّذِي بَنَاهُ لَهَا،"[1] لَهَا،"[1]

---

[1]- نويهض ،فلسطين ،مرجع سابق ،ص 28 ،فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 330

[2]- نويهض ، المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[3]- سفر الملوك الأول7 :1 -10 ،أنظر مصطفى كمال ،مرجع سابق ،ص92

[4]- سفر الملوك الأول 2 :1 -10

[5]- ظاظا ،الساميون ولغاتهم ،مرجع سابق ،ص 74

[6]- دروزة ،مرجع سابق،ص 164 ،زكي شنودة ،اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ،مرجع سابق ،ص 164

هذا القصر جاء وصفه في العهد القديم كما يلي :" [8]وَعَمِلَ بَيْتًا لابْنَةِ فِرْعَوْنَ الَّتِي أَخَذَهَا سُلَيْمَانُ، كَهذَا الرِّوَاقِ. [9]كُلُّ هذِهِ مِنْ حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ كَقِيَاسِ الْحِجَارَةِ الْمَنْحُوتَةِ مَنْشُورَةٍ بِمِنْشَارٍ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ، مِنَ الأَسَاسِ إِلَى الإِفْرِيزِ، وَمِنْ خَارِجٍ إِلَى الدَّارِ الْكَبِيرَةِ. [10]وَكَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ، حِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ، حِجَارَةِ عَشَرِ أَذْرُعٍ، وَحِجَارَةِ ثَمَانِ أَذْرُعٍ. [11]وَمِنْ فَوْق حِجَارَةٌ كَرِيمَةٌ كَقِيَاسِ الْمَنْحُوتَةِ، وَأَرْزٌ. [12]وَلِلدَّارِ الْكَبِيرَةِ فِي مُسْتَدِيرِهَا ثَلاَثَةُ صُفُوفٍ مَنْحُوتَةٍ، وَصَفٌّ مِنْ جَوَائِزِ الأَرْزِ. كَذلِكَ دَارُ بَيْتِ الرَّبِّ الدَّاخِلِيَّةُ وَرِوَاقُ الْبَيْتِ."[2].

ج – بناء القلاع والحصون :

تطور نظام بناء القلاع والحصون في عهد سليمان عما كان عليه في السابق،حيث تقدم سليمان تقدما كبيرا في هذا المجال،فأحاط أورشليم بأسوار حصينة،وبنى قلعة لحماية الهيكل،وأقام العديد من الحصون في أنحاء المملكة لحمايتها والدفاع عنها،منها الحصن الذي بناه بمدينة مجدو،وجعله بمثابة أداة لحراسة المدينة،وقام بتحصين مدينة حاصور التي كانت من قبل عاصمة كنعان في شمال فلسطين، وفي تل الخليفة بن حصن صناعي بحري،ومكان لخزن السلع [3].

يقول سفر الملوك:" [15]وَهذَا هُوَ سَبَبُ التَّسْخِيرِ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِبِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِهِ وَالْقَلْعَةِ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ وَحَاصُورَ وَمَجِدُّو وَجَازَرَ"[4].

د – بناء المدن الأخرى :

أهتم سليمان أيضا ببناء المدن لتوسيع العاصمة أورشليم ،فأعاد بناء المدن التي أعطاه إيّاها حيرام ملك صور، وأسكن فيها بني إسرائيل ،وأعاد بناء مدينة جازر،المدينة التي أعطاها ملك مصر مهرا لابنته ،ومدينتي بيت حور العليا المسماة اليوم بيت عور الفوقة ،وبيت حور السفلى المسماة اليوم بيت عور التحتة ،وهما تقعان على بعد اثنتي عشر ميلا شمالي أورشليم ،كما قام ببناء مدينتي تدمر،وبعلة في البرية[5] .

و– بناء المخازن :

---

[1]– سفر الملوك الأول 9 :24

[2]– سفر الملوك الأول2 :10 – 12

[3]– زكي شنودة ،المرجع السابق ،ص 98

[4]– سفر الملوك الأول 9 :15

[5]– سفر أخبار الأيام الثاني 8 :1 – 2 ، سفر الملوك الأول 9 :16 – 18 ،أنظر : زكي شنودة ،المرجع السابق ،ص 98 ،أحمد عيسى الأحمد، مرجع سابق ،ص 116

قام داود وسليمان ببناء مخازن في يهوذا وإسرائيل ،وفي حماة، وهي مباني ضخمة عبارة عن دهاليز سميكة الحوائط، وأسقف عالية يُجمع فيها المحاصيل[1] .

هـ – إنشاء القنوات المائية :

بعد بناء القصور ،أهتم سليمان باستغلال الموارد المائية لتزيين المحيط العمراني ،فأحاط هذه القصور بحدائق غناء شاسعة جلب لها الماء من مكان بعيد به آبار لا تزال اليوم معروفة ببرك سليمان[2] ،يقول سليمان عن نفسه :" [٤]بَنَيْتُ لِنَفْسِي بُيُوتًا، غَرَسْتُ لِنَفْسِي كُرُومًا.عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ، وَغَرَسْتُ فِيهَا أَشْجَارًا مِنْ كُلِّ نَوْعِ ثَمَرٍ. [٦]عَمِلْتُ لِنَفْسِي بِرَكَ مِيَاهٍ لِتُسْقَى بِهَا الْمَغَارِسُ الْمُنْبِتَةُ الشَّجَرَ."[3] .

جاء في قاموس الكتاب المقدس وصف لهذه البرك ،وهي ثلاث برك توجد في الجنوب الغربي من بيت لحم على بعد عشرة أميال من أورشليم ،وهي برك عظيمة كانت تزود أورشليم بالماء ،وتصب في بركة اسمها البحر الكبير عند الهيكل[4].

ي – إنشاء الطرقات :

للطرق في هذا الزمن أهمية كبيرة،مما استدعى اهتمام ورعاية الدولة بإنشائها وإصلاحها ،فهي بمثابة شرايين لها تقوم بوظائف هامة وخدمات جليلة حتى أضحت موردا ماليا هاما لها ،ومظهرا من مظاهر مدنية الدولة وحضارتها ،ووسيلة من وسائل ربط المدن بالدولة ،ونقل الجيوش وقت الحرب ،ونقل المواد التجارية ،إضافة الى ذلك كانت تسهل وصول الحجاج الى بيت المقدس لأداء فريضة الحج[5] .

ازداد الاهتمام بهذه الطرق في عهد سليمان ،فقام بإنشاء وإصلاح الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية الآتية من بلاد العرب الى ساحل البحر الأبيض المتوسط مرورا بفلسطين ،والطرق التجارية التي تسلكها القوافل إلى أورشليم ،كالطريق من قرية جت الى أورشليم ،وهو الطريق الذي سلكه تابوت العهد بعد استرجاعه من الفلسطينيين ،وطريق من مصر الى فلسطين للقوافل التجارية ،ومن يافا الى أورشليم ،ومن جنوب بلاد العرب واليمن الى صور وصيدا ،وطريق

[1]– سفر أخبار الأيام الثاني 8 :4 – 6

[2]– زكي شنودة ،المرجع السابق ،ص98 ،أحمد عيسى الأحمد ،المرجع السابق ،ص119

[3]– سفر الجامعة 2 :4 – 6

[4]– بطرس عبد المالك ، قاموس الكتاب المقدس ،ص483

[5]– حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص191

الساحل ويبدأ من غزة مرورا بدان وينتهي الى دمشق ،وطريق القدس الى السامرة[1]. يقول يوسيفوس :إن الملك سليمان قام بإصلاحات كبيرة وخصوصا فيما يتعلق بالطرقات ، لأنّه أوّل من استخدم العربات[2] .

أمّا أسباب اهتمام سليمان بإنشاء هذه الطرقات وإصلاحها ،فيعود إلى أنّه كان يأخذ ضرائب ورسوم مقابل مرور هذه القوافل ،فكانت الضرائب المجباة تمثل دخلا كبيرا من ميزانية الدولة [3] .

اتفق القرآن الكريم مع ما جاء في العهد القديم حول سياسة المنشآت العمرانية التي قام بها داود وسليمان عليهما السلام ،حيث تمكنا بما أوحى الله إليهما وبما سخّره لهما أن يبنيا المملكة حتى ازدهرت الحضارة المدنية في عصرهما ،فقد شيّدا الصروح العمرانية التي تعد آية في الفن والروعة منها :

أ- الصرح الممرد :

هذا الصرح بناه سليمان عليه السلام من زجاج ،وأجرى تحته الماء ،فلما دخلته ملكة سبأ حسبته لجة وكشفت عن ساقيها[4] ،حيث أشار إلى ذلك قوله تعالى :﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [5].

ب- بيت المقدس :

صح في الحديث أن سليمان عليه السلام بنى بيت المقدس،قال صلى الله عليه وسلم :"أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة : سأل الله حكما يصادف حكمه فأوتيه ،وسأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ،وسأل الله حين فرغ من بناء أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلّا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمّه..."[6].

ج – المحاريب :

وهي الأبنية الرفيعة[7] ،قال تعالى:﴿ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [1].

---

[1]- المرجع نفسه ،ص192

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[3]- المرجع نفسه ،ص191

[4]- ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج6 ،ص 194 ،الطبري ،تفسير الطبري ،ج 19 ، ص ص 472 – 474

[5]- سورة النمل : 44

[6]- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمان النسائي ،سنن النسائي،كتاب المساجد ،باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ،رقم 693 ،وابن ماجة ،سنن ابن ماجة،كتاب :إقامة الصلاة والسنة فيها ،باب:ما جاء في الصلاة في بيت المقدس ،رقم1408

[7]- الرازي ،تفسير الرازي ،ج25 ،ص 249

د – الأحواض المائية :

هذه الأحواض بناها سليمان عليه السلام لتجميع المياه[2] ،قال تعالى :﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾[3] .

المبحث الثاني :التنظيم العسكري

كانت القوات الاسرائلية المقاتلة في عهد القضاة على شكل مليشيات ،فكان الأسباط يتجمعون تحت قيادة القائد الذي يقيمه اللّه لمواجهة الأعداء ،وبانتهاء الأزمة ينتهي هذا الاتحاد .ظل الأمر كذلك حتى قيام النظام الملكي مع شاؤل الذي أدخل أول تغيير في التنظيم العسكري باستحداث جيش نظامي ثابت يسهر على حماية مؤسسات الدولة وحدودها وأمن المواطنين ،هذا الجيش أصبح في عهد داود وسليمان أكثر قوة وتنظيما من ذي قبل بفضل سياسة إنشاء القواعد العسكرية والتحصينات الدفاعية والمعدات الحربية ، كل وفق قدراته العسكرية وإستراتيجيته الخاصة .

وقد اعتمد الملوك الثلاثة في بناء هذه المؤسسة العسكرية وتنظيم أجهزتها وإدارتها على عامل الإنتماء القبلي من أجل كسب ولاء الجنود والقادة العسكريين والطاعة والتأييد المادي والمعنوي تأمينا للعرش الملكي ،حيث حرص كلّ ملك على إسناد المناصب الرئيسية في الجيش إلى أقربائه والمخلصين له ولبيته[4] ،فشاؤل أسند قيادة الجيش لابنه يوناثان[5] ،وداود يحيط نفسه بمجموعة من القادة المخلصين أمثال النبيّ ناثان مستشاره الحميم ،ويؤآب أكبر رجالاته وقائد جيوشه ،وأبياثار الذي كان أقرب المستشارين له[6] .

القرآن الكريم أشار إلى الجانب العسكري في هذه الفترة من خلال الحديث عن قصة قتل داود عليه السلام لجالوت الفلسطيني كما جاءت في قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[7].

---

[1]– سورة ص : 21

[2]– أنظر :الرازي ،المرجع السابق ،ص 249 ،الطبري ،تفسير الطبري ،ج 20 ،ص 365

[3]– سورة سبأ : 13

[4]– فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 172

[5] – سفر صموئيل الأول 13 : 2

[6] – سفر صموئيل الثاني 18 : 1 – 3

[7]– سورة البقرة : 250 – 251

أولا : تشكيل الجيش وإعداده

1 – التجنيد :

نظام بناء المؤسسة العسكرية وإدارتها في هذه المرحلة، كان يتم وفق مبادئ ونظم وقواعد أساسية ساهمت في جعل هذه المؤسسة قوّة إقليمية فرضت نفسها على شعوب المنطقة ،فالمبدأ الأساسي الذي قامت عليه الإدارة العسكرية لإنشاء وبناء الجيش النظامي العامل، هو قانون التجنيد الإجباري تبعاً لناموس موسى الذي يعتبر الخدمة العسكرية فريضة لا يعادلها إلاّ خدمة إله إسرائيل والقيام بالكهنوت ،فكان على كلّ ذكر ابن عشرين سنة أن يخرج للحرب ،ذلك أنّ المواطن قبل كلّ شيء هو جندي عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية التي كانت تعتبر واجباً وحقاً من حقوق المواطنة في آنٍ واحدٍ بناءا على أنّه لا يعادلها إلّا خدمة يهوه .

غير أنّ هذا القانون روعي فيه جانب الصحة العامة كشرط لاختيار هذا الجندي وتجنيده ،ومن أهم ذلك أن يكون قوي البنية ،وأن يكون سليما من الأمراض كمرض البرص ،فقد كان شاول يتحقق من ذلك عند اختيار الجنود وفقا لناموس موسى : "[٢] أَنْ يَنْفُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْل، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. [٣]الذَّكَرَ وَالأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلاَ يُنَجِّسُوا مَحَلاَّتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِمْ"[1] .

كما كان يُعفى من هذه الخدمة كلّ من تجاوز سنّ الخمسين ،وكان يستثنى من هذه الخدمة اللاّويون ،وقد عرفنا بأنّ اللاويين كانوا لخدمة المعبد والكهانة .غير أن هناك من يرى هذه الإعفاءات تعلن في الحروب العرضية أو الاختيارية فقط ،أمّا في الحروب التي يدعوهم الرب إليها فلم يكن فيها إعفاء[2] .

الملوك وإن اعتمدوا في تشكيل الجيش على البنية التقليدية السبطية الإقليمية، إلّا أن أفراد هذا الجيش الذين تكونت منهم المؤسسة العسكرية لم يكونوا من أصل واحد يعود بانتمائه إلى بني إسرائيل ،إنّما كان مزيجا من الشعوب الأخرى التي اعتمدها الملوك في إرساء دعائم هذه المؤسسة .

فشاول كان جيشه في البداية يتكون من أبناء قبيلته بنيامين التي تكوّن نواة الجيش العامل ،بعدها اعتمد على العناصر الخارجية ،فبدأ يجمع الرجال الأقوياء من مختلف القبائل حول قبيلته ،فكان من بين هؤلاء الرجال داود من قبيلة يهوذا ،والعبرانيون الذين كانوا عبيدا للفلسطينيين ،فاجتمع حوله ثلاثة آلاف رجل[3] .

---

[1]– سفر العدد 5 : 2 – 3

[2]–نادي فرح درويش العطار ،مرجع سابق ،ص41

[3] – سفر صموئيل الأول 13 :2، 14 : 25، 14 : 21 ، 13 : 2

وضع شاؤل شروطا في عملية تشكيل الجيش ،فقد اعتمد على الشباب النشيط الفارغ وأعفى ذوي الأعذار من التجنيد ؛أعفى كل من بنى بناء لم يفرغ منه،وصاحب التجارة المنشغل بها ،وكل من عليه دين ،وكل من تزوج بامرأة لم يبن بها ،فكان عدد الجيش الذي اجتمع حوله ثمانون ألف جندي عل شرطه[1] .

هذا العدد كان دائما مرشحا للزيادة لتعزيز القوة العسكرية بسبب ظروف الحرب القائمة في المنطقة ،فأرض كنعان التي تقع في قلب العالم القديم بين البحر المتوسط والصحراء ، كانت بحكم هذا الموقع عرضة للحروب المتواصلة بين الجيوش المختلفة هذا من جهة ،ومن جهة أخرى حاجة الملك شاول الى ذلك من أجل إكمال المشروع التوسعي ؛أي توسيع الخارطة الجيوغرافية لدولة بني إسرائيل وفق الحدود التي رسمت في وعود الآباء ،وبالتالي تحقيق هذه الوعود بامتلاك الأرض الموعودة ،لذلك استمر شاول في ضم كل جندي لائق للخدمة العسكرية الى صفوف الجيش الوطني[2] .

أمّا داود فجيشه كان يتكون من عنصرين أساسيين **هما** :

أ– الجُبرة (الجبوريم) : وهي القوات الدائمة التي تكونت نواتها الأولى من ستمائة مقاتل تجمعوا حول داود عندما نفاه شاول ،أو بالأحرى في الفترة التي كان يُعتبر فيها خارجا عن القانون ولاجئا عند الفلسطينيين ،وكانوا يُسمّون رجال داود الأقوياء ،معظمهم كان من الأجانب وأبرزهم أوريا الحثي ،أتاي الحثي .هؤلاء كانوا يمثلون العمود الفقري لجيشه وسلاحه في خطواته الأولى نحو العرش الملكي ،فقد أحرز بهم انتصارات هامة كانتصاره الحاسم على الفلسطينيين ،كما اعتمد عليهم أيضا في قمع الفتن بين شعبه[3] .

ب– **الصبا** :أي أفراد الحرس الملكي ،وهم جماعة من رجال مختلف القبائل الأقوياء ،كانوا لا يرتدون زياً رسمياً ،يستدعون عن طريق النفير ،مهمتهم رفع الأعلام ،وإشعال النيران فوق قمم الجبال ،وحمل تابوت العهد إلى أرض المعركة ،استخدمهم داود ضد الشعوب المجاورة في شرق الأردن[4] .

بعد انتهاء داود من تشكيل أفراد الجيش ،قام بإحصاء هذا الجيش فكان التعداد الذي أجراه هو مليون وخمسمائة وسبعون ألف رجل صالح للحرب ،منهم أبناء سبطي لاوي مع أنّهم كانوا معفيين من التجنيد العام ،إلاّ أنّهم تطوعوا

---

[1]– صابر طعيمة ،مرجع سابق ،ص211

[2] – سفر صموئيل الأول 14 : 52

[3]– سفر صموئيل الأول 22 : 1 – 2 ، 23 : 13 ،سفر صموئيل الثاني 23 : 39 ،18 :1،أنظر: محمد بن شريف ،مرجع سابق ،ص36 ، بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص684 ،كمال الصليبي ،حروب داود ،مرجع سابق ،ص24

[4]- محمد بن شريف ، المرجع نفسه ،ص36 ، بيومي مهران ،المرجع نفسه ،ص683

للخدمة وأيّدوا داود بقوة[1] .وبتشكيل هذا الجيش أصبحت لداود فيما بعد القدرة العسكرية على حماية المملكة من الخطر الخارجي ،وبداية التوسع الإقليمي في المنطقة .

أمّا في عهد سليمان ،فرغم السلام الذي ميّز حكمه ،إلاّ أنّ القوة العسكرية للمملكة ازدادت على أيام أبيه داود ،فكان له جيش نظامي عامل تام التّسلح على أتم الاستعداد يتكون أساساً من جنود محترفين مدربين ،وجماعة من المرتزقة كحرس خاص للملك ،وفرق من الميليشيات تتكون كلّ فرقة من أربعة وعشرين ألف جندي[2] .

اتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في أن طالوت (شاؤل) بعد أن تسلم مسؤولية القيادة ،شرع في بناء قاعدة عسكرية قوية يستطيع بها مواجهة خصمه جالوت الذي كان هو الآخر يتمتع بقاعدة عسكرية عالية الكفاءة .هذه القاعدة العسكرية ارتكزت على تشكيل جيش قوي مسلّح من الجنود الأقوياء الأشدّاء ،حيث اعتمد طالوت طريقة الاختبار والامتحان لمعرفة بأسهم وقوتهم ،وشجاعتهم وإيمانهم عندما خرج بهم لقتال عدوهم ،فبعد رحلة برية شاقة بلغوا النهر (نهر الأردن) وقد اشتد بهم الظمأ أمرهم أن لا يشربوا منه إلّا من أخذ جرعة من الماء ليبل بها ظمأه ،لكن لم يملكوا أنفسهم أن شربوا منه إلّا قليلا منهم صبروا عن الماء وكانوا قليلا [3] .

قال تعالى :﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[4] .

لم يبق مع طالوت بعد هذا الاختبار في تشكيل الجيش إلّا عدد قليل من الجنود قدر ب 319 جندي اكتفى بهم في قتال خصومه بعد أن كان عددهم 80 ألف جندي[5].

[1]- سفر أخبار الأيام الأول 12 : 23 – 38

[2] - سفر أخبار الأيام الأول 27 : 1 – 15، 4 : 24 – 28 ،ظاظا ،الساميون ولغاتهم ،مرجع سابق ،ص 73

[3]- الأغا ،مرجع سابق ،ص 175، الصابوني ،مرجع سابق ،ص287 ،أحمد بهجت ،مرجع سابق ،ص 279 ،ابن كثير ،قصص الأنبياء ،مرجع سابق ،ص586 ،النجار ،مرجع سابق ،ص 305

[4]- سورة البقرة : 249

[5]- الصابوني ،المرجع السابق ،ص 287 ،ابن كثير ،المرجع السابق ،ص 586

كذلك أشار القرآن الكريم إلى أن سليمان عليه السلام كان له جيش كبير ،وردت الإشارة إليه في قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ [1] .

هذا الجيش كان أقوى جيش على وجه الأرض في ذلك الزمان ،بل لم يكن لأحد من قبل أو من بعد لأن الجيوش كانت تستمد قوتها من تماثل جنودها ،أمّا هو فاستمد قوّته من اختلاف جنوده ،فكان يتكون من ثلاثة أصناف هي ،الجن والإنس والطير ،هذه الأصناف التي شكّلت هذه القوة العسكرية جعلت مملكة سليمان عليه السلام أقوى مملكة في الوجود ،وعهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل[2] ،قال تعالى :﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ ﴾ [3] .

كما بيّن القرآن الكريم أن جيش سليمان عليه السلام يتكون من هذه الفرق المختلفة في جنسها ،بيّن أيضا أنّها كثيرة في عددها ،هذه الكثرة والقوة ورد ذكرها على لسان سليمان عليه السلام في قوله تعالى :﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾ [4] .تعداد هذا الجيش وحجمه اختلف المفسرون في تحديده ،فالكثير منهم كما يقول الشوكاني أطال وبالغ في وصفه مبالغة تستبعدها العقول ،وفي حديث محمد بن بكر القرطبي أنّ عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ ،خمسة وعشرون منها للإنس ،وخمسة وعشرون منها للجن ،وخمسة وعشرون منها للطير ،وخمسة وعشرون منها للوحوش[5] .

من مظاهر اهتمام سليمان عليه السلام بالجانب العسكري وتشكيل القوة العسكرية ،إقامة استعراض عسكري عام لسلاح الفرسان من جيشه الذي بلغ عشرين ألف فرس من أحسن أنواع الخيل يركب عليها فرسانها يسابقون الريح بخيولهم وهم يمرون عليه ،وقد استغرق هذا الاستعراض وقتا طويلا[6] .جاء في قوله تعالى :﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ

---

[1]- سورة النمل : 18

[2]- الأغا ،المرجع السابق ،ص 198 ،بهجت ،المرجع السابق ،ص 301

[3]- سورة النمل : 17

[4]- سورة النمل : 37

[5]- الشوكاني ، فتح القدير ،ج 4 ،ص 61

[6]- محمود شلبي ،حياة سليمان ،مرجع سابق ،ص97 وما بعدها

ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

2 – **تنظيم القوات :**

بعد عملية إحصاء عدد المقاتلين وتشكيل قوّات الجيش التي تم فيها الوقوف على قوة كل سبط في مقابل الأسباط الأخرى وتحديد الانتماء القبلي لكل مجموعة ،تأتي مرحلة أخرى مهمة يتم فيها تقسيم الجيش الى وحدات وفرق نظامية تتكون من الألوف والمئات والعشرات ،وأهم التنظيمات التي عرفتها الإدارة العسكرية في هذه الفترة هي استحداث الرتب القيادية كالقائد الأعلى للقوات المسلحة ،والقوّاد والضباط والعرفاء ؛أو ما يعرف بقيادة الأركان العامة التي تسير إدارة هذه المؤسسة في السلم والحرب ،وبذلك تعددت الوظائف داخل الجيش واختلفت القيادات وتنوعت الرتب ،وأصبحت مهنة الجيش مهنة ثابتة للجندي والقائد والضابط ،كما استُحدث نظام المناوبة في العمل العسكري ،وإنشاء القواعد العسكرية والمقرات الإدارية التي تصدر القرارات الحربية،وإنشاء الحصون والقلاع .

في عهد شاول كان الجيش ينقسم الى معسكرين ،واحد يقع في الشطر الشمالي من فلسطين عند مكماش وجبل بيت ايل بمنطقة نابلس ،يتكون من ألفين مقاتل، والآخر يقع في الشطر الجنوبي من البلاد بالقرب من القدس ويضم ألف مقاتل[2] .

أمّا في عهد داود ،فكان الجيش ينقسم الى فئتين مختلفين تبعا لنظام العمل الذي كانت تؤديه كل فئة نظرا للتعقيدات الإدارية وتماشيا مع شكل وطبيعة النّظام الذي صارت عليه المملكة ،فكان الجيش على النحو التالي[3] :

– **الفئة الأولى** :كانت للأمن الداخلي ،تُعرف هذه القوة العسكرية بالجلاّدين والسعاة ورجال الدورية ،أو المقاتلين ،كل فرقة بعددها وقائدها ومهمتها المسندة إليها من خدمة الملك وتنظيم للأمور المالية وغيرها .

– **الفئة الثانية** :وهي جيش الدفاع الوطني الخاص بالعمليات العسكرية ضد الأعداء ،هذا الجيش بدوره قسمه داود الى فرق تتكون كل واحدة من أربعة وعشرين ألف مقاتل ،هذا الجيش تحت قيادة يوآب القائد العام للقوات المسلّحة ،يليه

[1] – سورة ص : 31 – 33

[2] – حسن ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ، ص 54

[3] – سفر صموئيل الثاني 20 : 7 ،20 : 23 سفر أخبار الأيام الأول 27 : 1 – 15 ،أنظر :محمد جلاء إدريس ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص129 ، ظاظا ،المرجع السابق ،ص54

مجموعة من القيادات والضباط وفق نظام تصاعدي ؛العرفاء ،قائد مائة ،قائد ألف ،ورؤوس الآباء الذين يكونون قيادة الأركان العامة .

والخدمة العسكرية التي يؤديها هذا الجيش تخضع لنظام دقيق وضعه داود ،ففي وقت السلم كان الجيش يعمل بنظام المناوبة ،فكل فرقة من فرق الأسباط الإثنا عشر تعمل شهرا على مدار السنة ،وعندما تكتمل السنة يحدث استنفار عام لجميع المجندين[1] .

القرآن الكريم بيّن أوّلا أن الجيش في عهد سليمان عليه السلام كان ينقسم الى ثلاث فئات من الجنود ،الإنس والجن والطير ،قال تعالى :﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] ،ثم بيّن سياسة وقوة سليمان عليه السلام في تنظيم الجيش وتقسيمه رغم اختلاف هذا الجيش في جنسه وتعدد فرقه وكثافة جنده ،فكان كما يُفهم من قوله تعالى :﴿ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ جيشا مرتبا ومنظما لا مجال للفوضى فيه ،يجمع آخره على أوّله ،وتُضم صفوفه ،وتتلاءم خطاه فلا يتخلف منهم أحد[3] .فكان قادة جنده يوزعون الجنود ،ويرتبونهم وينظمونهم ويكفونهم عن الخروج ،ويمنعونهم عن الفوضى ،وكانوا يفعلون بالجنود عن طريق حبس أولهم عن آخرهم فيسير آخر جندي بأول جندي ،ويراعي الأول حركة الأخير ،وبذلك تتناسق الحركات ،وتنظم الخطوات ،ويسير جميع الجنود خطوات مرتبة منظمة كأنّهم كلّهم رجل واحد ،رغم أنّهم في الأصل لا يجتمعون[4] .

كان سليمان عليه السلام قد نظّم لهم أعمالهم ورتّب لهم شؤونهم ،فإذا خرج خرجوا معه يحيط به الجند والخدم من كل جانب ،فالإنس والجن يسيرون خلفه دون أن يرى كل واحد منهم الآخر ،والطير تقوم بواجباتها العسكرية في السماء تظلل القائد الأعلى للبلاد بأجنحتها وتقوم بعمليات الاستطلاع ،فكانت تطير الى جيوش الأعداء ثم تعود لسليمان بأخبار أعدائه كلها ،وكان على كل هذه الجيوش نقباء ورؤساء يسيرون في عرض رائع[5] .

هذا الخليط من الجيش كان يخضع أيضا لنظام التسخير والرقابة والمحاسبة في حال الإخلال بالنظام العام للعمل ،فقد كان سليمان عليه السلام يتفقّد الجيش ويستعرضه ويفتّش عليه ،مرّ على البشر أولا ولاحظ استعدادهم ،واجتمع مع

---

[1]- سفر أخبار الأيام الأول 27 : 1 – 15

[2]- سورة النمل : 17

[3]- سيد قطب ،تفسير الظلال ،ج5 ،ص 263 ،الألوسي ،روح المعاني ،ج19 ،ص 174

[4]- الخالدي ،القصص القرآني ،عرض وقائع وتحليل أحداث ،دار القلم ،دمشق،ط1 ،1419 هـ ،1998 م ،ج3 ،ص 517

[5]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 300 – 301 ،الأغا ، مرجع سابق ،ص 201 – 202 ، بهجت ،مرجع سابق ،ص 295

القواد والضباط والجنود وأفهمهم أوامره ،ثم مرّ على الجن وأصدر تعليماته إليهم ،وسجن جنيّا لاحظ أنّه يتكاسل في العمل ،ثم تفقّد الطير فلم يجد الهدهد فتوعّده بالعقاب إن لم يبرر سبب غيابه[1] ،قال تعالى :﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ ﴾[2] .

3 – **التعبئة المعنوية** :

لقد اعتمد هؤلاء القادة الملوك على ما توّفر لديهم من كفاءة قتالية عالية، وقدرة قيادية بارزة في بعث روح المقاومة لدى الجنود،والالتفاف حول القيادة المركزية،فقد كان شاؤل يتصف بالشجاعة،حيث استطاع أن يواجه جميع الفلسطينيين وسائر الأعداء بالعدد القليل من الرجال،وظلّ يقاتل عن الشعب حتّى النهاية.

أمّا السياسة التي اعتمدها لتشجيع وتحفيز المقاتلين وبعث روح القتال فيهم ،هي ضم كل الأبطال والجبابرة الى صفوف الجيش ،لأنّهم قوة ضاربة من ناحية ،ودافعا معنويا لضعفاء القلوب من ناحية أخرى ،هذا ما يبيّنه النص التالي :" ٥٢وَإِذَا رَأَى شَاوُلُ رَجُلاً جَبَّارًا أَوْ ذَا بَأْسٍ ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ."[3] .

بيّن القرآن الكريم أن الله أنعم على طالوت فوهبه كافة المؤهلات التي تؤهله للانتصار على الأعداء ،فقد منحه العلم والخبرة والحنكة في الشؤون العسكرية ،إضافة الى البنية الجسمية القوية ،قال تعالى :﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧ ﴾[4] .

أيضا ما فعله داود بجالوت المدجج بالسلاح وهو ما يزال جنديا صغير السّن عندما وقف أمامه وضربه بالمقلاع فأدّى إلى صرعه ،بعدها أخذ سيف جالوت وقطع به رأسه ،وتم النصر لداود وانهزم جيش جالوت ،هذا الانتصار كان حافزا ودافعا معنويا لانتصار الجنود في بقية المعارك[5] .

---

[1]– بهجت ،المرجع نفسه ،ص 296 وما بعدها

[2]– سورة النمل : 20 – 21

[3]– سفر صموئيل الأول 14 : 52

[4]– سورة البقرة : 247

[5]– سفر صموئيل الأول 17 : 36 – 55

في القرآن الكريم جاء تأكيد ذلك أن داود عليه السلام قتل جالوت وعلى يديه تحقق عز بني إسرائيل بعد أن كانوا في ذل وهوان ،وتغير وضع الجيش بعد أن كان يفر أمام أعدائه الى جيش حقيقي له وجوده[1] .قال تعالى :﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾[2].

هذه التعبئة التي قام بها الملوك كانت بسبب ما عرف عن بني إسرائيل من التمرد والتقاعس عن القتال ،نقرأ في التوراة أن شاؤل جمع أسباط بني إسرائيل وعشائرهم لمحاربة الفلسطينيين ،وعندما ظهرت القوات الفلسطينية في الميدان كالرمل الذي على شاطئ البحر ارتعد بنو إسرائيل ،ففريق اختبأ بين المقابر والغياض والصخور وغيرها ،وفريقا ولّى مدبرا نحو شرق الأردن إلى أرض جاد وجلعاد ،بل أنّ الشعب كلّه إنّما قد ارتعد من وراء شاول وهو ما يزال بعد في الجلجال[3] .

يتفق القرآن الكريم مع العهد القديم في هذه الواقعة التي تراجع فيها الكثرة من بني إسرائيل عن قتال جالوت بسبب خوفهم وجبنهم ،وانعدام القدرة لديهم على القتال ،لذلك لم يصحبهم طالوت معه[4] ،جاء في قوله تعالى :﴿ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾[5].

وفي مواضع أخرى بيّن القرآن الكريم ما جاء في نصوص العهد القديم فيما عرف عن بني إسرائيل من التمرد والتقاعس عن القتال ،فقد بيّن موقفهم حينما يُكتب عليهم القتال مابين خوف واعتذار ،وعزوف ورفض تام ،قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[6] ،وقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[7].

ثانيا : أساليب القتال وعملياته

---

[1]- بهجت ،مرجع سابق ،ص 288

[2]- سورة البقرة : 251

[3]- سفر صموئيل الأول 13 : 5 – 8 ،17 : 11 ، 17 : 16 – 24

[4]- الصابوني،مرجع سابق،ص287

[5]- سورة البقرة : 249

[6]- سورة البقرة : 243

[7]- سورة البقرة : 246

1- التجسس والاستطلاع :

استمرت عميلة التجسس في هذا العصر ولم تقتصر فقط على الأعداء ومعرفة أوضاعهم السياسية والعسكرية ،وإنما أصبحت أداة حربية داخلية مألوفة ،فأصبح التجسس أمر معهود وممارس داخل بني إسرائيل وفيما بينهم ،بل أصبح من خصوصيات هذه العملية أن تعدت الى الكهنة خاصة في عهد داود مع تأسيس الدولة ،وبناء المؤسسات والأجهزة الإدارية والعسكرية، وتعدد المهام الإدارية وتعقيدها.

ففي إطار العمل الإستخباراتي الداخلي ،اشتهر الملك داود بإرسال الجواسيس والعيون للتجسس على الملك شاؤل من أجل أن يضبط تحركاته ويحد من نشاطه إبان مرحلة الصراع السياسي الذي وقع بينهما[1] .

كما أنّه استطاع أن يؤسس شبكة تجسس من الكهنة وأبناء الكهنة صادوق وأبياثار الكاهنان ،وابناهما أخيمعص ويوناثان ،هذه الشبكة جعلها بعيدة عن الشكوك تقوم بالتجسس على مَن بالمملكة ،هذا العمل الإستخباراتي الذي استحدثه داود لم يعرف من قبل في تاريخ الجوسسة عند بني إسرائيل[2].

عندما أصبح التجسس داخل مملكة داود سياسة مألوفة ،اعتمد هذه السياسة ابنه أبشالوم الذي أراد أن يتمرد عليه حينما أرسل جواسيس في جميع أسباط إسرائيل لإيقاع الفتنة في المملكة ،ومحاولة اغتصاب السلطة من أبيه[3] .

أمّا في مجال العمل الإستخباراتي الخارجي فقد اشتهر داود بإرسال الجواسيس خارج المملكة وتجنيد العملاء لمعرفة أخبار المدن والملوك ،فأرسل عبيده لحانون ابن ملك عمون لتعزيته في وفاة أبيه ،فلم يقتنع أهل عمون بذلك وقالوا :" ٣أَلَيْسَ لأَجْلِ فَحْصِ الْمَدِينَةِ وَتَجَسُّسِهَا وَقَلْبِهَا، أَرْسَلَ دَاوُدُ عَبِيدَهُ إِلَيْكَ؟"[4] .وقام بتجنيد عميل مصري كان غلاما عبدا لعماليقى ،وكانت معلوماته سببا في انتصار داود على العماليق[5] .

يشير القرآن الكريم إلى تطور نظام الجوسسة في هذا العهد من خلال الإشارة إلى ما قام به سليمان عليه السلام ،فيقص علينا كيف أنّه عليه السلام كان يعتمد نظام الجوسسة في تقصي ومعرفة أخبار الأمم والدول المجاورة بالاعتماد على العنصر غير البشري ،يبدو ذلك واضحا حينما أصدر أمرا ملكيا بتعيين الهدهد سفيرا له لدى مملكة بلقيس باليمن ،وأوكل إليه بمهمة استخباراتية بعد أن أصدر إليه أوامر صريحة محددة ،وكلفه بأن يعود إليه بتقرير كامل عن هذه المهمة

---

[1]- سفر صموئيل الأول 26 :4 ،أنظر :شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص450

[2]- سفر صموئيل الثاني 15 :35 – 36

[3]- سفر صموئيل الثاني 15 :10

[4]- سفر صموئيل الثاني 10 : 3

[5]- سفر صموئيل الأول 30 :13 – 20 ،أنظر :شنودة ،المرجع السابق ،ص451

الاستخباراتية التي يصف من خلالها الهدهد وضع المملكة وأحوالها ،جاء في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام :

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

وتأكيدا على نجاح هذه المهمة ،رسم سليمان عليه السلام للهدهد كيفية وطريقة إنجاز هذا العمل بأن يكون سريعا وسريا وحذرا ،وهو ما يعكس قدرته عليه السلام في مثل هذه المهمات التي فاقت كل عمليات الجوسسة في زمنه نظرا لاختلاف الوسيلة وطريقة العمل وضمان نجاحه،وسرعة الزمن في تنفيذ العملية ،على خلاف سائر المماليك التي تعيش في نواميس عصرها وتخضع للبطء في وسائل مواصلاتها[2].

تنفيذا لأمر سليمان عليه السلام ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ بدأ الهدهد بعد ذلك عملية التجسس والتصنت ومراقبة ما كان من أمر الملكة وتسجيل ما يناقشون وما يقولون ،وما سوف يقررون من مقررات ويدبرون من تدابير.

بعد أن تلقت الملكة الكتاب وقرأت ما فيه من تهديد عسكري ،أطلعت الحضور على ما جاء فيه لاتخاذ قرارا بشأن ما يحويه من تهديد يواجه مستقبل الدولة وأمنها قال تعالى :﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [3].

فلهجة الخطاب جعل من الملكة تدعو إلى عقد مجلس للدولة حضره كبار رجال الدولة من وزراء ومستشارين وشيوخ القبائل ،وزعماء الطوائف ،وقائد عام القوات المسلحة ،وقادة الأسلحة،وهم في ملابسهم الرسمية ،حتى قيل أنه كان أولوا مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلا ،كل رجل منهم على عشرة آلاف[4] .قال تعالى :﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [5] .

---

[1] – سورة النمل : 28

[2] – محمود شلبي ،حياة سليمان ،مرجع سابق ،ص ص196 – 198

[3] – سورة النمل :29 – 31

[4] – محمود شلبي ،حياة سليمان ،مرجع سابق ،ص 205 – 206

[5] – سورة النمل : 32

وبعد أن عرضت الملكة ما كان من أمر سليمان على المجلس للنقاش ،بدأ الخلاف بين الجميع وكثرت الاحتمالات حول ما يريده سليمان عليه السلام ،فإمّا أنّه يطمع في خيرات البلاد ،أو أنّه يريد التوسع فيسيطر على مداخل البحر الأحمر ،وإمّا التهديد من أجل أخذ الهدايا ،أو أنّه يخوف الملكة طمعا في جمالها ليتزوجها[1].

اشتدّ الجدال بين القوم ،فأشارت الملكة الى قائد عام القوّات وعرضت عليه الأمر ،لأنّ القضية من اختصاصه ،فقام باستعراض القوّة العسكرية ،ثم فوّض الأمر للملكة وانتظر الجميع قرار الملكة والهدهد يستمع ويسجل وهم لا يشعرون[2].قال تعالى :﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

أنهت الملكة الاجتماع واتخذت القرار بأن تجنب بلادها ويلات الحرب غير المتكافئة مع قوّات سليمان التي اشتهرت في العالم كلّه ،فآثرت بذلك السلم على الحرب ،أمّا الهدهد فطار من اليمن ونقل الأخبار كاملة منذ أن ألقى الكتاب الى بلقيس الى أن اتخذوا قرارهم الأخير[4] . قال تعالى :﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5].

2 – الحيل والخداع :

لم يخل عصر الملكية هو الآخر من الاستفادة من هذه الوسيلة في اقتحام الحصون وإسقاط المدن ،فقد اثبت داود براعته وظهرت قدراته الفائقة في استخدام الحيلة للاستيلاء على أورشليم من أيدي اليبوسيين– في الوقت الذي ظنوا فيه أنّه لا يستطيع اقتحام الحصون التي أقاموها– فقد حفر جيش داود خندقا تحت الأرض ،ثم صعد جنوده سرا عبر القنوات التي كانت تستخدم لتصريف الأمطار ،بهذه الحيلة استطاع جيش داود الاستيلاء على أورشليم[6].

3 – الكمائن :

[1] – المرجع السابق ،ص ص 207 – 209

[2] – المرجع نفسه ،ص 209 – 211

[3] – سورة النمل : 33

[4] – المرجع السابق ،ص ص 215 – 217

[5] – سورة النمل :34 – 35

[6] – مكسيموس وصفي ،المرشد الجغرافي التاريخي للعهد القديم ،مرجع سابق ،ص127

في بداية العهد الملكي الذي لم يبلغ فيه بعد الجيش درجة القوة والاحترافية استمر فن الكمائن كوسيلة لمجابهة قوة الأعداء ،فقد طبّقه شاؤل في حروبه واستفاد منه في إبادة الشعوب وضربهم بحد السيف كما تخبرنا بذلك نصوص العهد القديم :" ٥ثُمَّ جَاءَ شَاوُلُ إِلَى مَدِينَةِ عَمَالِيقَ وَكَمَنَ فِي الْوَادِي"[1] .

4 – الحصار:

استمر في هذا العهد تطبيق سياسة حصار المدن وهدم أسوارها لإسقاطها ،وقطع الماء والطعام عنها حتى تستسلم ،أو يموت أهلها جوعا وعطشا،حيث استغل يؤآب قائد جيوش داود هذا الفن من القتال في إسقاط المدن المحصنة وإلقاء القبض على قادتها ،من ذلك الحصار الذي قام به تجاه مدينة آيل بيت معكة للقضاء على شبع بن بكري ،وكان من نتائج هذا الحصار أن أدرك أهل المدينة أنّ هذا الحصار سيؤدي الى هلاك المدينة ومن فيها ، فقاموا بقطع رأس شبع بن بكري وألقوه الى يؤآب[2].

5 – التحصينات العسكرية :

أ- **القلاع والحصون :** تعتبر سياسة بناء القلاع والحصون معلما بارزا من معالم الإستراتيجية الإسرائيلية في عهد الملكية،إذ استمر بناءها في معظم عصورها،ولم تكن قاصرة على المناطق المحتلة فيما وراء حدود إسرائيل ويهوذا، بل أيضا كانت بطول حدود هاتين المملكتين،أما بداية التفنن فيها فترجع إلى داود الذي استولى بالقوة على الحصن الفلسطيني القائم في مدينة أورشليم على جبل صهيون،وقد جعله قاعدة حربية ومعسكر لجيشه،هذا العمل يشهد له بالدراية العسكرية الواسعة على مستوى الحروب في زمانه[3].

هذه القلاع والحصون بعد الاستيلاء عليها أو بنائها ،أصبحت تعرف بأسماء مؤسسيها كحصن صهيون الذي سمّاه داود باسم مدينة داود[4].

وقد أظهرت الحفريات وجود تحصينات في جبعة عاصمة مملكة شاؤل ترجع الى عهد شاؤل وداود وسليمان ،هذه المنشآت تميزت بأسوارها ذات المعاقل والبروج المزدوجة والبوابات الضخمة ،وهي أسوار مزدوجة أحدها داخلي والثاني خارجي[1] .

---

[1]- سفر صموئيل الأول 15 :5، 15 :8

[2]- سفر صموئيل 20 :14 – 15، 20 :22

[3]- محمد جلاء إدريس ، فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص143 ، ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 172

[4]- سفر صموئيل الثاني 5 : 7 – 9

ب– الأسوار والأبراج : كانت الأسوار والأبراج وسيلة من وسائل التحصينات والمراقبة ،وكانت الأبراج تقام فوق الأسوار لمراقبة الجيوش ، وقد تطور نظام استخدام هذه الأسوار والأبراج في عهد سليمان ،يظهر ذلك من خلال السور الذي أحاط به أورشليم[2].

ثالثا : معدات القتال في الحروب

في بداية عهد شاؤل كانت الأدوات الحديدية بما فيه الأسلحة مفقودة لدى بني إسرائيل ،لأنّ الفلسطينيين منعوهم من صناعة الحديد للإبقاء عليهم في حالة الضعف العسكري ،ففي المعركة الأولى مع الفلسطينيين لم يكن رمح ولا سيف بيد جماعة شاؤل ،إلّا معه فقط،ومع ابنه يوناثان الذي كان يحارب الى جانبه[3].

بعد شاؤل تطور نظام الأسلحة القتالية ،فإلى جانب استخدام الأسلحة التقليدية كالمقلاع الذي استخدمه داود في قتل جليات الفلسطيني ،استفاد كل من داود وسليمان من تكنولوجيا القتال في عصرهما بفضل سياسة التصنيع التي قاما بها ،فقاما بصناعة الدروع والترس والخوذة من المعادن النفيسة وتطويرها ،ثم استخدامها على نطاق واسع ،فأصبحت من أهم الوسائل القتالية ،يذكر سفر صموئيل أن سليمان قام بصناعة مائتي ترس من الذهب الخالص وثلاثمائة مجن من الذهب الخالص أيضا[4].

الى جانب هذه الأسلحة ظهر أيضا سلاح الفرسان والمركبات،فكان داود أول من استخدم سلاح المركبات في تاريخ بني إسرائيل الحربي،تم الحصول عليها بعد أن تغلب على ملك صوبة ،حيث استولى على مائة مركبة من مركباته[5].

أما في عصر سليمان،فإلى جانب المركبات الحديدية أدخل نظام استعمال الخيول لتعزيز قوة الجيوش، فأصبح سلاح الفرسان عنصرا هاما من عناصر التسليح ،يخبرنا العهد القديم أنّ سليمان جمع مراكب وفرسانا فكان له ألف وأربعمائة مركبة ،هذه الخيول والمركبات أقام لها مدنا خاصة بها ،وجعلها قريبة منه في العاصمة أورشليم[6] .

---

[1]– محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص144

[2]– عرفة عبده علي ،مرجع سابق ،ص23 ،فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص237

[3]– السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 112

[4] – سفر صموئيل الأول 17 : 49 – 50 ، 10 :16- 17 ، 17 : 38

[5]– سفر صموئيل الأول 8 :4

[6]– سفر الملوك الأول 10 : 26 ،سفر أخبار الأيام الثاني 9 : 25 ، أنظر : شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص447 ، محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 159

القرآن الكريم أشار إلى تطور نظام التسليح في هذه الفترة بفضل سياسة التصنيع التي قام بهما داود وسليمان عليهما السلام ،فكانت منها الدروع الواسعة الطويلة المحكمة النسج التي لا تنفذ منها السهام لغلطتها ولا تثقل حاملها ،وتستر المقاتل وتقيه ضرب السيف[1] .قال تعالى :﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2] ،وقال تعالى :﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[3].كذلك أشار القرآن الكريم الى اعتماد سليمان عليه السلام على سلاح الفرسان[4] ،قال تعالى :﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾[5].

[1]- أبو بكر الجزائري ،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،دار العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،ط 5، 1424 هـ ،2003 م ،ج 4 ،ص273 ،الرازي ،تفسير الرازي ،ج 25 ، ص 247

[2]- سورة الأنبياء : 79

[3]- سورة سبأ : 11

[4]- – محمود شلبي ،حياة سليمان ،مرجع سابق ،ص97 وما بعده

[5]- سورة ص : 31

الفصل الثالث :

التنظيم القضائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : القضاء

أولا : سلطة القضاء

1- القاضي الأعلى :

السلطة القضائية كانت تابعة للملك ،فكان هو القاضي الأعلى في المملكة ،وهو المرجع الأخير الذي تصدر باسمه الأحكام ،فكان يباشر القضاء بنفسه ويفصل في المنازعات والخصومات التي تقوم بين النّاس ،فأيلولة القضاء إلى الملك جردت أولئك الذين كانوا يباشرونها من رؤساء الأسباط والكهنة منها[1] .وقد بيّنت نصوص العهد القديم أن داود كان هو القاضي ،فكان يجري قضاء وعدلا لكل شعبه ،كما فعل ذلك سليمان الذي اشتهر بالحكمة في القضاء[2] .

2 – مجلس الشيوخ :

تولّى الملك الفصل في الخصومات والقضاء في دعاوي سائر شعبه ،لكن بقي قدر من الاختصاص القضائي لشيوخ المدينة الذي حلّ محل شيوخ القبيلة الذين كانوا أحيانا يباشرون الفصل في بعض القضايا تحت سلطانه[3] .

القرآن الكريم أخبر أن داود وسليمان عليهما السلام كانا يقومان القضاء ويفصلان في القضايا بين المتخاصمين ،وفصل الخصام بتمييز الحق من الباطل ورفع الشبهة وإقامة الدلائل[4]. قال تعالى مخبرا عن داود عليه السلام :﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[5] ،وقوله تعالى :﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[6].

فداود عليه السلام كان قد خصّ من أيّامه يوما يقضي فيه بين المتخاصمين من عامة النّاس[7] ،وقد أشار القرآن الكريم الى بعض القضايا التي عُرضت عليه للفصل فيها ،منها قضية خلافية حدثت بين رجلين ،أحدهما صاحب مزرعة

---

[1]- موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 172 ،فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 173 ،بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 674

[2]- سفر أخبار الأيام الأول 18 : 14 ،سفر الملوك الأول 3 : 16 – 28

[3]- فؤاد حسنين ،المرجع السابق ،ص 178 ،شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 252

[4]- محمد جمال الدين القاسمي ،محاسن التأويل ،دار الفكر ،بيروت ،ط 2، 1398 هـ ،1978م ،ج 14،ص 154

[5]- سورة ص : 20

[6]- سورة الأنبياء : 78

[7]- الصابوني ،مرجع سابق ،ص 292

،والآخر صاحب غنم ،أوردها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ ﴾[1].

وسليمان عليه السلام أُتي الحكمة وعمق الفهم وبُعد النظر ،ومُنح عقلية قضائية نادرة حتى تفوّق على والده ،فقد سبق له أن حضر في ديوان القضاء مع أبيه وأبدى رأيه في خصومة الغنم والحرث ،وقضى بخلاف ما قضى به داود عليه السلام كما ذكر ذلك الطبري وغيره من أهل العلم والتفسير[2] ،قال تعالى :﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾[3].

وقد بيّن القرآن الكريم أن نظام الحكم في هذا العهد كان قائما على تحقيق العدالة الاجتماعية ،وإعطاء رعايا المملكة وجنودها حقوقهم من الرعاية والعناية ،وإبداء الرأي وحرّية الدفاع عن النفس وغيرها من الأمور التي تكفل للفرد الحق في الحياة ،فقد علّم الله داود عليه السلام أن لا يحكم أبدا إلّا إذا استمع الى أقوال المتخاصمين[4] ،قال تعالى :﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[5].

وأمّا سليمان عليه السلام فلم تكن حكمته مقصورة على عدله بين النّاس ورحمته بهم وحكمه في قضاياهم بالحق ،وإنّما تجاوزت عالم البشر إلى عالم الطيور والحيوانات كما جاء في قصة النّملة ،قال تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ

---

[1]- سورة الأنبياء : 78

[2]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 17 ،ص ص 50 – 53 ،الشعراوي ،مرجع سابق ،360

[3]- سورة النمل : 79

[4]- أحمد بهجت ،مرجع سابق ،ص 285 – 286

[5]- سورة ص : 26

وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

ثانيا :مكان القضاء

يشير العهد القديم إلى أنّه في بداية العهد كانت إجراءات القضاء في منتهى البساطة ،فلم يكن هناك مكان مخصّص للقضاء ،لكن في العادة كان القضاة يجلسون عند بوابة المدينة حيث يلتقي النّاس للبيع والشراء[2].

فشاؤل كان يقضي بين النّاس وهو جالس تحت الأثلة ،وبعد أن تطوّر نظام العمران في عهد سليمان شيّد قاعة للمحكمة في حجرة بالقصر الملكي في أورشليم ،وغشّاها بألواح من خشب الأرز من الأرض إلى السقف ،فكانت هذه المحكمة من أكبر التجديدات التي أحدثها سليمان في تاريخ بني إسرائيل السياسي والقضائي[3] .

القرآن الكريم بيّن أن المحراب كان دار القضاء بين المتخاصمين ،والمحراب هو مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه ،وهو يُطلق على المبنى الفخم الواسع الكبير كالقصر مثلا ،أو يُطلق على مكان العبادة ،وقد وردت الإشارة إليه من خلال الحديث عن دخول الخصم على داود عليه السلام من غير الباب[4] ،قال تعالى :﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾[5].

ثالثا :إجراءات القضاء

1 – **التحرّي** :

بيّن العهد القديم أنّ التحقيق القضائي يتم شفويا ،فكان الخصمان يمثلان أمام القاضي ،ويدافعان كل عن موقفه[6].

القرآن الكريم بيّن أن نظام القضاء في عهد داود وسليمان عليهما السلام كان يقوم على التحري في القضايا والبعد عن إتباع الهوى في إصدار الحكم ،والفصل في الخصومة ،قال تعالى :﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾[1].

---

[1]– سورة النمل : 18 – 19

[2]– سفر صموئيل الثاني 15 : 2 ،أنظر : التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ،ص 669

[3]– سفر الملوك الأول 7 : 7

[4]– الطبري ،تفسير الطبري ،ج21 ،ص 174 – 175 ، الشعراوي ،مرجع سابق ،360

[5]– سورة ص : 21 – 22

[6]– موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 172 ، بيومي مهران ، بنو إسرائيل ،ج 4 ،مرجع سابق ،ص 675

فداود عليه السلام لما سمع الدعوى من طرف واحد ،وأصدر حكمه قبل أن يسمع الطرف الآخر ويعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه وبيان حجته ،ونسب الظلم إلى أحدهما ،وأدخل شيئا في حيثية الحكم لا دخل لها بالقضية ،أخطأ في إصدار الحكم ،فحَكم في الحكم حيثية ليس لها مدخل في الموضوع ، والله تعالى بذلك يعلّمه القضاء الحق ،وظن داود أنّه مختبر بما وقع له ،فاستغفر ربّه ورجع إليه فغفر الله له ذلك[2] .جاء وصف هذه المحاكمة وما ترتب عنها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[3].

كذلك اتّبع سليمان عليه السلام سياسة العدل في القضاء ،فقد بيّن القرآن الكريم أنّه كان يتحرّى في القضايا التي تُعرض عليه قبل إصدار الحكم عليها ،ويعطي الفرصة للمدّعى عليه للدفاع عن نفسه ،وبيان حجته، فقد ورد في الصحيحين أن امرأتين اختصمتا ببابه في ولد ،وكل منهما تدّعي أنّه ولدها ،ونظر سليمان عليه السلام في القضية ثم اتّبع خطة ذكية ليتحرى من خلالها الحق ،فنادى سيّافه وأمر بأن يشقّ الولد نصفين ويعطي كل امرأة نصفا ،فقبلت إحداهما بحكم سليمان عليه السلام ورفضت الأخرى ،وقالت لا يا نبي الله لا تفعل فإنّه ولدها ،فحكم عليه السلام بالولد لأمّه التي رفضت أن يشقّ ولدها نصفين ،وتبيّن له كذب الأخرى ،لأنّ الأم الحقيقية هي التي تحرص على حياة ولدها ورعايته .فسليمان عليه السلام من أجل أن يتحرّى في القضية محل الخلاف لمعرفة الحق،استعمل أسلوب الحيلة[4].

سليمان عليه السلام كان في قضائه يريد أن يثبت أن الأصل هو البراءة وليس العكس ،وهذا ما كشف عنه القرآن الكريم أثناء محاكمته للهدهد ،جاء في قوله تعالى :﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[5].

2 – الإثبات :

كان لابد لإقامة دليل باتفاق شاهدين على الأقل ،وأقوال الشاهد الواحد لا تكفي لإدانة المتهم ،وكان على القاضي مناقشة الشاهد والتأكّد من صدق شهادته ،وتُفرض عقوبة على شهادة الزور[1].

---

[1]– سورة ص : 26

[2]– الشعراوي ،مرجع سابق ،ص 352 – 353

[3]– سورة ص : 23 – 24

[4]– محمد بسام رشدي الزين ،مرجع سابق ،ص 284 – 285 ،الصابوني ،مرجع سابق ،ص 296

[5]– سورة النمل : 27

القرآن الكريم بيّن أن نظام القضاء كان قائما على الإثبات في صدق الدعاوى أو بطلانه ،فإصدار الحكم ومعاقبة المخالفين لا يكون إلاّ بعد إثبات الأدلة أو اعتراف المعني بجريمته أو خطأه ،وهذا ما كان يقوم به سليمان عليه السلام، قال تعالى :﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

فسليمان عليه السلام بعد أن حكم على الهدهد غيابيا بالعذاب والقتل بسبب غيابه دون إشعاره بذلك ،انتفت العقوبة لأنّه تأكّد أن غياب الهدهد لم يكن جريمة يُعاقب عليها ،فالهدد كان في مهمة أخبر سليمان عليه السلام بها ،وهي أنّه وجد دولة كاملة تعبد الشمس ،جاء في قوله لسليمان عليه السلام كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

رابعا :مصدر القضاء

الملك هو نائب الله على الأرض ،وليس هو المشرّع ؛فالمشرّع هو الله فقط ،لذلك عند جلوسه على كرسي العرش يكون مطالب بتطبيق هذا التشريع في أحكامه القانونية والدينية[4].

أختلف أهل العلم والتفسير في قضاء داود وسليمان عليهما السلام فمنهم من يرى أن الحكم مصدره الوحي ،لأنّه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد ،ومنهم من يرى أن مصدره الاجتهاد وليس النص ،إذ لو كان مصدره النص لما اختلفا في مسألة الحرث[5].

---

[1]- موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 172 ،بيومي مهران ، بنو إسرائيل ،ج4 ، مرجع سابق ،ص 675

[2]- سورة النمل : 20 – 21

[3]- سورة النمل : 22 – 24

[4]- فؤاد حسنين ،إسرائيل عبر التاريخ ، مرجع سابق ،ص 1767 – 177

[5]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج17 ،ص 47 -48 ،جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،د ط ، د ت ،ج 3 ،ص129 ،أحمد مصطفى المراغي ،تفسير المراغي ،مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر

ممّا تقدم عرضه نلاحظ اتفاق القرآن الكريم مع العهد القديم في أن سلطة القضاء كانت بيد الملك ،وأن نظام القضاء كان قائما على تحقيق العدالة من خلال عنصري التحري والإثبات .

المبحث الثاني :التشريع

كانت مملكة اسرائيل تختلف عن المماليك الشرقية في أن سلطان الملوك كان محددا لوجود الناموس الذي كان فوق سلطة الملك ،فكان بمثابة الكابح القوي له ،حيث كان الملك قبل أن يتم تعيينه ويجلس على كرسي الملك يخضع لمجموعة من الشروط نص عليها الناموس ،وعند توليه العرش كان مطالب بالتزام نصوص التشريع ،كما جاء في نصوص العهد القديم على النحو التالي :

– أن يكون شخصا يختاره الرب ،وأن يكون من إخوتهم ؛أي من جنس ابراهيم عموما ،ومن بين أسباطهم خصوصا ،وليس إنسانا وثنيا أجنبيا .

– أن لا يكثر الملك لنفسه الخيل والنساء والذهب والفضة ،ولا يفكّر في الرجوع بالشعب الى مصر ،وأن يكتب لنفسه نسخة من الشريعة في كتاب من عند الكهنة واللاويين ليقرأ فيه كل أيام حياته ،لكي يتعلم أن يتقي الله ،وأن يحفظ كلام الشريعة والفرائض ليعمل بها.

جاء في سفر التثنية :" [١٤]"مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي[١٥] فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا. لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ. [١٦]وَلكِنْ لاَ يُكَثِّرْ لَهُ الْخَيْلَ، وَلاَ يَرُدُّ الشَّعْبَ إِلَى مِصْرَ لِكَيْ يُكَثِّرَ الْخَيْلَ، وَالرَّبُّ قَدْ قَالَ لَكُمْ: لاَ تَعُودُوا تَرْجِعُونَ فِي هذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضًا. [١٧]وَلاَ يُكَثِّرْ لَهُ نِسَاءً لِئَلاَّ يَزِيغَ قَلْبُهُ. وَفِضَّةً وَذَهَبًا لاَ يُكَثِّرْ لَهُ كَثِيرًا. [١٨]وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ،[١٩] فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا،[٢٠] لِئَلاَّ يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، وَلِئَلاَّ يَحِيدَ عَنِ الْوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً. لِكَيْ يُطِيلَ الأَيَّامَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ هُوَ وَبَنُوهُ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ."[1].

،ط4، 1969،ج17 ،56 – 57 ،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،مكتبة الجمهورية ،القاهرة ،د ط ،د ت ، ص 357 ،سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج 17 ،ص 45

[1]– سفر التثنية 17 :14 – 20

بعد عملية التنصيب يبرم الملك والشعب معا عهدا مع الله يخضع فيه لاحترام القانون شأنه شأن غيره من أفراد المجتمع ،وطبقا لهذا العهد لا يحق له تغيير القانون ولا تغيير التشريع ،لأنّ الذي يملك حق التغيير والتشريع هو الله فقط ،إلّا في حال وجود ضرورة لتغيير القانون للصالح العام ،فإنّه يتعاون مع الشعب لإدخال التعديلات المطلوبة[1] .

أولا : التشريع الجنائي

1 – الجرائم ضد الله :

من أكبر الجرائم التي اقترفها بنو إسرائيل واعتُبرت جرائم ضد الله يُعاقب عليها بحسب ما نصّت عليه شريعة موسى ،هي عبادة الآلهة الأجنبية ،لذلك كانت سياسة الملوك منذ البداية هي شن حرب على هذه الوثنية واقتلاعها من نفوس بني إسرائيل ،وتطهير المجتمع من الشرك والسير به نحو التوحيد ،وهو ما قام به داود الذي راح يعمل على إعلاء كلمة الله ويحارب الوثنية التي كانت تتفشى في المجتمع بشكل واسع ممزوجة بكثير من الخرافات والأساطير ،حيث كانت جماعة كبيرة تسجد للحجارة المقدّسة ،أو تعبد بعل وعشتاروت ،أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية ،أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور ،أو تركع أمام الحيّة النحاسية ،أو العجل الذهبي ،أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية ،أو تُرغم أطفالها على أن يجوزوا في النار من قِبل التضحية .وأكمل ذلك سليمان الذي التفت إلى أبناء شعبه وراح أوّلا يعلّمهم فضل القانون والنّظام والتمسك بالأخلاق والفضائل ،ثم قام بحملة تطهير ديني حملهم فيها على عبادة الله الواحد ونبذ كل ما هو وثني مشرك[2] .

2 – الجرائم ضد النفس :

من الجرائم ضد النفس التي وردت في الشريعة وشددت عليها بوضع عقوبات لمرتكبيها ،هي القتل بأنواعه والزنا والرشوة ،وقد كانت سياسة المملكة في هذه الفترة هي محاربة هذه الجرائم ،حيث أشارت مزامير داود إلى تشديده على إدانة ومحاربة الربا والرشوة وخيانة الأمانة في إطار حماية الفقراء والضعفاء ،وإصراره على ضرورة تسديد الديون من أجل الحفاظ على اقتصاد المجتمع القائم على تحقيق العدالة[3] .

3 – الجرائم ضد المال :

[1] – فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 177

[2] – صابر طعيمة ،التاريخ اليهودي العام ،مرجع سابق ،ص 234

[3] – سفر المزامير 15 : 1 – 5

لقد شدّدت الشريعة على حماية الأموال ،لذلك وجّه الملوك عنايتهم للعمل على حماية أموال الشعب من جرائم السرقة والسلب والاغتصاب ،يظهر ذلك من خلال قصة نابال الكرملي الذي كان رجلا ثريا ،والتي جاء في مضمونها أن داود أرسل إليه غلمانه يذكّرونه بخدماته هو ورجاله في حماية قطعانه ورعاته من غزوات البدو[1] .

ثانيا :التشريع المدني

1 – العقود والمواثيق :

يتضح من نصوص العهد القديم أن نظام الحكم في هذه الفترة كان قائما على حفظ العقود والمواثيق التي نصّت عليها شريعة موسى من أجل حماية الفقير وتحقيق العدالة الإجتماعية ،من خلال الإشارة إلى قصة داود الذي رفض أن يأخذ من اليبوسي بيدره أو يغتصبه إلاّ بثمنه رغم إلحاح اليبوسي على تقديمه هديّة مجانية له[2] .وكذلك وصيّة داود التي عهد بها لسليمان ،والتي تقضي بالسير قدما في طريق الرب وحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهادته على ما هو مكتوب في شريعة موسى :" "أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً. اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ"[3] .

2 – الأحوال الشخصية والمواريث :

في هذا العهد تطور هذا النّظام فأصبح لا يرتبط بمفهوم القومية من خلال سياسة الحرص على الزواج الداخلي ومصاهرة الأقارب للاحتفاظ بالثروة داخل العشيرة ،وإنّما أصبح يرتبط بمفهوم السلطة وإقامة العلاقات السياسية الخارجية من أجل تثبيت الحكم وتعزيز النفوذ الداخلي والخارجي باحتواء الفئات المعارضة داخليا والدول الأجنبية خارجيا ،فشاؤل جعل زواج ابنته ميكال ممن يستطيع القضاء على جالوت من جهة ،ومن جهة أخرى جعل زواج ابنته من داود من أجل أن يحتوي هذه المعارضة التي كان يقودها .وداود كان زواجه وتعدد زوجاته سببا في تعاظم قوّته ونفوذه ،أمّا سليمان فالوضع السياسي ،الاقتصادي والاستراتيجي في المنطقة ،جعله يرتبط مع المماليك القوية من حوله ارتباط تأثير فأثمرت سياسته تلك أمنا ورخاء،فمثلا علاقة النسب والمصاهرة التي أقامها مع ملك مصر شيشنق منعت هذا الأخير من استعادة

[1]– سفر صموئيل الأول 25 : 10 – 11

[2]– سفر صموئيل الثاني 24 : 19 – 24

[3]– سفر الملوك الثاني 2 : 1 – 3

سلطانه على فلسطين بعد أن ضعفت المملكة أواخر أيام حكمه وثورة ابنه يربعام عليه[1].

القرآن الكريم أشار إلى الجوانب الأخلاقية والروحية أو ما يسمى في عصرنا بالإنسانية في مملكة داود وسليمان عليهما السلام من خلال الإشارة إلى تحرير الإنسان واحترام كرامته،وذلك بتحريره من براثين الشرك والوثنية،وإعطاء رعايا المملكة حقوقهم من العناية والرعاية،والحرص على القضاء العادل لتحقيق العدالة الاجتماعية.

[1]- عشراتي ،مرجع سابق ،ص158

الباب الخامس

نظام المملكة

المنقسمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

التنظيم السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : الأوضاع السياسية

رغم تكوين الوحدة الوطنية والازدهار الذي عرفته الملكية القائمة على مبدأ السلطة المركزية ،والمكانة التي شغلها بنو إسرائيل في الميدان السياسي للشرق الأدنى قديما ،إلّا أن ذلك لم يشفع بأن ظهر في واقع هذه الأمة خلافات وصراعات قديمة متجددة ،فعاد الى الظهور مفهوم الانتماء القبلي الذي يعكسه الشعور بالانتماء السبطي ،لتبرز النعرة السبطية مع النبي أخيا الشيلوني الذي ينبأ يربعام بعودة الانقسام السبطي مرة أخرى الى بني إسرائيل .

ظهرت بوادر هذه الصراعات في أخريات عهد الملك سليمان بين الحكومة المركزية والمصالح الإقليمية بسبب حاجيات ومصالح المناطق القبلية ،فكانت النتيجة بعدها انقسام المملكة ،وزوال الكيان السياسي لبني إسرائيل[1].

كانت العوامل الأساسية التي أججت هذه الصراعات وأدت الى انقسام وانحطاط المملكة واستقلال الشمال عن الجنوب ،هي في جوهرها نابّة عن تطورات سياسية ،عسكرية ،دينية ،اجتماعية واقتصادية داخل المملكة ،وفي منطقة الشرق الأدنى عموما .

1 – العوامل السياسية :

من العوامل السياسية التي ساعدت على زوال المملكتان ،هي عودة الشقاق القبلي القديم بين الأسباط ؛إذ لم يرضى بنو إسرائيل أن يكونوا دولة واحدة ،ومالوا الى الاعتزاز بالقبيلة ،فانقسموا وصاروا دولتين مشتتتين داخليا وخارجيا فقدوا بعدها سياسة التحالف الدولي والحماية الدولية[2] .

أمّا سبب ذلك ،هو أن قبائل الشمال لم تكن مستريحة في حكم سليمان ،لأنّها رأت أنّه أظهر نوع من التحيز لما فرض ضرائب عالية على الأسباط واستثنى في ذلك سبط يهوذا في بناء الهيكل وقصره والمنشآت الضخمة في أرض يهوذا ، ممَّا أحدث ثورة نفسيَّة داخليَّة لدى قبائل الشمال الذين لم يستطيعوا أن يعبّروا عنها بأيّ نوع من التمرد ،يظهر ذلك جلّيا في المفاوضات السياسية التي جرت في مدينة شكيم بين رؤساء القبائل الشمالية ،وبين رحبعام الذي تولى الحكم بعد موت أبيه ،حيث طالبوه بتخفيف عبء هذه الضرائب التي فرضها سليمان على أن يبايعوه ملكا عليهم ،إلّا أنّه رفض وهدّد بزيادة الضرائب والعمل بطريقة مملوءة عنفا وكبرياء وضيّق الخناق على الشعب ،فكانت النتيجة أن انشق أسباط الشمال وتمردوا بقيادة يربعام ،بينما ظلت كل من قبيلة يهوذا وبنيامين على ولائهما السياسي للملك رحبعام ،وهنا يأتي

[1] – روبن فايرستون وآخرون ،مرجع سابق ،ص24

[2] – أسعد مفرح ،مرجع سابق ،ص34،هارالدوروت بوكور ،أطلس تاريخ العالم من البدايات الى الزمن الحاضر ،ترجمة إلياس عبدو الحلو ،المكتبة الشرقية ،بيروت ،لبنان ،ط2 2007 م ،ص101

التأكيد على الدور الذي لعبه كل من رؤساء القبائل والسلطة الدينية في انفصال الشمال عن الجنوب بتأييد التيار الانفصالي المتمرد ،والاعتراض على سياسة النظام القائم[1] .

2 – العوامل العسكرية :

تمثل ذلك في تصدع القيادة العسكرية بعد تمرد يربعام بن نباط الإفرايمي على الملك سليمان بدعم من شيشنق فرعون مصر الطامع في استعادة النفوذ المصري على منطقة فلسطين لأهميتها التجارية والعسكرية منذ أن احتضن يربعام واتخذه لاجئا سياسيا طيلة فترة هربه من سليمان ،وأيضا من قبل النبي أخيا الشيلوني زعيم السلطة النبوية الساخطة على حكم سليمان ،الذي كان يقوي من عزيمة يربعام بالتمرد بعد أن تنبأ له ،وبث في نفسه الأمل بأنّه سيستقل بحكم عشرة أسباط من بني اسرائيل[2] .

3 – العوامل الدينية :

وجود المعبد الرئيسي (الهيكل ،التابوت المقدس) ،وعبادة يهوه الرئيسية في مملكة يهوذا ،هذا لم يرضي يربعام الثائر ،فخشي أن تعود الملكية الى بيت داود ،لذلك قرر أن يقيم توازن ديني بين المملكتين ،فأعاد لمدينتي دان ،وإيل مكانتهما المقدسة وزوّدهما بالعجل الذهبي ،ونصّب كهنة من خارج سبط لاوي ،وأقام عيدا كعيد يهوذا ،إضافة الى ذلك زوّد مملكته الجديدة بمحراب ملكي ،وهكذا حقّق يربعام الاستقلال الديني على اعتبار أنّه مظهرا من مظاهر الاستقلال السياسي[3] .

4– العوامل الاجتماعية والاقتصادية :

الفرق الكبير بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب في درجة التحضر الفكري والاجتماعي يرجع الى خصوصية الإقليم الجغرافي للمملكتين ،وأثر ذلك على المنتوج الاقتصادي ،فقد كان أهل الشمال أهل زراعة واستقرار يعيشون على زراعة القمح والزيتون والكروم والحاصلات الأخرى الناتجة من أراضيهم الخصبة ،إضافة الى تأثرهم بالثقافة والديانة الكنعانية ،أمّا أهل الجنوب فكانوا رعاة بالدرجة الأولى .هذا الوضع أثر في العلاقة بين مجموعة الأسباط ،وبالتالي على تحديد النشاط السياسي ،الاقتصادي والاجتماعي للملكتين[4].

---

[1]– سفر الملوك الأول 12 :3 – 16 ،أنظر : نزار يوسف ،مرجع سابق ،ص291 ،شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص28 ،علي البار ،مرجع سابق ،ص91

[2]– سفر ملوك الأول 14 :25 ،11 :29 –31 ، المراغي، ،مرجع سابق ،ص42 ،علي البار ،مرجع سابق ،ص 91

[3]– المراغي ،المرجع نفسه ،ص42

[4]– فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 208

هكذا توافرت عوامل وأسباب الانقسام ،فانقسمت المملكة الى دولتين متمايزتين جغرافيا ،سياسيا ،دينيا ،اجتماعيا واقتصاديا ،فأصبحت على النحو التالي :

يهوذا : دولة صغرى تقع في الجنوب ،سكانها ربع مليون نسمة من سبطي يهوذا وبنيامين ،عاصمتها أورشليم ،تعاقب على حكمها تسعة عشرة ملكا من أسرة واحدة من نسل داود ،دام حكمها حوالي 350 سنة ،تمتعت بقدر كبير من السلام الداخلي مقارنة بمملكة الشمال ،عُرفت باتحادها القوي حول مؤسسات بيت داود وهيكل القدس ،إلّا أنّها عرفت الثورة والصراع ،فعانت من الفساد الاجتماعي والديني إلى أن قام أنبياء قاوموا هذا الفساد وأنذروا بانتقام الله القادم الذي هو سقوط المملكة عام586 ق.م على يد نبو خد نصر في عهد صدقيا بن بواقيم آخر ملوكها الذي اقتيد مكبّلا بالأغلال الى بابل حتى مات ،لتنتهي معه مرحلة كانت حاسمة في تاريخ مملكة يهوذا السياسي والديني باعتبارها حامية الوعد وحافظة له [1] .

إسرائيل : دولة تقع في الشمال،أوسع رقعة من دولة يهوذا (ثلاثة أمثال حجم يهوذا مساحة وسكانا) ،سكانها ثلاثة أرباع المليون نسمة من باقي الأسباط العشرة المنسحبة[2] ،عاصمتها كل من شكيم وترصة والسامرة ،تداول على حكمها تسعة عشرة ملكا من ثلاثة أسر مختلفة ،أشهرهم عمري (886-875 ق.م) ،آخاب ابنه (875-853) ،ويربعام الثاني (787-747 ق.م) .دام حكمها مائتي عام حتى 722 ق.م ،قوية على الصعيد الخارجي ضعيفة داخليا مع كثرة الصراعات الداخلية والانقلابات ،والانحرافات الأخلاقية ،إضافة الى زيادة الفروقات بين الطبقات الاجتماعية ،ممّا أدّى الى الظلم والفساد .كما تخلّى كثير من النّاس عن واجباتهم الدينية ،إلى أن ظهر أنبياء كبار قاوموا الفساد ،ودعوا الى الإصلاح الإجتماعي،السياسي والديني[3] .

كان سقوط مملكة الشمال على يد سرجون الثاني ملك آشور الذي اعتقل هوشع بن أيلة آخر ملوكها ،ونفاه مع عدد من رجاله الى مملكته ،وأقام عليها واليا يحكم باسمه[4] .

بعد هذا الانقسام أصبحت الحدود الفاصلة بين الدولتين تمر شمال أورشليم بمقدار عشرة أميال ،وهي حدود سبط بنيامين الشمالية[1]

---

[1]- فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 220 ،صوفي ،مرجع سابق ،ص 439،روبن فايسترون ،مرجع سابق ،ص 24 ، علي البار ،مرجع سابق ،ص 91 – 92 ،جارودي ،مرجع سابق ،ص 87 ،عرفان عبد الحميد ،مرجع سابق ،ص 41 – 42

[2]- صوفي ،المرجع نفسه ،ص 440

[3]- روبن فايسترون ، المرجع السابق ،ص 24 ،محمد يونس هاشم ،مرجع سابق ،ص 178 ،علي البار ،المرجع السابق ،ص 91 – 92

[4]- فليب حتى ،المرجع السابق ،ص 213 ،عرفان عبد الحميد ،المرجع السابق ،ص 41

كان من نتائج هذا الانقسام أن دخلت المملكتان في سلسلة من الحروب الأهلية ،فساءت العلاقة بينهما بسبب التنافس على السلطة والحدود ،واستمرت المملكتان تتناوبان أيام السلم والصداقة ،وأيام الحرب والعداوة ،بل استعانت كل مملكة على أختها بقوة أجنبية[2] ،فكانت الثمانين سنة الأولى حروب مستمرَّة بينهما ،والثمانين سنة التالية في سلام ،والخمسين سنة الأخيرة حروب متقطِّعة ،حتى أصبح هذا العهد كما يقول أحمد شلبي :عهد دماء تسيل وأرواح تزهق وأنين ينبعث[3] .

هذه الأوضاع التي أدّت بتأثيرها المباشر إلى إضعاف الملك والحكم في بني إسرائيل عامة ،وخضوع ملوك وحكام يهوذا وإسرائيل على السواء خضوعا مباشرا للقوى الحاكمة ،استدعى ظهور الأنبياء لتغطية العجز السياسي الواضح ،والضعف العام الذي أبداه الملوك تجاه أحداث عصرهم ،وغياب الحكم في بعض الأحيان ،وعدم قدرتهم في مواجهة هذه الأحداث وإظهار وجهة النظر فيه ،وتقديم المشورة السياسية لشعوبهم ،وتوضيح الأخطاء السياسية التي وقع فيها ملوك إسرائيل ويهوذا ،وإعطاء تفسير لهذه الأحداث بالتركيز على الدور السلبي الذي لعبه أنبياء البلاط أصحاب الوظائف الثابتة الذين نافقوا الملوك والحكام ،وتنبئوا لهم بما يرضيهم ،فساعدوا بذلك على إفساد الأوضاع السياسية ،حيث اعتمد بعض الملوك على تنبؤاتهم السياسية التي لم تكن مواكبة لطبيعة الأحداث الجارية وما أدّت إليه في النهاية من دمار سياسي وأخلاقي[4].

جاء تأكيد ذلك في التوراة :" [٦٣]وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. [٦٤]وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا "[5].

القرآن الكريم أشار الى المصير الذي آل إليه بنو إسرائيل من بعد سليمان عليه السلام ،بأن دولتهم قد ضعفت وانقسمت الى دولتين مستقلتين ،كثرت بينهما العداوة والبغضاء ،واشتدت بينهما الحروب ،وتعددت أسباب القتال بسبب ما كان يحصل بينهم من جدال ديني[1] .قال تعالى :﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[2].

---

[1]- متى المسكين ،تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص 105

[2]- المراغي ،مرجع سابق ،ص 62

[3]- شلبي ،مرجع سابق ،ص 73

[4]- محمد خليفة حسن أحمد ،تاريخ النبوة الإسرائيلية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،د ط ،1985 ،ص 93

[5] - سفر التثنية 8 :63 – 64

أشار القرآن الكريم كذلك إلى أن تاريخهم أصبح حلاقات متّصلة ومشاهد متلاحقة من الذل والاستعباد والتشريد في بقاع الأرض بسبب الفساد والعصيان والفسوق الذي ارتكبوه ،فصاروا أمما متقطعة الأوصال[3] ، وكان من مظاهر إفسادهم في الأرض تحريفهم للتوراة وتركهم العمل بما فيها من أحكام ،وقتلهم الأنبياء ،واعتدائهم على الذين يأمرون بالقسط من الناس ،وشيوع الفواحش والرذائل فيهم[4] ،قال تعالى :﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[5] . وقوله تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[6].

القرآن الكريم يبرز مرتين من مرات الإفساد في الأرض،كما يبرز العقوبة عليهم ،فالمرة الثانية تتمثل في عهد الاضطراب والفوضى والقلق والظلم الذي غمر فلسطين بعد وفاة النبي سليمان عليه السلام ،وقد عاقبهم الله على ذلك بأن سلّط عليهم الرومان بقيادة تيطس الذي قضى على مملكة يهوذا وإسرائيل ،فأزالوا ملك وسلطان بني إسرائيل ،وهدموا المدن التي أقاموها ،والهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام،وسبوا بني إسرائيل أسرى الى بلاد العراق وطال سبيهم هناك[7] .قال تعالى:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ

---

[1]- ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج3 ،ص147 ، القرطبي ،تفسير القرطبي ، ج6 ، ص 240 ،البغوي ،تفسير البغوي ، ج3 ص77 ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مرجع سابق ،ص 106 – 107

[2]- سورة المائدة :64

[3]- الخالدي ،المرجع السابق ،ص 107، طنطاوي ،مرجع سابق ،ص 236 وما بعدها

[4]- طنطاوي ،المرجع نفسه ،ص 658

[5]- سورة آل عمران : 112

[6] الأعراف :167 – 168

[7]- طنطاوي ،المرجع السابق ،ص 671 ،أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 89 – 90 ،الخالدي المرجع السابق ،ص 106 – 107

أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.[1]

وبسقوط أورشليم على يد نبو خد نصر ،انتهى عصر بني إسرائيل من سلالة ابراهيم ولم يبق منهم أحد تنفيذا لوعد الله[2] ، قال تعالى :﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[3].

خلاصة الكلام مما تقدم ذكره في هذا الموضوع ،هو اتفاق العهد القديم والقرآن الكريم على انقسام المملكة من بعد سليمان عليه السلام ،وإن اختلفا في ذكر الأسباب التي ساعدت على هذا الانقسام ،وضياع مُلك بني إسرائيل ،وزوال سلطانهم على يد أعدائهم بسبب الفساد الذي ارتكبوه .

المبحث الثاني :نظام اعتلاء الحكم

بعد انقسام المملكة من بعد سليمان أصبح نظام اعتلاء الحكم لعشرين حاكما تقريبا لكل مملكة يخضع لطريقتين هما:

1- طريق الوراثة :

بدأ بسليمان واستمر من بعده في نسل داود ،حيث ساد الاستقرار في اعتلاء العرش وظهر الولاء له ،فلم يشد عن نظام الوراثة إلّا في حالة واحدة فقط ولمدة وجيزة ،يرجع الفضل في ذلك الى شعب يهوذا الذي ساهم في استقرار الحكم واستمراره في نسل داود بفضل الولاء لهذه الأسرة الحاكمة ،والعلاقة الوثيقة بين نسل الملك والهيكل ،فلم يحاول أحد اغتصاب الحكم منها رغم انحراف بعض الملوك ،ولم يترك أحدا يفعل ذلك ،فقد كان يفتك بمن يعتدي على أي أحد من بيت داود الحاكم حتى ولو كان المعتدي وثيق الصلة بالبيت الملكي ،كما حدث مع عثليا أم الملك أخزيا التي اغتصبت الحكم بعد مذبحة رهيبة كادت تقضي بها على النسل الملكي،ففتك بها الشعب بأمر من الكاهن يهو ياداع الذي أعاد الحكم الى بيت داود حتى السبي البابلي[4].

2- طريق الثورات والانقلابات واغتصاب الحكم :

---

[1]- سورة الإسراء : 4 – 7

[2]- البدري :مرجع سابق ،ص 23

[3]- سورة البقرة :124

[4]- المراغي،مرجع سابق،ص 107 مالمات،مرجع سابق،ص 228

ظهر هذا واضحا في مملكة إسرائيل الشمالية منذ أن انشقت بأسباطها العشرة تحت قيادة يربعام بن نباط ،فكان نظام تولي الحكم في هذه المملكة هو نظام قائم على المؤامرات ،والاغتصاب، والانقلابات العسكرية والاغتيالات والغدر والخيانة لأسباب شخصية .فالملك يتولى العرش عن طريق الجيش ؛إذ كان القادة يقومون بثورات ضد حكوماتهم للاستيلاء على الحكم ،فكان كل قائد يأنس في نفسه القوة يعمد الى الثورة على الحاكم فيقتله ويستولى على السلطة وينصب نفسه حاكما دون أن يخضع الى العرف القاضي بتعيين الملك من قبل النبي ،تكرر ذلك في أزمنة مختلفة وفي كل الأسر التي تعاقبت على الحكم ،لذلك لم يكن من ملوك المملكة الشمالية مسيح غير ياهو بن نمش الذي مسحه النبي إيليا التشبثي بأمر من الرّب[1] .

بالمقارنة الى عدد الملوك الذين تعاقبوا على حكم المملكتين ومدة بقائهم في الحكم ،نجد أن الحكم في الشمال انحصر في مجموعة من الأسر ،وأن عددا من هذه الأسر كان مقابل أسرة واحدة في يهوذا ،وأن قرابة نصف ملوكها ماتوا قتلى وضحايا للثائرين عليهم من أجل اغتصاب الحكم ،بل إبادة أسر ملكية بكاملها .هذه الاغتيالات كان يدبّرها ويوقّعها فيهم علية القوم ؛وهم المرابون والتجّار الذين أصبحوا يفرضون على الملوك ما شاءوا من سياسات تخدم مصالحهم ،ومَن والاهم من الكهنة والأحبار[2] .

هذه الانقلابات والاغتيالات معظمها كان يتم في معسكرات الجيش ،أو في أثناء الحروب بدعم من الأنبياء الذين شكّلوا قوة سياسية فائقة التأثير في هذه الفترة ،حيث منح تأييدهم للانقلابات صفة رسمية لإرادة الرب وإرادة الشعب حتى أصبح تعيين النبي للحاكم أمرا شرعيا ،ومن ثم يكون التغيير ممكنا[3] .

أمّا الأسباب التي كانت وراء عدم استقرار الملك في أسرة واحدة ،فتعود في الأساس الى اختلاف الوضع السياسي والاجتماعي لما هو عليه في يهوذا ،فأهل الشمال لم يتقبلوا مبدأ توارث الملكية ،لأنّ المملكة كانت محاطة بمنظومة متنوّعة من تقاليد وأهداف النظام القبلي ،فكانت ترى أن وراثة الحكم مخالفة لشرائع إسرائيل ،إضافة الى تضارب مصالح المناطق المختلفة،وحدّة الخلافات الطبقية نظرا لتنوّع العناصر الاجتماعية وتشعبها[4].

---

[1]- ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص247 ،ظاظا ،الساميون ولغاتهم ،مرجع سابق ،ص 74 ،فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 243

[2]- منصور عبد الحكيم ،القبيلة الثالثة عشرة تحكم إسرائيل والعالم ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2014 م ،ص 64 – 65 ،علي البار ،مرجع سابق ،ص 92

[3]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 229 ، كمال مصطفى ،مرجع سابق ،ص 92

[4]- مالمات ،المرجع نفسه ،ص228 ،جارودي ،مرجع سابق ،ص 85

خلاصة القول :دولة يهوذا حافظت على مبدأ توارث الحكم ،وإجراءات التنصيب ،وإن كان الملك لم يكن دائما هو البكر ،بينما اختلف الأمر في دولة إسرائيل ،إذ ظل تعيين الملك وتنصيبه طوال فترة المملكة لا يخضع الى الصفة القانونية التي يتم بموجبها تعيين الملوك ،وإنما يأخذ شرعيته من النبي الذي يحرضه على إبادة أسرة الملك الحاكم .يمكن توضيح ذلك بحسب ما جاء في نصوص العهد القديم ،وكتب التاريخ كما يلي :

أولا :مملكة إسرائيل (931 –722 ق.م)

1 – أسرة يربعام الأول (931 – 909ق.م) :

يربعام :كان اعتلاء يربعام العرش الملكي بعد الانقلاب السياسي الذي قام به على الملك رحبعام بتعيين من السلطة الدينية ممثلة في النبي أخيا الشيلوني الذي قام بتمزيق رداءه الى أثنتا عشرة قطعة ،سلّم منها عشرة الى يربعام علامة على حكمه على عشرة من أسباط إسرائيل ،وبتأييد من القبائل المنشقّة التي أقامته ملكا ،فكانت نتائج هذا الانقلاب انقسام المملكة ،وبعدها انتقل الحكم الى ابنه **ناداب**،ودام حكمه أقل من سنتين[1] .

2– أسرة بعشا (909 – 885 ق.م) :

بعشا : تولّى الحكم في هذه الأسرة الملك بعشا وابنه أيلة ،دام الحكم فيها أربع وعشرين سنة بعد أن انتقل إليها عن طريق الانقلاب الداخلي على أسرة يربعام ،والقضاء على نسل هذه الأسرة بالقضاء على أبنه ناداب .وقد اعتلى بعشا عرش إسرائيل في ترصة ،وكان من سبط يساكر ،دام حكمه اثنين وعشرين سنة ،ثم تولى الحكم من بعده ابنه **أيله** مدة سنتين لينقلب عليه **زمري** القائد العسكري رئيس نصف المركبات ،فقام بضربه وقتله وهو في حالة سكر ،وتولى الحكم مؤقتا لمدة سبعة أيام[2] .

3– أسرة عمري (858 – 841 ق.م) :

تولى الحكم في هذه الأسرة القائد العسكري عمري وأبناءه أخاب وأحزيا ويورام ،دام الحكم فيها سبعة عشرة سنة بعد أن انتقل إليها عن طريق القضاء على زمري الذي قام بالانقلاب على الملك أيله .اعتلى **عمري** الذي كان رئيسا للجيش في عهد أيله عرش إسرائيل في السامرة تأييد من الجيش ،ومن الشعب الذي انقسم بين مؤيد ومعارض له الى أن تغلب

[1] – سفر الملوك الأول 11 : 29 – 33 ،14 : 1 – 22 ،15 : 25

[2]– سفر الملوك الأول 15 : 33 ،16 : 6 – 10 ،أنظر: ظاظا ، شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 248 ،صموئيل شولتز ، مرجع سابق ، ص 232 – 233 ،السواح ،آرام دمشق ،مرجع سابق ،ص 200

رأي الفريق المؤيد لعمري وأصبح ملكا ،دام حكمه إثنا عشرة عاما[1] .من بعده انتقل الحكم الى أبنائه ،فأصبح **أخاب** الوريث الشرعي للملكة ،دام حكمه اثنان وعشرين سنة ،ثم خلف أخاب في الملك **أحزيا** الذي ظل في الحكم سنة واحدة ،ومن بعده ملك **يهورام** بن أخاب على إسرائيل ودام حكمه عشر سنوات[2] .

4- أسرة ياهو (841 – 753 ق.م) :

انتقل الحكم من أسرة عمري الى أسرة ياهو بعد الانقلاب العسكري الذي قام به ياهو ضد الملك أخاب ،وقد كان ياهو قائد جيش الملك أخاب بن عمري فثار ضده وقتله هو وأمه ازابلا ،ثم بعدها أمّن عرشه بعد القضاء على الملك أخاب بقتل أبناءه ،وكان عددهم سبعين ولدا يعيشون في السامرة تحت إشراف مربين هناك ،وإخوته وكانوا أثنين وأربعين رجلا ،كذلك أتباع الملك وكل عظمائه ومعارفه وكهنته خوفا من الانتقام للملك ،وأيضا للقضاء على عبادة البعل التي انتشرت في المملكة[3] .

استمر الحكم في هذه الأسرة بعد موت ياهو ،فخلفه أبناءه كل من **يهو أحاز** الذي دام حكمه 16 سنة ،و**يهوآش** الذي دام حكمه أيضا 16 سنة ،و**يربعام الثاني** أشهر ملك حكم في المملكة الشمالية مدة 41 سنة ،ثم خلفه ابنه **زكريا** الذي لم يدم حكمه سوى ستة أشهر[4] .

5 – آخر الملوك :

بعد أن استقر الحكم في أسرة ياهو عادت من جديد سياسة الاغتيالات واغتصاب الحكم ،فاغتلى **شالوم** الحكم بعد أن قام باغتيال زكريا بن يربعام أمام الشعب ،وتولى الحكم عوضا عنه .ثم تولى الحكم **مناحيم بن جادي** بعد أن قام باغتيال شالوم وبعدها قام بتعيين ابنه **فقحيا** ،لكنّه تعرّض للخيانة والقتل من قبل فقح بن رمليا .ثم جاء **هوشع بن أيلة** آخر ملوك المملكة الشمالية ،وتولّى الحكم بعد أن قام باغتيال فقح بن رمليا[5] .

ثانيا :مملكة الجنوب

1- أسرة رحبعام :

---

[1]- سفر الملوك الأول 16 : 16، 16 : 21 – 23

[2]- سفر الملوك الأول 16 : 29 ،سفر الملوك الثاني 1 : 17، 3 : 1 – 2

[3]- سفر الملوك الثاني 10: 1 – 14 ،سفر أخبار الأيام الثاني 22 : 8 ،أنظر :ظاظا ،شريعة الحرب ،ص 248 ،علي خليل ،مرجع سابق ، ص 116

[4]- سفر الملوك الثاني 10 : 35 – 36، 13 : 1، 14 : 24، 14 : 29، 15 : 8

[5]- سفر الملوك الثاني 15 :10 ، 14، 25، 30

رحبعام : (922 -915 ق.م) ورث رحبعام الملك عن أبيه سليمان ودام حكمه سبعة عشرة سنة ،إلّا أنّه فشل في تثبيت مبدأ الوراثة الملكية بسبب أنّه أصبح مرفوضا من شيوخ الأسباط الشمالية في المجمع الذي انعقد في مدينة شكيم ؛رفضوا أن يقبلوه ملكا عليهم ،لأنّه رفض طلب تخفيف عبء الضرائب وأعمال السخرة التي فرضها سليمان عليهم ،بل زاد من عبئها ،وهو ما دفع بالأسباط الشمالية أن تنسحب وتنتخب يربعام الذي كان لاجئا في مصر في عهد سليمان .وقد أشار سفر الملوك بالتفصيل الى الخلاف الذي حدث بين رحبعام وشيوخ اسرائيل :".. ١١وَالآنَ أَبِي حَمَّلَكُمْ نِيرًا ثَقِيلاً وَأَنَا أَزِيدُ عَلَى نِيرِكُمْ. أَبِي أَدَّبَكُمْ بِالسِّيَاطِ وَأَنَا أُؤَدِّبُكُمْ بِالْعَقَارِبِ..."[1] .

بعد موت رحبعام أستمر الحكم في هذه الأسرة وفق نظام الوراثة ،فكان الملك يُعيِّن من يخلفه في الملك ،غير أن البكر كان هو الذي يُختار غالبا لهذا المنصب بعد أن يُمسح بالدهن[2] ،وهذه هي أسماء هؤلاء الملوك ومدة حكمهم بالترتيب كما أوردها قاموس الكتاب المقدس[3] :

ورث الحكم كل من **أبيا** الذي دام حكمه ثلاث سنوات 915- 913 ق.م ،و**أسا** الذي دام حكمه أربعين سنة 913 – 978 ق.م ،ثم **يهو شافاط** الذي دام حكمه خمسة وعشرين سنة 875 – 850 ق.م ،**ويهورام** الذي دام حكمه ثمان سنوات 850 – 843 ق.م ،و**أخزيا** الذي دام حكمه سنة واحدة 843 – 842 ق.م ،و**عثليا** الذي دام حكمه ست سنوات 843 – 836 ،ثم **يوآش** الذي دام حكمه أربعين سنة 836 – 797 ق.م ،و**أمصيا** الذي دام حكمه تسع وعشرين سنة 799 – 771 ق.م ،و**عزيا** (عزريا) الذي دام حكمه اثنتين وخمسين سنة 785 – 735 ق.م ،ثم **يوثام** الذي دام حكمه ست عشرة سنة 751 – 736 ق.م ،و**آحاز** الذي دام حكمه ست عشرة سنة 736 – 721 ق.م .

2– آخر الملوك :

وهم الملوك الذين حكموا يهوذا بعد سقوط مملكة إسرائيل ،وهذه أسماءهم ومدة حكمهم بالترتيب كما أوردها قاموس الكتاب المقدس[4] :

[1]– سفر الملوك الأول 12 : 1 – 17

[2]– سفر الملوك الأول 1 :30 ،سفر صموئيل الأول 10 : 1

[3]– بطرس عبد الملك ،قاموس الكتاب المقدس ،ص 516

[4]– المرجع نفسه ،ص 616

حزقيا الذي دام حكمه تسع وعشرين سنة 721 – 693 ق.م ،و**منسي** الذي دام حكمه خمس وخمسين سنة 693 – 639 ق.م ،و**أمون** الذي دام حكمه سنتان 639 – 638 ق.م ،و**يوشيا** الذي دام حكمه واحد وثلاثين سنة 688 – 603 ق.م ،و**يهو آحاز** الذي دام حكمه ثلاثة أشهر 608 ق.م ،و**يهو ياقيم** الذي دام حكمه إحدى عشرة سنة 608 – 597 ق.م .

وفي أواخر أيام مملكة يهوذا أصبح تعيين الملك وعزله يخضع الى السيطرة الأجنبية ،أمّا الأساس الذي يتم بموجبه تعينه ملكا ،فهو تقديم الولاء للحاكم الأجنبي ،فقد قام نبوخذ نصر بعزل يهوياكين الذي دام حكمه ثلاثة أشهر ،وسجنه هو وأسرته في بابل ،وتعيين صدقيا (609 – 598 ق.م) بدلا من يهوياكين الملك المخلوع[1] .

المبحث الثالث :المهام السياسية

أولاّ : السياسة الداخلية

1 – الشؤون السياسية :

أ– انحلال الوحدة الوطنية : رحبعام بن سليمان الذي لم يستطع أن يفوز باعتراف إسرائيل في الشمال لكي يصير ملكا على البلاد ،ولم ينجح أيضا في الحفاظ على وحدة المملكة ،فانهارت الأوضاع وتجدّدت الانقسامات بين المملكتين وانفصلت القبائل الشمالية عن الجنوبية ،وسبب ذلك أنّه لم يكن ذا رؤية سياسية كأبيه ،فلم يدرك طبيعة الأسباط المحيطة به ،ولا مدى تغلغل المفهوم القبلي السبطي في النفوس الذي عاد بقوة الى الساحة السياسية في شكل حروب ومعارك عملت على تقوية الشعور بالانتماء السبطي ،فخلقت بذلك مرحلة حرجة ومضطربة في حياة بني إسرائيل انتهت بالخضوع لفارس وغيرها من أمم الأرض ، ليتوارى بعدها الصراع السبطي القبلي كمحرك أساسي ورئيسي للأحداث بوجه عام[2] .

وأمام هذه الأحداث الجديدة استسلم رحبعام بسهولة لهذا الواقع،ولم يحاول حتى أن يخرج بجيشه مثلما فعل داود وسليمان من قبل لقمع التمرد،وفضّل سياسة المسالمة ،وتقديم التنازلات عن الضرائب،لكنّه تأخّر في ذلك،فأضطر بعد عملية التمرد عليه الى الهروب الى القدس خوفا على حياته[3].

[1]– إسماعيل حامد ،مرجع سابق ،ص 207 – 208

[2]– جلاء إدريس ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 50

[3]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 225

إذا تولّى رحبعام مملكة يهوذا،ويربعام مملكة الشمال ،وكان الضعف الذي أصاب المملكتين ،والافتقار الى الوحدة والاندماج الكلي في عالم الوثنية ،كل ذلك ألحق ضررا بالغا بوحدة الشعب الإسرائيلي تعذّر إصلاحه ،وفسح المجال أمام الشعوب الأخرى القوية لاستغلال تلك الثغرة ،فتفرّقت قبائلها بين الأمم،ولم يستطع هؤلاء الزعماء أن يعيدوا الأمور الى ما كانت عليه من قبل[1] .

ب– عودة الوفاق السياسي : عاد الوفاق السياسي والأمني بين المملكتين في عهد عمري فاستبدلت الحروب بعروض الإخاء والصداقة التي توّجت بالتزاوج بين أفراد الأسرتين في عهد الملك أخاب ؛بزواج ابنته عثليا من يهورام ابن يهو شافاط 865 ق.م ساعد ذلك على تقوية اسرائيل ضد سوريا .وازدادت سياسة الوفاق بين المملكتين في عهد يهو شافاط بن آسا ملك يهوذا ،وأخاب بن عمري بوضع حد للصراع العسكري بين المملكتين عن طريق المصاهرة ،ممّا أدّى الى حلول السلام والازدهار بين المملكتين ،واستمر هذا الوفاق السياسي والعلاقات الودية بين المملكتين مع يورام آخر ملوك أسرة عمري ويهو شافاط ملك يهوذا[2] .

ج– الإصلاحات السياسية : ظهرت هذه الإصلاحات في عهد الملك يوشيا الذي حاول إعادة توحيد إسرائيل ويهوذا من أجل توسيع عملية الإصلاح الديني داخل المملكتين ،وفي عهد الملك آسا الذي قام بعزل وإقصاء أمّه الملكة عن العرش ،حيث نال في ذلك تأييد كل من السلطة النبوية والشعب له[3] .

د– قيام المعارضة ودورها في عملية الإصلاح : قامت هذه المعارضة ممثّلة في الأنبياء كردّ فعل للوضع السياسي ،الديني ، الاجتماعي والاقتصادي ،وكردّ فعل للنظام الطبقي الذي اتسع مداه بين اليهود ،فقد كانت هناك جماعة تنعم بالغنى الفاحش ،وكان آخرون يتساقطون جوعا ،وأيضا كردّ فعل لانشغال الكهنة بالمال والتقاليد والمظاهر عن الروح الدينية الحقيقية ،وقد أسهم هؤلاء الأنبياء إسهاما كبيرا في إصلاح هذه الأوضاع ،فكانوا سياسيين ممتازين ،ورجال دين ثائرين على الاستغلال والخداع الكهنوتي ،وهم في ذلك يهدفون الى رقي المجتمع وسلامة الفرد من خلال ربط الدين بالأخلاق ،والعودة إلى عبادة الإله الواحد ، واعتبار قواعد السلوك كأوامر إلهية ،وإرساء مبدأ القانون والعدالة[4] .

---

[1]– موسكاتي ،تاريخ الحضارات القديمة ،مرجع سابق ،ص 125 ،مارغريت كينغ ،الخروج في القرآن ،ترجمة :هدى كيلاني ،مكتبة دار طلاس ،دمشق ،ط1 ،2010 م ،ص 190 .

[2]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص34 ،مالمات ،مرجع سابق ،ص 238 ،مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص 124.

[3]– مصطفى كمال عبد المنعم ،المرجع نفسه ،ص 161 .

[4]– أحمد شلبي ،مرجع سابق ،ص 145 ، ميخائيل مسعود ،مرجع سابق ، ص111 – 112

1- **الإصلاح السياسي والديني** : يعتبر العمل السياسي أو بالأحرى النقد السياسي من أهم جوانب النشاط البارز الذي قام به الأنبياء في هذه الفترة من تاريخ المملكة المنقسمة ،وقد احتوى هذا النقد على تقويمين في آن واحد الأول محلّي تمثل في تقويم السلوك السياسي لملوك وحكام اسرائيل ويهوذا،والثاني عالمي تمثل في سياسة القوى الكبرى في الشرق الأدنى القديم آنذاك ،فالعجز السياسي الواضح والضعف العام الذي أبداه الملوك تجاه أحداث عصرهم ،وغياب الحكم في بعض الأحيان ،وعدم قدرتهم في مواجهة هذه الأحداث مما أدى الى سقوط دولتي يهوذا وإسرائيل في يد الآشوريين والبابليين على التوالي ووقوع السبي البابلي ،دفع بالأنبياء الى محاولة تغطية هذا العجز السياسي الواضح وإظهار وجهة النظر فيه ،وتقديم المشورة السياسية لشعوبهم ،وتوضيح الأخطاء السياسية التي وقع فيها ملوك إسرائيل ويهوذا وإعطاء تفسير لهذه الأحداث بالتركيز على الدور السلبي الذي لعبه أنبياء البلاط أصحاب الوظائف الثابتة الذين نافقوا الملوك والحكام ،وتنبئوا لهم بما يرضيهم ،فساعدوا بذلك على إفساد الأوضاع السياسية ،حيث اعتمد بعض الملوك على تنبؤاتهم السياسية التي لم تكن مواكبة لطبيعة الأحداث الجارية وما أدت إليه في النهاية من دمار سياسي وأخلاقي[1] .

الدور السياسي الذي لعبه النبي شمعيا في إخماد الحرب الأهلية بين رحبعام ويربعام الذي قام بتقسيم الدولة والسيطرة على الجزء الشمالي[2] .

الدور الذي لعبه النبي إيليا في محاولة إصلاح الوضع السياسي والديني ،يبدو ذلك أولا من خلال انتقاد الفساد السياسي والديني ومواجهة الملك أخاب وزوجته الملكة إيزابيل ،وإرغام الشعب كلّه ووضعه في موقف التحدي أمام الملك ، وثانيا مواجهة أنبياء البعل والسخرية بإله أخاب وإيزابيل[3] .

وفي عهد الملك حزقيا الذي حاصره سنحاريب ملك آشور لم يكن أمامه إلّا الاستعانة بالنبي اشعيا بن أموص الذي صرخ الى السماء فأرسل الرب ملاكا فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد في محلة ملك آشور وخلّص الرب حزقيا وسكان أورشليم من سنحاريب ملك آشور[4].

الدور الكبير الذي لعبه إرميا في عهد الملك صدقيا تمثل في مواجهة الفساد السياسي والديني وتحذير الشعب والملك من انعكاسات هذا الفساد ،وتقديم المشورة السياسية ،ووضع الحلول الممكنة لمواجهة الأزمات والأحداث المستقبلية للبلاد

---

[1]- محمد خليفة حسن أحمد ،تاريخ النبوة الإسرائيلية ،مرجع سابق ،ص93

[2]- سفر أخبار الأيام الثاني 12 : 5 – 8

[3]- أنظر :المرجع السابق ،ص 94 – 95

[4]- سفر أخبار الأيام الثاني 32 :1 – 24

بالاعتماد على التنبؤات التي كان يقوم بها ،فقام بانتقاد سياسة الملك وعمل على إبراز الدور الحقيقي للملك ،وهو رعاية الرعيّة ،فإذا ما أخل الملك بهذه الوظيفة وجب خلعه وتعيين من يقوم بتحقيق رعاية الرعيّة ،وأمام فشل إرميا في إصلاح الوضع السياسي بسبب معصية الشعب والملك معا ،تنبأ بسقوط البلاد في يد نبوخذ نصر ملك بابل ،وكان يدعو الى المقاومة ويرفض وجهة النظر السياسية التي سادت لذا الشعب والحكام بأن يلجئوا الى مصر هربا من الخضوع لبابل ،وفي حال السبي كان يدعو الى ضرورة التكيف مع الوضع الجديد[1] .

2- **الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي** :كان للفساد السياسي والديني انعكاسا على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للملكتين تمثل في تدنّي المستوى المعيشي والصحي ،وظهور النّظام الطبقي الذي اتسع مداه بين اليهود ،وغياب العدالة الاجتماعية ،وقد واجه الأنبياء ذلك بالدعوة الى تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال إثارة الشعب ضد الفساد الاجتماعي[2] .

هـ- انفصال العاصمة :

إذا كانت دولة يهوذا قد حافظت على انتظام الحكم وتمتعت بقدر من السلام السياسي والديني ،وأبقت على العاصمة القديمة أورشليم مركزا للحكم ،فإن عدم انتظام الحكم في إسرائيل ،وتعدد الانقلابات العسكرية ،وإبادة أسر ملكية بأكملها ،وازدياد الفساد الديني كان سببا في تغيير العاصمة عدة مرات من شكيم الى ترصة الى السامرة.

1- **العاصمة شكيم** :أظهر يربعام منذ البداية حرصه الشديد على إضعاف مملكة يهوذا ،بإبراز شخصية مملكته الوليدة وتأكيد خصوصيتها – السياسية والأمنية والروحية- واستقلالها عن أسرة داود ،فاختار من بين المدن أوّلا شكيم عاصمة لدولته الجديدة ،هذا الاختيار يرجع في الأساس الى كونها المدينة التي تسلّم فيها مقاليد الحكم ،وأنّها تقع في قلب البلاد ،بها مصادر كثيرة للمياه ،وهي أيضا مدينة لها مكانة روحية في حياة بني إسرائيل لما فيها من أماكن مقدسة .إلّا أن ظروفا سياسية وأمنية أرغمت يربعام على نقل العاصمة،فمن جهة لم تكن مدينة محصّنة ؛إذ كانت عرضة لتهديدات يهوذا ومصر،ومن جهة أخرى بسبب المعارضة الشعبية على إقامة المعبدين في دان وبيت إيل[3].

[1]- سفر إرميا 23 :1 – 4 ،4 – 7 :29، 16 – 13: 42، 14 – 8: 25،

[2]- محمد خليفة حسن ،تاريخ النبوة الإسرائيلية ،مرجع سابق ،ص108

[3]- صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص231 ،مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص 93

2– **العاصمة ترصة** : بعد أن فشل يربعام في جعل شكيم مقرا دائما للحكم ،اختار مرة أخرى من بين المدن مدينة ترصة عاصمة جديدة للملكة ،واستمرت حتى عهد عمري ،ومن بعده بعشا كما يروي سفر الملوك ،وقد حرص يربعام على أن يجعل عاصمته في هذه المنطقة من أجل إحكام السيطرة على الطريق التجاري المؤدي من مملكة يهوذا الى فينيقيا[1].

3– **العاصمة السامرة** : حافظت المملكة في عهد أسرة عمري بشكل إجمالي على البنية السياسيَّة والإداريَّة التي وضعها سليمان ،ولكنَّها احتاجت إلى عاصمة جديدة ،فبعد بديلات عديدة اشترى عمري هضبة وبنى عليها مدينة محصَّنة وسمَّاها السامرة ،فأصبحت العاصمة الإدارية والسياسية في الشمال ،كان ذلك بعد ست سنوات من حكمه ،وأمّا السبب الذي جعل عمري ينقل العاصمة من ترصة الى السامرة ،هو أنّه أراد أن يتّجه نحو المركزية سعيا وراء تنظيم شؤونه السياسية والاقتصادية التي دخلت طور النضج .كذلك أراد سياسة المحايدة ،إذ أن السامرة لا تنتمي الى أيّ قبيلة ،وقد كان يحاكي في ذلك سياسة داود من قبل،كما أراد أن ينافس بها أورشليم دينيا ،ويجعلها مكان مقدّس للحج ،فبنى معبد وقصر وحي ملكي ،بالإضافة الى سور للمدينة تتخلله بوابات وأبراج ،وقد كان يحاكي في ذلك أيضا سياسة سليمان[2].

وأيضا لأهميتها الإستراتيجية والأمنية ،كونها تتميّز بحصانة موقعها ممّا جعلها أقل عرضة لأيّ هجوم مفاجئ كما كانت عليه ترصة من قبل ،وكونها أيضا وقعت في قلب المملكة على ملتقى الطرق ،فأشرفت على ما يحيط بها ،وتقع أيضا على بعد سبعة أميال شمال غرب شكيم على الطريق الرئيسي المؤدي الى فينيقية والجليل وازدارلون ،وهو طريق ممتاز ومنيع وحصين ،ممّا جعلها تصلح لأن تكون قاعدة للحكم في إسرائيل لمائة عام ونصف حتى هزمها الأشوريين سنة 722 ق .م[3] .

وبناء على السياسة التي انتهجها عمري في بناء وتأسيس العاصمة السامرة ،صارت تفوق سائر المدن من حيث الإنشاء والتحصين في كل إسرائيل ،فنمت نموًا سريعًا ،وظلَّت مركزًا هامًا حتى بعد زوال مملكة إسرائيل .وبذلك يكون الملك عمري قد أمّن لعاصمته الجديدة الاتصال بثقافتين راقيتين مجاورتين ؛هما الثقافة الفينيقية في الساحل والآرامية في الداخل ،بعد أن بناها وأعطاها اللمسات الأخيرة كإحدى آيات العمارة في فلسطين[4] .

2 – الشؤون الدينية :

---

[1]– سفر الملوك الأول 16 : 23 – 24، 15: 33

[2]– مصطفى كمال عبد المنعم ،المرجع السابق ،ص 111 - 112

[3]– صموئيل شولتز ،المرجع السابق ،ص335

[4]– السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 204 – 205

التحوّل الجذري في طبيعة الحياة كمجتمع إنساني عادي من مجتمع قبلي بسيط الى مجتمع الدولة الذي اتخذ من المدينة مركزا أساسيا لممارسة السلطة ،فكان لهذه النقلة تأثيرها الديني المباشر الذي يبدو في الشعور بالتحرر من سلطة الإله يهوه السياسية والتحرر من عهده بالحماية نتيجة هذا التطور في نظام الحكم من حكم قبلي ترتبط فيه القبيلة بإلهها ارتباطا عضويا الى حكم الدولة التي حلّت محلّ الإله في تأمين الحماية المفتقدة ؛معنى هذا أن الرابطة الدينية القديمة التي ربطت بين الإله والشعب في عهد أبدي بالحماية والرعاية والخلاص،هذه الرابطة انتهت مع قيام الدولة ،وازدياد الشعور بأن الدولة هي التي تتولى حماية الشعب بدلا من الإله ،أو نيابة عنه ،وقد كانت هذه بداية انفصال الشعب عن الإله واستقلال الدولة عن الدين[1] .

وقد لعب رجال الدين الرسميين دورا كبيرا في هذا الفساد الديني ،حيث تضامنوا مع الحكام وزيّنوا لهم إفسادهم وتسلطهم ،وأوهموا العامة أنّه لا يمكن لله أن يعاقب أبناء ابراهيم وإسحاق ويعقوب ،رغم تحذيرات الأنبياء بعواقب هذا الفساد[2] .

أ– التنظيم الكهنوتي :

تغيّر النّظام الديني مع تغيّر الوضع السياسي ،حيث تدل هذه المرحلة على عدم ثبات النّظام الديني ،فقد بدأ التغير مع يربعام الذي قام بإجراء تغيير جدري في النظام الكهنوتي للملكة ،حيث أوجد طبقة كهنوتية منافسة لبيت لاوي الورثة الشرعيين للتعليم والإرشاد الديني ،إذ أستبدل الكهنة اللاويين الذين كانوا يعملون في وظائف إدارية ترتبط بالقصر الملكي في عهد سليمان بطبقة أخرى من الكهنة من أبناء الطبقات العليا من الشعب ،ومنعهم من أداء الخدمة الدينية [3] ،وأقام نفسه رئيسا عليهم ،وباشر مهمة تقديم الذبائح ،وشجّع الشعب على اصعاد المحرقات ،وتقديم القرابين في المرتفعات في سائر أنحاء البلاد ،بل إنه استبدل تاريخ العيد بالشهر الثامن بدل السابع[4] .

ب– إقامة المعابد الدينية :

في مملكة إسرائيل أراد يربعام الثائر ضد أسرة داود أن يُوجد نوعا من التوازن الديني بين المملكتين ،فقام ببناء هيكلين في مدينتي بيت إيل ودان ،ووجّه عناية كبيرة لهما ؛بأن أضفى عليهما صبغة القداسة ،وقد كان يهدف من وراء ذلك الى القضاء على مركزية العبادة في هيكل سلمان بأورشليم ،وتفتيت الوحدة التي بناها داود بين مختلف أسباط المجتمع

[1]– محمد خليفة حسن ،تاريخ النبو ة،مرجع سابق ،ص 14

[2]– محمد هلال ،مرجع سابق ،ص 96

[3]– مالمات ،مرجع سابق ،ص 234 ،عرفان عبد الحميد ،مرجع سابق ،ص 40

[4]– سفر أخبار الأيام الثاني 11 – 13 15 ،سفر الملوك الأول 12 :25 – 34

الإسرائيلي عقائديا وثقافيا ،حتى يضمن القضاء على ولاء الشعب لأسرة داود ،وبالتالي القضاء على الحكم في نسله وكسب ولاء الشعب له ،وهو ما يعني تأمين عرشه الملكي[1] .

واستكمالا لسياسته أقام يربعام سياسة الوفاق الديني مرة أخرى بين عبادة يهوه ،وعبادة العجول الذهبية ،فأعاد عبادة العجل الى السامرة إرضاء من جهة لأولئك الناقمين من أبناء مملكة إسرائيل على أورشليم ،ومعبدها وتركيز العبادة فيها ،فصارت عبادة العجل علامة استقلال مملكة الشمال عن يهوذا وأسرة داود ،وهكذا حدث الانحراف الديني وعاد الشعب ثانية الى الوثنية ،ومن جهة أخرى إرضاء لأمراء كنعان الذين كان سليمان قد أذلهّم في البلاد ،وقد أصبحت هذه سياسة تقليدية لكل ملوك اسرائيل الذين جاءوا من بعده[2] ،وهو ما يؤكّده سفر الملوك من خلال تكرار هذه العبارة مع كل الملوك :" لم يحد عن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ"[3].

هذا الانحراف الديني الذي أحدثه يربعام دفع بالهجرة الجماعية للكهنة واللاويون من جميع أرجاء البلاد الى يهوذا اعتراضا على سياسته الجديدة ،واضطر الكثيرين منهم إلى ترك بيوتهم وممتلكاتهم والاستقرار في يهوذا[4].

كما دفع بالنبي أخيّا أن يقاوم هذا الفساد ،فقد أنذر يربعام بأن الله سينزع الملك من بيته بسبب عدم حفظه وصايا الله ،وقد تحقق ذلك .ففي عهده ضعفت المملكة بسبب الحرب الأهلية ،وفي عهد أبيام اغتصبت يهوذا مدينة إيل ،وأنهى الملك بعشا الحكم في هذه الأسرة بعد أن ذبح ناداب آخر ملك فيها[5] .

بعد خمسين سنة تطوَّر الوضع بصورة أخطر في عهد أسرة عمري الذي أقام سياسة الوفاق الديني بين صور وإسرائيل بزواج ابنه الملك أخاب إيزابيل ابنة ملك صور الوثني ،هذه الأخيرة ولأسباب سياسية استطاعت أن تلغي النّظام الديني الرسمي للدولة ،وأن تقيم عبادة البعل تحت رعاية الكهنة وأنبياء البعل بعد أن استبدلت المعبد الرئيسي بمعبد في السامرة ، فأصبح بذلك الدين الرسمي للدولة ذا صبغة كنعانية ؛إذ أصبحت المراسيم الدينية تقدم باسم الإله بعل ،كما حرصت الدولة على صيانة هذه العبادات ومقاومة خصومها والقضاء عليهم[6] .

---

[1]– بيومي مهران ،دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مرجع سابق ،ص 10

[2]– فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص242 ، مصطفى كمال عبد المنعم ،مرجع سابق ،ص 97

[3]– سفر الملوك الثاني 15 : 10

[4]– سفر أخبار الأيام الثاني 11 : 13 – 17

[5]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص232

[6]– فؤاد حسنين علي ،إسرائيل عبر التاريخ ،مرجع سابق ،ص 243 ،بيومي مهران ،بنو إسرائيل ،ج4 ،مرجع سابق ،ص 109

وقد أدّى دعم إيزابيل وتمويلها لعبادة البعل ،وتأثيرها في سياسة الدولة الى ظهور المعارضة النبوية من جديد ،فقد قاد النبي إيليا معارضة قوية ضد فكرة المصاهرة مع ملك صور ،وسياسة أخاب والملكة إيزابيل والكهنة وأنبياء البعل[1] ،من خلال الصراع الذي جرى بينه وبين أنبياء البعل الذين كانوا ينشطون تحت رعاية الملكة ،وقد بلغ عددهم 450 نبيا .وفي مواجهة علنية استطاع إيليا أن يتغلب على أنبياء البعل ،ويمسك بهم ويذبحهم في نهر قيشون ،وينتصر بذلك لعبادة يهوه[2].

ظهر العديد من الأنبياء في كل من مملكة إسرائيل ويهوذا ،وحاولوا أن يردوا قومهم الى عبادة الله ،لكن هؤلاء الأنبياء لقوا عنتا وتقتيلا ،وقد قتلت إزابيل وحدها مئات الأنبياء ،وكان في عهدها النبي إلياس الذي ندد بعبادة البعل[3] ،كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4].

وفي مملكة يهوذا لم يتوقف الوضع المتدهور للدولة في عهد ملوكها عند حد الضعف السياسي والعسكري كما وضّحنا من قبل ،ولكن امتد هذا الضعف إلى الوضع الديني ،حيث وقعت أورشليم تحت السيطرة الدينية الوثنية للكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم من الشعوب الوثنية المحيطة بها ،وتدهورت عبادة التوحيد الممثلة في عبادة "يهوه" تدهورا شديدا عندما أعلن عدد كبير من ملوك يهوذا التخلي عن عبادة يهوه ،وعبادة آلهة أجنبية كنعانية كنتيجة من نتائج الاندماج في البيئة الكنعانية .

فقد كان الملك رحبعام أوّل من أحلّ الوثنية كنظام ديني جديد في دولة يهوذا ،كما نصّ عليه العهد القديم:" [22]وَعَمِلَ يَهُوذَا الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَأَغَارُوهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَ آبَاؤُهُمْ بِخَطَايَاهُمُ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا [23]وَبَنَوْا هُمْ أَيْضًا لأَنْفُسِهِمْ مُرْتَفَعَاتٍ وَأَنْصَابًا وَسَوَارِيَ عَلَى كُلِّ تَلّ مُرْتَفِعٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ."[5] ،ليستمر الفساد الديني في أسرة رحبعام ،فواصل أبيام السياسة الدينية التقليدية وهي سياسة الشمول التي بدأها سليمان وصعّدها رحبعام ،فلم يلغي عبادة

[1]- بيومي مهران ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[2]- سفر الملوك الأول 18 :19 – 39

[3]- علي البار ،مرجع سابق ،ص 95

[4]- سورة الصافات :123 – 125

[5]- سفر الملوك الأول 14 : 22 – 23

الله في الهيكل لكنّه تغاضى على عبادة الآلهة الغريبة ،فقويت هذه العبادة وانتشرت في جميع أنحاء مملكة يهوذا ،وكانت هذه السياسة جديرة بإزالة الأسرة المالكة من أورشليم لو لا عهد الله الذي سبق وقطعه مع داود[1] .

وتحت حكم الملك منسى الذي أصبح تابعا لآشور عكس تشريعات أبيه الدينية ،فبنى المذابح لبعل ،وأنشأ تماثيل لعشتاروت وللخيول المقدسة للشمس في معبد القدس ،وأرسى تقليد تقديم قرابين الأطفال خارج المدينة[2] .

وإذا عدنا الى نصوص العهد القديم وجدنا عبارة "وفعل الشر في عيني الرب" أصبحت تقليدية تتكرر كثيرا مع باقي ملوك يهوذا الذين وقعوا في الوثنية وعبادة الآلهة الأجنبية ،وساهموا إسهاما كبيرا في انتشارها وتوسيعها على أرض يهوذا من خلال بناء المرتفعات وإقامة المذابح للبعل ،وتقليد الشعوب الوثنية بتقديم أبنائهم قرابين للآلهة ،ومن هؤلاء الملوك يهورام بن يهو شافاط ،وأحاز بن يوثام ،ومنسي بن حزقيا ،ويهو قاييم ،وصدقيا[3] .

وهكذا إذا كان الوضع الديني في أورشليم والسامرة هو ،وضع ديني واحد عماده الوثنية والعبادة الأجنبية للآلهة المتعددة خلال غالبية عصور ملوك يهوذا وإسرائيل ،مع أن كل منهما تدّعي أحقية قداسة معابدها ،لذلك نرى كل واحدة قد أحاطت معابدها بهالة من الاحترام والقداسة ،ويتهمان بعضهما بالكفر والخروج على الشريعة الموسوية .

أمّا في المرحلة التي عاد فيها الوفاق السياسي بين المملكتين في عهد أسا ويوشيا ،فقد شهدت هذه المرحلة حركة إصلاح دينية واسعة ،ففي مملكة الشمال قام الملك آسا بإصلاحات دينية تهدف الى القضاء على العبادة الوثنية ،فوضع برنامجا لذلك ،حيث أزال المذابح والمرتفعات الغريبة والسواري ،وأزال تمثال عشتروت وأحرقه في وادي قدرون ،وأعاد مذبح الرب ،وفي عهد يهو شافاط ازداد نظام الإصلاح الديني بفضل البرنامج الذي وضعه ؛إذ قام بتأسيس مجلس ديني يتكون من خمسة رؤساء بمساعدة تسعة من اللاويين البارزين واثنين من الكهنة لتعليم الشريعة في أجزاء يهوذا المختلفة[4] .

وفي مملكة يهوذا كذلك قام يوشيا بحركة إصلاح ديني واسع ،حيث اتسم بالتشدد في تطبيق الشريعة الموسوية ،فقام بتحطيم العبادة الوثنية ،وألغى طقوس الدعارة داخل الهيكل ،وذلك تحت إشراف الكهنة الذين حاولوا في الوقت ذاته

---

[1]- متى المسكين ، تاريخ إسرائيل ،مرجع سابق ،ص 109

[2]- كارين ،تاريخ الكتاب المقدس ،ص 20 – 21

[3]- سفر الملوك الثاني 8 :27، 16 : 3 – 4 ،21 : 20 – 22، 23 : 32، 37، 24 : 9، 19 : 24

[4]- شولتز ،مرجع سابق ،ص252 ، المراغي ،مرجع سابق ،ص 52 ،مالمات ،مرجع سابق ،ص 238

احتواء تعاليم الأنبياء وما فيها من جديد ضمن نطاق تعاليمهم الكهنوتية[1] .وسفر الملوك الثاني يعطي صورة واضحة للوضع الديني الوثني للملكتين ،ويصف الإصلاحات التي قام بها يوشيا[2] .

ولأنّه اعتبر دائما أن الأضرحة الملكية لمملكة الشمال غير شرعية ،قام بتدمير معبدي إيل والسامرة ،وقتل الكهنة في الصوامع الريفية ولوّث مذابحها المقدسة[3] .

ج– تغيير مراسيم الأعياد الدينية :

تأكيدا وترسيخا لمعنى الانفصال الديني عن المملكة الجنوبية عمد يربعام الى تغيير مراسم بعض الأعياد كعيد جني الكروم وعيد المظال ،واستبدل تاريخ عيد الفصح بالشهر الثامن بدل السابع ،هذا العيد الذي أُهمل الاحتفال به منذ القضاة حتى عهد يوشيا الذي أمر بالاحتفال[4] .

3 – الشؤون العسكرية :

أ– الحروب الأهلية :

اشتعلت الحرب الأهلية خلال 22 سنة التي حكم فيه رحبعام ،وأخذت عوامل التفرقة تقوى بين الدولتين إسرائيل ،وبين آحاز ملك يهوذا وفقح بن رمليا ملك إسرائيل ،وبين أبيا ملك يهوذا ويربعام ملك إسرائيل ،وبين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك إسرائيل .وفي هذه الحروب كان كل ملك يلجأ الى حليف قوي يدفع له الهدايا مشفوعة بمراسيم الذلة والخضوع ،كما فعل آسا ملك يهوذا مع بنهدد ملك آرام ضد بعشا ملك إسرائيل[5] .

وبسب هذه الحروب الأهلية بين المملكتين تمكّنت الدول التي كانت خاضعة لاسرائيل من الاستقلال عنها ،ممّا أضعف سيطرة إسرائيل على المنطقة وعلى طرق التجارة ،فكان لكل هذا أثره البالغ في إضعاف المملكتين ،فلم يعد لهما ذلك التأثير السياسي الذي كان من قبل في عهد داود وسليمان .

فالآراميون في دمشق استقلّوا بمملكتهم وأصبحوا قوة منافسة في المنطقة السورية الفلسطينية بسبب الحرب التي قامت بين مملكة يهوذا والمملكة الشمالية ؛بين الملكين آسا وبعشا ،واستطاعوا التحكم في الطرق والقوافل التجارية المتجهة إلى

---

[1]– كمال الصليبي ،حروب داود ،مرجع سابق ،ص 33

[2]– سفر الملوك الثاني 23 : 23 – 24

[3]– كارين ،مرجع سابق ،ص 22

[4]– سفر أخبار الأيام الثاني 11 : 13– 15 ،سفر الملوك الأول 12 :25 – 34 ،سفر الملوك الثاني 23 : 21 – 24

[5]– سفر الملوك الثاني 14 : 8 – 14 ،16 : 7 – 10 ،سفر أخبار الأيام الثاني 13 : 2 – 8 ،16 :1 – 6 ، سفر الملوك الأول 15 : 17 – 21

فينيقية ،والتي كانت تجلب معها خيرات وفيرة الى دمشق ،الأمر الذي ساند موقف مملكة سوريا وقوّى من وضعها .وأمّا العمونيون عبر الأردن فقد استقلّوا بعاصمتهم التي هي عمان اليوم ،واستعاد كذلك الموآبيون شرق البحر الميّت ،وسكان باشان شرق بحر الجليل ،والآدوميين استقلالهم وانفصلوا عن إسرائيل[1] .

كذلك استغلت مصر هذا الوضع ،فقام شيشنق بغزو يهوذا في السنة الخامسة لولاية رحبعام بالتعاون مع يربعام ،حيث خرّب المدن ونهب أورشليم فأخذ كنوز الهيكل والقصر كغنائم ،وفرض السيطرة على المملكتين[2] .

ومرة أخرى فشل رحبعام في أن يقاوم شيشنق ،بل لم يستطع أن يحافظ على العلاقة التي كانت تربطه به ،فكان أول من غزاه ،واستسلم رحبعام عند جبعون تفاديا لدمار أورشليم[3] ، كما جاء في العهد القديم :" وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ، لأَنَّهُمْ خَانُوا الرَّبَّ،... وَأَخَذَ الْمُدُنَ الْحَصِينَةَ الَّتِي لِيَهُوذَا وَأَتَى إِلَى

أُورُشَلِيمَ"[4] ،وبعد موت رحبعام شن حرب على يهوذا في عهد الملك أبيا واستولى على بيت إيل ومدن أخرى[5] .

وبعد احتلال يهوذا قام شيشنق باحتلال إسرائيل بسهولة ،إذ لم تنفع التحصينات التي قام بها سليمان ،وقام بإحراق المدن التي فاق عددها 150 موضعا في كل من يهوذا وإسرائيل[6] .

وفي عهد ياهو امتدت السيادة السورية حتى وصلت الى فلسطين وخضع ياهو لشلمنصر الثالث بدفعه الجزية ،وعندما استطاع حزائيل أن يوسع مملكته عندما انسحب الآشوريين أصبح ياهو حاز ضعيفا جدا بحيث استطاعت جيوش حزائيل أن تخترق حدود بلاده وتستولي على السهل الفلسطيني مدمرة جت وفارضة الجزية على ملك يهوذا في أورشليم[7] .

وفي سنة 740 ق.م غزا ملك آشور تجلات فلاسر دولة إسرائيل ،فدفع له ملكها محاييم بن جاد الجزية ،كذلك في سنة 727 ق.م هجم شلمنصر الثالث على مملكة إسرائيل ،لأنّها توقفت عن دفع الجزية فخضع ملكها هوشع بن أيله وقدم هدايا ثمينة لملك آشور[1] .

---

[1]- شولتز ،مرجع سابق ،ص222 ،متى المسكين ،تاريخ إسرائي ل،مرجع سابق ،ص 106

[2]- فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 215 ،كمال سعفان ،مرجع سابق ،ص 18

[3]- أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية ، مرجع سابق ،ص 40

[4]- سفر أخبار الأيام الثاني 12 :1 – 4

[5]- سفر أخبار الأيام الثاني 13 :13 – 20

[6]- أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، المرجع السابق ،ص 40

[7]- صموئيل شولتز، المرج السابق،ص225

استمرت الحرب الأهلية في عهد أبيام الذي تحدى يربعام داخل حدود أفرايم ،واستطاع أن يضعف قوة المملكة الشمالية باستيلائه على بيت إيل وعفرون وباشان والقرى المجاورة[2] .

ب– الحروب الخارجية :

بعد أن أصبحت إسرائيل ويهوذا دولتين قويتين وغنيتين خلال حكم يربعام الثاني وعزيا في القرن الثامن ،استعادتا زمام السيطرة على الطرق التجارية في المنطقة ،حيث استطاع يربعام ملك اسرائيل أن يسترد الأراضي التي أخذها الآراميون بعد أن ضعفت شوكتهم وهزموا على يد الأشوريين ،واستولى على جزء كبير من آرام[3] .وأمّا عزيا ملك يهوذا فاستعاد أراضي من الفلسطينيين ،واستعاد أرض آدوم التي كان داود قد استولى عليها.وقام الملك بعشا بحرب ضد ملك أرام ،واستمرت الحروب حتى أن إن الملك أخاب قُتل في تلك الحروب ،واستطاع الآراميون الاستيلاء على العاصمة السامرة ،وقام الملك ياهو بحرب ضد آشور إلاّ أنّه لم ينجح في ذلك واضطر إلى دفع الجزية ،كما فشل أيضا الملك فقح في مقاومة مملكة آشور الذي قام ملكها باحتلال إقليم الجليل وأسر عدد كبير من الشعب[4] .

وفي عهد الملك هوشع أصبحت دولة إسرائيل مقاطعة أشورية تخضع لدفع الجزية ،ولم يستطع تخفيف الضرائب عن شعبه ،ولما رفض دفع الجزية هاجمه شلمنصر الخامس وريث تجلات فلاسر ،وحاصر المدينة ثلاث سنوات بسبب قوة حصونها ،وسقطت في يد خلفه سرجون الثاني الذي سبى أحسن رجالها الى ميديا وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد[5] .

وتؤكد الأسفار رأي الباحثين ومنهم جيمس باركس بأن الصورة التي كان يظهر بها الوجود الإسرائيلي في فلسطين قد ارتبطت على مر العصور بالحالة في كل من مصر والعراق القديم ،وبالعلاقات بينهما ،كما كانت عوامل الحقد والبغضاء بين المملكتين من أسباب التعجيل بنهايتهما[6] .

4 – الشؤون الاجتماعية والاقتصادية :

في الفترة التي حدث فيها الانفصال أصيب الاقتصاد بالضرر بسبب انقطاع الطريق التجاري في عبر الأردن الشرقي ،ولكن كان أثر الأزمة أقل ضررا على مملكة يهوذا ،لأنّ خزانة المملكة لم تخلو بعد وظلت الطبقة الحاكمة تملك احتياطات اقتصادية ،إضافة الى سياسة ملوك يهوذا في الاعتماد على تربية الماشية ،واستصلاح الأراضي الزراعية ممّا زاد في معدلات

---

[1]– علي البار ،مرجع سابق ،ص 97

[2]– سفر أخبار الأيام الثاني 13 :1 – 22

[3]– سفر الملوك الثاني 14 :25

[4]– أطلس الكتاب المقدّس ،مرجع سابق ،ص 44 ،منصور عبد الحكيم ،مرجع سابق ،ص 68 – 69

[5]– فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 213

[6]– لواء أحمد عبد الوهاب،مرجع سابق،ص 89

الإنتاج .وبعد فترة زمنية أصبحت مملكة إسرائيل غنيّة متقدمة على يهوذا وذات اقتصاد متين قائم على الفلاحة وزراعة الحبوب ،وخاصة القمح والأشجار المثمرة من زيتون وكروم وفواكه نظرا لكثرة سهولها الخصبة ووفرة مياهها .أمّا يهوذا فأصبحت دولة فقيرة ذات اقتصاد يقوم على رعي الأغنام وتربية الماشية ،وكان سكّانها يعانون من شظف العيش يتنقلون بمواشيهم من مكان لآخر شأن البدو في كل مكان[1] .

وفي مملكة الشمال ازدهرت طبقة التجار بتأثير الملكية التي شجعت على التجارة كما شجعت على ظهور المهارات الحرفية المتخصصة ،وظهرت كذلك طبقة كبار الملّاك الذين كان الملك يقتطع لهم ضياعاً كبيرة مكافأة لهم على خدمات قدّموها له .وقد قُدِّر لهذه الطبقة أن تلعب دوراً كبيراً في تاريخ المملكة الشمالية ،وخصوصاً تلك الشريحة التي كانت موجودة في شرق الأردن ولعبت دوراً حاسماً في الحقبة الأخيرة ،على خلاف ما حدث في المملكة الجنوبية ،حيث لم تلعب هذه الطبقة دوراً كبيراً لضعفها ولعل هذا كان يعود إلى عدم وجود أراض زراعية كافية .

ورغم وجود منافسة سياسية ودينية ،وحروب بين المملكتين ،إلّا أن العلاقة الاقتصادية ظلت قائمة بينهما ،فإذا حلّت أزمة اقتصادية بإحدى المملكتين تتأثر بها الأخرى ،وفترات الازدهار تحل على كلتيهما في آن واحد[2] .

ثانيا :السياسة الخارجية

لعبت العلاقات الدولية دورا هاما وفعّالا خلال هذه الفترة التي خضعت فيها المملكة المنقسمة للنفوذ الأجنبي ونظرا لموقعها الاستراتيجي دائما في الهلال الخصيب ما بين مصر وما بين النهرين ،فإنّه كان من الصعب أن تتجنب ضغط الأمم المختلفة التي تصاعدت قوّتها وتضاعف نفوذها ،ففي أغلب فترات الحكم كان ملوك المملكتين خاضعين أو تابعين للمصريين والأشوريين والآراميين يدفعون الجزية ذلا وخضوعا أو طلبا للحماية .

1 – الشؤون السياسية :

أصبحت السياسة المألوفة في كلا المملكتين هي الانتماء الى قوة كبرى طلبا للحماية من خطر الغزو الأجنبي المضاد لتوسعاتهما ،أو حتى مما يقع بينهما من حروب أهلية ومواجهات عسكرية ،كما نجد ذلك من خلال :

أ – **العلاقة مع الآراميين :**

[1] – مالمات ،مرجع سابق ،ص 226 ،نجيب زبيب ،التاريخ الحقيقي لليهود ،دار الهادي ،بيروت ،لبنان ،ط 3، 1428 هـ ،2007 م ،ص 152

[2] – المرجع نفسه ،ص 227

التحالف السياسي الذي أقامه آسا ملك يهوذا مع ملك آرام بنهدد الأول على إثر الحرب الأهلية مع بعشا ملك إسرائيل ،يبدو ذلك عندما شرع بعشا في تأمين حدود مدينة الرامة ببناء سور حول المدينة بحجارة كان آسا قد جلبها ،إلّا أن آسا أرسل كنوز الهيكل الى بنهدد رشوة وطلب منه تهديم ما بناه بعشا وفقا للتحالف الذي تم بين الطرفين ضد المملكة الشمالية ،فكانت الحماية مقابل جزية من المال[1] .

التحالف السياسي الذي وقع بين مملكة الشمال وبين مملكة آرام طلبا للحماية من مملكة يهوذا مقابل التنازل عن دمشق لملك آرام[2] .

ب– العلاقة مع فينيقيا :

أمّا الملك عمري بعد بنائه للسامرة كان مهتما بالسيطرة على الطرق التجارية الدولية لتأمين اتصاله بالعالم الخارجي ،فلقد أمنت له المصاهرة مع أقوى ملوك فينيقية ،وزواج ابنه أخاب من ابنة ملك الصيدونيين الوصول الى الساحل السوري من أجل أن يضع حد من احتكار سوريا للتجارة مع فينيقية ،وكان في الوقت نفسه مسيطرا على شبكة التجارة المحلية بما فيها الطريق الصاعد من النقب عبر أورشليم[3] .

2 – الشؤون العسكرية :

التعاون العسكري بين الملك أخاب والملك بنهدد ،ففي سنة 853 ق.م أقاما بينهما حلفا لمقاومة الغزو الآشوري ضم قواتهما العسكرية في المعركة الشهيرة في كركور في واد أورنتز شمال حماه ،وحدث خلال الائتلاف الذي ترأسه بنهدد الدمشقي أن أخاب زود الجيش بوحدات مسلحة ضخمة مكونة من 2000 عربة و10000 جندي ،وبهذا ظهر لأول مرة في تاريخ بني إسرائيل تحالف آرامي إسرائيلي مؤقت دام حوالي ثلاث سنوات أمام الخطر الآشوري ،ولكن سرعان ما فقد هذا التحالف فاعليته فتجدد العداء بين السامرة ودمشق ،وقاد بنهدد حربا ضد يهوذا والسامرة انتهت بموت الملك أخاب[4] .

3– الشؤون الاقتصادية :

أ– العلاقة مع الآراميين :

[1]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص222 ،محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص 145

[2]– ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 107

[3]– السواح ،آرام دمشق وإسرائيل ،مرجع سابق ،ص 207 – 208

[4]– صموئيل شولتز ،مرجع سابق ،ص225 ،مصطفى كمال ، مرجع سابق ،ص ص 119 – 121

سمح عمري للآراميين أن يقيموا أسواقا خاصة بهم داخل السامرة أشبه بالموانئ المفتوحة ،وأعطاهم حق امتياز التجارة لشعب دمشق ،وذلك لأن تجار آرام اتخذوا من دمشق طريقا للتجارة ينقلون عبرها تجارتهم الى ساحل البحر المتوسط[1] .

ب- العلاقة مع الفينيقيين :

استطاع عمري أن يكسر سياسة الاحتكار التجاري الذي فرضته سوريا ،وذلك بعقد معاهدة مع فينيقية ،ومن بعده استطاع آخاب أن يغذي هذه السياسة بحكم علاقة المصاهرة مع فينقيا ويهوذا[2] .

القرآن الكريم لم يتحدث عن هذه التفاصيل التي تحدثت عنها نصوص العهد القديم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- مصطفى كمال ،المرجع نفسه ،ص115

[2]- سفر الملوك الأول 16 : 31

الفصل الثاني :

التنظيم الإداري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :التنظيم الإداري المدني

أولا :الجهاز الإداري

1- الوظائف الإدارية :

بعد انقسام المملكة أُلغي الجهاز الإداري ،وأصبح لكل مملكة تنظيمات إدارية خاصة بها ،فمملكة يهوذا حافظت على تقاليد تنظيماتها الإدارية إلى حد ما، بحكم أن هذه المملكة أبقت على مقرّها الإداري ومركزها السياسي وسياستها الدينية المعهودة ،في حين أن التغيير الجدري الذي أحدثه يربعام في مملكة الشمال تطلب وجود تنظيم إداري خاص يتماشى مع هذا التغيير الذي أصبح يراعي مصلحة الملك خاصة بعد أن سيطر النظام الإقطاعي في أغلب فترات حكم الملوك التالية ،الذين تحوّلوا إلى إقطاعيين يمارسون سلطتهم على الشعب والأراضي ،معتمدين في ذلك على مجموعة من الموظفين تحمي مصالحهم السياسية ،الدينية والاقتصادية وقد تمثلت هذه الوظائف[1] :

أ- الوظيفة الدينية :تحتل الوظيفة الدينية المكانة الأولى من بين الوظائف الأخرى ،ففي مملكة يهوذا كانت هذه الوظيفة من اختصاص الكاهن الذي كان له دور في توجيه السياسة وإن كان هذا الدور غير مباشر ،وإنّما هو يتّم من خلال السلطة الملكية وبخاصة عندما يكون الملك صغير السن نشأ في رعاية الكاهن وتعاليمه .أمّا في مملكة الشمال فهي من اختصاص الملك الذي ظل يمثل السلطة العليا .

ب- الوظيفة المالية :هذه الوظيفة على رأسها أمين المال الذي يعمل على مراقبة الأموال التي تدخل خزينة الملك من قِبل النُظّار الموكلين على أعمال التسخير.

ج- الوظيفة الأمنية :يشغل هذه الوظيفة حرّاس وضباط ورؤساء المئات الذي يقومون بحراسة الهيكل والقصر الملكي.

د- وظائف خدماتية :هذه الوظائف كان يشغلها مجموعة من الحرفيين من نجّارين وبنائين ونحاتين خاصة في مملكة اسرائيل التي عرفت نشاطا كبيرا في مجال العمران ،وأهتم ملوكها بنحت العجول الذهبية وغيرها .

والمتتبع لنصوص العهد القديم لا يلمس وجود جهاز إداري بكامل عناصره في كلا المملكتين ،أمّا طبيعة النظام الإداري في هذه الفترة فيذكر مالمات أن الحفائر الأثرية بفلسطين والتي ترجع الى منتصف القرن 18 ق.م ،ألقت الضوء على البنية الإدارية لإسرائيل ويهوذا،من خلال إبراز الأختام الموجودة على الأواني الفخارية التي كانت تعكس نظم وفنون الإدارة[2] .

2 – التقسيم الإداري :

[1]- سفر الملوك الثاني 11 : 18 – 19 ،12 : 10 - 11

[2]- مالمات ،مرجع سابق ،ص 232

تبعا لسياسة الانفصال تغيّر نظام التقسيم الإداري الذي كان متّبعا من قبل وحلّ محلّه نظام المقاطعات الإدارية ،ففي مملكة يهوذا قام رحبعام بتقسيم المملكة إلى مدن وتعين حاكم مختص على كل مدينة محاولا بذلك تثبيت وتأمين حدود المملكة ،أمّا سياسة يربعام في مملكة إسرائيل فقد رأى أنّه من الأفضل أن يعود الى سياسة سليمان ،إلاّ أن الوضع تغيّر في عهد أسرة عمري التي نجحت في إقامة نظام المقاطعات الإدارية بدلا من التنظيم القبلي ،وهو النّظام الذي لعب دورا رئيسيا في تقوية النفوذ المركزي للسلطة الملكية[1] .وسفر الملوك يشير إلى العدد الهائل لهذه المقاطعات الإدارية ،حيث يذكر أن أخاب أحصى رؤساء المقاطعات الذين بلغ عددهم مائتين واثنين وثلاثين[2] .

ثانيا :النظام المالي

1 – الموارد المالية :

أصبحت السياسة المالية في هذه الفترة هي توفير كميّات الذهب والفضة كموارد أساسية كان يُعتمد عليها في إقامة المنشئات العمرانية المدنية والعسكرية ،حيث بيّنت نصوص العهد القديم كميّات الذهب والفضة التي كانت تحويها خزائن بيت الرب وخزائن قصور الملوك من خلال الإشارات المتكررة إلى هذه الموارد المالية ،وكمثال على ذلك ففي مملكة يهوذا أشارت إلى الثراء الذي كانت عليه هذه المملكة في عهد رحبعام ،حيث أن خزائنه كانت ممتلئة بأتراس الذهب والفضة التي تركها سليمان،وفي عهد يهوآش ورد الحديث فيه عن تخصيص صندوق لجمع كميّات الفضة التي كان مصدرها التقدمات الطواعية ،والتي جُبيت من الإحصاء ،وفضة النذور لترميم الهيكل .وفي مملكة إسرائيل أشارت نصوص العهد القديم كذلك إلى أن خزائن الملوك كانت ممتلئة بكنوز الذهب والفضة ،فمثلا وردت الإشارة إلى كنوز الذهب والفضة التي قدّمها كل من بعشا وأخاب لبنهدد ملك آرام ،وكنوز الذهب والفضة والنحاس التي أخذها نبو خذ نصر بعد تدمير هيكل أورشليم[3] .

إضافة إلى هذه الموارد الأساسية ،كان من مصادر الدخل الحكومي في كلتا المملكتين يتمثل في تبرعات الشعب ،والضرائب التي تُجبى من الشعب بانتظام ،ومحصول الأملاك الحكومية من حقول وكروم ومراعي ،والأرباح التجارية وغيرها من مصادر الدخل .

2 – النظام الضريبي :

[1]– شولتز ،مرجع سابق ،ص231 ،كمال مصطفى، مرجع سابق ،117

[2]– سفر الملوك الأول 20 : 15

[3]– سفر أخبار الأيام الثاني 11: 2 ،سفر الملوك الأول 15:18،14:26، 20: 1 – 4،سفر الملوك الثاني 12: 4 ،21 :13 – 17

شكّل النّظام الضريبي في هذه الفترة صراعا سياسيا قويّا بين الملك رحبعام وشيوخ القبائل الذين طالبوه بتخفيف عبء الجزية الثقيل الذي كان سليمان قد فرضه من قبل مقابل الولاء له ولحكمه ،لكّن رحبعام رفض ذلك بل زاد من عبء الجزية فكان ذلك سببا في انقسام المملكة .بعدها استمر الملوك في فرض الجزية بقوّة حتى أنّ تحذيرات الأنبياء تضمنت الشكوى من ثقل هذه الجزية التي فرضها الملوك على الشعب ،ونظرا لأنّه لم يكن هناك قانون ينظّم صرف الموارد العامة وقيمة الجزية ،كان الملك يأخذ كل ما يستطيع أخذه[1] ،يتضح ذلك من قصة الملك أخاب الذي أخذ كرم نابوت البزرعيلي[2] .

وكانت الضرائب تُفرض على المواد والمنتجات المحلّية والمواد المستوردة على حد السواء ،فمثلا نصوص العهد القديم تشير إلى النظام الضريبي الذي فرضه أخاب على المواد المستوردة من مؤاب من الدواجن والمواشي[3] .

وفي أواخر أيّام الملوك التي تمثل مرحلة الضعف والانحطاط والزوال أصبحت خزينة الملوك خاضعة للسيطرة الأجنبية ،فكانت الجزية تُفرض على الملوك أنفسهم من قبل الدول التي فرضت السيادة على المنطقة ،بعد أن كان الملوك الأوائل يقدّمونها طواعية من أجل إشراك الأمراء الآراميين في حروبهم ،فقد كان الملك عمري أول ملوك اسرائيل يدفع الجزية لآشور ،ثم خضع كل من ياهو ومحاييم وهوشع لدفعها بانتظام لهذه المملكة التي فرضت السيطرة على المنطقة كما سبق بيان ذلك .

ثالثا :نظام الشغل

1– الأشغال العامة :لقد أدّى التنافس السياسي ،الديني، العسكري ،الاجتماعي والاقتصادي بين المملكتين إلى تعدد الأشغال العامة وتنوعها بين تربية المواشي والزراعة والتجارة والنجارة والحدادة والنحت والبناء والصناعة مع تراجع نظام التسخير الذي أسسه سليمان من قبل ،ذلك أن نظام الشغل أصبح يعتمد على الأيدي العاملة اليهودية ،فكان الفلاحون المعدمون ،وصغار المزارعين ،والعمال الموسميين والعبيد والجماعات الهامشية المختلفة ،وصغار التجار ،وفي مجال المشروعات العمرانية تطور نظام الشغل فاحتاج الملوك إلى الأيدي العاملة من بنّائين ونجّارين وحدادين ونحاتين لترميم الهيكل ،وقد ظهر ذلك في عهد كل من يهوآش ويوشيا، وفي عهد نبو خذ نصر قام بسبي ملك يهوذا والنجارين والحدادين من أورشليم إلى بابل[4] .

[1]– بباوي ،دائرة المعارف الكتابية ،ج2 ،مرجع سابق ،ص 540

[2]– سفر الملوك الأول 21 : 1

[3]– سفر الملوك الثاني 3 : 4

[4]– سفر الملوك الثاني 12 : 11 ،24 : 14 – 16

2 – المنشآت العمرانية :

أ – بناء المستوطنات والحصون :

في مملكة اسرائيل ،سمحت الموارد المالية الكبيرة الناتجة عن السياسة التجارية وتحقيق السلام والأمن الدولي في عهد أسرة عمري من الإعلان عن البرنامج الإنشائي الواسع في مجال العمران ،حيث أهتم هذا الأخير بسياسة بناء المنشآت العمرانية فشيّد هيكلا في السامرة ،والعديد من المستوطنات المحصنة في بئر سبع غربا ،وعراد شمالا، وقادش وجبل رامون جنوبا[1] .

ومن بعده استمر أخاب في سياسة بناء المستوطنات السكنية والمدن والتحصينات في المناطق والمواقع الإستراتيجية ، فبنى مدنا كثيرة على نمط مباني سليمان وحصّنها تحصينا تاما في سائر أنحاء المملكة بما في ذلك أريحا ،كما قام بتحويل الحي الملكي الى ما يشبه قلعة محاطة باستحكامات دفاعية ،وقد توجت هذه السياسة العمرانية بإنشاء البيت العاجي ،حيث قام بتجديد شامل للقصر الملكي الذي بناه الملك عمري تضمن إنشاء كثير من الجدران المكسوة بالعاج[2] ،وقد أظهرت الحفريات الحديثة أن فيه أثاثا منزلا بالعاج ،وجانبا كبيرا منه مكسوا بالذهب[3] .وأعاد يربعام ترميم السامرة وتشيّدها وتحصينها بطرق فنيّة حتى أن مملكة أشور قضت ثلاث سنوات وهي تحاول إسقاط المدينة[4] .

وفي يهوذا قام رحبعام في السنوات الأولى من حكمه بمشروعات إنشائية ضخمة ،كما أتم تحصين العديد من المدن في أنحاء يهوذا وبنيامين على خلفية الهجوم الذي قام به شيشنق ،وخزّن فيها مؤنا وزيتا وخمرا وأتراسا ورماحا ،وعيّن عليها قوّاد ،وقد احتفظ سفر أخبار الأيام بقائمة مفصلة لتلك الحصون ،كما استفاد آسا من السلام الذي عم المملكة من تحصين مدن يهوذا وتقوية الجيش ،وقام يهو شافاط بتحصين مدنه وبناء المخازن والحصون في أنحاء البلاد[5] .

وفي عهد الملك عزيا الذي استفاد من توقف حركات الهجوم الأشوري والمصري قام بإصلاح حصون أورشليم ،وبناء الأبراج لحماية الثروة الحيوانية[6] .

---

[1]– أنظر :محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص149

[2]– سفر ملوك الأول 16 : 34، 16: 30 – 32، 22: 39

[3]– فليب حتى ،مرجع سابق ،ص 209

[4]– شولتز ، مرجع سابق ،ص 263

[5]– سفر أخبار الأيام الثاني 11 : 5 – 12

[6]– فليب حتى ،المرجع السابق ،ص 216

ب– قنوات المياه : ازداد الاهتمام بحفر قنوات المياه في آخر عهد مملكة يهوذا ،فقام عزريا بحفر الخزانات من أجل تنشيط الزراعة ،وقام حزقيا بحفر قناة طولها 1700 قدم ليضمن المياه اللازمة لعاصمته احتياطا لأيّ حصار[1] .

المبحث الثالث :التنظيم العسكري

أولا : تشكيل الجيش وإعداده

1– التجنيد :

تشير نصوص العهد القديم إلى أن الطريقة التي أصبح الملوك يعتمدون عليها لتشكيل الجيش في غياب وجود مؤسسة عسكرية منظمة كما كان في عهد داود وسليمان ،هي عملية حشد وجمع الجنود الأشدّاء دون مراعاة قانون التجنيد الذي سنّه موسى من قبل ،فأصبح المعيار الوحيد الذي يُعتمد عليه هو التركيز على جانب القوّة والشدّة لضم المقاتلين إلى صفوف الجيش ،فمثلا وردت الإشارة إلى أن رحبعام بعد عودته من المنفى إلى أورشليم قام بحشد جيش كبير من سبط يهوذ وبنيامين مكوّن من مائة وثمانين ألف من نخبة المقاتلين[2] .

ونظر لضعف التنظيم العسكري في هذه المرحلة أصبح الملوك يلجأون إلى استئجار الجيوش ،ففي عهد يهوآش أمصيا ملك يهوذا استأجر جيشا ليساعده في إخضاع الآدوميين[3] .

2– تنظيم القوات :

التنظيمات التي عرفتها الإدارة العسكرية في هذه الفترة أصبحت تختلف من حيث تقسيم الجيش وتنظيمه بين مملكة الشمال والجنوب ،ففي مملكة الشمال التي تطوّر فيها نظام استخدام الخيل والمركبات الحربية ،أصبح الجيش يُنظم ويقسّم بناء على هذه الآليات الحربية إلى ثلاثة أقسام ،فمثلا تشير نصوص العهد القديم إلى أن جيش يهو أحاز كان ينقسم إلى ثلاث فئات هي :الفرسان ،وفرسان المركبات ،والمشاة .وأخاب الذي كان جيشه يتكون من 2,000مركبة ، و10 ,000من المشاة ،ينقسم إلى فرسان المركبات ،والمشاة ،ورؤساء المقاطعات[4] .أمّا التنظيم العسكري في مملكة يهوذا

[1]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

[2]– سفر الملوك الأول 12 : 21

[3]– سفر أخبار الأيام الثاني 25 :13

[4]– سفر الملوك الثاني 12 : 17 سفر الملوك الأول 20 : 15

فإنّه دائما يخضع لطبيعة المنطقة الجبلية التي لم تسمح باستخدام المركبات الحربية ،لذلك ظل تقسيم الجيش إلى فئتي الفرسان والمشاة[1] .

3– التعبئة المعنوية :

أصبحت السياسة الجديدة المنتهجة من قبل الملوك في شحذ الهمم ورفع الروح المعنوية لدى المقاتلين قائمة على استغلال النزعة الدينية ،والشرف العائلي والقبلي ،فقد أدرك ذلك نحميا بن حلكيا في الوقت الذي هاجم فيه العمونيون والأشدوديون أورشليم ،فقام بتنظيم قوّاته من ناحية ومارس دوره التعبوي من ناحية أخرى حيث يقول :" وَنَظَرْتُ وَقُمْتُ وَقُلْتُ لِلْعُظَمَاءِ وَالْوُلاَةِ وَلِبَقِيَّةِ الشَّعْبِ:"لاَ تَخَافُوهُمْ بَلِ اذْكُرُوا السَّيِّدَ الْعَظِيمَ الْمَرْهُوبَ، وَحَارِبُوا مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَبُيُوتِكُمْ"."[2].

ثانيا : أساليب القتال وعملياته

في هذه الفترة التي توسعت فيها الحروب الأهلية الداخلية بسبب التنافس على السلطة ،والهجمات الخارجية بسبب الضعف السياسي والعسكري ،لجأ الملوك إلى التركيز على الوسائل الدفاعية ،خاصة أمام كثرة الآليات الحربية التي كانت بحوزة جيوش الأعداء، ومنها :

1– الحيل والخداع :

في هذا العهد أصبح هذا الفن من القتال يعتمد التنكر كوسيلة للتمويه على العدو كما فعل الملك أخاب عندما تنّكر حتى لا يعرفه العدو ،لأنّه يعرف أن العادة هي قتل القائد من أجل إنهاء المعركة بسرعة[3] .

2 – الحصار :

في هذه المرحلة التي توسعت فيها دائرة الحروب الأهلية بسبب التنافس على السلطة ،لجأ بعض الملوك الى استعمال سلاح الحصار لاغتصاب الحكم ،ففي الصراع الدائر بين ملوك المملكة الشمالية قام عمري بمحاصرة مدينة ترصة محل إقامة زمري ،وأخذها منه ،الأمر الذي دفع بزمري للانتحار قبل أن يتمكن منه منافسه ويقتله ،وكانت الحروب بين بعشا ونداب وأيلة حروب حصار[4] .

---

[1]– التفسير التطبيقي ،مرجع سابق ،ص 759

[2]– سفر نحميا 4 : 14

[3]– ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 159

[4]– سفر الملوك الأول 16 :17 – 18 ،15 : 27

وإذا كان الحصار وسيلة ناجعة استعملها الملوك في احتلال المدن وإبادة سكانها ،فإنّهم أفادوا من ذلك في اتخاذ الوسائل المضادة للحصار بهدف مقاومته من ناحية ،وإطالة أمده من ناحية أخرى إذا ما ألجأهم العدو الى ذلك ،كما حدث مع سنحاريب ملك آشور الذي أراد أن يحتل أورشليم في عهد الملك حزقيا ،فقام هذا الأخير بالتشاور مع قائد أركان جيشه حول الوسائل المضادة للحصار المتوقع من قبل سنحاريب[1] .

3- التحصينات العسكرية :

أ- **القلاع والحصون** : ازداد الاهتمام بسياسة إنشاء الحصون والقلاع كوسائل دفاعية وتطور في هذه الفترة ،حيث قامت كل مملكة من المملكتين بإنشاء سلسلة دائرية من القلاع والحصون أقيمت على كافة الطرق الرئيسية التجارية ،وعلى طول الحدود ،فمثلا رحبعام أنشأ في فترة حكمه العديد من القلاع والحصون وشدّدها ،وجعل عليها القوّاد ،وجهّزها بالعتاد الحربي ،وزوّدها بالمؤن الغذائية ،هذه النماذج من القلاع اكتشفت في شكيم ،مجدو وبيت شان ، وتسميها التوراة مجدال[2] .

ب- الأسوار والأبراج : لقد أدرك الملوك أهمية الأبراج والأسوار من الناحية الدفاعية ،حيث كانت تحيط بالمدن المختلفة ،وكانت ذات أبواب تفتح نهارا وتغلق ليلا ،وكانت تقام على هذه الأسوار وفي زواياها أبراج تنصب عليها المنجنيقات للدفاع عن المدينة وقت حصارها أو مهاجمتها ،ورمي السهام والحجارة من فوقها ،وهو ما قام به عزيا بن أمصيا[3] ،كما يشير الى ذلك العهد القديم :" وَبَنَى عُزِّيَّا أَبْرَاجًا فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الزَّاوِيَةِ وَعِنْدَ بَابِ الْوَادِي وَعِنْدَ الزَّاوِيَةِ وَحَصَّنَهَا وَبَنَى أَبْرَاجًا فِي الْبَرِّيَّةِ..."[4] .

ولما غزا الأشوريون أورشليم كانت الأسوار تحيط بمدينة أورشليم على الجبال وعلى التلال وعلى كل برج عال .وفي مملكة يهوذا حاصر الملك الأشوري سنحاريب ستا وأربعين مدينة محصنة ،مستعملا في ذلك آلات حربية لهدم الأسوار. ،وفي عهد الملك صدقيا حاصر نبو خذ نصر المدينة ولم يستطع اقتحامها إلاّ بعد عامين من الحصار[5] .

ثالثا :معدات القتال في الحروب

---

[1]- محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،مرجع سابق ،ص141 ،شنودة ،المجتمع اليهودي ،مرجع سابق ،ص 456

[2]- سفر أخبار الأيام الثاني 11 :5 – 12 ،أنظر : محمد إدريس جلاء ،فلسفة الحرب ،المرجع نفسه ،ص 143 - 144

[3]- المرجع نفسه ،ص 145

[4]- سفر أخبار الأيام الثاني 26 : 9 – 10

[5]- ظاظا ،شريعة الحرب ،مرجع سابق ،ص 170

يبرز العهد القديم الدور الذي لعبته المركبات كوسيلة لإدارة المعارك في الحروب التي خاضها ملوك المملكة الشمالية في هذه الفترة من تاريخ بني إسرائيل أكثر من أي وسيلة أخرى ،فقد كان لأيلة بن بعشا مجموعات من المركبات لكل مجموعة رئيس،كذلك استخدمها الملك أخاب على نطاق واسع ،فكان جيشه مزودا بهذه المراكب ،حتى أنّه أصيب بسهم وهو في مركبته .وفي حروب ياهو مع الآراميين قُضي على قوّاته المركبية فلم يبق معه سوى خمسين فارسا وعشر مركبات ،كذلك يبرز العهد القديم الدور الذي لعبته الخيول في هذه المرحلة كوسيلة من وسائل الحرب المتقدمة[1] .

القرآن الكريم لم يشر ولم يذكر هذه التفاصيل التي أوردها العهد القديم .

[1]- سفر الملوك الأول 22 :34 ،16 : 8- 9 ،سفر الملوك الثاني 13 : 7 ،3 : 7

الفصل الثالث :

التنظيم القضائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : القضاء

أولا : سلطة القضاء

بعد انقسام الدولة إلى دولتين ،احتفظ الملك بسلطة القضاء فكان يفصل في الخصومات ،كذلك احتفظ الشيوخ بالنظر في القضايا المحلية في مملكة يهوذا ،أمّا في مملكة إسرائيل فقد اندمج مجلس الشيوخ في جمعية الشعب التي تتكون من بعض الموظفين الملكيين وبعض شيوخ العشائر والقبائل ،وكانت هذه الجمعية تختص بالنظر والفصل في بعض الجرائم الخطيرة ،وفيما عدا هذه الاختصاصات الاستثنائية كان القضاء يتولاه الملك وينوب عنه قضاة للفصل في الخصومات[1]. وفي مملكة يهوذا قام يهوشافاط بإصلاحات عميقة في نظام القضاء ،فعيّن كل من رئيس الكهنة وأعطاه سلطة الفصل في كل ما يتعلّق بالأمور الدينية ،ورئيس يهوذا وفوّض إليه أمر الشؤون المدنية (شؤون الملك) ،واللاويون وولاّهم الإشراف على تنفيذ الأحكام[2] .

ثانيا :مكان القضاء

في هذه الفترة لم يتغيّر مكان القضاء عما كان عليه في عهد سليمان ،وبقى نظام القضاء مركزي في كل من المملكتين حتى عهد يهوشافاط الذي استطاع بفضل السلام والاستقرار أن يقوم بإصلاحات عميقة في نظام القضاء ،حيث قام بإنشاء مؤسسات قضائية محلّية في مدن يهوذا حسب النّظام الذي وضعه صموئيل من قبل ،وعيّن عليها قضاة ،وأقام مؤسسة قضائية عليا في القدس فأصبحت في هذا النظام محكمة عليا على رأسها أمريا الكاهن الرأس[3] .

ثالثا :إجراءات القضاء

العهد القديم يعطي صورة واضحة عن المراحل التي مر بها القضاء بعد انقسام المملكة ،بدء بالفساد الذي أصاب هذا النظام بسبب فساد نظام الحكم في هذه الفترة التي تحوّل فيها الملوك إلى إقطاعيين يعملون على اغتصاب ملكيات الأفراد وتحويلها إلى ملكيات خاصة ،حيث أُلغي العمل بتطبيق قوانين وأحكام الشريعة التي تنصّ على تحقيق العدالة الاجتماعية، فأصبحت إجراءات القضاء ومحاكمة المتهمين لا تقوم على أساس التحري في القضية واثبات صدق الدعاوي وفرض العقوبة على الرشوة وشهادة الزور وغيرها ،وإنّما أصبحت المحاكمة تتم وفق رغبة وتدبير الملك الذي جعل القاضي والشهود تحت سلطته ،يبدو ذلك من خلال حادثة الملك أخاب الذي أقدم بمشورة زوجته الوثنية إيزابيل على مصادرة كرم نابوت ،ثم الأمر بقتله بناء على شهادة الشاهدين الذين اتهماه بالخيانة والتجديف عليه وعلى الله من خلال التحريض على

[1]- صوفي ،مرجع سابق ،ص 463

[2]- سفر أخبار الأيام الثاني 19 : 8 – 11 ،موسكاتي ،مرجع سابق ،ص 172

[3]- سفر أخبار الأيام الثاني 19: 4 – 11

شهادة الزور التي دبّرها الملك واعتمدها القضاة شيوخ المدينة في إصدار الحكم[1] .أمّا في مملكة يهوذا وتبعا للإصلاحات التي قام بها يهوشافاط ،تم تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال التشديد على تطبيق أحكام الشريعة ومراعاة تطبيق أحكام وقوانين القضاء ،وهو ما يكشف عنه هذا النص :" وَقَالَ لِلْقُضَاةِ: "انْظُرُوا مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَقْضُونَ لِلإِنْسَانِ بَلْ لِلرَّبِّ، وَهُوَ مَعَكُمْ فِي أَمْرِ الْقَضَاءِ. وَالآنَ لِتَكُنْ هَيْبَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ. احْذَرُوا وَافْعَلُوا. لأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ الرَّبِّ إِلهِنَا ظُلْمٌ وَلاَ مُحَابَاةٌ وَلاَ ارْتِشَاءٌ". كَذَا فِي أُورُشَلِيمَ أَقَامَ يَهُوشَافَاطُ مِنَ اللاَّوِيِّينَ وَالْكَهَنَةِ وَمِنْ رُؤُوسِ آبَاءِ إِسْرَائِيلَ لِقَضَاءِ الرَّبِّ وَالدَّعَاوِي. وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَمَرَهُمْ قَائِلاً: "هكَذَا تَفْعَلُونَ بِتَقْوَى الرَّبِّ بِأَمَانَةٍ وَقَلْبٍ كَامِلٍ. وَفِي كُلِّ دَعْوَى تَأْتِي إِلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمُ السَّاكِنِينَ فِي مُدُنِهِمْ، بَيْنَ دَمٍ وَدَمٍ، بَيْنَ شَرِيعَةٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ جِهَةِ فَرَائِضَ أَوْ أَحْكَامٍ، حَذِّرُوهُمْ فَلاَ يَأْثَمُوا إِلَى الرَّبِّ فَيَكُونَ غَضَبٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى إِخوتكم. هكذا افعلوا فلا تأثموا"[2] .

رابعا :مصدر القضاء

يتميّز القضاء بأنّه ديني ،حيث كان الحكم القضائي يصدر باسم الإله يهوه ،ومعايره واضحة تتلخص في النزاهة وعدم المحاباة ،وتحريم الرشوة ،وعدم استغلال النفوذ لأنّ الرشوة تعوج القضاء ،وعلى السلطات مراعاة حقوق الفقير والمسكين والمتضايق ،وقد أعلن الله عن طريق الأنبياء أن القضاة والملوك مسئولون عن إجراء العدل ،لكن في هذه الفترة خالف الملوك وصايا الرب وشريعته ،واعتنقوا الوثنية فكثر الظلم والفساد وانتهكوا العدالة كما حدث مع الملك أخاب الذي استغل نفوذه في محاكمة المزارع نابوت اليزرعلي والحكم عليه بالإعدام ومصادرة ممتلكاته وفقا لشهادة الزور التي تم تدبيرها بمعرفة الملك والقضاة .وقد بيّنت نصوص العهد القديم أنّه بسبب مخالفة الملوك أو وصايا الرب وشريعته والسير إلى الباطل حتى وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم ،الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم ،حلّت عليهم العقوبة وهي التشريد في الأرض والسبي والدمار[3] .

المبحث الثاني :التشريع

تتحدث نصوص العهد القديم في هذه المرحلة عن عهد جديد مع بني إسرائيل ويهوذا ،فتقول إنّه عهد مختلف عمّا سبق وعمّا أُعطي للآباء والأجداد : "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ،

[1]- سفر الملوك الأول 21 : 13

[2]- سفر أخبار الأيام الثاني 19 : 6 – 9

[3]- سفر الملوك الثاني 17 : 7 : 24 ،أنظر : يوسف رشاد ،بداية النهاية ،دار الكتاب العربي ،ط1 ،2009 م ،ص 31 وما بعدها

يَقُولُ الرَّبُّ"[1].هذا الاختلاف يكمن في أن الملوك في هذا العهد لم يحفظوا عهدا ولا ميثاقا ،فأهملوا العمل بالشريعة وانتهكوا وصايا الرب ،بأن ارتكبوا الجرائم وغيّروا الطقوس والشعائر فتعددت مظاهر الانحراف الخلقي والديني ،ولم يعد بنو إسرائيل إلى عهود الرب وحفظ وصاياه والعمل بالفرائض الإلهية إلاّ في زمن يوشيا الذي رأى أن سلطان النّاموس أقوى من سلطة الملك فأقسم أن يكون مخلصا له ،وأمر يهو شافاط الشعب بالتمسك بناموس موسى وبالوصايا والفرائض الإلهية[2].

أولا : التشريع الجنائي

1 – **الجرائم ضد الله** :

أصبح نظام الحكم قائما على الوثنية من خلال الاندماج الكلي في النظام الديني الكنعاني منذ عهد مؤسسها الأول يربعام الذي أدخل الصوّر الكنعانيَّة إلى شعائر عبادة الرب ،فخلط النّاس بين الرب والآلهة ،وجعلوا إله إسرائيل على مستوى الآلهة الوثنيَّة ،وبعد خمسين سنة تطوَّر الوضع الديني بصورة أخطر فترسّخت هذه العبادة الوثنية بقوّة عندما تزوَّج الملك أخاب من إيزابيل ابنة ملك صور الوثني التي شجَّعت ديانة البعل الشبيهة بالديانات الكنعانيَّة ،ولم يحافظ أخاب بذلك على عهود الرب،حتى أنّ الكهنة شجّعوا الشعب بدورهم على العبادات والأساليب الكنعانية[3] .

من الجرائم أيضا التي أرتكبها الملوك ،التعدي على السبت ،فالشريعة الموسوية شدّدت على المحافظة عليه ،وهم لم يحفظوه واعتبروا أنّ اكتساب المال أهم من حفظ النّاموس ،كما أشار إلى ذلك النص التالي :"[20]وَقُلْ لَهُمُ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا مُلُوكَ يَهُوذَا، وَكُلَّ يَهُوذَا، وَكُلَّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ الدَّاخِلِينَ مِنْ هذِهِ الأَبْوَابِ.[21]هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: تَحَفَّظُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَحْمِلُوا حِمْلاً يَوْمَ السَّبْتِ وَلاَ تُدْخِلُوهُ فِي أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ،[22]وَلاَ تُخْرِجُوا حِمْلاً مِنْ بُيُوتِكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ، وَلاَ تَعْمَلُوا شُغْلاً مَّا، بَلْ قَدِّسُوا يَوْمَ السَّبْتِ كَمَا أَمَرْتُ آبَاءَكُمْ.[23]فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ قَسَّوْا أَعْنَاقَهُمْ لِئَلاَّ يَسْمَعُوا وَلِئَلاَّ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا"[4] .إضافة إلى جرائم أخرى اقترفها الملوك شدّدت شريعة موسى بالعقاب عليها منها ،أن الملك يربعام استبدل الكهنة اللاويين بعامة النّاس،وجعل الشعائر تُقام خارج الهيكل ،وجعل موعد الحج بعد الفصح بشهر.

2 – **الجرائم ضد النفس** :

---

[1]– سفر إرميا 31 : 32 – 33

[2]– سفر الملوك الثاني 32 : 1 – 3 ، سفر أخبار الأيام الثاني 17 : 7 – 9 ،12 : 1 – 8

[3]– سفر صموئيل الأول 2 : 22

[4]– سفر إرميا 17 : 20 – 22

رغم أنّه كان محرّم على بني اسرائيل أن يقتل بعضهم بعضا وأن لا يخرج بعضهم بعضا من ديّارهم ،إلاّ أنّ سياسة القتل وسفك الدماء كانت من أكبر الجرائم في تاريخ الملوك ،فلم يخل عهد من عهودهم من ذلك ،بل إن نظام اعتلاء الحكم كان قائما على هذه السياسة كما سبق بيان ذلك .

3 – الجرائم ضد المال :

لم يحفظ الملوك في هذه الفترة حرمة الأموال ،فكانوا لا يتورعون في سبيل الإثراء عن الالتجاء إلى أيّ وسيلة ،وكانوا يأكلون أموال النّاس بالباطل ،ويمدّون أيديهم للرشوة ،ويسلبون أموال الضعفاء واليتامى والأرامل حتى تكدّست الثروات في أيديهم وضاقت بها بيوتهم ،فلجئوا إلى المعابد فحوّلوها إلى بنك لحفظ أموالهم[1] ،رغم أن الشريعة حذّرت من ارتكاب جريمة السرقة وسلب أموال النّاس واغتصابها ،ونصوص العهد القديم تحفل بالحديث عن سير ملوك يهوذا وإسرائيل في ذلك ،ومن الأحداث المشهورة في هذا السياق حادثة الملك أخاب الذي أقدم وعملاً بمشورة زوجته الوثنية إيزابيل على مصادرة كرم نابوت ثم أمر بقتله .هذه الفعلة التي تتنافى تنافيًا تامًّا ونظام التشريع تُفسَّر في سفر الملوك على أنّه السبب في انهيار بيت أخاب والإطاحة بورثته عن عرش الحكم كما سبق بيان ذلك .

ثانيا :التشريع المدني

1 – العقود والمواثيق :

رغم أن الشريعة الموسوية وضعت أحكاما وقوانين للبيع ،والإيجار ،والرهن ،والقرض ،وبيّنت كيفية التعامل بها وتأديتها ،إلاّ أن الملوك لم يلتزموا دينيا وأخلاقيا بتطبيق هذه الأحكام والقوانين ولم يحفظوا في ذلك عهدا ولا ميثاقا ،فكانوا يقرضون المعوزين من بني إسرائيل وغيرهم ربا فاحش ،أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق ،حتى القضاة الذين أقيموا لينصفوا المساكين باعوا نفوسهم إلى الأغنياء الذين استمروا يستغلُّون النّاس بكل طمأنينة ،ولم يحققوا الغرض الذي نُصّبوا من أجله ؛وهو حماية الفقير ،وتحقيق العدالة الاجتماعية والخلقية ممّا أدّى إلى انتشار الأمراض الاجتماعية كالظلم والفجور ،واتساع الهوة بين طبقات المجتمع[2] .

2 – الأحوال الشخصية والمواريث :

في هذا العهد الذي تطورت فيه الأوضاع السياسية حد الانفصال والصراع لعب نظام الزواج بعدا سياسيا واضحا في

[1]– عبد الواحد وافي ،اليهودية واليهود ،مرجع سابق ،ص 151 – 152

[2]– المرجع نفسه ،ص 152

التقارب بين المملكتين ،فعاد الوفاق وتعززت علاقات الود والتعاون بينهما بعد سنوات من الاحتقان السياسي بفضل الزواج الذي أقيم في عهد يهوشافاط بين ابنه يورام وعثليا بنت أخاب ،بعدها انتهى عهد الوفاق بسبب أن الرباط الوحيد الذي كان يربط المملكتين بقوّة قد انقطع بعد قتل عثليا.

القرآن الكريم أخبر بأن بني إسرائيل نكثوا عهد الله ونقضوا ميثاقه ،بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له ،بأن لا يعبدوا غيره ،وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ،ويصلوا الأرحام ويتعطفوا على الأيتام ،ويؤدّوا حقوق أهل المسكنة إليهم ،ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثّوهم على طاعته ،ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ،ويؤتوا زكاة أموالهم ،فخالفوا أمره في ذلك كلّه وتولوا عنه معرضين ،إلاّ من عصمهم الله منهم ،فوفّى لله بعهده وميثاقه[1] .قال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

القرآن الكريم أكّد فساد وإفساد بني اسرائيل ،حيث الشرك بالله وتكذيب فريق من الأنبياء ،وقتل فريق آخر ،وقتل أولياء الله من الناس ،وسفك دماء بني قومهم وإخراجهم من ديارهم ،وتحريف الكهنة والأحبار لكتاب الله ليوافق أهواء علية القوم ،والاعتداء على حدود الله وعصيان أوامره ،وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل ،قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3].وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

كذلك يتّفق القرآن الكريم مع كلام التوراة كيف تحوّل الكهنة والأحبار الى موظفين داخل المعبد ،وكيف استغلّوا مناصبهم الدينية في جمع المال بسلب النّاس أموالهم ،وتكديس الذهب والفضة،كما تحدث عن غرورهم وأمانيهم وعدم

[1]- الطبري ،تفسير الطبري ،ج 2 ، ص 298

[2]- سورة البقرة : 83

[3]- سورة البقرة : 87

[4]- سورة آل عمران : 21

رضاهم على من لم يتبع ملّتهم وأقوالهم ،وجرأتهم على الله والأنبياء[1] ،قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾[2].

كما بيّن أيضا في عدة مواضع مسئولية الكهنة والأحبار في تحريف التوراة التي أنزلت على موسى باعتبارها كتاب التشريع حتى لا تتعارض مع مصالحهم[3] ،قال تعالى :﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦ ﴾[4] .

خلاصة الكلام في هذا الموضوع هو اتفاق العهد القديم والقرآن الكريم على أن الله أخذا العهود والمواثيق على بني اسرائيل أن يلتزموا شرائع الله ويأتمروا بأوامره ويقيموا حدوده ،إلاّ أنّهم لم يحفظوا هذه العهود ففسدوا وأفسدوا بأن انتهكوا حرمات الله فلم يُخلصوا العبادة لله وعبدوا غيره ، وكثر فيهم الظلم وقتل الأنفس وأخذ أموال الناس بالباطل ،وحرّفوا وبدّلوا شرائع الله فسلّط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ،فكانت عاقبتهم أن زال ملكهم وسلطانهم بعد أن مكّن الله لهم في الأرض ،وجعل منهم الأنبياء والملوك وأتاهم ما لم يؤت أحد من العالمين.

[1]- الباش،القرآن والتوراة أين يلتقيان، ج2 ،مرجع سابق،ص 264

[2]- سورة التوبة: 34

[3]- المرجع السابق،ص 364 – 365

[4]- سورة النساء:46

نتائج البحث:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن هذه الدراسة الموسومة بنظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم أفضت إلى هذه النتائج :

1- اتفق القرآن الكريم مع نصوص العهد القديم على وجود نظام حكم لدى بني إسرائيل، وأن الله جعل الحكم فيهم في فترات مختلفة،وجعل فيهم الأنبياء والملوك،وكان الحكم فيهم صورة مميّزة لهم .

2- بدأ تاريخ بني إسرائيل بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد بهجرة ابراهيم عليه السلام الى كنعان،وانتهى عام 539 ق.م بأرض فلسطين.أمّا الأصل فيرجع إلى يعقوب وأطق عليهم اسم بنو إسرائيل واليهود.

3- معالم نظام الحكم لدى بني إسرائيل اتضحت منذ تكليف موسى قيادة بني إسرائيل،ونزول الشريعة في أرض التيه،حيث تشكّل الكيان السياسي لبني إسرائيل على يد موسى عليه السلام الذي قام بإخراج بني إسرائيل من أرض مصر وتوحيدهم في شكل أمّة بعد أن كانوا أشتاتا وعبيدا لفرعون.

4- نظام اعتلاء الحكم كان بين التعيين الإلهي المباشر والوراثة والاغتصاب.

5- تطور نظام الحكم من نظام قبلي الى نظام وسط بين القبيلة والدولة الى نظام ملكي بعد ظهور الدولة،ثم الى طائفة دينية داخل دولة أجنبية.

6 - النظام القبلي قام على مفهوم العشيرة والقبيلة،وتنصيب الحاكم وعزله عن طريق مجلس الشيوخ والسلطة الدينية.

7 - النظام الملكي قام على مفهوم الدولة،وأساس الحكم مطلق، فالسلطة تتركز في يد شخص واحد هو الملك.وهذا النظام يمثل العصر الذهبي في تاريخ بني إسرائيل.

8 - العلاقة المعقدة بين الأرض والشعب والسلطة لا يمكن فهمها إلّا انطلاقا من جذورها التاريخية.

9- إقامة بني إسرائيل بأرض فلسطين متوقفة منذ البداية على صدق العقيدة والوفاء بعهد الله،وإذا نقضوا العهد وانحرفوا عن العقيدة حل عليهم غضب الرب ونزلت بهم العقوبة فصاروا عبيدا للأمم.

10- تطور التنظيم الإداري تبعا لتطور نظام العمران،فشاؤل وضع أسس هذا التنظيم،وفي عهد داود اتضحت معالمه،وفي عهد سليمان اكتملت أجهزته.

11 - تطور التنظيم العسكري تبعا لتطور نظام الحكم وحاجيات الدفاع عنه.

12 - تطور وسائل الدفاع تبعا لتطور التنظيم العسكري،وقد بلغ هذا التطور أوّجه في العهد الملكي

13- الحروب التي أتى العهد القديم على ذكرها ووصفها تعكس الجو العدائي في تلك الأمم والشعوب التي تحيط ببني إسرائيل نتيجة احتلال الأخيرين لأراضيهم،أو لما يشكّلونه من خطر مرتقب عليهم.والتي أتى على ذكرها القرآن الكريم تعكس الجهاد في سبيل الله.

14- هذه الحروب التي خاضها بنو إسرائيل منذ الخروج من مصر حتى زوال المملكتين قامت على خلفية الاختيار الإلهي- شعب الله المختار- والوعد بأرض فلسطين.

15- أصل التشريع إلهي لذلك تميز القانون بالطابع الديني،حيث اختلطت أحكام القانون والدين والأخلاق ببعضها سواء من حيث المصدر أو الجزاء.

16- بدأ النظام التشريعي بنزول التوراة على موسى ،والنصوص المتعلقة بالقانون هي الوصايا العشر.

17- منذ نزول الشريعة علي موسى عليه السلام أصبح بنو إسرائيل يخضعون إلى القوانين التي نصّت عليها هذه الشريعة.

81- أثر التشريع على كل من التنظيم القضائي والتنظيم الإداري.

19- تطور التنظيم القضائي تبعا لتطور نظام الحكم من النظام القبلي إلى النظام المكي.

20- تميّز نظام القضاء بأنّه ديني وإجراءات التقاضي قائمة بصفة أساسية على الإثبات والشهود.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مصادر البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- الكتاب المقدس : العهد القديم و العهد الجديد

2- القرآن الكريم

ثانيا: كتب التفاسير والأحاديث

1 - أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج :

معاني القرآن واعرابه ،تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي ،ط1 ،1408 هـ ،1988 م

2 - أبو بكر الجزائري:

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،ج 4 ،دار العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،ط 5، 1424 هـ .،2003 م.

3- أبو داود الطيالسي:

- مسند الطيالسي ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،د ط ،د ت

4- أبو السعادات مبارك محمد ابن الأثير الجزري :

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ،ج9 ،تحقيق محمد حامد الفقي ،القاهرة ،ط1 ،1952

5- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة 209 – 273 هـ :

- سنن ابن ماجة،علق عليه محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة التعارف للنشر والتوزيع،الرياض،ط1،1417 هـ

6- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمان النسائي :

- سنن النسائي الكبرى ،تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن ،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1411 هـ،1991 م

7- أحمد مصطفى المراغي :

- تفسير المراغي ،ج17 ،مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ،ط4 ،1969

8- جاد الله محمود بن عمر الزمخشري:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1 -3 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،د ط ، د ت.

9- الحافظ جلال الدين السيوطي :

- الإتقان في علوم القرآن،ج1،تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية

10- سيد قطب :

- في ظلال القرآن ،دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت

11- عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي :

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ،ط1، 1420هـ ،. 2000 م

12- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي بن كثير:

- تفسير القرآن ،تحقيق سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2 ،1420هـ .،1999 م

13- فخر الدين محمد الرازي :

- التفسير الكبير ،دار الفكر ،ط1، 1401هـ ، 1981 م

14- محمد الطاهر بن عاشور :

- التحرير والتنوير ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ،د ط ، د ت .

15- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي :

- مختار الصحاح ،مكتبة لبنان ،د ط ،1986 م

16- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي :

- الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د ت ، د ط

17- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري:

- جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ،ط1 ، 1420 هـ - 2000 م

18- محمد بن علي بن محمد الشوكاني :

- فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، ج4 ،راجع أصوله :يوسف الغوش،دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط4 ،1428 هـ ،2007 م

19- محمد جمال الدين القاسمي :

- محاسن التأويل ،ج 14،دار الفكر ،بيروت ،ط 2، 1398 هـ ،1978م

20- محمود الألوسي أبو الفضل :

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان .

21- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي :

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،مكتبة الجمهورية ،القاهرة ،د ط ،د ت

ثالثا : المراجع العامة

1– ابراهام مالمات ،حييم تدمور :

- العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية ،ترجمة رشاد عبد الله الشامي ،مكتبة الإسكندرية ، ط1 ،2001 م

2– أبكار السقاف:

- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط2 ،1997 م
- الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبريين ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،2004 م

3 – أبو الحسن بن علي المسعودي :

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،راجعه : كمال حسن مرعي ،المكتبة المصرية ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ، 2005

4 – أبو المحاسن عصفور:

- معالم حضارات الشرق الأدنى القديم،دار النهضة العربية،بيروت،1408 هـ ،1987 م

5 –أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري الثعلبي:

- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، القاهرة ، د ط،د ت

6– أحمد ايبش:

- التلمود كتاب اليهود المقدس ،دار قتيبة ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،1427 هـ ،2006 م

7–أحمد بهجت :

- أنبياء الله ،دار الشروق ،القاهرة ،ط 29 ،1424 هـ ،2003 م

8– أحمد سوسة :

- مفصل العرب واليهود في التاريخ ،دار الحرية للطباعة ،ط 5 ، 1981 م

9 – أحمد شلبي:

- مقارنة الأديان(اليهودية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط 2 ، 1988 م

10– أحمد عيسى الأحمد :

- داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم ،دار العلوم ،جامعة القاهرة ،1410 هـ ،1990 م

11– أحمد فؤاد أنور:

- تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء الى 11 سبتمبر ،مركز الراية للنشر والإعلام ،د ط ،د ت

12– إدريس محمد جلاء :

- فلسفة الحرب في الفكر الديني الاسرائيلي ،مركز الدراسات الشرقية ،جامعة القاهرة ،عدد 18 ،142هـ ،2001 م.

13– أدين شتا ينسا لتز :

- مدخل الى التلمود ، وترجمة فينتا بوتشيفا الشيخ ،دار الفرقد ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،2006 م

14- الأرقم الزعبي :

- حقائق عن اليهودية ،الدار المتحدة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1990

15- أرنولد توينبي :

- تاريخ البشرية ، تاريخ البشرية ،ترجمة: نقولا زيادة ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،ط2 ،1985

16- اسبنوزا باروخ :

- رسالة في اللاهوت والسياسة ،ترجمة وتقديم حسن حنفي بيروت ،دار الطليعة ،ط3 ،1994

17- إسرائيل فنكلشتاين،نيل إشر سيلبرمان :

- التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها (رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار ،ترجمة:سعد رستم ،صفحات للدراسات والنشر ،د ط ،د ت.

18- إسرائيل ولفسون :

- تاريخ اللغات السامية،مطبعة الاعتماد ،مصر ،ط 1 ،1348 هـ ،1929 م.

19- أسعد السحمراني :

- البيان في دراسة الأديان ،دار النفائس ،بيروت ،ط1 ،1422 هـ ،2001 م

20- إسماعيل حامد :

- تاريخ اليهود ،مكتبة النافذة،الجيزة،ط1 ،2014 م.

21- إسماعيل ناصر الصمادي :

- التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق،سوريا ،ط1 ،2005 م

22- أغسطوس ماريت بك :

- تاريخ قدماء المصريين ،ترجمة أبو السعود أفندي ،المطبعة الخديوية ،مصر ،د ط ،د ت.

23- إكرام لمعى :

- الاختراق الصهيوني للمسيحية ،دار الشروق ،القاهرة ،ط2 ،1412هـ ،1991م

24- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي :

- البرهان في علوم القرآن ،ج 1 دار المعرفة ،1404 هـ

25- بديع السيوفي :

- قراءة حول مصير النبي موسى – عليه السلام – هل مات أم قتل ،الأوائل ،دمشق ،ط1 ،2005 م

26- برهان الدين دلّو :

- حضارة مصر والعراق –التاريخ الاقتصادي –الاجتماعي – الثقافي والسياسي– دار الفارابي ، بيروت ، لبنان، ط1 ،1989م

27- جمال عبد الرزاق البدري :

- النبي ابراهيم والشرعية السياسية ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ،مصر ،د ط ،1420هـ ،1999م

28- الجميل سيار :

- الحرب ظاهرة تاريخية،مجلة علم الفكر،الكويت،عدد36 أكتوبر،2007

29- جودت السعد :

- أوهام التاريخ اليهودي ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط 1 ،1998 م

30- جوستاف لوبون :

- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ،ترجمة عادل زعيتر ،مكتبة النافذة ،الجيزة ،ط1 ،2009 م

31- حامد عيدان حمد الجبوري :

- التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط1 ،2007 م

32- حسان محمد شفيق العاني :

- الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة ،مطبعة جامعة بغداد ،بغداد ،1986

33- حسن الباش :

- القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ؟، ج2 ،دار قتيبة ،بيروت ،ط1 ،1420 هـ ،2000 م

34- حسن ظاظا :

- الساميون ولغاتهم،دار القلم،دمشق،الدار الشامية،بيروت،ط 2 ،1410 هـ ،1990 م
- أبحاث في الفكر اليهودي،دار القلم،دمشق،دار العلوم،بيروت،ط 1، 1407 هـ ،1987 م
- شريعة الحرب عند اليهود،دار الاتحاد العربي للطباعة،ط 1 ،1976م

35- حسن مصطفى الباش :

- القدس بين رؤتين ،دار قتيبة، بيروت ،د ط ،1997 م

36- حسين شريف :

- المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية 1900 ق.م – 1995 م ،ج1 ،الهيئة المصرية العمة للكتاب ،د ط ،1995 م

37- حسين فوزي النجار :

- أرض الميعاد ، دار المعارف ،القاهرة ،د ط ،د ت

38- داود عبد العفو سنقرط :

- جذور الفكر اليهودي ،دار الفرقان ،الأردن ،ط1 ،1403 هـ ،1983 م

39- رجاء عبد الحميد عرابي :

- سفر التاريخ اليهودي،الأوائل ،سورية ،ط1، 2004 م

- رشدي البدراوي :
- قصص الأنبياء والتاريخ ،ج4 (موسى وهارون عليهما السلام) ،د.م.ن ،د ط ، 1998 م

40- رمضان عبده علي :

- تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته (منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر) ،ج 2 ،دار نهضة الشرق ،القاهرة ، ط1 ،2002

41- روبن فايرستون وآخرون :

- ذرية ابراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين ،ترجمة عبد الغني بن ابراهيم ،معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية ،د ط ،2005 م

42- روجيه جارودي :

- فلسطين أرض الرسالات السماوية ،ترجمة قصي أتاسي ،ميشيل واكيم، دار طلاس،دمشق ،ط1 ،1988 م

43- رينهارد لاوت :

- ابراهيم وأبناء عهده مع الله ،ترجمة غانم هنا ،خطوات للنشر والتوزيع ،دمشق ،ط1 ،2006 م

44- زاهية راغب الدجاني :

- المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى ع وفرعون ،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ،1418 هـ ،1998 م
- يوسف في القرآن والتوراة ،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1415 هـ ،1994 م

45- زكي شنودة :

- المجتمع اليهودي ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،د ط ،د ت

46- سبتينو موسكاتي :

- الحضارات السامية القديمة ،ترجمة :السيد يعقوب بكر ،دار الكتاب العربي ،د ط ،1957

47- سعد الدين السيد صالح :

- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ،دار الصفا للطباعة للنشر ،القاهرة،ط2 ،1410 هـ ،1990م

48- سعدون محمود الساموك :

- المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن ،دار وائل للنشر ،عمان ،ط1، 2006 م

49- سعيد إسماعيل علي :

- التربية والحضارة في بلاد الشرق القديم ،عالم الكتب ،القاهرة ،د ط، 1995

50- سوزان السعيد يوسف :

- المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها ووجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،ط1 ،2005

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

51- سيد محمود القمني :

- النبي ابراهيم والتاريخ المجهول ،مدبولي الصغير ،د ط ،د ت

52- سيكل سيل :

- المرشد الى الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس ،لبنان ،ط2 ،2000 م

53- شفيق مقار :

- السحر في التوراة والعهد القديم ،رياض الرئيس للكتب والنشر ،لندن، ط1 ،1990 م، ص216

54- صابر طعيمة:

- بنو إسرائيل (بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم) ،عالم الكتب ،بيروت ،ط1، 1404هـ ،1984م

55- صلاح عبد الفتاح الخالدي :

- الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، دار القلم ،دمشق ،ط1 ،1419 هـ ،1998 م
- القصص القرآني ، عرض وقائع وتحليل أحداث ،ج3 ،دار القلم ،دمشق ،ط1 ،1419 هـ ،1998 م

56- صموئيل شولتز :

- العهد القديم يتكلم،ترجمة أدبية شكري يعقوب ،مطبعة السلام،الخلفاوي – شبرا،د ط ، د ت

57- طارق محمد العماوى :

- أسرار المعبد اليهودي ،دار الفكر الحديث ،القاهرة ،د ط، د ت

58– عباس محمود العقاد:

- الموسوعة الإسلامية ، مج 1، دار الكتاب العرب ي، بيروت ، لبنان ،ط1 ،1970 م

59- عبد الستار قاسم :

- إبراهيم – عليه السلام – والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن ،باسيا الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية ، القدس، ط2، 1994 م

60- عبد الغني عبود :

- اليهود واليهودية والإسلام ، دار الفكر العربي ،ط1 ،1982 م
- أنبياء الله والحياة المعاصرة ،دار الفكر العربي ،ط1 ،1978م

61- عبد الوهاب المسيري :

- الجماعات الوظيفية اليهودية ،دار الشروق ،القاهرة ،ط 2 ، 2002 م
- في المصطلح والخطاب الصهيوني ،دار الشروق ،2005 م

62- عبد الوهاب النجار :

- قصص الأنبياء ،دار العلم للجميع ،د ط، د ت

63- عرفان عبد الحميد فتاح :

- اليهودية (عرض تاريخي) ،دار عمار ،عمان،دار البيارق ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1417 هـ ،1997 م

64- عرفة عبده علي :

- القدس العتيقة ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ،ط1 ،2007م

65- عشراتي سليمان :

- الكتاب المقدس والواقعة الإسرائيلية – قراءة في ابستيمولوجية الأرض والميثاق ،د م ن

66- علي خليل:

- اليهودية بين النظرية والتطبيق ،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،د ط ،1997 م

67- علي عبد الواحد وافي :

- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،د ط ،د ت
- اليهودية واليهود ،نهضة مصر ،ط 6 ،2008 م

68- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ابن كثير :

- قصص الأنبياء ،تحقيق عبد الحي الفرماوي ،دار الطباعة والنشر الإسلامية ،القاهرة ،مصر ،ط5، 1417هـ، 1997 م

69- عمار عزون :

- ورث سليمان داود عليهما السلام ،مطبعة زاعياش ،الجزائر ،ط 1 ،1420 هـ ،2000 م

70- عمر ممدوح مصطفى:

- أصول تاريخ القانون ،دار المعارف ،د ط ،1963

71- غزعل الماجدي :

- أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ،دار الشروق للتوزيع والنشر،عمان،الأردن،ط1997،1م

72- غطاس عبد الملك الخشبة :

- رحلة بني إسرائيل الى مصر الفرعونية ،دار الهلال ،د ط ، د ت

73- ف.دياكوف،س.كوفاليف:

- الحضارات القديمة ،ج1،ترجمة :نسيم واكيم اليازجي ،منشورات دار علاء الدين ،دمشق ،ط1 ،2000 م

74- فراس السواح :

- الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ،دار علاء الدين ،دمشق ،ط3 ،200 م

75- فليب حتي :

- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج 1،ترجمة جورج حداد،عبد الكريم رافق ،بيروت ،1982

76- فؤاد حسنين علي:

- إسرائيل عبر التاريخ،دار النهضة العربية ،مصر ،د ط ، د ت
- التوراة الهيروغليفية،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،د ط ،د ت

77- فوزي محمد أبو زيد :

- بنو إسرائيل ووعد الآخرة ،دار الإيمان والحياة ،المعادي ،القاهرة ،ط1 ،1432 هـ ،2011 م

78- كارين أرمسترونج:

- تاريخ الكتاب المقدس ، ترجمة محمد صفار ،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،ط1 ،1431 هـ ،2010 م

79- كالهون سيميون،ونخبة من اللاهوتيين :

- مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ،بيروت ،د ط ،1869

80- كمال سعفان:

- اليهود تاريخ وعقيدة ،دار الاعتصام ،القاهرة ،د ط ،1988 م

81- كمال عون:

- اليهود من كتابهم المقدس،القاهرة،1970

82- لواء أحمد عبد الوهاب:

- رسالة من التوراة الى مؤتمر السلام – إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والسياسية في فلسطين،مكتبة التراث الإسلامي ،القاهرة،د ط ،د ت

83- مارغريت كينغ :

- الخروج في القرآن ،ترجمة :هدى كيلاني ،دار طلاس ،دمشق ، ط1 ، 2010 م

84- متى المسكين:

- تاريخ إسرائيل ، دير القديس أنبا مقار ،وادي النطرون ،القاهرة ،ط1 ،1997 م

85- مجموعة من المؤلفين :

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ،شركة ماستر ميديا ،القاهرة ،مصر ،د ط ، د ت

86- مجموعة من المؤلفين :

- شريعة حمورابي ،ترجمة: أسامة سراس ،دار علاء ،دمشق ،ط2 ،1993 م

87- محمد ابراهيم الحفناوي :

- دراسات في القرآن الكريم ،دار الحديث ،القاهرة ،د ط ، د ت

88- محمد أحمد الخطيب :

- مقارنة الأديان ، دار المسيرة ، عمان ، ط1 ،1428 هـ ،2008

89- محمد بسام رشدي الزين:

- مدرسة الأنبياء ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ، ط2، 1429هـ ،2008م ،ص144

90- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري الطبري:

- تاريخ الرسل والملوك ،ج1، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،مصر ،د ط ،1960

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

91- محمد بيومي مهران :

- بنو إسرائيل ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،د ط ،1999 م
- الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،1419هـ ، 1999م
- المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ،دار المعرفية الجامعية ،مصر ،د ط ،1999 م

92- محمد خليفة حسن أحمد:

- تاريخ الديانة اليهودية ،دار قباء ،القاهرة ،ط1 ،1998 م
- تاريخ النبوة الإسرائيلية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،د ط ، د ت.

93- محمد راشد :

- ذرية ابراهيم وحكام مصر ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2013 م
- ملوك مصر القديمة (منذ عهد ابراهيم حتى عهد موسى) ،دار الكتاب ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2013 م

94- محمد سيد طنطاوي :

- بنو إسرائيل في القرآن والسنة ،دار الشروق الأولى ،القاهرة ،ط 2 ،1420 هـ ،2000 م

95- محمد شحرور:

- الإسلام والإيمان ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،ط 8، 1996 م

96- محمد ضياء الرحمن الأعظمي :

- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ،مكتبة الرشد ناشرون ،الرياض ،المملكة العربية السعودية ،ط 2 ، 1424 هـ ، 2003 م

97- محمد عاطف البنا:

- الوسيط في النظم السياسية ،دار الفكر العربي ،ط2 ،1414 هـ ،1994م

98- محمد عبد العظيم الزرقاني:

- مناهل العرفان في علوم القرآن ،ج 1 ، تحقيق فواز أحمد زمرلي دار الكتاب العربي، د ط ،د ت

99- محمد عصمت بكر :

- جذور الفتنة ،أجيال بني إسرائيل القديمة ،دار النمير ،دمشق ،د ط ،د ت

100- محمد علي البار:

- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية ،بيروت ،ط 1 ،1410 هـ ،1990م.

101- محمد علي الصابوني :

- النبوة والأنبياء ،مكتبة الغزالي ،دمشق ،مؤسسة مناهل العرفان ،بيروت ،ط 3 ،1405 هـ ،1985م

102- محمد علي برُّ العاملي :

- الكتاب المقدس في الميزان، الدار الإسلامية،بيروت،د ط ،1413 هـ ، 1993 م

103- محمد متولي الشعراوي:

- أنبياء الله،دار مايو الوطنية للنشر،القاهرة،د ط ،د ت

104- محمد محمد ابراهيم مصطفى:

- اليهود قافلة الشر في العالم ،دار الهناء ،القاهرة ،د ط ،2008 م

105- محمد يونس هاشم :

- الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية ، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط1 ،2010 م

106- محمود أحمد المراغي:

- إشعيا ،دار المعرفة الجامعية ،د ط ، 2006م

107- محمود شلبي :

- حياة موسى، دار الجيل بيروت ،لبنان ،ط2 ،1407 هـ ، 1987

108- مراد كامل :

- إسرائيل في التوراة والإنجيل ،معهد الدراسات العربية العالمية ،دار المعرفة ،القاهرة ،ط2 ،1967 م
- الكتب التاريخية في العهد القديم، د .م .ن

109- المسيو شارل سنيوبوس:

- تاريخ الحضارة ،تعريب محمد كرد علي ،مطبعة الظاهر ،القاهرة ،د ط ،د ت

110- ملاك محارب

- دليل العهد القديم ،أبناء الأنبا رويس ،د ط، د ت

111- مناع القطان:

- مباحث في علوم القرآن ،مكتبة وهبة ،القاهر ة ،ط11 ،2000 م

112- منصور عبد الحكيم :

- القبيلة الثالثة عشرة تحكم إسرائيل والعالم ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،القاهرة ،ط1 ،2014 م

113- منيس عبد النور :

- ابراهيم خليل الله ،شتوتقارت ،ألمانيا ،ط1 ،1988 م
- النبي داود وابنه سليمان الحكيم ،شتوتجارت ،ألمانيا ،ط1 ،1990

114- موريس روبان :

- تاريخ الأفكار السياسية المقارن ،نقلته عن الفرنسية:دعد قناب عائدة ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب،ط1 ،2004 م

115- ميخائيل مسعود،سجيع الجبيلي:

- الحضارات بين الصراع والحوار ، المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس ،لبنان ،2009 م

116- نادي فرج درويش العطار :

- شرح الأحكام الشرعية في التوراة ، مركز ابن العطار للتراث ،القاهرة ،ط1،2004 م

117- النبوي جبر سراج:

- المعابد اليهودية ودورها في حياة اليهود بمصر،شركة الإسلام مصر للطباعة ،مصر،د ط،د ت

118- نبيل خالد الأغا:

- أنبياء الله في فلسطين،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 ،2001 م

119- نبيلة محمد عبد العليم :

- معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية ،منشأة المعارف، الإسكندرية ،د ط ،د ت

120- نجيب ميخائيل ابراهيم :

- الشرق الأدنى القديم ،دار المعارف ،ط 3 ،1966 م

121 – نجيب زيبب :

- التاريخ الحقيقي لليهود ،دار الهادي ،بيروت ،لبنان ،ط 3، 1428 هـ ،2007 م

122- نديم السيار :

- قدماء المصريين أول الموحدين، ج 1 ،القاهرة،ط2 ،1995 م

123- نزار يوسف:

- الحكمة بين الإله والسلطان ،دار الفرقد ،دمشق ،سورية ،ط 1، 2006 م

124- هارالدوروت بوكور:

- أطلس تاريخ العالم من البدايات الى الزمن الحاضر،ترجمة إلياس عبدو الحلو،المكتبة الشرقية ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،2007 م

125- هدير الصافوري:

- نشوز المرأة اليهودية ،مكتبة مدبولي ،ط1 ،2011

126- هوميروس :

- الإلياذة ،ترجمة دريني خشبة،دار الهلال،د ط،د ت

127- ول ديورانت :

- قصة الحضارة ،ترجمة محمد بدران ،دار الجيل ،بيروت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: المعاجم والقواميس

1– أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج :

- معاني القرآن واعرابه،تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي ،ط1 ،1408 هـ ،1988 م

2– أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور:

- لسان العرب،دار صادر بيروت

3– برونز،وآخرون:

- معجم الحضارة المصرية القديمة،ترجمة أمين سلامة،مكتبة الأسرة،ط 2 ،1996

4– الراغب الأصفهاني:

- مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق صفوان عدنان داوودي،دار القلم ،الدار الشامية،ط4 ،1430 هـ ،2009 م

5– عبد الملك بطرس،جون ألكسندر طومس،ابراهيم مطر:

- قاموس الكتاب المقدس،دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط،ط 10 ،1985 م

6– محمد التونجي:

- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 ،1424 هـ،1003 م

7– محمد مرتضى الزبيدي:

- تاج العروس من جوهر القاموس،تحقيق ابراهيم الترزي،دار الهداية،1393 هـ ،1972م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا : الموسوعات

1– أسعد مفرح ،ولجنة من الباحثين :

- موسوعة عالم السياسة ،ج7 ، نوبليس ،بيروت ، 2006 م

2– زكي شنودة :

- موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ،ج8 ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،د ط ،1973م

3– عبد الوهاب المسيري :

- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،دار الشروق،القاهرة،ط1 ،1999

4– مجموعة من المؤلفين:

- موسوعة الحضارات القديمة(الميّسرة) دار النفائس،بيروت،لبنان،ط1 ،1432 هـ ،2011 م

5– محمد فريد وجدي:

- دائرة معارف القرن العشرين،مج1 ،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط3 ،1971 م

6 – ملكة يوسف زرار:

- موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية في الإسلام والشرائع الأخرى المقارنة، ج1 ،تقديم الدكتور صوفي أبو طالب،الفتح للإعلام العربي، القاهرة ،ط1 ،1420هـ،2000 م

7– وليم وهبة بباوي وآخرون:

- دائرة المعارف الكتابية ،دار الثقافة ،القاهرة ،مصر ، ط1 ،1991 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا : الدوريات والرسائل الجامعية

1– فيان صالح علي :

- أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم ،مجلة كلية العلوم الإسلامية ،جامعة صلاح الدين ،أربيل ،العراق ،عدد 13، 1434هـ ،2013 م

2– كمال معزي :

- المجتمع الإسرائيلي في القرآن والعهد القديم ،بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة ،كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية ،قسم العقيدة ومقارنة الأديان ،شعبة مقارنة الأديان ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ،1425 – 1426 هـ ،2004 ،2005 م

3– نايف شعبان عبد الله قرموط :

- الإدارة في سورة يوسف عليه السلام،رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن ،كلية أصول الدين ،قسم التفسير وعلوم القرآن ،الجامعة الإسلامية ،غزة ،1430 هـ ،2009 م

4– همام حسن يوسف سلوم :

- سليمان عليه السلام في القرآن الكريم،بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في أصول الدين ،كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس ،فلسطين ،2006 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: المراجع بالأجنبية:

1. Anderson, Bernard. W, Living World Of The Old Tastament, Secend Edition, Longmans ,1968
2. J. A. WILSON ,the culture of ancient,Egypt,Chicago,1963
3. Jackson, F. J . Foakes ,The Biblical History of The Hebrews To The Christian Era, Fourth Edition, London 1921
4. Robinson, A History Of Israel, Vol.I ,Oxford,1957

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس العهد القديم

السفر	الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
التكوين	٢ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ...	32	32 – 21	4
	٧فَقَدْ أَرْسَلَنِي	45	9 – 7	21
	٢٨وَبَارَكَهُمُ اللهُ	1	28	26
	وَأُقِيمُ عَهْدِي	17	8 -7	26
	٦اِسْمَعْنَا	23	6	26
	١٨وَإِبْرَاهِيمُ	18	19 - 18	26
	٣٩ بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ	41	40 – 39	30
	٤٢وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ	41	43 – 42	30
	وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ	41	46 – 45	30
	١وَقَالَ الرَّبُّ	12	4 – 1	32
	١٠وَحَدَثَ جُوعٌ	12	10	32
	٧فَقَدْ أَرْسَلَنِي	45	11 -7	33
	وَظَهَرَ لَهُ	18	8 – 1	38
	وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ	43	24	38
	فَصَنَعَ لَهُمْ	26	32 – 30	38
	فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ	14	16 – 14	44
	فَالآنَ هَلُمَّ	37	20	45
	وَمَلْكِي صَادِقُ	14	20 – 18	48
	وَحَدَثَ فِي	21	24 – 22	49
	تَغَرَّبْتُ عِنْدَ لاَبَانَ	32	5 – 4	50
	أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ	47	6 – 5	50
	لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ	13	9 – 8	56
	فَاشْتَرَى يُوسُفُ	47	21- 20	56
	فَأَسْكَنَ يُوسُفُ	47	11	56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	جَوَاسِيسُ	42	9	63
سفر الخروج	[8]ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ	1	13 – 8	78
	وَأَمَّا مُوسَى	3	10 – 1	81
	ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ	9	8 – 1	84
	وَبَعْدَ ذلِكَ	5	5 – 1	88
	وَصَعِدَ بَنُو	13	18	96
	فَتَذَمَّرَ كُلُّ	16	3 – 2	101
	هَا أَنَا	17	6	101
	وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ	32	9 – 1	105
	وَكَانَ عِنْدَمَا	32	20 – 15	106
	وَقَفَ مُوسَى	32	28 – 26	106
	وَكَانَ الرَّبُّ	13	22 – 21	110
	[1]وَقَرِّبْ إِلَيْكَ	28	1	118
	إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ	3	8 – 7	121
	وَقَالَ مُوسَى لِشَّعْبِ	13	9 – 3	125
	فَدَعَا مُوسَى	12	21	125
	وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى	12	44 – 43	126
	اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ	20	11 – 8	127
	اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ	34	12	135
	وَقَالَ الرَّبُّ	24	18 – 12	167
	ثُمَّ تَكَلَّمَ الله	20	17 – 1	168
سفر اللاويين	وَكَلَّمَ الرَّبُّ	17	2 – 1	119
	[1]وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ	10	2-1	120
	فِي الشَّهْرِ	23	5	125
	وَفِي الْيَوْمِ	12	3	126
العدد	وَأَخَذَ قُورَحُ	16	2 – 1	99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فَأَرْسَلَ مُوسَى	16	5 -3	99
	فَلَمَّا فَرَغَ	16	35 – 31	99
	فَرَفَعَتْ كُلُّ	14	10 – 1	103
	لَنْ تَدْخُلُوا	14	35 – 30	103
	اصْنَعْ لَكَ	10	10 – 1	128
	فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى	32	23 – 20	130
	فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ	21	25 – 24	130
	فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى	21	35 – 34	130
	هؤُلاَءِ تُقْسَمُ	26	54 – 53	139
	فَلاَ يَتَحَوَّلُ نَصِيبٌ	36	9 – 7	140
	إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ	24	12 – 1	140
	وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى	1	4 – 1	151
	ثُمَّ بَعْدَ الْوَبَإِ	26	5 – 1	152
	وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى	5	3 – 1	152
	وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى	2	2 - 1	155
	فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى	13	20 – 17	157
	فَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ	21	32 – 31	158
سفر التثنية	لأَنَّ الرَّبَّ	20	4	61
	وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ	34	9	83
	إِذَا خَرَجْتَ فِي	23	14 – 9	155
	إِذَا خَرَجْتَ لِلْحَرْبِ	20	1	159
	اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ:	20	3	159
	قُضَاةً وَعُرَفَاءَ	16	19- 18	166
	اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ	6	9 – 4	167
	مَتَى أَتَيْتَ إِلَى	17	20 – 14	299
	وَكَمَا فَرِحَ	8	64 – 63	307
سفر يشوع	وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ	1	3 – 1	83
	اصْعَدُوا تَجَسَّسُوا	7	3 – 2	158

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	فَأَمَرَ يَشُوعُ	1	11- 10	160
	فَأَجَابُوا يَشُوعَ	1	18 – 12	160
	فَأَتَى إِلَيْهِمْ يَشُوعُ	10	10 – 9	162
	فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ	8	4 - 1	162
سفر القضاة	وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ	17	6	175
	وَدَبُورَةُ امْرَأَةٌ	4	4	178
	فَصَعِدَ جَمِيعُ	20	28 26	183
	وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ	7	7 – 4	194
	فَأَرْسَلَ بَنُو دَانَ	18	10 – 1	195
	وَذَهَبَ شَمْشُونُ	15	6 – 4	196
	وَصَعِدَ جِدْعُونُ	8	12 – 11	196
	فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ	6	2	197
	فَعَمِلَ إِهُودُ	3	16	198
سفر صموئيل الأول	اسْمَعْ لِصَوْتِ	8	7	207
	وَقَالَ صَمُوئِيلُ	15	1	211
	فَهَتَفَ كُلُّ	10	27 – 24	212
	فَالآنَ اذْهَبْ	15	3	215
	اسْمَعُوا يَا	22	7	223
سفر صموئيل الثاني	وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ	2	4 – 1	215
	وَكَانَ إِيشْبُوشَثُ	2	10	226
	الرَّبَّ كَلَّمَ	3	18	227
	وَتُنْقِذُنِي	22	44	228
	فَذَهَبَ دَاوُدُ	6	17 – 12	243
سفر الملوك الأول	فَكَلَّمَ نَاثَانُ	1	17 – 13	217
	وَأَيْضًا جَاءَ	1	48 – 47	218
	فَأَعْطِ عَبْدَكَ	3	12 – 9	218
	وَأَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ	4	34 – 29	219
	وَقَالَ الْمَلِكُ	2	26	230
	ثُمَّ أَرْسَلَ	2	46 – 36	230

	وَكَانَ سُلَيْمَانُ	4	25	231
	حِينَئِذٍ جَمَعَ	8	9 – 1	245
	وَكَانَ سُلَيْمَانُ	9	25	245
	فَغَضِبَ الرَّبُّ	11	11 – 9	245
	وَكَانَ مَخْرَجُ	10	29 – 28	250
	صَحِيحًا كَانَ	10	9 – 6	255
	جَمِيعُ الشَّعْبِ	9	22 – 20	268
	وَعَمِلَ بَيْتًا	2	12 – 10	274
	وَهذَا هُوَ	9	15	274
	وَالآنَ أَبِي	12	17 – 1	313
	وَعَمِلَ يَهُوذَا	14	23 – 22	322
سفر أخبار الأيام الأول	وَعَظَّمَ الرَّبُّ	29	2 5	218
سفر أخبار الأيام الثاني	وَكَانَ وَزْنُ	9	14	257
	وَفِي السَّنَةِ	12	4 – 1	324
	وَبَنَى عُزِّيَّا	26	10 – 9	336
	وَقَالَ لِلْقُضَاةِ:	19	9 – 6	340
سفر نحميا	وَنَظَرْتُ وَقُمْتُ	4	14	335
سفر الجامعة	بَنَيْتُ لِنَفْسِي	2	6 – 4	275
إرميا	هَا أَيَّامٌ[٣١]	31	32 – 31	341-9
	وَقُلْ لَهُمُ	17	22 – 20	341

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس العهد الجديد

السفر	الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
متى	لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي	26	28	9
يوحنا	هو ذا إسرائيلي	11	47	5
كورنتوس الأول	مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ	14	21	8

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	رأس الآية	الرقم	الصفحة
البقرة	أَلَمْ تَرَ إِلَى	47	6
	يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	122	7
	وَإِذۡ يَرۡفَعُ	127	41
	وَوَصَّىٰ بِهَآ	133 – 132	72 – 42
	قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ	124	71
	وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ	57	111- 100
	وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ	60	102
	وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ	61	102
	وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ	148	150
	وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ	59 – 58	134-111
	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ	245	179- 176
	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ	85 – 84	181
	وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ	248	248-213 -182
	وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ	61	186-146
	أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ	100	186
	وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ	251	285-216-208
	وَزَادَهُۥ	247	-214- 213 -212
		246	284- 248-247
	فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ	251 – 250	286- 214- 186
			278- 241

	وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ	124	309
	وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ	83	343
	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ	87	343
	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا		
آل عمران	كُلُّ ٱلطَّعَامِ	93	29 – 5
	إِنَّ ٱلدِّينَ	19	71
	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ	112	308-186
	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ	21	343
النساء	وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ	125	26
	فَقَدْ ءَاتَيْنَآ	54	27
	ءَاتَيْنَآ دَاوُۥدَ	163	208
	مِّنَ ٱلَّذِينَ	46	344
المائدة	وَلَقَدْ أَخَذَ	12	158- 153- 138- 6
	لِكُلٍّ جَعَلْنَا	48	72
	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ	26 – 20	131-114
	ٱدْخُلُواْ	22-21	103
	قَالَ هِىَ عَصَاىَ	18	145
	قَالَ رَجُلَانِ	23	161-159-104
	إِنَّآ أَنزَلْنَا	44	202- 171
	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ	44	167
	لُعِنَ ٱلَّذِينَ	45	171
	وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ	79 – 78	248-235
		64	308

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأعراف	وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ	138	6
	قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ	144	82
	قَالُوٓاْ أُوذِينَا	129	79
	وَقَالَ مُوسَىٰ	105 – 104	85 – 83
	وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ		97
	وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ	137 – 136	86
	فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ	133	91
	قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ	128	91
	وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ	139 – 138	92
	وَلَمَّا رَجَعَ	150	103
	قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ	150	106
	وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ	163	107
	وَقَالَ مُوسَىٰ	163	107
	وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ	142	129
	وَكَتَبۡنَا لَهُۥ	160	139
	وَإِذۡ تَأَذَّنَ	145	143
		168 – 167	171
			308
التوبة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ	34	344 - 202

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يونس	وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ	87	150- 112- 91
	وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ	90	97
هود	وَٱمْرَأَتُهُۥ	71	29
	وَلَقَدْ جَآءَتْ	69	39
يوسف	إِذْ قَالُوا۟	10 – 8	25
	فَلَمَّا دَخَلُوا۟	99	25
	وَقَالَ ٱلْمَلِكُ	54	30
	قَالَ ٱجْعَلْنِى	55	31
	وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا	56	31
	رَبِّ قَدْ	101	31
	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ	99	31
	وَأْتُونِى	93	37
	وَأَخَافُ أَن	13	35
	وَقَالَ يَٰبَنِىَّ	67	35
	وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟	99	35
	قَالَ يَٰبُنَىَّ	5	37
	قَالَ لَا تَثْرِيبَ	93	34
	أَلَا تَرَوْنَ	59	39
	وَدَخَلَ مَعَهُ	38 – 36	42
		39	43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ	46	43
	يُوسُفُ أَيُّهَا	12	46
	أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا	9 – 7	46
	لَقَدۡ كَانَ	48 – 47	47 47
	قَالَ تَزۡرَعُونَ	71	48
	وَلِمَن جَآءَ	99	51
	وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ	88	52
	فَلَمَّا دَخَلُواْ	76	52
	فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ	87	63 73
	يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ	66	
	قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ		
ابراهيم	رَبَّنَآ إِنِّيٓ	37	34
	وَإِذۡ قَالَ	35	34
النحل	إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ	120	27 – 25
	إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ	124	129
الإسراء	قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ	88	10
	وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ	7 – 4	309- 190
الكهف	وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ	60	84
	فَلَمَّا جَاوَزَا	62	84
مريم	إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ	43 – 42 45	24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى	46	36
	قَالَ أَرَاغِبٌ		24
طه	فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ	47	85- 6
	وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ	13 – 9	82
	فَأَرْسِلْ مَعَنَا	47	84 - 82
	وَأَلْقَيْتُ	39	86
	ٱذْهَبَآ إِلَىٰ	44 – 43	89
	قَالَ رَبِّ	34 - 25	90
	وَمَا تِلْكَ	22 – 17	92
	وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ	77	96
	قَالَ يَبْنَؤُمَّ	94	107
	قَالَ بَصُرْتُ	96	108
	قَالَ فَٱذْهَبْ	97	108
	يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	80	110
	وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا	32 – 29	138
الأنبياء	وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ	80	252
	وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ	82	269
	وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ	79	291
	وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ	78	294- 293
الحج	وَإِذْ بَوَّأْنَا	25	41
	وَأَذِّن فِى	27	72- 41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	مِّلَّةَ أَبِيكُمْ	78	71
الشعراء	قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ	29	89- 81
	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ	17 – 16	85 – 83
	فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ	42 – 41	93
	قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ	18	94
	وَتِلْكَ	22	94
	وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ	52	96
	فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ	63	96
	فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن	59 – 57	98
النمل	وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ	16	266 -220 – 209
	ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ	37	249-242
	أَلَّا تَعْلُوا۟	31	249 - 242
	قَالَتْ رَبِّ	44	276 - 249
	وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ	36 – 35	266- 249- 255
	قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا	31 – 29	288 – 261
	قَالَ عِفْرِيتٌ	39	263
	قَالَ ٱلَّذِى	40	263
	فَقَالَ أَحَطتُ	24 – 22	297 – 263
	حَتَّىٰٓ إِذَآ	19-18	295 – 281
	وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ	17	283- 281
	فَلَنَأْتِيَنَّهُم	37	281

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	اذْهَب بِّكِتَٰبِى	28	287
	قَالُوا۟ نَحْنُ	33	288
	فَفَهَّمْنَٰهَا	79	294
	وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ	21 – 20	297 – 284
القصص	نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ	5 – 3	77
	وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ	15	80
	وَجَآءَ رَجُلٌ	21 – 20	80
	وَلَمَّا بَلَغَ	14	81
	فَلَمَّا قَضَىٰ	30 – 29	81
	إِنَّ خَيْرَ	26	83
	إِنَّ قَـٰرُونَ	77 – 76	100
	فَخَسَفْنَا	81	100
العنكبوت	وَوَهَبْنَا	27	27
	فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ	26	33
	وَلَمَّا جَآءَتْ	32 – 31	35
	وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ	39	90
سبأ	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ	10	248- 217
	أَنِ ٱعْمَلْ	11	291
	يَعْمَلُونَ لَهُۥ	13	277- 270- 252
	وَمِنَ ٱلْجِنِّ	12	270- 269
	فَلَمَّا خَرَّ	14	270

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يس	أَلَمْ أَعْهَدْ	60	9
الصافات	وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ	112	27
	وَإِنَّ إِلْيَاسَ	125 – 123	321
	وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ	100- 99	73
ص	اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ	20 – 16	208
	وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ	30	248-220- 209
	قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي	35	220- 209
	فَسَخَّرْنَا لَهُ	36	258 – 209
	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ	20	293- 216
	إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ	19 – 18	248 – 216
	عُلِّمْنَا مَنطِقَ	35	289- 271- 242
	إِذْ تَسَوَّرُوا۟	22 – 21	295 -277
	فَسَخَّرْنَا لَهُ	36	258
	وَالشَّيَٰطِينَ	37	269
	وَءَاخَرِينَ	38	270
	إِذْ عُرِضَ	33 – 31	291 – 282
	وَءَاتَيْنَٰهُ	20	293
	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا	26	296 - 294
	إِنَّ هَٰذَآ أَخِي	24 – 23	296
غافر	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا	24 – 23	89
	وَقَالَ فِرْعَوْنُ		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	يَـهَـمَـنُ	26 36	90 90-81
الشورى	شَرَعَ لَكُم	13	72
الزخرف	وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ	51	91
الدخان	فَأَسۡرِ بِعِبَادِى	24 – 23	96
الجاثية	وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَـا	16	6
الذاريات	هَلۡ أَتَىٰكَ	7 – 24	39
الحديد	لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا	25	67
الصف	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ	14	6
القيامة	إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ	18 – 17	9
النازعات	ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ	19 – 17 24 – 23	89 91-81
الأعلى	إِنَّ هَـٰذَا لَفِى	19 – 18	72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

رأس الحديث	الصفحة
حدثني عبد اللّه بن عباس قال	5
أن سليمان بن داود لما بنى	277

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

إهداء :

شكر وتقدير :

مقدمة :

الفصل التمهيدي 1

المبحث الأول : تحديد المصطلحات..... 2

أولا: مفهوم نظام الحكم.....2

1 – النظام لغة:.....2

2 – نظام الحكم اصطلاحا:..... 2

ثانيا :مفهوم كلمة إسرائيلي 3

1– لغة:..... 3

2 – اصطلاحا:..... 3

ثالثا: مفهوم العهد القديم لغة واصطلاحا 7

1 – لغة:..... 7

2 – اصطلاحا:..... 7

رابعا:مفهوم القرآن الكريم لغة واصطلاحا 9

1– لغة:..... 9

2– اصطلاحا:..... 10

المبحث الثاني:مفهوم نظام الحكم الإسرائيلي في العهد القديم والقرآن الكريم..... 11

أولا: مفهوم نظام الحكم في العهد القديم 11

1 – عهد الآباء:..... 11

2 – فترة التيه:..... 11

3 – فترة القضاة:..... 11

4 – فترة الملوك:..... 12

ثانيا:مفهوم نظام الحكم في القرآن الكريم 12

1 – فترة التيه:..... 12

2 – فترة القضاة :..... 12
3 – فترة الملوك: 12
المبحث الثالث: نظم الحكم لدى بعض المماليك..... 13
أولا: نظام الحكم عند الكنعانيين(الفينيقيين) 13
1 – نظام الحكم:..... 13
2 – المجال الديني:..... 14
3– المجال الاقتصادي والاجتماعي: 14
4 – التنظيم الإداري..... 14
ثانيا:نظام الحكم عند المصريين:..... 14
1 – نظام الحكم:..... 15
2 – الجانب الديني: 15
3 – الجانب الاقتصادي والاجتماعي:..... 15
4– التنظيم الإداري:..... 16
5 – التنظيم القضائي:..... 16
ثالثا: نظام الحكم عند البابليين..... 16
1 – نظام الحكم:..... 16
2 – الجانب الديني: 17
3 – الجانب الاقتصادي والاجتماعي:..... 17
4 – التنظيم القضائي:..... 17
5 – التنظيم الإداري:..... 17
الباب الأول: نظام العشيرة..... 18
الفصل الأول: التنظيم السياسي 19
المبحث الأول:الأوضاع السياسية 20
المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم..... 25
1 – تعيين ابراهيم..... 26
2 – اعتلاء إسحاق الحكم..... 27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 – اعتلاء يعقوب الحكم..... 28
4 – تعيين يوسف:..... 29
المبحث الثالث:المهام السياسية 31
أولا:السياسة الداخلية 31
1 – الشؤون السياسية:..... 32
أ– تأمين الإقامة:..... 32
1– الظروف الأمنية:..... 32
2– الظروف الاقتصادية..... 32
ب– توفير الحماية والأمن :..... 34
ج – تأسيس وإقامة العلاقات الداخلية:..... 35
د – استقبال الضيوف وتوديعهم:..... 37
2 – الشؤون الدينية:..... 39
3 – الشؤون العسكرية..... 43
4– الشؤون الاقتصادية والاجتماعية:..... 45
ثانيا:السياسة الخارجية..... 48
1 – الشؤون السياسية 48
أ– العلاقة مع ملكي صادق..... 48
ب – العلاقة مع أبيمالك..... 49
ج– العلاقة مع ملوك حبرون:..... 49
د – العلاقة مع عفرون الحثي:..... 49
هـ– العلاقة مع لابان:..... 50
و– العلاقة مع الآراميين 50
ي– العلاقة مع ملوك مصر 50
2 – الشؤون الاقتصادية..... 51
الفصل الثاني: التنظيم الإداري..... 53
المبحث الأول:التنظيم الإداري المدني..... 54

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:الجهاز الإداري..... 54
1 – الوظائف الإدارية..... 54
أ – رئيس الخدم..... 54
ب – الراعي..... 55
ج –العبيد..... 55
2 – التقسيم الإداري..... 55
ثانيا:النظام المالي..... 56
1 – الموارد المالية:..... 56
2 – النظام الضريبي:..... 57
ثالثا:نظام الشغل..... 58
1 – الأشغال العامة:..... 58
2 – المنشآت العمرانية..... 59
المبحث الثاني:التنظيم العسكري..... 59
أولا: تشكيل الجيش وإعداده..... 61
ثانيا: أساليب القتال وعملياته..... 61
1- الحيل والخداع:..... 62
2- التجسس والاستطلاع:..... 62
ثالثا: معدات القتال في الحروب..... 63
الفصل الثالث: التنظيم القضائي..... 65
المبحث الأول:القضـــاء..... 66
المبحث الثاني: التشريع..... 67
أولا : التشريع الجنائي..... 67
ثانيا:التشريع المدني..... 68
1 – العقود والمواثيق:..... 68
2– الأحوال الشخصية والمواريث:..... 68
الباب الثاني: النظام القبلي..... 74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: التنظيم السياسي 75
المبحث الأول: الأوضاع السياسية 76
المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم 81
1 – تعيين موسى 81
2 – تعيين يشوع 83
المبحث الثالث:المهام السياسية 84
أولا: السياسة الداخلية 87
1– الشؤون السياسية 87
أ– تحرير بني إسرائيل: 87
1 – لغة الحوار 88
2 – الآيات والمعجزات: 91
ب– الخروج من مصر وتحرير بني اسرائيل: 94
1 – الاستعداد للخروج 95
2– بداية الخروج: 96
3– غرق فرعون وجنوده: 96
ج– القضاء على المعارضة 98
1 – الخوف من فقدان الأمن الغذائي: 100
2– الخوف من دخول الأرض المقدسة 102
3– عبادة العجل: 105
د– تنظيم إدارة السكن والتنقل: 109
1 – تنظيم التنقل: 109
2 – تنظيم إدارة السكن 111
هـ– تأسيس مدن الملجأ: 112
و– تدشين وافتتاح مكان العبادة 112
ز– إلقاء خطبة الوداع: 113
2 – الشؤون الدينية 114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- تأسيس النظام الكهنوتي 114
1 - نظام تولي الكهانة..... 115
أ- رئيس الكهنة أو الكاهن الأعظم..... 116
ب- الكهنة:..... 116
ج- اللّاويون: هم 116
2 - تنصيب الكهنة: 116
أ- تنصيب الكاهن الأكبر: 116
ب- تنصيب الكهنة: 117
ج- تنصيب اللّاويين:..... 118
3- تحديد الوظائف الكهنوتية:..... 119
أ- وظائف الكاهن الأكبر: 120
ب- وظائف الكهنة: 120
ج- وظائف اللاويين..... 120
ب- تنظيم العبادة:..... 120
1- نظام الذبائح وتقديم القرابين: 121
أ- ذبيحة المحرقة 122
ب- ذبيحة السلامة: 123
ج- ذبيحة الخطيئة:..... 123
د- ذبيحة المعصية: 124
هـ- تقدمة الحبوب (الدقيق) 124
ج - تنظيم الأعياد الدينية:..... 124
1 - عيد الفصح..... 125
2 - عيد الأسابيع(الحصاد): 126
3- عيد المضالّ..... 127
4 – يوم السبت: 127
5 - عيد رأس السنة وعيد الأبواق:..... 128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- سنة اليوبيل: 128
7 – السنة السبتية السابعة:..... 128
3 – الشؤون العسكرية:..... 129
4 – الشؤون الاقتصادية والاجتماعية:..... 135
ثانيا :السياسة الخارجية:..... 135
1 – الشؤون السياسية:..... 135
أ – العلاقة مع بني مديان..... 135
ب – العلاقة مع بني أدوم:..... 135
الفصل الثاني: التنظيم الإداري..... 137
المبحث الأول:التنظيم الإداري المدني..... 138
أولا:الجهاز الإداري..... 138
1 – الوظائف الإدارية..... 138
أ- وظائف إدارية تنفيذية:..... 138
ب- وظائف دينية..... 138
ج – وظائف أمنية وعسكرية..... 138
د- وظائف حرفية 138
2 – التقسيم الإداري:..... 139
ثانيا:النظام المالي..... 144
1 – الموارد المالية 144
2 – النظام الضريبي:..... 144
ثالثا:نظام الشغل..... 144
1 – الأشغال العامة:..... 144
2 – المنشآت العمرانية:..... 146
أ- بناء خيمة الاجتماع:..... 146
1- المسكن..... 147
2 – الخيمة..... 147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 – الحجاب 147
ب – قدس الأقداس 147
1 – تابوت العهد 147
2 – الحجاب: 148
ج – المقدس: 148
1 – مائدة خبز الوجود 148
2 – المنارة: 149
3 – مذبح البخور: 149
د – الفناء الخارجي 149
1– سور المسكن 149
2 – المرحضة 149
3 – مذبح المحرقة 149
المبحث الثالث:التنظيم العسكري 150
أولا: تشكيل الجيش وإعداده 151
1– التجنيد 150
أ – المرحلة الأولى 151
ب – المرحلة الثانية 152
2 – تقسيم الجيش وتنظيمه: 154
ثانيا: أساليب القتال وعملياته 155
1 – الاستطلاع و التجسس: 156
2 – التعبئة العامة: 159
3 – الحيل والخداع: 161
4 – المفاجأة والمباغتة 162
5 – الكمائن 162
6– الحصار 163
ثالثا: معدات القتال في الحروب 163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: التنظيم القضائي.....164
المبحث الأول: القضاء.....165
1 – القاضي الأعلى.....165
2 – القاضي العام.....165
3 – القضاة.....165
4 – نواب القضاة.....165
المبحث الثاني: التشريع.....166
أولا : التشريع الجنائي.....169
1 – الجرائم ضد الله:.....169
2 – الجرائم ضد النفس:.....169
3 – الجرائم ضد المال:.....169
ثانيا:التشريع المدني.....169
1 – العقود والمواثيق:.....170
2 – الأحوال الشخصية والمواريث:.....170
الباب الثالث: نظام القضاة.....172
الفصل الأول: التنظيم السياسي.....173
المبحث الأول:الأوضاع السياسية.....174
المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم.....177
1– مفهوم القضاة:.....177
2– تعيين القضاة:.....178
المبحث الثالث:المهام السياسية.....179
أولا: السياسة الداخلية.....179
1– الشؤون السياسية:.....180
أ– انفصال الوحدة السياسية:.....180
ب– فقدان تابوت العهد:.....182
2 – الشؤون العسكرية:.....182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 – الشؤون الدينية: 186
أ – بناء المعابد والمراكز الدينية..... 186
ب– نظام العبادة:..... 187
ج – تقديم القرابين: 187
د– نظام الكهنة:..... 188
1 – تعين الكهنة:..... 188
2 – مهام الكاهن..... 188
4 – الشؤون الاجتماعية والاقتصادية:..... 188
ثانيا:السياسة الخارجية:..... 189
1 – الشؤون السياسية 189
2 – الشؤون العسكرية..... 190
الفصل الثاني: التنظيم الإداري..... 191
المبحث الأول: التنظيم الإداري المدني 192
أولا:الجهاز الإداري..... 192
1 – الوظائف الإدارية :..... 192
2 – التقسيم الإداري: 192
ثانيا:النظام المالي..... 192
1 – الموارد المالية: 192
2 – النظام الضريبي..... 193
ثالثا:نظام الشغل..... 193
1 – الأشغال العامة:..... 193
2 – المنشآت العمرانية:..... 193
المبحث الثالث:التنظيم العسكري..... 193
أولا: تشكيل الجيش وإعداده..... 193
1– التجنيد:..... 193
2 – تقسيم الجيش وتنظيمه: 194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: أساليب القتال وعملياته..... 194
1 – الاستطلاع و التجسس: 194
2 – التعبئة العامة: 195
3– الحيّل والخدع: 196
4 – المباغتة:..... 196
5 – الكمائن: 197
6– الحصار:..... 197
7– القلاع والحصون:..... 197
8 – الأبراج:..... 197
ثالثا:معدات القتال في الحروب 197
الفصل الثالث:التنظيم القضائي..... 199
المبحث الأول:القضـــاء..... 200
1 – القاضي:..... 200
2 – مكان القضاء 200
المبحث الثاني: التشريع 201
أولا : التشريع الجنائي 201
ثانيا:التشريع المدني 201
1 – العقود والمواثيق: 201
2– الأحوال الشخصية والمواريث..... 201
الباب الرابع: نظـــام المُـلك..... 203
الفصل الأول: التنظيم السياسي 204
المبحث الأول:الأوضاع السياسية 205
المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم..... 209
أولا: مراسيم تنصيب الملك 210
1 – الشكل الديني..... 210
2 – الشكل الديمقراطي..... 210

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا:اعتلاء الحكم: 210
1- اعتلاء شاول الحكم:..... 210
2- اعتلاء داود الحكم..... 214
أ – المرحلة الأولى 214
ب – المرحلة الثانية: 215
3 – اعتلاء سليمان الحكم..... 217
المبحث الثالث:المهام السياسية 221
أولا:السياسة الداخلية: 223
1- الشؤون السياسية: 223
أ – توحيد القبائل والقضاء على المعارضة:..... 223
ب- القضاء على تمرد أبشالوم..... 227
ج – التغييرات في نهاية عصر داود:..... 228
د- القضاء على المعارضة وتعديل الجهاز الحكومي في عهد سليمان 229
و- تأسيس عاصمة للمملكة 231
1- مدينة جبعة 231
2- مدينة حبرون..... 232
3 – مدينة القدس:..... 232
2 – الشؤون العسكرية..... 235
أ – شاول والتوسع العسكري: 236
1 – الحرب ضد العمونيين:..... 236
2 – الحرب ضد الفلسطينيين: 236
ب – داود والتوسع العسكري..... 237
1 – الحرب ضد الفلسطينيين: 237
2 – الحرب ضد اليبوسيين..... 238
3 – الحرب ضد المؤابيين 238
4 – الحرب ضد الآدوميين 239

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5 – الحرب ضد العمونيين..... 239
6 – الحرب ضد الآراميين: 239
ج – سليمان والتوسع العسكري: 240
3 – الشؤون الدينية:..... 242
أ– استعادة تابوت العهد وإحضاره الى القدس:..... 242
ب – تنظيم الكهنوت:..... 245
ج – تدشين الهيكل:..... 246
3 – الشؤون الاقتصادية والاجتماعية: 249
أ– الزراعة..... 249
ب– التجارة 249
1– التجارة البرية 250
2 – التجارة البحرية 250
ج – الصناعة: 250
ثانيا: السياسة الخارجية 252
1 – الشؤون السياسية: 252
أ – العلاقة مع الملك حيرام ملك صور..... 253
ب – العلاقة مع أدوم..... 253
ج – العلاقة مع مصر:..... 253
د – العلاقة مع سوريا 254
و – العلاقة مع ملكة سبأ: 254
2 – الشؤون العسكرية:..... 255
3 – الشؤون الاقتصادية :..... 256
أ– التبادل التجاري مع الملك حيرام ملك صور:..... 256
ب – التبادل التجاري مع الجزيرة العربية 257
الفصل الثاني: التنظيم الإداري..... 259
المبحث الأول:التنظيم الإداري المدني 260

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:الجهاز الإداري..... 261
1 – الوظائف الإدارية:..... 261
أ- وظائف دينية كهنوتية..... 261
ب- وظائف إدارية تنفيدية:..... 261
ج – وظائف أمنية..... 261
د – وظائف فردية 262
هـ – وظائف مالية..... 262
و – وظائف فنيّة 262
ي- وظائف حرفية..... 262
2 – التقسيم الإداري 263
ثانيا:النظام المالي..... 265
1 – الموارد المالية:..... 265
2 – النظام الضريبي:..... 266
ثالثا:نظام الشغل..... 267
1 – الأشغال العامة: 267
2 – المنشآت العمرانية: 270
أ – بناء الهيكل:..... 271
ب – بناء القصر الملكي:..... 273
ج – بناء القلاع والحصون:..... 274
د- بناء المدن الأخرى:..... 274
هـ- بناء المخازن:..... 275
و – إنشاء القنوات المائية:..... 275
ز – إنشاء الطرقات:..... 275
ح- الصرح الممرد..... 276
ط- بيت المقدس: 276
ي- المحاريب:..... 277

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ك – الأحواض المائية:..... 277
المبحث الثاني:التنظيم العسكري..... 277
أولا: تشكيل الجيش وإعداده..... 278
1 – التجنيد:..... 278
2 – تنظيم القوات:..... 282
3 – التعبئة المعنوية:..... 284
ثانيا: أساليب القتال وعملياته..... 286
1- التجسس والاستطلاع:..... 286
2 – الحيل والخداع:..... 288
3 – الكمائن..... 289
4 – الحصار..... 289
5 – التحصينات العسكرية..... 289
أ- القلاع والحصون..... 289
ب- الأسوار والأبراج..... 290
ثالثا: معدات القتال في الحروب..... 290
الفصل الثالث:التنظيم القضائي..... 292
المبحث الأول: القضاء..... 293
أولا: سلطة القضاء:..... 293
1- القاضي الأعلى:..... 293
2 – مجلس الشيوخ:..... 293
ثانيا:مكان القضاء..... 295
ثالثا:إجراءات القضاء..... 295
1 – التحرّي:..... 295
2 – **الإثبات**:..... 297
رابعا:مصدر القضاء..... 297
المبحث الثاني:التشريع..... 298

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : التشريع الجنائي 299
1 – الجرائم ضد الله: 299
2 – الجرائم ضد النفس: 299
3 – الجرائم ضد المال: 300
ثانيا:التشريع المدني 300
1 – العقود والمواثيق: 300
2 – الأحوال الشخصية والمواريث: 300
الباب الخامس:المملكة المنقسمة 302
الفصل الأول:التنظيم السياسي 303
المبحث الأول: الأوضاع السياسية 304
1 – العوامل السياسية: 304
2 – العوامل العسكرية: 305
3 – العوامل الدينية: 305
4– العوامل الاجتماعية والاقتصادية: 305
المبحث الثاني:نظام اعتلاء الحكم 309
1– طريق الوراثة: 309
2– طريق الثورات والانقلابات واغتصاب الحكم: 310
أولا:مملكة إسرائيل:931 -722 ق.م 311
1 – أسرة يربعام الأول(931 – 909ق.م): 311
2– أسرة بعشا(909 – 885 ق.م) : 311
3– أسرة عمري (858 – 841 ق.م): 311
4– أسرة ياهو(841 – 753 ق.م): 312
5 – آخر الملوك : 312
ثانيا:مملكة الجنوب 313
1– أسرة رحبعام: 313
2– آخر الملوك: 313

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث:المهام السياسية 314
أولاّ: السياسة الداخلية 314
1 – الشؤون السياسية: 314
أ- انحلال الوحدة الوطنية: 314
ب- عودة الوفاق السياسي: 315
ج- الإصلاحات السياسية 315
د- قيام المعارضة ودورها في عملية الإصلاح 315
1- الإصلاح السياسي والديني 316
2- الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي: 317
هـ- انفصال العاصمة: 317
1- العاصمة شكيم: 317
2- العاصمة ترصة: 318
3- العاصمة السامرة: 318
2 – الشؤون الدينية: 319
أ- التنظيم الكهنوتي: 319
ب- إقامة المعابد الدينية: 320
ج- تغيير مراسيم الأعياد الدينية: 323
3 – الشؤون العسكرية: 323
أ- الحروب الأهلية: 323
ب- الحروب الخارجية: 325
4 – الشؤون الاجتماعية والاقتصادية: 326
ثانيا:السياسة الخارجية 326
1 – الشؤون السياسية: 327
أ – العلاقة مع الآراميين: 327
ب- العلاقة مع فينيقيا: 327
2 – الشؤون العسكرية: 327

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3– الشؤون الاقتصادية: 328
أ– العلاقة مع الآراميين: 328
ب– العلاقة مع الفينيقيين: 328
الفصل الثاني:التنظيم الإداري..... 329
المبحث الأول:التنظيم الإداري المدني..... 330
أولا:الجهاز الإداري..... 330
1 – الوظائف الإدارية:..... 330
2– التقسيم الإداري:..... 331
ثانيا:النظام المالي..... 331
1– الموارد المالية:..... 331
2– النظام الضريبي:..... 332
ثالثا:نظام الشغل..... 332
1– الأشغال العامة:..... 332
2– المنشآت العمرانية:..... 333
أ– بناء المستوطنات والحصون..... 333
ب– قنوات المياه:..... 334
المبحث الثالث:التنظيم العسكري..... 334
أولا: تشكيل الجيش وإعداده..... 334
التجنيد..... 334
1– تنظيم القوات..... 334
2– التعبئة المعنوية..... 335
ثانيا: أساليب القتال وعملياته..... 335
1–الحيل والخداع..... 335
2–الحصار..... 335
3–التحصينات العسكرية..... 336
أ– الفلاع والحصون..... 336

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب- الأسوار والأبراج..... 336
ثالثا:معدات القتال في الحروب 337
الفصل الثالث:التنظيم القضائي..... 338
المبحث الأول: القضاء 339
أولا: سلطة القضاء..... 339
ثانيا:مكان القضاء..... 339
ثالثا:إجراءات القضاء 339
رابعا:مصدر القضاء..... 340
المبحث الثاني:التشريع 340
أولا : التشريع الجنائي 341
1 - الجرائم ضد الله: 341
2 – الجرائم ضد النفس: 342
3 – الجرائم ضد المال:..... 342
ثانيا:التشريع المدني 342
1 – العقود والمواثيق: 342
2 - الأحوال الشخصية والمواريث: 342
خاتمة..... 345
الفهارس..... 349
فهرس العهد القديم..... 349
فهرس العهد الجديد..... 354
فهرس الآيات القرآنية..... 355
فهرس الأحاديث..... 365
فهرس المصادر والمراجع..... 366
فهرس الموضوعات..... 383

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية